الشعر والشعراء

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم

ابن قتيبة

قدم له
الشيخ حسن تميم

راجعه وأعد فهارسه
الشيخ محمد عبد المنعم العريان

دار احياء العلوم
بيروت

الشعر والشعراء

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

ص.ب: ٥٧٥١ - بيروت، لبنان

بين يدي الكتاب

الشعر في الحياة العربية
وكتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة

بقلم: الشيخ حسن تميم - القاضي الشرعي

الشعر ديوان العرب.

ويمكن القول إنه سجلهم النفيس الذي حفظ تراثهم وتاريخهم وآدابهم وأخلاقهم وإنه مُتْحَفَهم الناطق الذي دونوا فيه أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم، وما تفردت به قرائح حكمائهم وفضلائهم من حكم بليغة، وأمثال بديعة وآيات في تجارب الحياة.

ولولا الشعر العربي، لما عرفت الآداب العربية، ولما شهرت القبائل، وأخبارها في محالفاتها وتناقضاتها، وفي تحاربها وتسالمها.

ولولاه أيضاً لما عرفت الجغرافيا العربية، ومواقع الصحراء، ومرابعها وواحاتها وجبالها ووديانها. فإن كل ذلك مدوّن في أشعار الشعراء، مخلد فيها.

ولولاه أخيراً لما اغتنت خزانة العلوم العربية بكل ما تحفل به الآن في مواضيع البلاغة والبيان والنحو واللغة فضلاً عن مواضيع العلوم الإسلامية.

وباختصار.. دراسة الشعر في العربية، وخصوصاً الجاهلي منه وفي صدر

الإسلام، هي دراسة خصائص العرب، لأنهم كانوا يوثّقون بالشعر، ويؤرخون من خلال الشعر، ويتعاملون بالشعر حتى أضحى الشعر أروج بضائعهم، وأنفس منتجات قرائحهم، وأصبح تداوله ميزة يتمايز بها مقدموهم، وأولو الرياسة فيهم ،وأصبحت روايته « اختصاصاً » شائعاً، في مجتمعاتهم، سيان في ذلك عامتهم وخاصتهم؛ وأصبح من مستلزمات البلاطات، ومن ضروريات القصور؛ لا يتباطأ في ميدانه إلا كل كليل، ولا يتأخر في مجاله إلا كل سُوقيّ أو عاميّ، ولا يكف عن تعاطيه إلا كل مُفْلس من أوليّات حضارة ذلكم العصر؛ وكل غريب عن حركة الحياة فيه..

فالشعر.. وروايته، وتعاطيه، شأن النخبة من الرجال والعلماء.. وغناؤه وتلحينه والإبداع في أدائه شأن النخبة من المغنين والمغنيات، وتعلمه وإتقانه والاستشهاد به شرط أوّلي لطلب العلوم الأخرى من فقه وتفسير وحديث، ونحو، وبلاغة.

ولم تكن العناية، ببضاعة الشعر، مقصورة في المجتمع العربي القديم على سوق الوراقين فحسب، حيث الكتب والدواوين، ولكنها تجاوزتها إلى « سوق الرقيق »، حيث الغلمان والجواري الحسان، ولقد بلغ الأمر بأرباب هذه التجارة أن كانوا يحضّرون الجواري لمجالس الملوك والأمراء والرؤساء.. بإروائهن الشعرَ، وتعليمهن للمختار منه.. وتحفيظهن للمشهور من فرائده وقصائده ومحكمات أبياته، وتدريبهن على إلقائه؛ والاستشهاد به؛ والتعبير عن مشاعرهن بشوارده ولطائفه، وألفاظه وخوافي معانيه، وكم من جارية شاعرة سلبت ألباب الخلفاء؛ وكم مغنية راوية للشعر ملكت قلوب الأمراء ودخلت تاريخ الأدب جنباً إلى جنب مع مشاهير الشعراء والأدباء.

وإذا قيل إن « الشعر » هو رأس الآداب عند العرب؛ فليس في القول

شطط ولا تزيُّد، وإذا قيل إنه «متحف فنون العرب» فليس في القول مبالغة ولا تكلُّف.. وإذا قيل إنه «خزانة لغة العرب» فليس في القول مجاز.. ولا هو من باب «التقوّل»، إنما هو الحقيقة بعينها.

والشاعر في المجتمع العربي، والقبلي خصوصاً، «محطة إذاعة» مرئية ومسموعة و«صحيفة يومية» واسعة النشر والانتشار.. بل هو «وزارة إعلام» بقضها وقضيضها بالمفهوم المعاصر؛ لا بد منه في المجتمع والبلد، والحي.. والقبيلة.. ولا بد منه للدعاية لما ينتمي إليه، والدفاع عَمَّن ينتمي إليهم، وبقدر ما تكون شاعريته في ميزان الشعر، يكون قدر جماعته في ميزان المجتمع، وبقدر ما تكون فحولته في صياغة المعاني، وصناعة القوافي، وتسديد الكلام، تكون هيبة جماعته بين الأقارب والحلفاء والجيران.

والشاعر اللّسن الفرد، يعادل في معايير الحياة العربية القديمة الجيش العديد، ولسانه «الدفاعي» أو «الهجومي» عند قبيلته أو حيّه أو جماعته أجدى من كثير السلاح، وأفتك من وفير العتاد، وهم إلَيْه أَحْوَجُ من الأبطال وبه أَعْلَقُ من صناديد الرجال.

وكل أغراض الحياة عندهم، ميدان مباح للشعر والشعراء، يخوضون فيها ويتفننون في تعاطيها والتعامل معها كُلٌّ على طريقته وأُسلوبه:

فبعضهم يقرض الشعر ويبدو كمن ينحت الصخر، وبعضهم يتعانى صناعته كما يتعانى «الجواهري» صناعته، وبعضهم يَنْفَحُ لسانُه به كالعطر، وينثره من حوله كالزهر، أو كفرائد الدر.

وبعضهم يرويه فَيُبْكِيك، ويستمطر الدمع من مآقيك، أو ينشده فَيُنْشيك، ويَسْحُرك ويُسْكِرك من غير أن يسقيك. أو يقوله فيبعث نار الحماسة فيك

ويُحَوِّلك بكلماته الحرّى، وألفاظه الملتهبة إلى بركان في إنسان يَفُور بالنجدة ويمور بالمروءة ويستعذب الموت.

وبعضهم يحكيه بألفاظٍ عِذَاب، وعبارات كأنها العَسَل المُذَاب، تبدو الحكمة من جوانبها، ويظهر الرشاد من أطرافها، فَتُغْنِيك بنظرتها عن النَّظَر، وَبِتَجْرِبتها عن التجربة، وبخلاصة فكرها وتدبّرها عن التفكر والتدبر، وتمنحك محض الشورى، وَصَفْو الرأي بغير تكلف ولا عناء.

إن أغراض الشعر، في العربية، تكاد تدخل في كل شأنٍ من شؤون الحياة العربية. ونحن في هذه العجالة لم نتصد أصلاً لمهمة استيفاء أغراض الشعر وآفاقه، وقوالبه وآلاته؛ وميادينه وساحاته، ولم يكن قصدنا منذ البدء إلا الطواف حول «الشعر العربي» وتأثره وتأثيره في الحياة العربية، حوالي القرن الثالث الهجري حيث عاش الإمام الكبير عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وصنّف مصنّفه الشهير الممتع «الشعر والشعراء».

ففي ذلك العصر؛ كانت حركة الحضارة العربية في أوجها، وفي زخم اندفاعها الأول، وكانت العلوم والمعارف زينة الرجال والنساء، وميدان التنافس بين الناس؛ وكانت حركة التأليف في إبان فتوتها وقمة عطائها وإنتاجها، ومثلها حركة النقل والترجمة؛ وطبيعي في عصر هذه سماته؛ أن تنصبّ اهتمامات العلماء، على دراسة الشعر والشعراء، لما للشعر، كما قدمنا، من أثر وتأثير في سائر نواحي الحياة العربية، ولما له من وجود في أصول العلوم والفنون العربية.

ولا يخفى على ذوي البصر، أن «أشعار العرب» هي مجامع الاحتجاجات بفصاحة الكلام، ودلالته، وحسن تركيبه، وهي أسانيد قواعد العربية وأصول النحو، والبلاغة والبديع والبيان وهي، أي أشعار العرب، المدخل

إلى حيازة علوم القرآن، والحديث النبوي الشريف. وناهيك بذلك من أهمية.

وكتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة واحد من مصادر الأدب الأولى، ومرجع من مراجع الأئمة الأقدمين في موضوعه، صنّفه عالم مجمعي كبير من علماء المسلمين، إمام في علوم العربية، وحجة ثبت في هذا النطاق إليه يرجع، وعليه يعوّل، ويمتاز كتابه، فضلاً عن أولويته في هذا الفن أنه حوى ألفاً وتسعمائة لفظة من الغريب أتى على شرحها وبيان وجه استعمالها، كما أنه اختار العيون من أشعار مائتين وستة شعراء من أرباب هذه الصناعة والمقدمين فيها الذين يستشهد بأقوالهم، وتروى قصائدهم، فكان كتاباً خليقاً بأن يكون مرجعاً لطبقات الشعراء، وثبتاً للمشاهير منهم، فقد التزم صاحبه رحمه الله بمن طار ذكره، وشهر شعره، وعرف بين أهل الأدب، وأما من «خفي اسمه، وقلّ ذكره، وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص» فإنه لم يحفل به كثيراً، ولم يحرص على التقاط أشعاره وتدوين أبياته؛ وذكر أخباره.. وهي على كل حال أشعار قليلة، وأبيات وأخبار ضئيلة.

ومما يتميز به الكتاب أيضاً أنه استهله بمقدمة نفيسة في «علم الشعر» أفاض فيها بذكر أقسام الشعر وعرض تلك الأقسام بأوصافها وعللها، ثم انتقل إلى ذكر عيوب الشعر، من إقواء، وإكفاء وغير ذلك، وإلى العيب في الإعراب، ثم أخذ يعرض الشعراء واحداً بعد واحد، عرضاً يدل على سعة علمه بهذا الفن الجميل، وإحاطته به إحاطة تامة، فهو يختار فيحسن الاختيار، وينقد فيحسن النقد، ويوازن بين الشعراء فيقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان؛ ولا يحيد ولا يميل عن قواعد العدل والإنصاف.

ومما لا شك فيه أن الكتاب أصلٌ تمسُّ الحاجة إليه، ومرجع لا يستعاض بغيره عنه.

وهو ضرورة من ضرورات الخزانة الأدبية العربية، يرتاده الأديب والعالم والناثر واللغوي والباحث والطالب، فيجد فيه طلبته وغرضه.

وإنني إذ أسجل لناشره الشكر والثناء أرجو أن يكون عمله خالصاً لوجه الله وخدمة العربية وآدابها وتراثها العظيم.

وأسأل الله التوفيق والسداد. إنه نعم المولى ونعم النصير.

الشيخ حسن تميم

ابن قتيبة الدِّينَوَري

٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م

هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدِّينَوَري. لا نعرف عن نسبه أكثر مما ذكرنا. ولد سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة المأمون.

وقال السمعاني في «الأنساب»: ولد ببغداد.

وقال ابن النديم في الفهرست وتبعه ابن الأنباري وابن الأثير: ولد بالكوفة.

وأينما كانت ولادته، فقد نشأ الرجل ببغداد التي كانت في عصره درة مدائن العالم، ومركز حركة الحضارة فيه، فغشي مجالس العلماء وتلقى علوم الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والسِّيَر على أعلام عصره، وحاز رتبة التفوق لما تتصف به نفسه من رغبة في المعرفة، وانكباب على الجمع والتحصيل.

ومما تميز به ابن قتيبة أنه كان يخلو إلى نفسه في بيته، فيؤلف كتبه ويجوِّد تأليفها، ثم يخرجها للناس، ويقرئها لمن شاء من طلاب علمه وأدبه، عرفنا ذلك من شذرات مبثوثة في حنايا مؤلفاته أشار فيها إلى هذا الأمر.

ولم يتول ابن قتيبة شيئاً من المناصب، فيما روته الأخبار عنه، إلا منصب القضاء «بالدِّينور» وهي البلدة التي نسب إليها واشتهر بها، مع أنه سليل أسرة فارسية كانت تقطن في الأصل مدينة «مَرْو».

ويكتنف الغموض قصته مع القضاء، فلسنا نعرف متى تولاه في الدينور، ولا مدة بقائه فيه، ولا سبب خروجه منه، ولا نعلم من الذي ولّاه، والغالب أن الذي ولاه هو الوزير: أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل.. ثم المعتمد.

ومن الثابت أن صداقة حميمة كانت قائمة بين ابن قتيبة وبين الوزير المذكور إذ أنه صنّف له كتابه «أدب الكاتب» وذكره في مقدمته وأسبغ عليه من المحاسن والمحامد ما لا مزيد عليه.

. ومن الثابت أيضاً أن ابن قتيبة كان على اتصال وثيق بالوزير محمد بن عبد الله بن طاهر، والذي كان يغدق عليه معروفه، ويكرمِه ويعرف قدر علمه وفضله.

وآل طاهر: محمد هذا وأبوه من قبل، معروفون بإكرام العلماء وحسن تعاملهم معهم؛ وعرفانهم بفضلهم، وتقديمهم لهم، واستقدامهم إياهم من سائر الأقطار.

وقد أثنى عليه بعض العلماء، وشهدوا له بالتبريز في العلوم والمعارف التي تعاطى التصنيف فيها، وحسده آخرون وغبطوه ولم يعترفوا له بفضل السبق أو التقدم.

واتهمه البيهقي والدارقطني بأنه كان كرّامياً يميل إلى التشبيه، وتصدى العلائي للتهمة ونفاها فقال: هذا لا يصح عنه وليس في كلامه ما يدل عليه، ولكنه جارٍ على طريقة أهل الحديث: في عدم التأويل؟!

ومن الثابت على ما رواه ابن النديم: «أنه كان صادقاً فيما يرويه عالماً بالنحو باللغة والنحو صدوقاً من أهل السنة» وعلى ما قاله فيه ابن الخطيب البغدادي: «أنه صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة وكان ثقة

ديناً فاضلاً » وعلى ما رواه تقي الدين ابن تيمية: من أنه من المنسبين إلى أحمد، وإسحاق بن راهوية، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة.

العلماء الذين أخذ عنهم

وقد تتلمذ ابن قتيبة لطائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع من مشاهير دهره، وأخذ عن كثير من أعيانه وأماثله نذكر منهم:

١ - والده «مسلم بن قتيبة». وقد أشار إلى ذلك في «عيون الأخبار» حيث قال: «حدثني أبي عن أبي العتاهية» و «حدثني أبي أحسبه عن الهيثم بن عدي».

٢ - أحمد بن سعيد اللحياني، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام وقد أخذ عنه وكان عمر ابن قتيبة ثمانية عشر عاماً.

٣ - أبو عبد الله محمد بن سلّام الجُمَحي البصري، صاحب طبقات الشعراء.

٤ - أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن رَاهُويه، وهو إمام جليل في الفقه والحديث، صحب الإمام الشافعي وناظره وهو الذي قال عنه أحمد بن حنبل «لا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً»!!

٥ - حَرْمَلَة بن يحيى التُّجَيْبي، صاحب الشافعي.

٦ - القاضي المشهور: يحيى بن أكثم المتوفى سنة ٢٤٢ هـ.

٧ - أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب السلمي المروزي المتوفى سنة ٢٤٦.

٨ - دِعْبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٤٦ هـ.

٩- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي البصري المتوفى سنة ٢٤٨ هـ.

١٠- أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، تلميذ سيبويه والأصمعي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ.

١١ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى ما بين سنة ٢٤٨ و ٢٥٥ هـ.

١٢- محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادي البصري الملقب بيؤيؤ المتوفى سنة ٢٥٢ هـ.

١٣- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلي البصري المتوفى سنة ٢٥٣ هـ.

١٤- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي حزم القُطَعي البصري المتوفى سنة ٢٥٣ هـ.

١٥- أبو الخطاب زياد بن يحيى بن زياد الحسّاني البصري المتوفى سنة ٢٥٤ هـ.

١٦- شبابة بن سوار، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ.

١٧- أبو عثمان الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ.

١٨- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد البصري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ.

١٩- أبو طالب زيد بن أخزم الطائي الشهيد في ثورة الزّنج سنة ٢٥٧ هـ بالبصرة.

٢٠- أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي، تلميذ الأصمعي، وهو الآخر شهيد ثورة الزنج سنة ٢٥٧ هـ.

٢١- أبو سهل الصفّار، عبدة بن عبد الله الخزاعي الكوفي المتوفى سنة ٢٥٨ هـ.

٢٢- عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي المتوفى سنة ٢٦٠.

٢٣- أبو بكر محمد بن خالد بن خِداش بن عجلان المهلبي البصري الضرير.

٢٤- أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير.

٢٥- ابن أخي الأصمعي المدعو: عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب: وكثيرون غيرهم.

مصنفاته

صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة بلغت عدتها كما يقول أبو العلاء المعري خمسة وستين مصنفاً. وما وصل إلينا علم بها هي:

١- الوزراء: ذكره ابن منظور في لسان العرب ضمن مادة، خ. ل.ل..

٢- «آلة الكتّاب»: ذكره ابن السيد البَطَلْيوسي في كتابه «الاقتضاب».

٣- صناعة الكتابة. ذكره الخزاعي في كتابه «تخريج الدلالات السمعية».

٤- «الألفاظ المغربة بالألقاب المُعْرَبة» من نسخة بمكتبة جامع القرويين.

٥- «الوحش» ذكره في كتابه الآخر المسمى بـ «الأنواء».

٦- «الصيام» ذكره أيضاً في «الانواء».

٧- «غريب الحديث» وهو من أشهر كتبه وأسيرها ذكراً.

٨- «إصلاح الغلط في غريب الحديث» لأبي عبيد، استدرك فيه ابن قتيبة على أبي عبيد، القاسم بن سلّام. ويعتبر هذا الكتاب من أوائل كتب النقد الحديثية العلمية.

٩ - « تفسير غريب الحديث » وهو في الحقيقة، متمم لكتابه الآخر الموسوم بـ « مشكل القرآن ».

١٠ - « الانواء » ذكره في كتابه الآخر المسمى بـ « المعالي ». وهو كتاب جامع في « علم النجوم » عند العرب، ومنازل القمر والأزمنة والأمطار والرياح والفلك والكواكب والسّحاب والبروق.

١١ - « فضل العرب والتنبيه على علومها » ذكره في كتابه « الشعر والشعراء » وفي كتابه الآخر « عيون الأخبار ».

١٢ - « الميسر والقداح ». ذكره في كتاب « إصلاح الغلط » - وطبعه محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٢ هـ.

١٣ - « المعارف » ذكره في مقدمة عيون الأخبار. وطبع مراراً.

١٤ - « عيون الأخبار » مشهور ومطبوع.

١٥ - « أدب الكاتب » طبع مراراً. وشرحه عدد من العلماء وعلق عليه آخرون واعتبره ابن خلدون في مقدمته: واحداً من أصول فن الأدب وأركانه الأربعة.

١٦ - « الشعر والشعراء » كتابنا هذا الذي بين يدي القارئ طبع لأول مرة في ليدن سنة ١٨٧٥ م ثم أعيد طبعه فيها سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق الكبير دي غويه، وطبع بعد ذلك عدة طبعات في مصر وفي غيرها، وكان آخرها طبعة دار المعارف بمصر التي صدرت سنة ١٩٦٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر.

وهو كتاب عمدة في مادته وفحواه، ويعتبر من مصادر الأدب الأولى؛ ألفه أحد أئمة اللغة والأدب، الذي يستشهد بقوله، ويرجع إلى نقله، عرض

فيه تراجم مشاهير الشعراء الذين تتداول أسماءهم كتب الأدب، والبلاغة، والذين أسهموا بإنتاجهم الشعري في إغناء أدب العرب. والذين يقع الاحتجاج بشعرهم في علومه النحو والغريب، وفي معاني كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ.

أما الذين ندر ذكرهم، وقلّ شعرهم؛ ولم يسطع نجمهم في فلك الشعر والشعراء، ولم ينبه ذكرهم هناك، فإنه لم يعن بهم ولم يوجه صوبهم اهتمامه.

وقدم لكتابه هذا بمقدمة تنطوي على أبواب في: أقسام الشعر، وعيوب الشعر، والاقواء، والاكفاء، والعيب، وأوائل الشعراء.

وإذا كانت خزانة الآداب العربية تزخر بأمهات دواوين الشعر العربي، فإن «الشعر والشعراء» واحد منها بل هو في مقدمتها قيمة وفناً ومحتوى.

ويكفي صاحبه فخراً أن المنتصرين لمذهب أهل السنة المشهورة كانوا يعظمونه ويقولون: «كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه».

١٧ - «المسائل والأجوبة» في الحديث واللغة، طبع.

١٨ - «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» طبع.

١٩ - «تأويل مشكل الحديث» وهو من كتبه المشهورة. مطبوع.

٢٠ - «الأشربة» مطبوع.

٢١ - «المعاني الكبير» وهو كتاب كبير يحتوي على عدد من الكتب وقد طبع ما وجد منه.

٢٢ - «عيون الشعر». ذكره ابن النديم في فهرسته وقال: يحتوي على عشرة كتب.

٢٣ - «التقفية» ذكره ابن النديم أيضاً ووصفه وقوّم مادته.

٢٤ - «العلم» - ذكره ابن النديم.

٢٥ - « جامع النحو الكبير ».
٢٦ - « جامع النحو الصغير ».
٢٧ - « الحكاية والمحكي ».
٢٨ - « الخيل ».
٢٩ - « إعراب القرآن ».
٣٠ - « ديوان الكتاب ».
٣١ - « فرائد الدر ».
٣٢ - « خلق الإنسان ».
٣٣ - « القراءات ».
٣٤ - « دلائل النبوة ».
٣٥ - « جامع الفقه ».
٣٦ - « حكم الأمثال ».
٣٧ - « آداب العشرة ».
٣٨ - « التفسير ».
٣٩ - « معجزات النبي ﷺ ».
٤٠ - « تأويل الرؤيا ».
٤١ - « استماع الغناء بالألحان ».
٤٢ - « الرد على القائل بخلق القرآن ».
٤٣ - « آداب القراءة ».
٤٤ - « الجوابات الحاضرة ».
٤٥ - « تأويل مشكل القرآن » ذكره في مواضع من كتبه: أدب الكاتب، وتأويل مختلف الحديث، والانواء.
٤٦ - « الجراثيم » توجد منه نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

٤٧ - « معاني القرآن ».

وقد ذهب بعضهم إلى أن لابن قتيبة ثلاثمائة كتاب. ومع أن مثل ذلك لا يستبعد ولا يستغرب عن عالم جامع متقن كابن قتيبة إلا أن الراجح أن هذا العدد مبالغ فيه لأن ابن النديم أحصى ما علمه من مؤلفاته.. ولو بلغت هذا المبلغ لأسماها بأسمائها وأوردها بالتفصيل كما أورد لغير ابن قتيبة.

كتب ليست لابن قتيبة

وقد نسبت إلى ابن قتيبة كتب، وشهرت أنها له، وهي بالتحقيق ليست كذلك وإنما هي منحولة إليه لترويجها. ككتاب « الأمامة والسياسة ». وكـ « وصية إلى ولده » التي نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسيني.

ابنه أحمد

وممن أخذ عن ابن قتيبة ونبه ذكره ابنه أحمد البغدادي النشأة كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن الكريم ويردّ فيها - من حفظه - النقطة والشكلة، دون أن يكون بين يديه نسخة، وكان أبوه قد حفظه كتبه كلها وعدتها واحد وعشرون كتاباً في اللوح.

وفاته

وظل ابن قتيبه يقرىء كتبه ببغداد إلى حين وفاته ببغداد، في خلافة المعتمد العباسي، وذلك أول رجب سنة ٢٧٧ هـ.

وسبب وفاته فيما ينقله تلميذه أبو القاسم إبراهيم الصائغ: أنه أكل هريسة، فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم أغمي عليه إلى وقت

صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات في الليلة المشار إليها.

وقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه رواية أخرى عن وفاته فقال: ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوري في ذي العقدة سنة ٢٧٠ هـ. والصواب هو الأول الذي رجحه كثير من العلماء.

المراجع

- الفهرست لابن النديم.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- الأنساب للسمعاني.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري.
- المنتظم لابن الجوزي.
- تاريخ ابن الأثير.
- تهذيب الأسماء للنووي.
- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- ميزان الاعتدال وتذكرة الحفاظ للذهبي.
- مرآة الجنان لليافعي.
- لسان الميزان لابن حجر.
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.
- بغية الوعاة للسيوطي.
- شذرات الذهب لابن العماد.
- الأعلام للزركلي.
- معجم المؤلفين لكحالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمَّد عبد الله بنُ مُسْلِم بن قُتَيْبَة: هذا كتاب أَلَّفْتُه في الشعراءِ، أخبرتُ فيه عن الشعراءِ وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومَن كان يُعْرَف باللقب أو بالكنية منهم، وعمَّا يُستحسن من أخبار الرجل ويُستجاد من شعره، وما أخذَتْه العلماءُ عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم، أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدّمون فأخذه عنهم المتأخّرون وأخبرتُ فيه عن أقسام الشعر، وطبقاته، وعن الوجوه التي يُختار الشعرُ عليها ويُستحسن لها إلى غير ذلك ممَّا قدَّمته في هذا الجزء الأوَّل.

قال أبو محمَّد، وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الَّذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب والَّذين يقع الاحتجاجُ بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ، وحديث رسول الله ﷺ. فأمَّا مَن خفي اسمُه وقلَّ ذكرهُ وكسد شعرهُ وكان لا يعرفه إلَّا بعض الخواصّ فما أقلَّ مَن ذكرتُ من هذه الطبقة، إذ كنتُ لا أعرف منهم إلَّا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً. وإذ كنتُ أعلم أنَّه لا حاجةَ بك إلى أن أُسمّيَ لك أسماءً لا أدلُّ عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يُستجاد أو يُستغرب.

ولعلَّك تظنُّ رحمك الله أنَّه يجب على من أَلَّف مثل كتابنا هذا أَلَّا يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلَّا ذكره ودلَّك عليه وتقدّر أن يكون الشعراءُ بمنزلة رُواة الحديث والأخبار والملوك والأشراف الَّذين يبلغهم الإحصاءُ ويجمعهم العدد. والشعراءُ المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهليَّة والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراءِ عددهم واقف ولو أنفد عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهودَه في البحث والسؤال، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتَّى لم يفُتْه من تلك القبيلة شاعر إلَّا عرَّفه ولا قصيدة إلَّا رواها.

حدثنا سَهْلُ بنُ محمَّد، ثَنا الأَصْمَعيُّ ثَنا كِرْدِين بن مِسْمَعٍ قال: جاء فتيان إلى أبي ضَمْضَم بعد العَشاءِ فقال لهم: ما جاء بكم يا خبثاءُ؟ قالوا: جئناك نتحدَّث. قال: كذبتم، ولكن قلتم كبر الشيخُ فنتلعَّبه عسى أن نأخذ عليه سقطةً، فأنشدهم لمائة شاعر وقال مرَّة أخرى لثمانين كلُّهم اسمه عمرو؛ قال الأَصْمَعيُّ فعددتُ أنا وخَلَفُ الأَحْمَرُ فلم نقدر على ثلاثين، فهذا ما حفظَه أبو ضَمْضَم ولم يكن بأروى الناس. وما أقرب أن يكون مَن لايعرفه من المسمّين بهذا الاسم أكثر ممَّن عرفه، هذا إلى مَن سقط شعره من شعراءِ القبائل ولم يحمله إلينا العلماءُ والنقلة.

أخبرنا أبو حاتم، ثنا الأَصْمَعيُّ قال كان ثلاثةُ إخوة من بني سَعْد لم يأتوا الأمصار فذهب رجزُهم؛ يقال لهم مُنْذِر ونُذَير ومُنْتَذِر، ويقال إنَّ قصيدة رُؤْبَةَ التي أوَّلها:

وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَقْ ، لمُنْتَذِرِ

قال أبو محمّد ولم أعْرِضْ في كتابي هذا لـمَن كان غلب عليه غيرُ الشعر ، فقد رأينا بعض مَن ألَّف ، في هذا الفنّ ، كتاباً يذكر في الشعراء مَن لا يُعْرَف بالشعر ولم يَقُلْ منه إلّا الشذَّ اليسير كابن شُبْرُمَة القاضي وسُلَيْمان بن قَتَّة التَّيْميّ المحدّث ، ولو قصَدْنا لذكر مثل هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس لأنَّه قلَّ أحد له أدنى مُسْكة من أدب ، وله أدنى حظّ من طبع ، إلّا وقد قال من الشعر شيئاً ولاحتجنا أن نذكر صحابة رسول الله ﷺ وجلّة التابعين وقوماً كثيراً من حَمَلَة العلم ومن الخلفاء والأشراف ونجعلهم في طبقات الشعراء .

ولم أسلك فيما ذكرتُه من شعر كلّ شاعر مختاراً له سبيلَ مَن قلَّد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرتُ إلى المتقدّم منهم بعين الجلالة لتقدُّمه وإلى المتأخّر منهم بعين الاحتقار لتأخُّره ، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين وأعطيتُ كلّاً حظَّه ووفَّرتُ عليه حقَّه ، فإنّي رأيتُ من علمائنا مَن يستجيد الشعر السخيف لتقدُّم قائله ويضعه في متخيَّره وَيُرْذِل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلّا أنّه قيل في زمانه ، أو أنّه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصَّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر ، وجعل كلَّ قديم حديثاً في عصره وكلَّ شرف خارجيَّةً في أوَّله ، فقد كان جَرير ، والفَرَزْدَقُ والأَخْطَلُ وأمثالهم يُعَدُّون محدَثين . وكان أبو عمرو بنُ العَلاءِ يقول : لقد كَثُر هذا المحدَثُ وحسُن ، حتَّى لقد هممتُ بروايته ، ثمَّ صار هؤلاء قدماءَ عندنا ببعد العهد منهم وكذلك

يكون من بعدهم لـمَن بعدنا كالخُرَيْميّ والعَتَّابيّ والحسن بن هانىء وأشباههم، فكلٌّ مَن أتى بحَسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخُّرُ قائله أو فاعله، ولا حداثةُ سنّه، كما أنَّ الرديءَ إذا ورد علينا للمتقدّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُّمُه، وكان حقُّ هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره وعن من رفعه الله بالمديح وعمّن وضعه بالهجاء وعمّا أودعَتْه العربُ، من الأخبار النافعة والأنساب الصحاح والحِكَم المضارعة لحِكَم الفلاسفة والعلوم في الخيل والنجوم وأنوائها والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشّراً أو جائلاً، والبروق وما كان منها خلَّباً أو صادقاً، والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطراً، وعمّا يبعث منه البخيل على السماح، والجبان على اللقاء، والدني على السموّ. غير أنّي رأيتُ ما ذكرتُ من ذلك في كتاب العرب كثيراً كافياً فكرهتُ الإطالة بإعادته، فمَن أحبَّ أن يعرف ذلك ليستدلَّ به على حلو الشعر ومُره وعظيم نفعه وضُرّه نظر في ذلك الكتاب إن شاءَ الله تعالى.

أقسام الشعر

قال أبو محمّد: تدبَّرتُ الشعر فوجدتُه أربعة أضرب، ضرب منه حسن لفظُه وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أُميَّة:

في كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

لم يُقل في الهيبة شيءٌ أحسن منه، وكقول أوْس بن حَجَر:

أَيَّتُهَـا النَّفْسُ أَجْمِلِي جزَعَـا | إِنَّ ٱلَّـذِي تَحْـذَرِينَ قَدْ وقَعَا

لم يبتدئْ أحد مرثية بأحسن من هذا، وكقول أبي ذُؤَيْب:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَـةٌ إِذَا رَغَّبْتَها | وَإِذَا تُرَدُّ إِلَـى قَليـلٍ تَقْنَـعُ

حدثني الرِّيَاشيُّ عن الأَصْمَعيّ قال هذا أبدع بيت قالته العرب، وكقول حُمَيْد بن ثَوْر:

أرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ | وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

ولم يُقل في الكبر شيءٌ أحسن منه، وكقول النَّابِغَة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَـةَ نَاصِبِ | وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

لم يبتدئْ أحد من المتقدّمين بأحسن منه ولا أغرب، ومثل هذا في الشعر كثير ليس للإطالة به في هذا الموضع وجهٌ، وستراه عند ذكرنا أخبار الشعراء.

وضرب منه حسن لفظُه وحلا، فإذا أنت فتَّشتَه لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل:

وَلَمَّـا قَضَيْنَا مِن مِنى كُلَّ حاجَةٍ | وَمَسَّحَ بِالأَرْكـانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ المَهارِي رِحَالُنـا | ولا يَنْظُرُ الغادِي ٱلَّذِي هُوَ رائِحُ
أَخَذْنا بِأطرافِ الأَحادِيث بَيْنَنـا | وسالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَباطِحُ

هذه الألفاظ، كما ترى، أحسن شيءٍ مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ. وإن

نظرتَ إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولمَّا قطعنا أيَّام مِنًى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الانضاءَ ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأْنا في الحديث وسارت المطيُّ في الأبطح. وهذا الصنف في الشعر كثير. ونحوه قول المَعْلُوط:

إنَّ ٱلَّـذِين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا   وَشَلاً بِعَيْنِـكَ ما يَزَالُ مَعِينا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي   مـاذَا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينا

ونحوه قول جرير:

يا أُخْتَ ناجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ   قَبْلَ الرَّحيلِ وقَبْلَ لوْم العُذَّلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ   يَوْمُ الرَّحيلِ فعَلْتُ ما لَمْ أَفْعَلِ

وقوله:

بان الخَليطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ ما بانا   وَقَطَّعُوا مِنْ حِبالِ الوَصْلِ أَقْرانا
إنَّ العُيُونَ ٱلتي في طَرْفِها مَرَضٌ   قَتَّلْنَنـا ثُمَّ لَمْ يُحْيِـينَ قَتْلانـا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَراكَ بِهِ   وَهُنَّ أَضْعَـفُ خَلْقِ الله أَرْكانا

وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة:

ما عَاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ   والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

هذا وإن كان جَيِّد المعنى والسبك فإنَّه قليل الماءِ والرونق. وكقول النابغة للنعمان:

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ متِينَةٍ   تَمُـدُّ بها أَيْدٍ إِلَيْـكَ نَوَازِعُ

قال أبو محمَّد رأيتُ علماءَنا يستجيدون معناه ولستُ أرى ألفاظه

جياداً، ولا مبيّنةً لمعناه، لأنَّه أراد أنت في قُدْرتك عليَّ كخطاطيف عُقْف يُمَدُّ بها، وأنا كدلو تُمَدُّ بتلك الخطاطيف، وعلى أنّي أيضاً لستُ أرى المعنى جيّداً.

وكقول الفَرَزْدَق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصيحُ بِجانِبَيْهِ نَهارُ

وضرب منه تأخَّر معناه وتأخَّر لفظه كقول الأعْشَى في امرأة:

وَفُوهـا كأقاحِيِّ غَـداه دائمُ الهَطْـلِ
كما شِيبَ بِراحٍ بَـا رِدٍ مِنْ عَسَلِ النَّحْـلِ

وكقوله:

إنَّ مَحَـلاً وَإنَّ مُرْتَحَـلاَ وَإنَّ في السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلا
اسْتأْثَرَ اللهُ بِالوَفـاءِ وَبِالْحَمْـدِ وَوَلَّـى المَلامَـةَ الرَّجُـلا
والأرْضُ حَمَّالَـةٌ لِما حَمَّـلَ اللهُ وَمَـا إنْ تَرُدُّ مَـا فَعَـلا
يَوْمـاً تَرَاهـا كَشِبْـهِ أَرْدِيَـةِ العَصْـبِ وَيَوْمـاً أَدِيمُها نَغِـلا

وهذا الشعر منحول ولا أعلمُ فيه شيئاً يُستحسن إلَّا قوله:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ وَلاَ يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلا

يريد: إنَّ كلَّ شارب يشرب بكفّه وهذا ليس ببخيل فيشرب بكفّ مَن بخل، وهو معنى لطيف، وكقول الخَليل بن أحمد العَرُوضيّ:

إنَّ الخَليـطَ تَصَـدَّعْ فطِرْ بدائِـكَ أَوْ قَـعْ
لَـوْلاَ جَـوَارٍ حِسَـانٌ حُورُ المَدامِـعِ أَرْبَـعْ

أُم البَنِيـــنَ وَأَسْمَـــا ءُ والرَّبَـــابُ وَبوْزَعْ
لَقُلْـــتُ للرَّاحِــلِ آرْحَــلْ إذَا بَــدَا لَــكَ أَوْ دَعْ

وهذا الشعر بيّنُ التكلُّف رديءُ الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماحٍ وسهولة كشعر الأَصْمَعيّ وشعر ابنِ المُقَفَّع وشعر الخليلِ خلا خَلَف الأَحْمَر فإنّه كان أجودَهم طبعاً وأكثرهم شعراً، ولو لم يكن في هذا الشعر إلاّ أُمّ البَنين وبَوْزَع لكفاه، فقد كان جرير أنشد بعض خلفاء بني أُمَيَّة قصيدته الّتي أوّلها:

بـان الخَليطُ بِرامَتَيْن فوَدَّعُوا أو كُلَّمَا جدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كَيْـفَ العَزَاءُ وَلَمْ أجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْبـاً يَقِرُّ ولا شَرَابـاً يَنْقَـعُ

وهو يتحفَّز ويزحَف من حسن الشعر حتّى إذا بلغ إلى قوله:

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلى العَصَا هَلاَّ هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يا بوْزَعُ

قال له أفسدتَ شعرك بهذا الاسم وفتر. قال أبو محمّد وقد يقدح في الحَسَن قُبحُ اسمه، كما ينفع القبيح حسنُ اسمه. ويزيد في مهانة الرجل فظاعة اسمه وتردُّ عدالة الرجل بكنيته ولقبه، ولذلك قيل اشفعوا بالكنى فإنّها شبهة. وتقدّم رجلان إلى شُرَيْح فقال أحدهما أُدْعُ أبا الكُوَيْفِر ليشهد فتقدّم شيخ فردّه شُرَيْح ولم يسأل عنه وقال لو كنتَ عدلاً لم ترض بها. وردّ آخر يُلقّب أبَا الذّبّانِ ولم يسأل عنه. وسأل عُمَرُ رجلاً أراد أن يستعين به على أمر عن اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سَرّاق، فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يستعن به. وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يدعو رجلاً يا أبا العُمَرَيْن، فقال لو كان له عقل كفاه أحدهما.

ومن هذا الضرب قول الأعْشَى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُني ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد. وقد كان يستغنى بأحدها عن جميعها، وماذا يزيد هذا البيت إن كان للأعْشى أو ينقص قول أبي الأَسَد وهو من المتأخّرين الأخفياء:

وَلائِمَةٍ لاَمَتْكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى ... فَقُلْتَ لَهَا لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فِي البَحْرِ

أَرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدى ... ومَنْ ذَا ٱلَّذِي يَثْنِي السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ

مَوَاقِعُ جَوْدِ الفَيْضِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فِي البَلَدِ القَفْرِ

كَأَنَّ وُفُودَ الفَيْضِ حِينَ تَحَمَّلُوا ... إلَى الفَيْضِ وَافَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

وهو القائل:

لَيْتَـكَ آذَنْتَـنِي بِوَاحِـدَةٍ ... تَكُونُ لِي مِنْكَ سَائِرَ الأَبَدِ

تَحْلِفُ أَلَّا تَبَرَّنِي أَبَدَا ... فَإِنَّ فِيهَا بَرْداً عَلَى كَبِدِي

إنْ كَانَ رِزْقِي إلَيْكَ فَارْمِ بِهِ ... فِي نَاظِرِي حَيَّةٍ عَلَى رَصَدِ

ومن هذا الضرب أيضاً قول المُرَقِّش:

هَلْ بِالدّيَارِ أَنْ تَجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيّـاً نَاطِقـاً كَلَّمْ

يأْبـى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ وَلاَ ... تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

والعجب عندي من الأَصْمَعيّ إذ أدخله في متخيَّره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الرويّ ولا متخيَّر اللفظ ولا لطيف المعنى، ولا أعلم فيه شيئاً يُستحسن إلا قوله:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنـــا نيرُ وَأطْرافُ الأكُفِّ عَنَمْ

ويُستجاد منه قوله:

لَيْسَ عَلَى طُولِ الحَيَاة نَدَم وَمِنْ وراءِ المَرْءِ مَا يُعْلَمْ

وكان الناس يستجيدون للأَعْشى قوله:

وكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لـذَّةٍ وَأُخْرَى تَداوَيْتُ مِنْهـا بِها

حتَّى قال أبو نُوَاس:

دعْ عَنْكَ لوْمِي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ وداوِنِي بِالَّتي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

فسلخه وزاد فيه معنًى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه، فللأَعْشى فضلُ السبق إليه ولأَبي نُواس فضلُ الزيادة فيه. وقال الرَّشيدُ للمُفضَّل الضبّيّ: اذكُرْ لي بيتاً جيّد المعنى يحتاج إلى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثمَّ دَعْني وإيَّاه. فقال له المُفَضَّلُ: أتعرف بيتاً أوَّله أعرابيٌّ في شملته هابٌّ من نومته كأنَّما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسنُ فركد يستفزُّهم بعُنْجَهِيَّة البدو وتعجْرُف الشدو، وآخره مدنيٌّ رقيق قد غُذّيَ بماء العَقيق. قال: لا أعرفه. قال: هو بيت جَميل بن مَعْمَر:

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ النِّيَامُ أَلا هُبُّوا

ثمّ أدركَتْه رقَّةُ المشوق فقال:

أُسَائِلُكُمُ هلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

قال صدقتَ فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوَّله أَكْثَمُ بن صَيْفيّ في أصالة الرأي ونبل العظة، وآخره ابُقْرَاطُ في معرفته بالداء

والدواءِ؟ قال المُفضَّلُ: قد هوَّلتَ عليَّ فليت شعري بأيّ مهر تُفترع عروسُ هذا الخدر؟ قال بإصغائك وإنصافك، وهو قول الحسَن بن هانىء:

دعْ عنْكَ لَوْمِي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ وَدَاوِنِي بِالّتي كانتْ هِيَ الدَّاءُ

قال أبو محمَّد وسمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصِّد القصيد إنَّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المَدَر لانتقالهم عن ماءٍ إلى ماءٍ وانتجاعهم الكلأ وتتبُّعهم مساقط الغيث حيث كان ثمَّ وسل ذلك بالنسيب فشكا شدَّة الوجد وألَمَ الفراق وفرط الصبابة والشوق ليُميلَ نحوه القلوب ويصرفَ إليه الوجوه وليستدعِيَ به أصغاءَ الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لِما قد جعل الله في تركيب العباد من محبَّة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنَّه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقَّب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسُرَى الليل وحرَّ الهجير وإنضاءَ الراحلة والبعير، فإذا علم أنَّه قد أوجب على صاحبه حقَّ الرجاءِ وذمامة التأْميل وقرَّر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزَّه للسماح وفضَّله على الأشباه وصغَّر في قدره الجزيل، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدَّل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السامعين، ولم يقطعْ وبالنفوس ظمأٌ إلى

المزيد، فقد كان بعض الرجّاز أتى نَصْرَ بن سيَّار والي خُرَاسَانَ لبني أُمَيَّة فمدحه بقصيدة تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات، فقال نَصْر: والله ما بقَّيتَ كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً إلَّا وقد شغلتَه عن مديحي بتشبيبك، فإن أردت مديحي فاقتصد في النسيب، فأتاه فأنشده:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّار لِأُمِّ الغَمْرِ دَعْ ذَا وَحَبِّرْ مِدْحَةً في نَصْرِ

فقال نَصْر لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين. وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة: ما لك لا تُطيل الهجاءَ فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل لأبي المُهَوِّش الأَسَديّ لِمَ لا تُطيل الهجاءَ فقال: لم أجد المثل السائر إلَّا بيتاً واحداً، وليس لمتأخّر الشعراء أن يخرَج عن مذهب المتقدّمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكيَ عند مشيَّد البنيان، لأنَّ المتقدّمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي، أو يرحلَ على حمار أو بغل ويصفها لأنَّ المتقدّمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري لأنَّ المتقدّمين وردوا على الأواجن الطوامي أو يقطعَ إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأنَّ المتقدّمين جروا على قطع منابت الشِّيح والحَنْوة والعرارة. قال خَلَفٌ الأَحْمَرُ قال لي شيخ من أهل الكُوفَة أما عجبت من الشاعر قال:

أَنْبَتَ قَيْصُوماً وجَثْجاثا

فاحتُمل له وقلتُ أنا:

أَنْبَتَ إجَّاصاً وَتُفَّاحا

فلم يُحْتَمَلْ لي، وليس له أن يقيسَ على اشتقاقهم فيُطْلِقَ ما لم يُطلقوا.

قال الخليل بن أحمد أنشدني رجل:

تَرافَع العِزُّ بِنَا فَارْفَنْععا

فقلتُ: ليس هذا شيئاً: فقال كيف جاز للعَجَّاج أن يقول:

تَقَاعَس العِزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسَا

ولا يجوز لي.

ومن الشعراء المتكلِّفُ والمطبوعُ، فالمتكلّف هو الّذي قوَّم شعره بالثقاف ونقَّحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزُهَيْر والحُطَيْئَة. وكان الأَصْمَعِيُّ يقول زُهَيْرٌ والحُطيْئَةُ وأشباههما: من الشعراء عبيد الشعر لأنَّهم نقَّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحُطَيْئَة يقول: خير الشعر الحوليُّ المنقَّح المحكَّك. وكان زُهَيْرٌ يسمّي كُبْرَ قصائده الحوليّات، وقال سُوَيْدُ بن كُراع (يذكر تنقيحه شعره):

أَبيتُ بأَبْوَاب القَوَافِي كأَنَّمَا	أُصَادِي بها سِرْباً مِنَ الوَحْش نُزَّعا
أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما	يَكُونُ سُحَيْراً أَوْ بُعَيْدُ فأَهْجَعا
إذا خِفْتُ أَنْ تُرْوَى عَلَيَّ رَدَدْتُهَا	وَرَاءَ التَّرَاقِي خَشْيَةَ أَنْ تَطلَّعا
وجَشَّمَني خَوْفُ ٱبْن عَفَّانَ رَدَّهَا	فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيداً وَمَرْبَعَا
(وَقَدْ كان في نَفْسِي عَلَيْها زِيَادَةٌ	فَلَمْ أَرَ إلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعا)

وقال عَديٌّ بنُ الرِّقَاع:

وَقَصِيدَة قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها ... حَتّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وَسِنَادَها
نَظَرَ الْمُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَها

وللشعر دواعٍ تحثُّ البطيءَ وتبعث المتكلّف. منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب. وقيل للحُطَيْئَةِ أيُّ الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسان حيَّة فقال هذا إذا طمع: وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخُرَيْميّ: مدائحك لمحمَّد ابن مَنْصُور بن زِيَاد - يعني كاتب البرامكة - أشعر من مراثيك فيه وأجود. فقال: كنَّا يومئذ نعمل على الرجاءِ ونحن اليوم نعمل على الوفاءِ، وبينهما بون بعيد، وهذه عندي قصَّة الكُمَيْت في مدحه بني أُمَيَّة وآل أبي طالب، فإنَّه كان يتشيَّع وينحرف عن بني أُمَيَّة بالرأي والهوى وشعره في بني أُمَيَّة أجود منه في الطالبيّين، ولا أرى علَّة ذلك إلَّا قوَّة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة. وقيل لكُثَيِّرٍ يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال أطوفُ في الرباع المخلية والرياض المعشبة فيسهل عليَّ أرصنه ويُسرع إليَّ أحسنه، ويقال أيضاً إنَّه لم يُستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي.

وقال الأَحْوَصُ:

وأَشْرَفْتُ في نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَافِعٍ ... وَقَدْ تَشْعَفُ الأَيْفَاعُ مَنْ كانَ مُقْصَدا

وإذا شعفَتْه الأيفاعُ مرَتْه واستدرَّتْه. وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطاةَ بن سُهَيَّة: هل تقول الآن شعراً؟ فقال كيف أقول وأنا ما

أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنَّما يكون الشعر بواحدة من هذه.
وقيل للشَّنْفَرَى حين أُسرَ أَنْشِد فقال الإنشاد على حين المسرَّة ثمَّ قال:

فَلَا تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ
إذَا حَمَلُوا رأْسِي وفي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالجَرَائِرِ

وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب فيها ريّضه، وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذَّر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب، ولا يُعْرَف لذلك سبب، إلَّا أن يكون من عارض يَعْتَرِضُ على الغريزة من سُوءِ غذاءٍ أو خاطر غمٍّ. وكان الفَرَزْدَقُ يقول أنا أشعرُ تَمِيمٍ وربَّما أَتَتْ عليَّ ساعةٌ ونزعُ ضرس أسهل عليَّ من قول بيت.

وللشعر أوقات يُسْرِعُ فيها أَتِيُّه ويَسْمَحُ فيها أَبِيُّه، منها أوَّل الليل قبل تغشّي الكرى. ومنها صدر النهار قبل الغداء. ومنها يوم شرب الدواء. ومنها الخلوة في الحبس والمسير. ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب. وقالوا في شعر النابغة الجَعْديّ خِمَارٌ بوَافٍ ومِطْرَفٌ بآلافٍ، ولا أرى غير الجَعْديّ في هذا الحكم إلَّا كالجَعْديّ، ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يُقدّمَ أحداً من المتقدّمين المُكْثرين على أحد إلَّا بأن يرى الجيّد في شعره أكثر من الجيّد في شعر غيره. ولله درُّ القائل: أشعر الناس مَن أنت في شعره حتَّى تَفرُغَ منه. وقال العُتْبيُّ: أُنشِدَ مَرْوان بن أبي حَفْصةَ لزُهَير فقال زُهَير أشعر الناس. ثمَّ أُنشد للأَعْشَى

فقال بل هذا أشعر الناس. ثمَّ أُنشد لآمْرِىء القَيْس فكأنَّما سمع به غناءً على شراب فقال امرؤُ القَيْس والله أشعر الناس.

وكلُّ علم محتاج إلى السماع، وأحوجه إلى ذلك علم الدين ثمَّ الشعر لما فيه من الألفاظ الغريبة واللُّغات المختلفة والكلام الوحشيّ وأسماءِ الشجر والنبات والمواضع والمياه، فإنَّك لا تفصل في شعر الهُذليّين إذا أنت لم تسمعه بين شَابَةَ وسَايَةَ وهما موضعان، ولا تثق بمعرفتك في حَزْمِ نُبَايِعَ وعُرْوَانِ الكَرَاثِ وشَيَّيْ عَبْقَرَ وأُسد حَلْيَةَ وأُسد تَرْجِ ودُفَاقٍ وتُضَارُعَ وأشباه هذا، لأنَّه لا يلحق بالذكاءِ والفطنة كما يلحق مشتقُّ الغريب. وقُرىء يوماً على الأَصْمَعيّ في شعر أبي ذُؤَيْب:

بِأَسْفَل ذاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا

فقال أعرابيٌّ حضر المجلس للقارىء ضَلَّ ضلالُك - أيُّها القارىء - إنَّما هي ذاتُ الدَّبْرِ وهي ثنيَّة عندنا، فأخذ الأَصْمَعيُّ بذلك فيما بعدُ. ومَن ذا من الناس يأخذ من دفتر شعر المعذَّل بن عبد الله في وصف الفرس:

مِن السُّحّ جوّالاً كأنَّ غُلاَمَهُ يُصَرّفُ سِبْداً فِي العِنَان عمرَّدا

إلاَّ قرأه سِيداً يذهب إلى الذئب، والشعراءُ قد تشبّه الفرس بالذئب، وليست الرواية المسموعة عنهم إلاَّ سِبْداً. قال أبو عُبَيْدة: المصحّفون لهذا الحرف كثير يروونه سِيداً (أي ذئباً)، وإنَّما هو سِبْد بالباءِ معجمة بواحدة يقال فلان سِبْدُ أَسْبَادٍ أي داهية دواهٍ.
وكذلك قول الآخر:

زَوْجُكِ يا ذَاتَ الثَّنَايَا الغُرِّ   الرَّتِلَات وَالجَبِـــــينِ الحُرِّ

يرويه المصحّفون والآخذون عن الدفاتر الرَّبَلَاتِ، وما الربلات من الثنايا والجبين، وهي أصول الفخذين. يقال رجل أربل إذا كان عظيم الرَّبَلَتَيْنِ (أي عظيم الفخذَيْن) وإنَّما هي الرَّتِلَات بالتاء. يقال ثَغْرٌ رَتِلٌ إذا كان مفلَّجاً.

وليس كلُّ الشعر يُخْتار ويُحْفَظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنَّه قد يُخْتار ويُحْفَظ على أسباب منها الإصابةُ في التشبيه كقول القائل في وصف القمر:

بَدَأْنَ بنا وَٱبْنُ اللَّيَالِي كَأَنَّهُ   حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ
فما زِلْتُ أُفْني كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ   إِلى أَنْ أَتَتْكَ العِيسُ وَهُوَ ضَئِيلُ

وكقول الآخر في مغنٍّ:

كَأَنَّ أَبَا الشَّمُوس إِذَا تغنَّى   يُحَاكِي عَاطِساً في عَيْنِ شَمْسِ
يَلُوكُ بِلَحْيِـــهِ طَوْراً وطَوْراً   كَأَنَّ بِلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ

وقد يُحْفظ ويُخْتار على خفَّة الرَويّ كقول الشاعر:

يـــا تَمْلِـــكُ يَـــا تَمْلِي   صِلِينِـــي وَذَرِي عَذْلِـــي
ذَرِيـــــــنِي وسِلَاحِي ثـمَّ شُدِّي الكَـــــــفَّ بالغَزْلِ
وَنَبْـــلِي وَفُقَاهَـــا كَعَرَاقِيـــبِ قَطـــاً طُحْـــلِ
وَمِنِّي نَظْرَةٌ بَعْـــــدِي   وَمِنِّـــي نَظْـــرَةٌ قَبْلـــي
وَثَوْبَـــايَ جَدِيـــدَانِ   وَأَرْخِي شُرُكَ النَّعْـــلِ
وَإِمَّـــا مُـــتٌّ يـــا تَمْـلِي   فَكُونِـــي حُـــرَّةً مِثْـلِي

وهذا الشعر مما اختاره الأَصْمَعِيُّ – بخفّة رويّه – ، وكقول الآخر:

وَلَوْ أُرْسِلْتُ مِنْ حُبِّكِ مَبْهُوتاً منَ الصِّينْ
لَوَافَيْتُكِ قَبْلَ الصُّبْحِ أَوْ حِينَ تُصَلِّينْ

وكان يتمثَّل بهذا كثيراً، وقال المبهوت من الطير الَّذي يُرْسَل من بُعْد قبل أن يدرّج.

وقد يُخْتار ويُحْفَظ لأنَّ قائله لم يقل غيره أو لأنَّ شعره قليل عزيز: كقول عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول المنافق:

مَتَى مايَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ   تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ   وَإِنْ قُصَّ منه رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يُخْتار ويُحْفظ لأنَّه غريبٌ في معناه كقول القائل في الفتى:

لَيْسَ الفَتَى بفتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ   ولا يَكُونُ له في الأَرْضِ آثارُ

وكقول آخر في مَجُوسِيٍّ:

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ   وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوادٌ خِضَمّ
وأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ   إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ
قَرِينٌ لِهَامَانَ فِي قَعْرِهَا   وَفِرْعَوْنَ وَالْمُكْتَنِي بِالحَكَمْ

وقد يُخْتار ويُحْفَظ أيضاً لنبل قائله كقول المَهْديّ:

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَّاحَةٍ   جَاءَتْ فما ذا صَنَعَتْ بِالفُؤَادْ
وَٱللهِ مَا أَدْرِي أَأَبْصَرْتُهَا   يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا فِي الرُّقَادْ

وكقول الرَّشيد:

النَّفْسُ تَطْمَعُ وَالأَسْبَابُ عاجزَةٌ   وَالنَّفْسُ تَهْلكُ بَيْنَ اليَأْس وَالطَّمَع

وكقول المأمُون في رسول:

بَعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ   وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَسَأْتُ بكَ الظَّنَّا
وَنَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتَ مُقَرَّباً   فَيَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوِّكَ مَا أَغْنَى
وَرَدَّدْتَ طَرْفاً في مَحَاسِنِ وَجْهِهَا   وَمَتَّعْتَ بِاسْتِماعِ نَغْمَتِهَا أُذْنَا
أَرَى أَثَراً مِنْها بعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ   لَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وَجْهِهَا حُسْنَا

وكقول عبد الله بن طَاهر:

أَميلُ مَعَ الذِّمَام عَلَى ابْنِ عَمِّي   وأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ
وَإِنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكاً مُطَاعاً   فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي   وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالحُقُوقِ

وهذا الشعر شريف بنفسه وبصاحبه. وكقوله:

مُدْمِنُ الإِغْضَاءِ مَوْصُولُ   وَمُدِيمُ العَتْبِ مَمْلُولُ
وَمَدِينُ البِيض في تَعَبٍ   وَغَرِيمُ البِيضِ مَمْطُولُ
وَأَخُو الوَجْهَيْن حَيْثُ وَهَى   بِهَوَاهُ فَهْوَ مَدْخُولُ

وكقول إبراهيمَ بن العبَّاس لابن الزَّيَّات:

أَبَا جَعْفَرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائكَا   وَأَقْصِرْ قَلِيلاً مِنْ مَدَى غُلَوَائكَا
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فِي اليَوْم رِفْعَةً   فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائكَا

والمتكلَّف من الشعر وإن كان جيّداً مُحْكَماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم لتبيُّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكُّر وشدَّة العناء

ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحدف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه، كقول الفَرَزْدَق في عُمَر بن هُبَيْرة لبعض الخلفاء:

أَوَلَّيْتَ العِراقَ وَرَافِدَيْهِ فَزارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيص

يريد: أولَّيتها خفيف اليد، يعني في الخيانة، فاضطرَّته القافيةُ إلى ذكر القميص - ورافداه دِجْلةُ والفُرَاتُ - ، وكقول الآخر:

مِنَ ٱللَّوَاتِي وَٱلَّتِي وَٱللَّاتِي زَعَمْنَ أَنِّي كبِرَتْ لِداتِي

وكقول الفَرَزْدَق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يا ٱبْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ

فرفع آخر البيت ضرورةً وأتعب أهل الإعراب في طلب العلَّة، فقالوا وأكثروا ولم يأتوا فيه بشيءٍ يُرْضي، ومَن ذا يخفى عليه من أهل النظر أنَّ كلَّ ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه. وقد سأل بعضُهم الفَرَزْدَقَ عن رفعه إيّاه. فشتمه وقال عليَّ أن أقول وعليكم أن تحتجُّوا، (وقد أنكر عليه عبدُ الله بن أبي إسحاق الحَضْرَميُّ من قوله:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ مِنْ نَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
عَلَى عَمَائِمِنا تُلْقِي وَأَرْحُلَنا عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرُ

مرفوع. فقال أَلَّا قلتَ:

عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ

فغضب وقال:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ الله مَوْلًى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيا

وهذا كثير في شعره على جودته: وتتبيَّنُ التكلُّفَ في الشعر أيضاً

بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره ومضموماً إلى غير لِفْقه، ولذلك قال عُمَرُ بن لَجَأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك. قال: وبِمَ ذلك؟ فقال: لأنّي أقول البيت وأخاه، ولأنَّك تقول البيت وابن عمّه. وقال عبدُ الله بن سالم لرُؤْبَةَ: مُتْ يا أبا الجَحَّاف إذا شئتَ. فقال رؤبة: وكيف ذلك؟ قال: رأيتُ اليوم ابنك عُقْبَةَ ينشد شعراً له أعجبني. قال رؤبة: نَعَمْ ولكن ليس لشعره قِرانٌ. يريد أنّه لا يقارن البيت بشبهه. وبعض أصحابنا يقول قُرآن بالضمّ، ولا أرى الصحيح إلّا الكسر وترك الهمز على ما بيَّنتُ.

والمطبوع من الشعراء مَن سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزَه وفي فتحته قافيتَه، وتبيَّنت على شعره رونقَ الطبع ووشيَ الغريزة، وإذا امتُحِن لم يتلَعْثَمْ ولم يتزحَّرْ. وقال الرِّياشيُّ حدَّثني أبو العالية عن أبي عِمْران المَخْزُوميّ قال: أتيتُ مع أبي والياً على المدينة من قُرَيْش وعنده ابنُ مُطَيْر وإذا مَطَرٌ جَوْدٌ فقال له الوالي صِفْه فقال دعني حتّى أُشرف وأنظر فأشرف ونظر ثمّ نزل فقال:

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِه أَطْبَاؤُهُ	فَإِذَا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ
وكَجَوْفِ ضَرَّتِهِ الَّتي فِي جَوْفِهِ	جَوْفُ السَّماءِ سِبَحْلَةٌ جَوْفَاءُ
ولَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ لِرَفِيقِهِ	قَبْلَ التَّبَعُّقِ دِيمَةٌ وَطْفَاءُ
وكَأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ يَلْتَقي	رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ وَأَلاءُ
وكَأَنَّ رَيِّقَهُ وَلَمَّا يَحْتَفِلْ	وَدْقُ السَّمَاءِ عجاجَةٌ كَدْراءُ
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ	بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ

فَلَــهُ بِـلا حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ضَحْـكٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَـهُ وَبُكَاءُ
حَيْرَانُ مُتَّبَــعٌ صَبَـاهُ تَقُودُه وجَنُوبُـهُ كِنْـفٌ لَـهُ وَوِعَاءُ
ودَنَـتْ لَهُ نَكْبَاؤُهُ حَتَّى إذا مِنْ طُولِ مَا لَعِبَتْ بِهِ النَّكْبَاءُ
ذَابَ السَّحَابُ فَهُوَ بَحْرٌ كُلُّهُ وعَلَى البُحُورِ مِنَ السَّحَابِ سَمَاءُ
ثَقُلَتْ كُلَاهُ فَنَهَّرَتْ أَصْلَابُهُ وتَبَعَّجَـتْ مِنْ مَائِـهِ الأَحْشَاءُ
غَـدَقٌ يُنَتِّجُ بالأَبَاطِحِ فُرَّقاً تَلِدُ السُّيُولَ وما لَهَا أَسْلاءُ
غُرٌّ مُحَجَّلَـةٌ دَوَالِـحُ ضُمِّنَـتْ حَمْلَ اللِّقَاحِ وكُلُّهَا عَذْرَاءُ
سُحْمٌ فَهُنَّ إذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ سُودٌ وهُنَّ إِذَا ضَحِكْنَ وِضَاءُ
لَوْ كان مِنْ لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ لُجَجِ السَّواحِلِ مَاءُ

قال أبو محمَّد: وهذا الشعر مع إسراعه فيه كما ترى كثير الوشي لطيف المعاني: وكان الشَّمَّاخُ في سفر مع أصحاب له فنزل يحدو بالقوم فقال:

لَمْ يَبْـقَ إلَّا مِنْطَقٌ وَأَطْرَافْ وَرَيْطَتَـانِ وَقَمِيـصٌ هَفْهافْ
وَشُعْبَتَـا مَيْسٍ بَرَاهَا إِسْكَافْ يَا رُبَّ غَـازٍ كَـارِهٍ للإِيجَافْ
أَغْـدَرَ في الحَيِّ بُرُودَ الأَصْيَافْ مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرَافْ

ثُمَّ قُطع به هذا الرويُّ وتعذَّر عليه فتركه وسمح بغيره على أثره فقال:

لَمَّـا رَأَتْنَـا واقِفِي المَطِيَّاتْ قَامَـتْ تَبَـدَّى لِي بِأَصْلَتِيَّاتْ
غُرٌّ أَضَـاءَ ظَلْمُهَـا الثَّنِيَّاتْ خَوْدٌ مِنَ الظَّعَائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ
حَلَّالَـةُ الأَوْدِيَـةِ الغَوْرِيَّاتْ صَفِيُّ أَتْرَابٍ لَهَـا حَيِيَّـاتْ

مِثْلِ الأَشَاءَات أَوِ البَرْدِيَّاتْ أَوِ الغَمَامَـــاتِ أَوِ الوَدِيَّـاتْ
أَوْ كَظِبَّـاءِ السِّدَرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَّ بِالقَيْظِ عَلَى رِكِيَّاتْ
وَضَعْنَ أَنْمَاطاً عَلَى زُرْبِيَّاتْ ثُمَّ جَلَسْنَ بِرْكَـــةَ البُخْتِيَّـاتْ
مَنْ رَاكِـبٌ يُهْدِي لَهَا ٱلتَّحِيَّاتْ أَرْوَعُ خَرَّاجٌ مِنَ الدَّاوِيَّــاتْ
يَسْرِي إِذَا نَامَ بَنُو السَّرِيَّاتْ

قال أبو عُبَيْدة: اجتمع ثلاثة من بني سَعْد يراجزون بني جَعْدَةَ فقيل لشيخ من بني سَعْدٍ: ما عندك؟ قال: أَرجز بهم يوماً إلى الليل لا أفثجُ. وقيل لآخر: ما عندك؟ قال: أرجَز بهم يوماً إلى الليل ولا أنكفُ. وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا أنكشُ. فلمَّا سمعت بنو جَعْدة كلامهم انصرفوا ولم يراجزوهم.

والشعراءُ أيضاً في الطبع مختلفون. منهم مَن يسهل عليه المديحُ ويعسر عليه الهجاءُ، ومنهم مَن يتيسَّر له المراثي ويتعذَّر عليه الغزل. وقيل للعَجَّاجِ: إنَّك لا تحسن الهجاءَ. فقال: إنَّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِم وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَم وهل رأيتَ بانياً لا يحسن أن يهدم. وليس هذا كما ذكر العَجَّاجُ ولا المثل الَّذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأنَّ المديح بناءٌ والهجاءَ بناءٌ وليس كلُّ بانٍ بضرب بانياً بغيره، ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيراً. فهذا ذو الرُّمَّة أحسن الناس تشبيهاً وأجودهم تشبيباً وأوصفهم لرَمْل وهاجرة وفلاة وماءٍ وقراد وحيَّة، فإذا صار إلى المديح والهجاءِ خانه الطبعُ، وذاك أخَّره عن الفحول. فقالوا في شعره أبعار غزلان ونُقَط عروس. وكان

الفَرَزْدَقُ زيرَ نساءٍ وصاحبَ غزل وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جَرِيرٌ عفيفاً عزهاةً عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً. وكان الفَرَزْدَقُ يقول ما أحوجه مع عفّته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقّة شعره لما ترون.

عُيُوبُ الشِعْر

الإِقْوَاءُ والإِكْفَاءُ. قال أبو محمَّد: كان أبو عَمْرو بن العَلاءِ يذكر أنَّ الإِقواءَ هو اختلاف الإِعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأُخرى مخفوضة كقول النَّابِغَةِ:

قَالتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ ... يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَامِ

وقال فيها:

تَبْـدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... لَا النُّورُ نُورٌ ولَا الإِظْلَامُ إِظْلَامُ

وكان يقال: إنَّ النابغة الذُّبْيَانيَّ وبِشْر بن أبي خازِمٍ كانا يُقويان. فأمَّا النابغة فدخل يَثْرِبَ فغُنِّيَ بشعره ففطن فلم يعد للإِقواءِ. وبعض الناس يسمّي هذا: الإِكفاءَ. ويزعم أنَّ الإِقواءَ نقصان حرف من فاصلة البيت كقول حَجْلِ بنِ نَضْلَةَ وكان أَسَرَ بنتَ عَمْرو بن كُلْثومٍ وركب بها المفاوز واسمها النَّوَارُ:

حَنَّـتْ نَوَارُ وَلَاتَ هَنَّا حَنَّتِ ... وبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلا مَشْرُوباً ... وَالفَرْثُ يُعْصَرُ فِي الإِنَاءِ أَرَنَّتِ

سُمِّيَ إقواءً لأنَّه نقص من عروضه قوَّة (وكان يستوي البيتُ بأَن تقول مُتَشَرَّبا) يقال أقوى فلان الحبلَ إذا جعل إحدى قُواه أغلظ من الأخرى. وهو حبل قوٍ، مثل قول حُمَيْدٍ:

إنّي كَـبِرْتُ وَإنَّ كُـلَّ كَبِـيرٍ   مِمَّـا يُضَنُّ بِـهِ يَمَـلُّ وَيَفْتُرُ

وكقول الرَّبيع بن زِيَادٍ:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بنِ زُهَيْرٍ   تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارْ

(ولو كان بن زُهَيْرَة لاستوى البيت)،

والسِّنَادُ هو أن يختلف أرداف القوافي كقولك علَيْنا في قافية وفِينا في أخرى كقول عَمْرو بنِ كُلْثُوم:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا

فالحاءُ مكسورة،وقال في آخر:

تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنا

فالراءُ مفتوحة وهي بمنزلة الحاءِ. وكقول القائل:

كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عِينٍ   وَأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثْلَ اللُّجَيْنِ،

ثمّ قال:

والإيطَاءُ هو إعادة القافية مرّتين وليس بعيب عندهم كغيره.

الإجازَةُ: اختلفوا في الإجازة فقال بعضهم هو أن تكون القوافي مقيَّدة فتختلف الأرداف كقول امْرِئِ القَيْسِ:

لا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرّْ

فكسر الردف وقال في بيت آخر:

وكِنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صُبُرْ

فضمّ الردف. وقال في بيت آخر:

أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرّْ

ففتح الردف. وقال الخَليل بن أحمد: هو أن تكون قافية ميماً والأخرى نوناً كقول القائل:

يَا رُبَّ جَعْدٍ مِنْهُمُ لَوْ تَدْرِينْ　　يَضْرِبُ ضَرْبُ السَّبِطِ المَقَادِيمْ

أو طاءً والأخرى دالاً كقول الآخر:

تَــاللهِ لَوْلا شَيْخُنَــا عَبَّــادُ　　لكَمَرُونــا عِنْدَها أَوْ كَادُوا

فَرْشَطَ لَمَّا كُرِهَ الفِرْشَاطُ　　بِفَيْشَةٍ كَأَنَّهَــــا مِلْطَـــاطُ

وهذا إنَّما يكون في الحرفين يخرجان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين. قال ابنُ الأَعْرابيّ: الإجازة مأخوذة من إجازة الحبل والوتر.

العيب في الإعراب: وقد يُضْطرُّ الشاعر فيسكّن ما كـان ينبغي له أن يحرّكه كقول لَبيد:

تَرَّاكُ أَمْكِنَـةٍ إذَا لمْ أَرْضَهَا　　أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

يريد أترك المكان الَّذي لا أرضاه إلى أن أموت لا أزال أفعل ذلك، وأَوْ هاهنا بمنزلة حتّى، وكقول آمْرِىء القَيْس:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِـــبِ　　إثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِـــلِ

ولولا أنَّ النحويّين يذكرون هذا البيت ويحتجُّون به في تسكين المتحرّك لاجتماع الحركات وأنَّ كثيراً من الرواة يروونه هكذا لظننتُه:

فَاليَوْمَ أُسْقَـى غَيْرَ مُسْتَحْـبِ

قال أبو محمَّد: وقد رأيتُ سِيبَوَيْهِ يذكر بيتاً يحتجُّ به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض على المعنى لا على اللفظ وهو قول الشاعر:

مُعَـاوِيَ إِنَّنَـا بَشَرٌ فَأَسْجِـحْ فَلَسْنَـا بِالجِبَالِ ولا الحَدِيـدا

قال كأنَّه أراد لسْنَا الجِبَالَ ولا الحَدِيدَا. فردَّ الحديد على المعنى قبل دخول الباءِ وقد غلط على الشاعر لأنَّ هذا الشعر كلُّه مخفوض. قال الشاعر:

فهَبْهـا أُمَّـةً ذَهَبَـتْ ضَيَاعاً يَزِيـدُ أَمِيرُهَـا وَأَبُو يَزِيـدِ

أَكلْتُمْ أَرْضَنَا وجَرَدْتُمُوها فهلْ مِنْ قَائمٍ أَوْ من حَصيدِ

ويحتجُّ أيضاً بقول الهُذَليّ في كتابه وهو قوله:

يَبِيـتُ عَـلى مَعـاريَ فَاخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَـدَمِ العبَـاطِ

وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف معار، ولو قال:

يَبِيتُ عَلَى مَعَارٍ فَاخِرَاتٍ

كان الشعر موزوناً والإعراب صحيحاً. قال أبو محمَّد: وهكذا قرأْتُه على أصحاب الأَصْمَعيّ. وكقوله في بيت آخر:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبطٌ مِمَّا تُطيحُ الطَّوَائحُ

وكان الأَصْمَعيُّ ينكر هذا ويقول ما اضطرَّه إليه وإنَّما الرواية:

لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ

وكذلك قول الفَرَّاءِ:

فَلَـئِنْ قَـوْمٌ أَصَابُـوا عِـزَّةً وَأَصَبْنَـا مِنْ زَمَـانٍ رَنَقَـا

لَلَقَـدْ كَانُوا لَـدَى أَزْمَاتِـهِ لَصَنِيعِـينَ لِبَـأْسٍ وَتُقَـى

هو فَلَقَدْ كَانُوا وهذا باطل، وكذلك قوله:

مَنْ كَان لَا يَزْعُمُ أَنّي شَاعِرُ　　فَيَــدْنُ مِنّي تَنْهَــهُ المَزَاجِرُ

إنَّما هو فَلْيَدْنُ مِنّي ،وبه يصحُّ أيضاً وزن الشعر ، وكذلك قوله :

فَقُلْتُ ٱدْعِي وَأَدْعُ فَإنَّ أَنْدَى　　لِصَوْتٍ أَنْ يُنَـادِيَ دَاعِيَـان

إنَّما هو :

فَقُلْتُ ٱدْعِي وَأَدْعُوَ إنَّ أَنْدَى

وكقول الفَرَزْدَقِ :

رُحْتِ وفِي رِجْلَيْكِ عَقَّالَةٌ　　وَقَـدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَر

وقد يُضْطرُّ الشاعر فيقصر الممدودَ وليس له أن يمدَّ المقصور . وقد يُضْطرُّ فيصرف غير المصروف ،وقبيح ألَّا يصرف المصروف ،وقد جاء في الشعر كقول العبَّاس بن مِرْدَاسٍ السُّلميّ :

وَمـا كَـانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ　　يفُوقَـان مِرْدَاسَ فِي مَجْمَـع

وأمَّا ترك الهمز من المهموز فكثير واسع لا عيب فيه على الشاعر والَّذي لا يجوز أن يهمز غير المهموز . وليس للمُحْدَث أن يتَّبع المتقدّم في استعمال وحشيّ الكلام الذي لم يكثر ،ككثير من أبنية سِيبَوَيْهِ واستعمال اللُّغة القليلة في العرب كإبدالهم الجيم من الياء ،كقول القائل :

يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ

يريد حَجَّتِي ، وكقولهم جمل بُخْتِجٌّ يريدون بُخْتِيٌّ وَعَلِجٌّ يريدون عَلِيٌّ،وإبدالهم الياءَ من الحرف في الكلمة المخفوضة كقول الشاعر :

لَهَـا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ　　مِنَ الثَّعَالِي وَوَخْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا

يريد مِنْ أَرَانِبِهَا ، وكقول الآخر :

وَلضَفَادِي جَمِّهِ نَقَانِقُ

يريد ضفادع ، وكإبدالهم الواو من الألف كقولهم أَفْعَوْ وحُبْلَوْ يريدون أَفْعَى وحُبْلَى وقال ابنُ عبَّاس: لَا بَأْسَ بِرَمْيِ الحِدَوْ لِلْمُحْرِمِ ، واستُحِبَّ له أَلَّا يسلك فيما يقول الأساليب الَّتي لا تصحُّ في الوزن ولا تحلو في الأسماع ، كقول القائل:

قُلْ لِسُلَيْمَى إِذَا لَاقَيْتَهَا ... هَلْ تَبْلُغِنَّ بَلْدَةً إِلَّا بِزَادْ

قُلْ لِلصَّعَالِيكِ لَا تَسْتَحْسِرُوا ... مِنِ ٱلْتِمَاسٍ وَسَيْرٍ فِي البِلَادْ

فَالغَزْوُ أَحْجَى عَلَى مَا خَيَّلَتْ ... مِنِ ٱضْطِجَاعٍ عَلَى غَيْرِ وِسَادْ

لَوْ وَصَلَ الغَيْثُ أَبْنَاءَ ٱمْرِئٍ ... كَانَتْ لَهُ قُبَّةٌ سَحْقُ بِجَادْ

وبلْدَةٍ مُقْفِرٍ غِيطَانُهَا ... أَصْدَاؤُهَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ تَنَادْ

قَطَعْتُهَا صَاحِبِي حُوشِيَّةٌ ... فِي مِرْفَقَيْهَا عَنِ الزَّوْرِ تَعَادْ

وكقول المُرَقِّشِ :

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلَّمْ

يَأْبِي الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ وَلَا ... تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

قال أبو محمَّد: وهذا يكثر وفيما ذكرتُ منه ما دلَّك على ما أردتُ من اختيارك أحسن الرويّ وأسهل الألفاظ وأبعدها من التعقُّد والاستكراه وأقربها من أفهام العوامّ. وكذلك أَختارُ للخطيب إذا خطب والكاتب إذا كتب ، فإنَّه يقال أَسْيَرُ الشعر والكلام المُطْمِع ، يراد الَّذي يُطْمِع في مثله مَن سمعه ، وهو مكان النجم من يد المتناول. قال أبو محمَّد: وقد أودعت كتاب العرب في الشعر أشياءَ من هذا الفنّ ومن غيره ، وستراها هناك مجموعة كافية إن شاءَ الله عزَّ وجلَّ.

أوائل الشُّعَراءِ

لم يكن لأوائل الشعراءِ إلّا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة. فمن قديم الشعر قول دُرَيْد بن نَهْد القُضاعيّ:

أَلْيَوْم يُبْنَى لِدُرَيْدٍ بَيْتُهُ   لَوْ كان للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كان قِرْنِي واحِداً كَفَيْتُهُ   يا رُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيْتُهُ
ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ

وقال الآخر:

أَلْقَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً ويَدَا   والدَّهْرُ ما أَصْلَحَ يَوْماً أَفْسَدَا
يُصْلِحُهُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهُ غَدَا

وقال أَعْصُرُ بن سعد بن قيس بن عَيْلان واسمه مُنَبِّه بن سعد وهو أبو غَنِيّ وبَاهلة والطُّفاوة:

قالتْ عُمَيْرَةُ ما لِرَأْسِك بَعْدَ ما   نَفِدَ الشَّبابُ أَتَى بلَوْنٍ مُنْكَرِ
أَعُمَيْرَ إِنَّ أَباكِ شَيَّب رَأْسَه   مَرُّ اللَّيالِي وآخْتِلافُ الأَعْصُرِ

وقال الحارث بن كعب وكان قديماً:

أَكَلْتُ شَبابِي فأَفْنَيْتُهُ   وأَفْنَيْتُ بَعْدَ شُهُورٍ شُهُورَا
ثلاثةُ أَهْلِينَ صاحَبْتُهم   فبانُوا وأَصْبَحْتُ شَيْخاً كَبِيرا
قَلِيلَ الطَّعامِ عَسِيرَ القِيامِ   قد تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِي قَصِيرا
أَبِيتُ أُراعِي نُجُومَ السَّماءِ   أُقَلِّبُ أَمْرِي بُطُوناً ظُهُورا

إِمْرُؤُ القَيْس بن حُجْر

هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو الكِنْديُّ، وهو من أهل نَجْد من الطبقة الأولى، وهذه الديار التي وصفها في شعره كلُّها ديار بني أَسَد. قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناسِ ذو القُرُوح يعني امرأ القيس. ومُلِّك حُجْرٌ على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار إليهم فأخذ سَرَواتهم فقتلهم بالعصيّ فسُمُّوا عَبيدَ العَصَا وأسر منهم طائفة فيهم عَبِيد بن الأَبْرَص، فقام بين يدي الملك فقال:

يا عَيْنِ ما فَٱبْكي بني أَسَدٍ هُمُ أَهلُ النَّدَامَهْ
أَهْلُ القِبَابِ الحُمْرِ والنَّعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدَامَهْ
مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ مَهْلاً إنَّ فيما قُلْتَ آمَّهْ
في كُلِّ وادٍ بَيْنَ يَثْرِبَ والقُصُور إلى اليَمَامَهْ
تَطْرِيبُ عانٍ أَوْ صِيَاحُ مُحَرَّقٍ وزُقَاءُ هامَهْ
أَنْتَ المَلِيكُ عَلَيْهِمُ وهُمُ العَبِيدُ إلى القِيامَهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم حتَّى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهَّن كاهنهم عَوْف بن ربيعة الأسديُّ فقال: يا عباد، قالوا: لَبَّيْكَ ربَّنا، فقال والغَلاَّب غير المغلَّب، في الإبل كأنّها الرَّبْرَب، لا يُقْلِقُ رأسَه الصَّخَب، هذا دمُه يَثْعَب، وهو غداً أوَّل من يُسْلَب. قالوا: مَن هو ربّنا؟ قال: لولا تجيش نَفْسٌ جاشئَه، أَنْبأتُكم أنَّه

حُجْر ضاحيه. فركبت بنو أسد كلَّ صعب وذلول فما أشرق لهم الضحى حتَّى انتهوا إلى حُجْر فوجدوه نائماً فذبحوه وشدُّوا على هجائنه فاستاقوها ،وكان امرؤ القيس طرده أبوه لمّا صنع في الشعر بفاطمة ما صنع ،وكان لها عاشقاً فطلبها زماناً فلم يصل إليها ،وكان يطلب منها غرَّة حتَّى كان منها يومَ الغدير بدارة جُلْجُل ما كان فقال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ

فلمّا بلغ ذلك حُجْراً أباه دعا مولى له يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس وأتني بعينيه ،فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه فندم حُجْر على ذلك ، فقال أبيتَ اللعن إنّي لم أقتله ، قال فأتني به فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل وهو قوله:

فلا تَتْرُكَنِّي يا رَبِيع لهذِهِ وكُنْتُ أرَاني قَبْلَها بكَ وَاثِقَا

فردَّه إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ثم أنَّه قال:

ألَا انْعَمْ صَبَاحاً أيُّهَا الطَّلَلُ البَالي

فبلغ ذلك أباه فطرده. فبلغه مقتل أبيه وهو بدَمُّون فقال:

تطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ
وإنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحبُّونْ

ثم قال ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً ،لا صحو اليوم ولا سكر غداً ،اليومَ خمر وغداً أمر ،ثم قال:

خَلِيلَيَّ ما في اليوم مَصْحًى لِشارِبِ ولا في غَدٍ إذْ كان ما كان مَشْرَبُ

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتَّى يثأر بأبيه. فلمّا كان الليل لاح له برق فقال:

أَرِقْتُ لبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلْ ... يُضِيءُ سَنَاه بأعلَى الجَبَلْ
بقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ ربَّهُمْ ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجأوا إلى كنانة فأوقع بهم ونجت بنوكاهل من بني أسد فقال:

يا لَهْف نَفْسِي إذْ خَطِئْنَ كاهِلَا ... القَاتلِينَ المَلِكَ الحُلَاحِلَا
تاللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِي باطِلَا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم فتأبى عليه ذلك الشعراء، قال عَبيدٌ:

يَا ذا المُخَوِّفُنا بقَتْلِ أبِيهِ إذْلَالًا وحَيْنَا
أزعَمْتَ أنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ سَرَاتَنا كَذِباً ومَيْنَا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتَّى خرج إلى قَيْصَر فدخل معه الحمّام فإذا قيصر أقلف فقال:

إنّي حلَفْتُ يميناً غَيْرَ كاذِبَةٍ ... أنَّكَ أَقْلَفُ إلّا ما جَنَى القَمَرُ
إذا طَعَنْتَ به مالَتْ عِمَامَتُهُ ... كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوَبَرُ

ونظرت إليه ابنةُ قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه، وطبن الطِّمّاح ابن قيس الأسديُّ لها وكان حُجْر قتل أباه فوشى به إلى الملك فخرج امرؤ القيس متسرّعاً فبعث قيصر في طلبه رسولاً فأدركه دون أَنْقِرَة بيوم ومعه حُلَّة مسمومة فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمُه وتفطَّر جسده وكان يحمله جابر بن حُنَيّ التغلبيُّ فذلك قوله:

فإمَّا تَرَيْنِي في رِحالَـةِ جابِرٍ   على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أكْفانِي
فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَه   وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه فَفَدَّاني
إذا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عَلَيْـهِ لِسَانَهُ   فلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وقال حين حضرته الوفاة:

وطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ   وجَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ   تَبْقَى غَداً بأَنْقِرَهْ

قال ابن الكلبيّ: هذا آخر شيءٍ تكلَّم به ثم مات. قال أبو عبد الله الجُمَحيُّ: كان امرؤ القيس ممّن يتعهَّر في شعره، وذلك قوله:

فمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ

وقال:

سَمَوْتُ إلَيْها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياءَ ابتدعها واستحسنها العرب واتَّبعته عليها الشعراءُ من استيقافه صحبه في الديار ورقَّة النسيب وقرب المأخذ. ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي

وقوله:

كأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنـا   وأرْحُلِنا الجَزْعُ الّذِي لم يُثَقَّبِ

وقوله:

كأنِّي غَـدَاةَ البَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا   لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

وقد أجاد في صفة الفرس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ   وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

ومّما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ   تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوشَاحِ المُفَصَّلِ

وقالوا الثريّا لا تعرُّض لها وإنَّما أراد الجَوْزاءَ، فذكر الثريّا على الغلط كما قال الآخر كأحمر عادٍ وإنَّما هو كأحمر ثَمُود وهُو عاقر الناقة. قال يُونس النحويُّ: قدم علينا ذو الرُّمَّة من سفر وكان أحسن الناس وصفاً للمطر فذكرنا له قول عَبيد وأَوْس وعبد بني الحَسْحاس في المطر فاختار قول امرىء القيس:

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ   طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وتَدُرْ

أقبل قوم من اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضلُّوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماءِ إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعض القوم:

لمّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّها   وأَنَّ البَيَاضَ من فَرائِصِها دامي
تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عِنْدَ ضارِجٍ   يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِي

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس. فقال: والله ما كذب، هذا ضارج عندكم وأشار إليه فمشوا على الركب فإذا ماءٌ غدق وإذا عليه العرمض والظلُّ يفيءُ عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا. ومّما يتمثَّل به من شعره قوله:

وَقَاهُمْ جَـدُّهُمْ ببَنِي أَبِيـهِمْ وبالأَشْقَيْنَ مـا كـان العِقـابُ

وقوله:

صُبّتْ عَلَيْهِ ولَمْ تَنْصَبَّ من كَثَبِ إنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الأَشْقَيْنَ مَصْبُوبُ

وقوله:

وقَـدْ طَوَّفْتُ في الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَـةِ بالإِيَابِ

ومّما يتغنّى به من شعره:

قفَا نَبْكِ من ذكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِل

قوله:

تَقُولُ وقَـدْ مال الغَبيطُ بنا مَعاً عَقَرْتَ بَعِيرِي يا آمْرَأَ القَيْسِ فَآنْزِلِ

وقال أبو النَّجْم يصف قينة:

تُغَنِّي فـإِنَّ اليَوْمَ يَوْمٌ مِنَ الصِّبَـى
بِبَعْضِ الَّذي غَنَّى آمْرُؤُ القَيْسِ أو عَمْرُو

فظَلّتْ تُغَنِّي بالغَبيطِ ومَيْلِهِ وتَرْفَعُ صَوْتاً في أَوَاخِرِهِ كَسْرُ

وقوله:

كـأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَام ورِيحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ
يُعَـلُّ بـه بَرْدُ أَنْيابِهـا إذا طَرَّبَ الطائِرُ المُسْتَحِرْ

وكلُّ ما قيل في هذا المعنى فمنه أُخذ.

واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراءِ فسألهم عن أرقِّ بيتٍ قالته العرب فاجتمعوا على بيت امرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلّا لِتَضْرِبي بسَهْمَيْكِ في أَعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال:

واللهُ أَنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

وقال:

مِنْ آلِ لَيْلَى وأَيْنَ لَيْلَى وخَيْرُ ما رُمْتَ ما يُنَالُ

هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرَار بن معاوية بن ثَوْر وهو كندة. وأُمُّه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهير أخت كُلَيْب ومُهَلْهِل ابني ربيعة التَّغْلبِيَّيْن. وكُليب هو الذي تقول فيه العرب أعزُّ من كُلَيب وائل، وبمقتله هاجت حرب بكر وتغلب. وكان قباذ ملك فارس ملَّك الحارث بن عمرو جدَّ امرىء القيس على العرب. ويقول أهل اليمن إن تُبَّعاً الأخير ملَّكه وكان الحارث ابن أخته فلمّا هلك قباذ وملك انوشروان ملَّك على الحيرة المنذر بن ماءِ السماءِ ،وكانت عنده هِنْد بنت الحارث بن عمرو ابن حُجْر ،فولدت له عمرو بن المنذر وقابوس بن المنذر وهِنْد عمَّة امرىء القيس ،وابنها عمرو هو محرّق. ثم ملَّكت بنو أسد حُجْراً عليها فساءت سيرته فجمَّعت له بنو أسد واستعان حُجْر ببني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال امرؤ القيس:

تَمِيمُ بنُ مُرٍّ وأَشْياعُها وكِنْدَةُ حَوْلي جَمِيعاً صُبُرْ

فبعثت بنو أسد إلى بني حنظلة تستكفُّها وتسألها أن تخلّي بينها وبين كندة فاعتزلت بنو حنظلة والتقت كندة وأسد، فانهزمت كندة

وقُتل حُجْر وغنمت بنو أسد أموالهم. وفي ذلك يقول عَبيد بن الأبرص الأسديُّ:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا هارِبِينا

وكان قاتلَ حُجْر عِلْباءُ بن الحارث الأسديُّ وأَفلت امرؤ القيس يومئذ وحلف لا يغسل رأسه ولا يشرب خمراً حتَّى يدرك ثأره ببني أسد، فأتى ذا جَدَن الحميريَّ فاستمدَّه فأمدَّه. وبلغ الخبر بني أسد فانتقلوا عن منازلهم فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خُزيمة والكنانيّون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم، فطرقهم في جند عظيم فأغار على الكنانيّين وقتل منهم وهو يظنُّ أنَّهم بنو أسد، ثم تبيَّن أنَّهم ليسوا هم فقال:

أَلَا يا لَهْفَ نَفْسِي إِثْرَ قَوْمٍ ... هُمُ كانُوا الشِّفاءَ فلم يُصابُوا
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَني أَبِيهِمْ ... وبالأَشْقَيْنَ ما كان العِقابُ
وأَفْلَتَهُنَّ عِلْباءٌ جَرِيضاً ... ولَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

ثم تبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً وقال:

قُولَا لِدُودَانَ عَبِيدَ العَصَا ... ما غَرَّكُمْ بالأَسَدِ الباسِلِ
قد قَرَّتِ العَيْنانِ مِن وائلٍ ... ومن بني عَمْرٍو ومن كاهِلِ
نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً ... كَرَّكَ لَأْمَيْنِ عَلَى نابِلِ
حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكُنْتُ آمْرَءًا ... عَنْ شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ
فاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ

ثم إنَّ المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم وأسر اثني عشر فتى من ملوكهم ،فأمر بهم فقُتلوا بمكان بين الحبرة والكوفة يقال له جَفْر الأملاك ، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم فهرب حتى لجأ إلى سعد ابن الضَّبَاب الإيَاديّ سيّد إياد فأجاره. وكان ابن الكلبيّ يذكر أن أمَّ سعد كانت عند حجر أبي امرىء القيس فتزوّجها الضَّباب فولدت سعداً على فراشه واستشهد على ذلك قول امرىء القيس:

يُفَكِّهُنَــا سَعْــدٌ ويُنْعِمُ بالنَــا ويَغْـدُو عَلَيْنَا بالجفان وبالجُزُرْ
ونَعْرِفُ فيـه من أَبِيهِ شَمَائِلًا ومن خالهِ ومن يَزيد ومن حُجُرْ

وهذا الشعر يدلُّ على أن العرب كانت في الجاهليَّة ترى الولد للفراش. ثم تحوَّل إلى جبلي طيِّء فنزل على قوم منهم عامر بن جُوَين الطائيُّ فقالت له ابنته: إن الرجل مأكول فكُلْه، فأتى عامر أَجَأً وصاح أَلاَ إنّ عامر بن جُوَين غدر، فلم يجبه الصدى، ثم صاح ألا إنَّ عامر بن جُوَين وَفَى، فأجابه الصدى، فقال ما أحسن هذه وما أقبح تلك. ثم خرج امرؤ القيس من عنده فشيَّعه فرأت ابنته ساقيه وهو مدبر وكانتا حمشتين، فقالت ما رأيتُ كاليوم ساقي وافٍ، فقال هما ساقا غادرٍ أقبح. ويقال إن صاحب هذا القول أبو حَنْبَل جارية بن مُرّ مُجير الجَرَاد، ويقال إن ابنته لمّا أشارت عليه بأخذ ماله دعا بجذعة من غنمه فحلبها في قدح ثم شرب فروي ثم استلقى وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة، ثم قام فمشى وكان أعور سِنَاطاً قَصيراً حمش الساقين فقالت ابنته ما رأيتُ كاليوم ساقي وافٍ، فقال لابنته يا بُنَيَّة هما ساقا غادر شرٌّ وقال:

لَقَدْ آلَيْتُ أغْدُرْ في جدَاع ولوْ مُنِّيتُ أُمّاتِ الرِّباع
لِأَنّ العَدْرَ في الأَقْوام عارٌ وإنَّ الحُرَّ يَجزَأُ بالكُرَاع

ولم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلي طيّء ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم فأتى السَّمَوْأَلَ بن عادياء اليهوديَّ ملك تَيْماء، وهي مدينة بين الشأم والحجاز، فاستودعه مائة درع وسلاحاً كثيراً ثم سار ومعه عمرو بن قَمِيئَة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه فبكى ابن قميئة وقال له غررتَ بنا فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بَكَى صاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأَيْقنَ أنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرَا
فقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فنُعْذَرَا
وإنّي أَذينٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً بسَيْرٍ تَرَى منه الفُرَانِقَ أَزْوَرَا
عَلَى ظَهْرِ عادِيٍّ تُحارِبُهُ القَطَا إذا سافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

وبلغ الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيَّ وهو الحارث الأكبر ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل، فبعث إليه رجلاً من أهل بيته يقال له الحارث بن مالك وأمره أن يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه. فلمّا انتهى إلى حصن السموأل أغلقه دونه وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيّد فأخذه الحارث وقال للسموأل إن أنت دفعت إليَّ السلاح وإلّا قتلته، فأبى أن يدفع إليه ذلك، وقال له اقتل أسيرك فإنّي لا أدفع إليك شيئاً فقتله. وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء. وقد ذكره الأعشى في قصّة له قد ذكرتُها في أخباره. وصار امرؤ القيس إلى ملك الروم فأكرمه ونادمه واستمدّه فوعده ذلك. وفي هذه القصّة يقول:

ونادَمْــتُ قَيْصَرَ في مُلْكِــه فأَوْجَهَني وركِبْتُ البَريدَا
إذا ما ٱزْدَحَمْنا عَلَى سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقاً بَعِيدَا

ثم بعث معه جيشاً فيهم أبناءُ ملوك الروم فلمّا فصل قيل لقيصر إنَّك أمددت بأبناءِ ملوك أرضك رجلاً من العرب وهم أهل غدر فإذا استمكن ممّا أراد وقهر بهم عدوَّه غزاك. فبعث إليه قيصر مع رجل من العرب كان معه يقال له الطمّاح بحُلَّة منسوجة بالذهب مسمومة وكتب إليه: إنّي قد بعثتُ إليك بحلّتي التي كنتُ ألبسها يوم الزينة ليُعرف فضل منزلتك عندي، فإذا وصلت إليك فألبسها على اليمن والبركة واكتب إليَّ من كلّ منزل بخبرك. فلمّا وصلت إليه الحلَّة اشتدَّ سروره بها ولبسها فأسرع فيه السمُّ وتنفَّط جلده. والعرب تدعوه ذا القروح لذلك، ولقوله:

وبُدِّلْــتُ قَرْحــاً بَعْـدَ صِحَّـةٍ فَيا لَكَ نُعْمَى قَدْ تَحَوَّل أَبْؤُسَا

وقال الفرزدق:
وَهَبَ القَصَائِدَلي النَّوابِغُ إذ مَضَوْا وأَبُو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

قال أبو محمد: أبو يزيد هو المُخَبَّلُ السعديُّ وذو القروح امرؤ القيس وجَرْوَل الحُطَيْئَة، ولمّا صار إلى مدينة بالروم تدعى أَنْقِرَة ثقل فأقام بها حتّى مات وقُبر هناك وقال قبل موته:

رُبَّ خُطْبَــــةٍ مُسْحَنْفِرَهْ وطَعْنَـــــةٍ مُثْعَنْجِرَهْ
وجَفْنَــــــةٍ مُتَحَيِّرَهْ تُدْفَنُ غَـــــداً بأَنْقِرَهْ

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة فسأل عن

صاحبه فخُبّر بخبرها فقال:

أَجَارَتَنــا إِنَّ المَزَارَ قَرِيــبُ   وإِنِّي مُقيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنا إِنَّا غَرِيبَانِ ها هُنَا   وكُـلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وعَسيب جبل هناك، ولما بلغ السموأل موت امرىء القيس دفع ما خلَّف عنده من السلاح وغيره إلى عصبته. وكان امرؤ القيس مئناثاً لا ذَكَرَ له وغيوراً شديد الغيرة فإذا وُلدت له بنت وأدها فلمّا رأى ذلك نساؤه غيَّبن أولادهنّ في أحياء العرب وبلغه ذلك فتتبَّعهنّ حتَّى قتلهنَّ، وكان امرؤ القيس جميلاً وسيماً ومع جماله وحسنه مُفَرّكاً لا تريده النساءُ إذا جرَّبنه. وقال لامرأة تزوَّجها ما يكره النساءُ منّي قالت يكرهن منك أنَّك ثقيل الصدر خفيف العجز سريع الإراقة بطيءُ الإفاقة. وسأل أُخرى عن مثل ذلك فقالت يكرهن منك أنَّك إذا عَرِقْتَ فُحْتَ بريح كلب. فقال أنت صدقتني إنَّ أهلي أرضعوني بلبن كلبة. ولم تصبر عليه إلّا امرأة من كندة يقال لها هِند وكان أكثر ولده منها. وكان يُعَدُّ من عُشّاق العرب والزناة. وكان يشبّب بنساءٍ منهنَّ فاطمة بنت العُبَيد بن ثعلبة بن عامر العُذْريَّة وهي التي يقول لها: أَفاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا التَّدلُّلِ.

ويقول لها:

لَا وأَبِيــــكِ ٱبْنَـــةَ العَامِرِ   يّ لا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

ومنهن أمُّ الحارث الكلبيَّة وهي التي يقول فيها:

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا   وجارَتِهــا أُمِّ الرَّبــابِ بمأْسَلِ

ومنهنَّ عُنَيزة وهي صاحبة يوم دارة جُلْجُل. قال محمَّد بن سلاّم: حدَّثني راوية للفرزدق أنَّه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرىء القيس وأشعاره من الفرزدق، هو وأبو شَفْقَل لأنَّ امرأ القيس كان صحب عمَّه شُرَحْبِيلَ قبل الكُلاب حتَّى قُتل شرحبيل بن الحارث وكان قاتله أخاه مَعْدِي كَرِبَ بن الحارث، وكان شرحبيل بن الحارث مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق، وكان امرؤ القيس رأى من أبيه جفوة فلحق بعمّه فأقام في بني دارم حيناً، قال الفرزدق: أصابنا بالبصرة مطر جَوْدٌ، فلمّا أصبحتُ ركبت بغلة لي وصرتُ إلى المِرْبَد فإذا آثار دوابَّ قد خرجت إلى ناحية البرّيَّة فظننتُ أنَّهم قوم قد خرجوا إلى النزهة وهم خُلَقاءُ أن يكون معهم سُفْرة فاتَّبعت آثارهم حتَّى انتهيتُ إلى بغال عليها رحائل موقوتة على غدير، فأسرعتُ إلى الغدير فإذا نسوة مستنقعات في الماء، فقلت لم أَرَ كاليوم قطُّ ولا يوم دارة جُلْجُل، وانصرفت مستحيياً فنادينني يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء، فانصرفت إليهنَّ فقعدن إلى حُلُوقهنَّ في الماء ثمّ قلن بالله لمّا أخبرتنا ما كان حديث يوم دارة جُلْجُل: قال حدَّثني جدّي وأنا يومئذ غلام حافظ أنَّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمّ له يقال لها عُنَيْزة وأنَّه طلبها زماناً فلم يصل إليها حتَّى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جُلْجُل وذلك أنَّ الحيَّ احتملوا فتقدَّم الرجال وتخلَّف النساءُ والخدم والثقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلَّف بعدما سار مع رجالة قومه غلوة فكمن في غَيَابة من الأرض حتَّى مرَّ به النساءُ وفيهنَّ عنيزة، فلمّا وردن الغدير قلن لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنّا بعض الكلال فنزلن في الغدير ونَحَّيْن العبيد ثم تجرَّدن

ما كذب هذا ضارج عندكم، وأشار لهم إليه فأتوه فإذا ماءٌ غَدَق وإذا عليه العرمض والظلُّ يفيء عليه ،فشربوا منه وارتووا حتَّى بلغوا النبيَّ ﷺ فأخبروه وقالوا أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس، فقال النبيُّ ﷺ ذاك رجل مذكور في الدنيا، شريف فيها، مَنْسيٌّ في الآخرة خامل فيها، يجيءُ يوم القيامة معه لواءُ الشعراءِ إلى النار. وذكره عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) فقال: سابق الشعراءِ خَسَفَ لهم عين الشعر. قال أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى يقول من فضَّله أنه أوَّل من فتح الشعر واستوقف وبكى في الدمن ووصف ما فيها ثم قال: دَعْ ذَا رَغْبَةً عن المَنْسَبَة، فتبعوا أثره، وهو أوَّل من شبَّه الخيل بالعصا واللَّقْوة والسِّباع والظِّباءِ والطير، فتبعه الشعراءُ على تشبيهها بهذه الأوصاف، قال ابن الكلبيّ: أوَّل من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمَام بن معاوية وإيّاه عنى امرؤ القيس بقوله:

يا صاحِبَيَّ قفا النَّواعِجَ ساعَةً نَبْكِي الدِّيَارَ كما بَكَى ابنُ حُمَامِ

وقال أبو عبيدة هو ابن خِذَام وأنشد:

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا نَبْكِي الدِّيَارَ كما بَكَى ابنُ خِذَامِ

وقال وهو القائل:

كأنِّي غَـدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُراتِ الدّارِ ناقِفُ حَنْظَلِ

أراد أنَّه بكى في الدار عند تحمُّلهم فكأنَّهُ ناقف حنظل. وناقف الحنظلة ينقفها بظُفره فإن صوَّتت علم أنَّهَا مدركة فاجتناها فعينُه تدمع لحدَّة الحنظل وشدَّة رائحته،كما تدمع عينا من يدوف الخردل

أنوشروان ملك العجم، لأني وجدت

الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني، وهو الحارث الأكبر، والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنوشروان بالحيرة، ووجدت بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي ﷺ أربعين سنة، كأنه وُلد لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى، ومما يشهد لهذا أن عمرو بن المُسَبِّح الطائي وفد على النبي ﷺ إلى المدينة في وفود العرب وهو ابن مائة وخمسين سنة وأسلم وعمرو الذي ذكره امرؤ القيس فقال:

[illegible]

أخذه النابغة الجعدي فقال:

[illegible]

[illegible]

وقد ذكره النبي ﷺ فقال: هو قائد الشعراء إلى النار. وفي خبر آخر: معه لواء الشعراء إلى النار. قال ابن الكلبي: أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ فضلوا ووقعوا على غير ماء، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، فجعل الرجل منهم يستذري بفيء السمر والطلح فبينا كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرىء القيس:

وقال امرؤ القيس يصف ... البيتين

[illegible]

[illegible]

أقال وابن الكلبي [illegible] القيس بن حارثة بن
[illegible] وبقيت عُنَيْزة لم
يحملها شيئاً [illegible] لا نبكي الديار كما بكى ابن خذام [illegible] لا
أطيق المشيَ فحملته على غارب بعيرها وكان يجنح إليها فيدخل رأسه
في خدرها فيقبلها [illegible] خدجها فتقول عقرت بعيري
فانزل [illegible] المحيل لعلّنا نبكي الديار كما بكى ابنُ خِذام

وقال وهو القائل:

ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي	فيا عجباً من رحلها المتحمّلِ
كأني غداةَ البين يوم تحمّلوا	لدى سمرات الدار ناقفُ حنظلِ
يظل العذارى يرتمين بلحمها	وشحم كهدّاب الدمقس المفتّلِ

[illegible] ناقف
الحنظلة [illegible]
[illegible] دل

وكان امرؤ القيس في زمان أنوشروان ملك العجم، لأنّي وجدتُ الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ، وهو الحارث الأكبر، والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنوشروان بالحيرة، ووجدتُ بين أوّل ولاية أنوشروان وبين مولد النبيّ ﷺ أربعين سنة، كأنّه وُلد لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى. وممّا يشهد لهذا أن عمرو بن المُسَبِّح الطائي وفد على النبيّ ﷺ إلى المدينة في وفود العرب وهو ابن مائة وخمسين سنة وأَسْلم وعمرو يومئذ أَرْمَى العرب، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال:

رُبَّ رامٍ من بَنِي ثُعَـــلٍ مُتْلِـــجٍ كَفَّيْـــهِ من سُتَرِهْ

وله يقول الآخر:

نَعَبَ الغُرَابُ ولَيْتَهُ لم يَنْعبِ بالبَيْنِ منْ سَلْمَى وأُمّ الحَوْشَبِ
لَيْتَ الغُرَابُ رَمَى حَمَاطَةَ قَلْبِـهِ عَمْرٌو بأَسْهُمِهِ الـتي لم تُلْغَبِ

وقد ذكره النبيّ ﷺ فقال هو قائد الشعراء إلى النار. وفي خبر آخر: معه لواءُ الشعراء إلى النار. قال ابن الكلبيّ: أقبل قوم من اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضلّوا ووقعوا على غير ماءٍ فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، فجعل الرجل منهم يستذري بفيء السمر والطلح فبينا كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرىء القيس:

لمّا رأت... البيتين

فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قال امرؤ القيس. قال: والله

لـه قُصْرَيَا رِئْمٍ وشِدْقا حَمَامَةٍ   وسالفَتَـا هَيْقٍ من الزُّبْد أَرْبَدَا

ويستجاد من قوله:

فإنَّـكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كفاخِرٍ   ضَعِيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

ويعاب من قوله:

فمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْطَرَقْتُ ومُرْضِعٍ   فألْهَيْتُها عن ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

إذا ما بَكَى مِنْ خَلْفِها آنْحَرَفَتْ لـه   بِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

قال أبو محمَّد: وليس هذا عندي عيباً ،لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال ولا ترغبان في النكاح ، فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشدَّ إصباءً وإلهاءً .

ويعاب من قوله:

أَغَرَّكَ منّــي أَنَّ حُبَّـكِ قاتِلِي   وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وقالوا إذا كان هذا لا يغرُّ فما الذي يغرُّ؟ إنَّما هذا كأسير قال لآسِرِه أغرَّك منّي أنّي في يديك وفي أسارك وأنَّك ملكت سفك دمي . قال أبو محمَّد ولا أرى هذا عيباً ولا المثل المضروب له شكلاً ،لأنَّه لم يرد بقوله: حبُّك قاتلي ، القتل بعينه ، وإنَّما أراد به أنَّه قد برَّح بي فكأنَّه قد قتلني . وهذا كما يقول القائل قَتلَتْني المرأة بَدلّها وبعينها ، وقتَلَني فلان بكلامه . فأراد أغرَّك منّي أن حبَّك قد برَّح بي وأنَّك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلوّ عنّي يُطِعْكِ ،أي فلا تغترّي بهذا فإنّي أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هوايَ .

ويعاب عليه تصريحه بالزنا والدبيب إلى حُرَم الناس ،والشعراءُ

أتحدوقي ذلك فقال الشعر وإن فعلته. قال:

نظرت إليك بعين جازئة في ظل بارده من السلم حال

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

فقالت سباك الله إنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي

وقال امرؤ القيس يصف الفرس:

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أخذه زيد الخيل فقال:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا وما إن من حديث ولا صالي

يجم على الساقين بعد كلاله

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

قال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد ...

الفرس ...

شبَّه الثغر في لونه بشوك السَّيَال فقال:

مَنابِتُهُ مِثْلُ السُّدُوسِ ولَوْنُهُ كشَوْكِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ يَفِيضُ

فاتَّبعه الناس. وأوَّل من قال فعادَى عِداءً فاتَّبعه الناس. وأوَّل من شبَّه الحمار بِمِقْلاءِ الوليد وهو عود القُلَةِ وبكر الأَنْدَرِيّ، والكرُّ الحبل. وشبَّه الطلل بوَحْيِ الزُّبُور في العَسِيب والفرس بتَيس الحُلَّب. ومما انفرد به قوله في العقاب:

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي

شبَّه شيئين بشيئين في بيت واحد، وأحسن التشبيه. وقوله:

لـه أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ وإِرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد. وكان أشدَّهم إخفاءً لسرقةِ القائلُ وهو المُعَذَّل:

أخذه أوس بن حجر فقال ... الحمامة ... وسالفتا هيق من الزبد أربدا

ويستجاد ... عن دأياتها ... كما زل عن عظم الشجيج المحارف

وقال امرؤ القيس ... : ... ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ويعاب ... عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

فأخذه ... قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

[illegible] ... بشق ... لم يحول

وأخذه ... فقال: ... هذا عندي عيباً، لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال ولا ترغبان في النكاح، فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباءً وإلهاءً.

وقال امرؤ القيس:

ويعاب من قوله:

فلأياً بلأي ما حملنا غلامنا ... على ظهر محبوك السراة محنب

أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل

فأخذه زهير فقال:

وقالوا إذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر؟ إنما هذا كأسير قال لآسره أغرك مني أني في يديك وفي إسارك وأنك متى شئت سفكت دمي.

قال أبو محمد: ولا أرى هذا عيباً ولا المثل المضروب له شكلاً، لأنه لم يرد بقوله: حبك قاتلي القتل بعينه، وإنما أراد به أنه قد برح بي فكأنه قد قتلني. وهذا كما يقول القائل قتلتني المرأة بدلها وبعينها، وقتلني فلان بكلامه. فأراد أغرك مني أن حبك قد برح بي وأنك مهما تأمرين قلبك ... من الهجر ... والسلو عني ... أي فلا تغتري بهذا فإني أملك نفسي وأصبر عنها وأصرف هواي.

ويغلط ... بالخاتنة ... الدبيب ... حوامل ... عن الطفل

أخذه المسيّب فقال:

نَظَرَتْ إلَيْـــكَ بعَيْنِ جازِئَـــةٍ   فِي ظِـــلِّ بـــارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ

وقال امرؤ القيس يصف الفرس:

يَجُمُّ عـلى الساقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ   جُمُومَ عُيُونِ الحِسْيِ بَعْدَ المَخيضِ

أخذه زيد الخيل فقال:

يَجُمُّ عـلى الساقَيْنِ بَعْدَ كِلَالِهِ   كَمَا جَمَّ جَفْرٌ بالكُلَابِ نَقِيبُ

قال أبو عبيدة: هو أوَّل مَنْ قيَّد الأوابد، يعني في قوله في وصف الفرس قَيْدِ الأوَابِدِ، فتبعه الناس على ذلك. وقال غيره هو أوَّل من شبَّه الثغر في لونه بشوك السَّيَال فقال:

مَنابِتُـهُ مِثْـلُ السُّدُوسِ ولَوْنُهُ   كشَوْكِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ يَفِيضُ

فاتَّبعه الناس. وأوَّل من قال فعادَى عِداءً فاتَّبعه الناس. وأوَّل من شبَّه الحمار بمِقْلاءِ الوليد وهو عود القُلَةِ وبكر الأَنْدَرِيّ، والكرُّ الحبل. وشبَّه الطلل بوَحْيِ الزَّبُور في العَسِيب والفرس بتَيس الحُلَّب. وممّا انفرد به قوله في العقاب:

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البَالي

شبَّه شيئين بشيئين في بيت واحد، وأحسن التشبيه. وقوله:

لـه أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ   وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد. وكان أشدَّهم إخفاءً لسرقةِ القائلُ وهو المُعَذَّل:

ثم قال ففسَّر:

فأمَّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ منها   فمن أَدْمـاءَ مرْتَعُهـا الخَلاءُ

وأمَّـا المُقْلتـانِ فمن مَهَـاةٍ   وللـدُّرِّ المَلاحَـةُ والصَّفـاءُ

وقال بعض الرواة: لو أنَّ زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى الأَشْعَريّ ما زاد على ما قال:

فـإنَّ الحَـقَّ مَقْطَعُـهُ ثَلاثٌ   يَمِـينٌ أو نِفـارٌ أو جِلَاءُ

يعني يميناً أو منافرة إلى حاكم يَقطع بالبيِّنات أو جلاءٌ ،وهو بيان وبرهان يجلو به الحقُّ وتتَّضح الدَّعْوَى.

ومما يتمثَّل به من شعره:

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وَشِيجُهُ   وتُغْرَسُ إلَّا في مَعَادِنِها النَّخْلُ

ويُسْتَحْسَنُ قوله:

يَطْعنُهُمْ ما آرْتَموْا حَتَّى طَعَنُوا   ضارَبَ حَتَّى إذ ما ضارَبُوا آعتَنَقَا

ويُستحسن أيضاً قوله:

هُوَ الجَوَادُ الَّـذي يُعْطِيكَ نائِلَهُ   عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْيانـاً فيَنْظَلِمُ

قد سبق زُهَير إلى هذا المعنى لا ينازعه فيه أحد غيرُ كُثَيِّر فإنَّه قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى يَعْتَرِي صُلْبَ مالِهِ   مَسَائِـلُ شَتَّى من غَنِيٍّ ومُصْرِم

مَسَائِلُ إن تُوجَدْ لَدَيْهِ تَجُدْ بها   يَـداهُ وإن يُظْلَمْ بها يَتَظَلَّم

المُصْرِم القليل المال.

هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مزينة مضر، وكان زهير جاهليًا لم يلحق الإسلام، وأدرك ابناه كعب وبجير الإسلام.

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلق يومًا على علاته هرمًا يلق السماحة فيه والندى خلقا

... قال: أجاهلية أم إسلامية؟ قلت: جاهلية. قال: زهير. قلت: فالإسلامي؟ قال: الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر. قلت له: فأنت؟ قال: أنا نحرت الشعر نحرًا.

قال عبد الملك لقوم من الشعراء أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهير:

ألا أبلغا عني بجيرًا رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

سقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها وعلكا

فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أي شيء ويب غيرك دلكا

فبلغ رسول الله ﷺ شعره هذا فتوعده ونذر دمه فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله ﷺ قتل رجالاً ممن كان يهجوه وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزبعرى السهمي وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي وقد هربا منه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه فإنه لا يقتل أحدًا أتاه تائبًا. وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك. فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الأرض برحبها وأرجف به ...

قيل لخلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال: لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت إن كعبًا أشعر منه، يريد قوله:

ولأنت أشجع من أسامة إذ ...

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

وذلك قوله:

يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أتى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده وأنشده شعره فقبل توبته وعفا عنه وكساه بردًا فاشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم فهو عند الخلفاء إلى اليوم. وكان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب شاعر ولقبه المضرب ...

وشبه زهير امرأة في الشعر بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال:

... فمنها الظباء

ثم قال ففسَّر:

فأمَّا ما فُوَيقَ العِقْدِ منها ... فمن أَدْمـاءَ مرتَعُها الخَلاءُ

وأمَّـا المُقْلتـانِ فمن مَهَـاةٍ ... وللدُّرِّ المَلاحَـةُ والصَّفـاءُ

زهير بن أبي سلمى

وقال بعض الرواة: لو أنَّ زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى الأشعريّ ما زاد على ما قال:

هو زهير بن ربيعة بن قرط. والناس ينسبونه إلى مُزَينة وإنَّما نسبه في غطفان [illegible]

[illegible] أو منافرة إلى حاكم يَقطع بالبيّنات أو جلاءٌ، وهو بيان وبرهان [illegible] الدَّعوى من المُزَنيِّينَ المُصفَّيْنَ بالكرم

ومما يُستدلّ به أنَّه لم يتَّصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهليَّة ما اتَّصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتَّصل في ولد جرير، وكان زهير راوية أوس بن حجر، ويروى عن عمر بن الخطّاب أنَّه قال أنشدوني لأشعر شعرائكم. وقيل من هو؟ قال: زُهير. قيل: وبِمَ صار كذلك؟ قال: [illegible]

ويستحسن قوله [illegible] وهو القائل:

[illegible]

قد سبق زهير إلى هذا المعنى لا ينازعه فيه أحد غير كثير فإنّه قال [illegible] في هذا الموضع المُبْطِئ.

[illegible]

[illegible] المُضْرِم القليل المال.

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرِمٍ   والسَّائِلُونَ إلى أَبوابِـهِ طُرُقَـا

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِماً   يَلْقَ السَّمَاحَةَ فيهِ والنَّدَى خُلُقَا

قال عِكْرِمَة بن جَرير: قلتُ لأبي مَن أشعر الناس؟ قال أجاهليَّة أم إسلاميَّة؟ قلت جاهليَّة. قال زُهير. قلت فالإسلام؟ قال الفَرَزْدَق. قلت فالأَخْطَل؟ قال الأخطل يُجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر. قلت له فَأنت؟ قال أنا نحرتُ الشعر نحراً.

قال عبد الملك لقوم من الشعراء أيُّ بيت أَمْدَحُ؟ فاتَّفقوا على بيت زهير:

تَرَاهُ إذا مـا جِئْتَـهُ مُتَهَلِّلاَ   كأنَّك تُعْطِيهِ الَّذي أَنْتَ سائِلُهْ

قيل لِخَلَف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال لولا أبيات لزهير أكبرها الناسُ لقلت إنَّ كعباً أشعر منه، يريد قوله:

لِمَنِ الدّيـارُ بِقُنَّـةِ الحِجْرِ   أَقْوَيْنَ من حِجَـجٍ ومن دَهْرِ

ولأَنتَ أَشْجَعُ من أُسَامَةَ إذْ   دُعِيَ النَّزالُ ولُجَّ في الذُّعْرِ

ولأَنـتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْـضُ القَوْمِ يَخْلُـقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

لَوْ كُنْتَ من شيءٍ سِوَى بَشَرٍ   كُـنْـتَ الْمُنَوِّرَ لَيْلَـةَ البَـدْرِ

وكان زهير يتألَّه ويتعفَّف في شعره ويدلُّ شعره على إيمانه بالبَعْث وذلك قوله:

يُؤَخَّرْ فيودَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ   لِيَوْمِ الحِسابِ أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

وشبَّه زهير امرأةً في الشعر بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال:

تنَازَعَـتِ الْمَهـا شَبَهـاً ودُرَّ البُحُورِ وشاكَهَـتْ فيهـا الظِّبَـاءُ

وقال زهير يصف ظبية أكل ولدها السَّبُعُ:

أَضاعَتْ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلاتُها   فلاقَتْ بَياناً عِنْدَ آخِرِ مَعْهَدِ

دَماً عندَ شِلْوٍ تَحجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ   وبَضْعَ لِحامٍ في إهابٍ مُقَدَّدِ

وقال الجَعْديُّ:

ولاقَتْ بَيَاناً عِنْدَ أَوَّلِ مَعْهَدٍ   إهاباً ومَعْبُوطاً من الجَوْفِ أَحْمَرا

قال ومّما سبق إليه كعب بن زهير فأخذه الشعراءُ منه.

قال كعب بن زهير يذكر ذئباً وغراباً:

فلم يَجِدَا إلّا مناخَ مَطِيَّةٍ   تَجافَى بها زَوْرٌ نَبِيلٌ وكَلْكَلُ

ومَضْرَبَها وَسْطَ الحَصَى بجرانِها   ومَثْنَى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مِفصَلُ

ومَوْضِعَ طُولِيٍّ وأَحْناءِ قاترٍ   يَئِطُّ إذا ما شُدَّ بالنسْعِ مِنْ عَلُ

وَأَتْلَعَ يُلْوَى بالجَدِيلِ كأَنَّهُ   عَسِيبٌ سَقَاهُ من سُمَيْحَةَ جَدْوَلُ

وسُمْرٌ ظِماءٌ واتَرَتْهنَّ بَعْدَ ما   مَضَتْ هَجْعَةٌ من آخِرِ اللَّيْلِ ذُبَّلُ

سَفَى فَوْقَهُنَّ التُّرْبَ ضافٍ كأَنَّه   على الفَرْجِ والحاذَيْنِ قِنْوٌ مذَلَّلُ

ومُضْطَمِرٌ من خاشِعِ الطَّرْفِ خائِفٌ   لِما تَضَعُ الأَرْضُ القَوَاءُ وتَحْمِلُ

فأخذه ذو الرُّمَّة والطِرِّمّاح، فقال الطرمّاح:

أطاف بها طِمْلٌ حَرِيصٌ فلم يَجِدْ   بها غَيْرَ مُلْقَى الواسِطِ المُتَبايِنِ

ومِخْفَقِ ذي زِرَّيْنِ في الأَرْضِ مَتْنُهُ   وفي الكَفِّ مَثْناهُ لَطِيفُ الأَسائِنِ

خفيٌّ كمُجْتازِ الشُّجاعِ وذُبَّلٍ   ثلاث كَحَبَّاتِ الكَبَاث القَرائِنِ

أنشدني بعض ما قال فيكم زهير. فأنشده فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن. فقال يا أمير المؤمنين إنّا كنّا نعطيه فنجزل. فقال عمر رضي الله عنه ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

وصبّنة كفّ باشرت بيمينها صعيداً كفاها فقد ماء المصافن
ومعتمد من صدر رجل محالة على عجل من خائف غير آمن
مقلّصة طارت قرينتها بها إلى سلم في دفّ عوجاء دافن

وممّا سبق إليه ... قوله تحنّى بها أماكن الحطيم الميامن

وقال هو الواهب الذي يعطيك نائله عفواً ويُظلَمُ أحياناً فيظّلمُ

إذا أعيت ... فيها الأئمّة لم تستطع ... الكتب إلا بتلك ... والتقى بالمثال الأثير في المرصّع. ابن ليلى المسمّى به كثيّر ومن أشهر المسمّين به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. قال كثيّر:

وبينهما ملقى زمام كأنّه مخيط شجاع آخر الليل ثائر
ومغفى فتى حلّت له فوق رحله ثمانيةً جُرداً صلاةُ المسافر
سوى وطأة في الأرض من غير جعلة ... عوجاء ضامر
وموضع عرنين كريم وجبهة إلى هدف من مسرع غير ...

يا أيّها المتمنّي أن يكون فتى مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا
أعدد ثلاث خلال قد جمعن له هل سبّ من أحد أو سُبّ أو بخلا

فقال:

وقال كعب بن زهير:

رأيتُ ابن ليلى تعتري صُلبَ ماله مسائلُ شتّى من غنيّ ومُعدم
مسائلُ إن توجد لديك تجُدْ بها يداك وإن يُظلَمْ بها تتظلّمِ

لا يشتكون الموت إن نزلت بهم شهباء ذات معاقم وأوار

سمعه بعضهم فقال:

وقال زهير:

رميتَ نطاةَ من الرسول بفيلق شهبـــاء ذات معاقمٍ وأُوارِ

كما استغاث بسيءٍ فزُّ غيطلة خاف العيونَ فلم يُنظرْ به الحشكُ

وممّا سبق إليه زهير فلم ينازع فيه قوله:

فإن الحقّ مقطعه ... البيت

السّيءُ اللبن في الضرع، والفزّ ولد البقرة، والغيطلة البقرة، والحشك الدرّة. أخذه الطرمّاح فقال:

يبادر السيء ولم ينتظر نبه فيقات العيون النيام

يريد أنّ الحقوق إنما تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجّة بيّنة واضحة. وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذا أنشده تحدّث ... يتعجّب من معرفته بمقاطع الحقوق. ومن ذلك قوله:

وقال زهير يصف ظبية [illegible] ولدها [illegible] قد دُيِّثَتْ بركوبِ

[illegible] ولَعِنْدَ الحرية مَعْهَدِ [illegible]

المضرب [illegible] شاعر [illegible] خمسة شعراء في إهاب [illegible] نسق

العوّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً
شاعراً وهو القائل في خاله أسعد المريّ وابنه كعب بن أسعد وكان
حمل أمه [illegible] إهاباً ومعبوطاً من الجوفِ أحمرا

قال ومما سبق إليه كعب بن زهير فأخذه الشعراء منه.

لتصرفنّ إبلٌ محببةٌ من عند أسعدَ وابنهِ كعبِ

[illegible] ذئباً [illegible] بالحبارى بُرْغُمَ الرُّطْبِ

[illegible]

القوافي [illegible] قال [illegible] قال

زهير [illegible] الصيّخ إذا ما شُدَّ بالنسعِ من عَلُ

[illegible]

مثله [illegible] القوافي [illegible] من

اختلاف [illegible] قيل [illegible] قال [illegible] أن

تراني [illegible] واضعاً إحدى رجليّ على الأخرى، رافعاً عقيرتي،
أعوي في إثر القوافي. قال أبو عبيدة: يقول من فضّل زهيراً على جميع
الشعراء إنّه أمدح القوم وأشدّهم أسر شعر. قال وسمعت أبا عمرو بن
العلاء يقول الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعي يقول زهير والحطيئة
وأشباههما عبيد الشعر لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.
قال [illegible] في
هَرِم [illegible] رضي الله [illegible]

أنشدني بعض ما قال فيكم زهير. فأنشده فقال لقد كان يقول فيكم فيُحسن. فقال يا أمير المؤمنين إنّا كنّا نعطيه فنجزل. فقال عمر رضي الله عنه ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

وممّا سبق إليه زهير فأُخذ منه قوله يمدح هرماً:

هُوَ الجَوَادُ الـذي يُعْطِيكَ نائِلَهُ ... عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْيَانـاً فَيَظَّلِمُ

أي يُسْأَل ما لا يقدر عليه فيتحمَّله. أخذه كُثَيِّر. قال ابن الأَثير في المُرَصَّع ابنَ لَيْلَى المسمَّى به كثيِّر ومن أشهر المسمِّين به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قال كثيِّر:

يا أَيُّها المُتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتَى ... مِثْلَ ابن لَيْلَى لقد خلَّى لك السُّبُلا

أَعْدِدْ ثَلاثَ خِلَالٍ قد جُمِعْنَ لَهُ ... هَلْ سَبَّ من أَحَدٍ أو سُبَّ أو بَخِلَا

فقال:

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى تَعْتَرِي صُلْبَ مالِهِ ... مَسَائِلُ شَتَّى من غَنِيٍّ ومُعْدِمِ

مسائِلُ إنْ تُوجَدْ لَدَيْكَ تَجُدْ بها ... يـداك وإن يُظْلَمْ بهـا تَتَظَلَّمِ

وقال زهير:

كما اسْتَغَاثَ بسَيْءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ ... خافَ العُيُونَ فلم يُنْظرْ به الحَشَكُ

السَّيْءُ اللبن في الضرع، والفزّ ولد البقرة، والغيطلة البقرة، والحشك الدرَّة. أخذه الطرمّاح فقال:

يـ[illegible]ـادرَ ال[illegible] ولم يَنْتَظِرْ ... نُبْـهَ فِيقَـاتِ العُيُونِ النِّيَـام

[illegible] الفِيقة مثل الفُوَاق.

يَطْعُنُهُم ما ٱرْتَمَوْا حتّى إذا ٱطَّعَنُوا ضارَبَ حتّى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

فجمع في بيت واحد صنوف القتال. ومن ذلك قوله:

السِّتْرُ دُونَ الفاحشاتِ ولا يلْقاكَ دُونَ الخَيْرِ مِن سَتْرِ

وممّا يستجاد له:

وذِي نِعْمَةٍ تَمَّمْتَها وشَكَرْتَها وخَصْمٍ يَكادُ يَغْلِبُ الحَقَّ باطِلُهْ
دَفَعْتَ بمَعْرُوفٍ منَ القَوْلِ صائِبٍ إذا ما أَضَلَّ الناطِقِينَ مَفاصِلُهْ
وذي خَطَلٍ في القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائِلُهْ
عَبَأْتَ له حِلْماً وأَكْرَمْتَ غَيْرَه وأَعْرَضْتَ عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ
وذي نَسَبٍ ناءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ بمالٍ وما يَدْري بأَنَّكَ واصِلُهْ
وأَبْيَضَ فَيّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ على مُعْتَفِيهِ ما تُغِبُّ نَوافِلُهْ
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فوَجَدْتُه قُعُوداً لَدَيْهِ بالصَّرِيمِ عَواذِلُهْ
يُفَدّينَهُ طَوْراً وطَوْراً يَلُمْنَهُ وأَعْيَا فما يَدْرِينَ أَيْنَ مَخاتِلُهْ

وأَعْرَضْنَ منه عن كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ جَمُوعٍ على الأَمْرِ الذي هُوَ فاعِلُهْ
أَخِي ثِقَةٍ ما تُذْهِبُ الخَمْرُ مالَهُ ولكِنَّهُ قد يُذْهِبُ المالَ نائِلُهْ
تَرَاهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الّذي أَنْتَ سائِلُهْ

ومن ذلك قوله، ويقال إنّه لولده كعب:

ولَيْسَ لِمَنْ لم يَرْكَبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ولَيْسَ لرَحْلٍ حَطَّهُ اللهُ حامِلُ
إذا أَنْتَ لم تُعْرِضْ عنِ الجَهْلِ والخَنا أَصَبْتَ حَلِيماً أو أصابك جاهِلُ

ومن ذلك قوله:

وفِيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ ... وأَنْدِيَةٌ يَنْتابُها القَوْلُ والفِعْلُ
على مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ والبَذْلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمُ ... فلم يَبْلُغُوا ولم يُلِيمُوا ولم يَأْلُوا

وأخذ العلماءُ عليه قوله يذكر الضفادع:

يَخْرُجْنَ من شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ ... عَلَى الجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء مخافةَ الغمّ والغرق وإنَّما ذلك لأنَّهنَّ يبضْنَ في الشطوط.

وأُخذ عليه قوله:

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُمْ ... ماءٌ بشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أو رَكَكُ

وقال الأَصْمَعيُّ: سألتُ بجَنَبات فَيْد عن الرَّكَكِ فقالوا لي ما هنا رَكَك ولكن رَكّ فعلمتُ أنَّ زهيراً احتاج فضعَّف.
وأُخذ على ابنه كعب قوله في وصف ناقة:

ضَخْمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها

قال الأصمعيُّ هذا خطأ، إنَّما توصف النجائب بدقَّة المذبح.

وممّا يستجاد لكعب ابنه قوله يذكر رجلاً قُتل من مُزَيْنة رهطه:

لَقَدْ وَلَّى أَلِيَّتَهُ جُوَيٌّ ... مَعَاشِرَ غَيْرَ مَطْلولٍ أَخُوها
فإنْ تَهْلِكْ جُوَيُّ فكُلُّ نَفْسٍ ... سَيَجْلِبُهَا لذلك جالِبُوها
وإنْ تَهْلِكْ جُوَيُّ فإنَّ حَوْلِي ... كَظَنِّكَ كان بَعْدَكَ مُوقِدُوها

وما ساءتْ ظُنُونُك يوْمَ تُؤْتَى ... بأَرْماحٍ وَفَى لك مُشْرِعُوها
كأنَّكَ كُنْتَ تعْلَمُ يوْمَ بُزَّتْ ... ثِيَابُك ما سَيَلْقَى سالِبُوها
فما قُلْنا لهم نَفْسٌ بنَفْسٍ ... أَقِيدُونا بها إن لَمْ تَدُوها
ولكنّا دَفَعْناها ظِماءً ... فَرَوَّا بذِكْرِك مُنْهِلُوها
ولو بَلَغَ القَتِيلَ فَعالُ حَيٍّ ... لَسَرَّكَ من سُيُوفِك مُنْتَضُوها

ومن ذلك قوله:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ من شيءٍ لأَعْجَبَنِي ... سَعْيُ الفَتَى وهو مَخْبُوٌّ له القَدَرُ
يَسْعَى الفَتَى لأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا ... والنَّفْسُ واحِدَةٌ والهَمُّ مُنْتَشِرُ
والمَرْءُ ما عاش مَمْدُودٌ له أَمَلٌ ... لا تَنْتَهِي العَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَثَرُ

وكعب القائل:

ومنْ للقَوَافِي شأنُها مَنْ يَحُوكُها ... إذا ما تَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ
يَقُولُ فلا يَعْيَا بِشيءٍ يَقُولُه ... ومن قائِلِيها مَن يُسِيءُ ويَعْمَلُ
يُقَوِّمُها حَتَّى تَلِينَ مُتُونُها ... فيُقْصِرَ عنها كلُّ ما يَتَمَثَّلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى منَ الناس شاعِراً ... تَنَخَّلَ منها مثْلَ ما أَتَنَخَّلُ

وسمعه الكُمَيْت فقال في قصيدة له:

وما ضَرَّها أَنَّ كَعْباً تَوَى ... وفَوَّزَ من بعده جَرْوَلُ

كَعْب بن زُهَير

وكان كَعْبٌ فحلاً مجيداً، وكان يحالفه أبـداً إقْتار وسوءُ حال. وكان أخوه بُجَير أسلم قبله، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكَّة. وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فتوعده فبعث إليه بُجير فحذَّره فقدم على رسول الله ﷺ فبدأ بأبي بكر، فلما سلَّـم النبيُّ ﷺ من صلاة الصُّبْح جاءَ به وهو متلثّم بعمامته، فقال يا رسول الله هذا رجل جاءَ يبايعك على الإسلام، فبسط النبيُّ ﷺ يده، فحسر كعب عن وجهه وقال هذا مقام العائذ بك يا رسول الله أنا كعب بن زهير. فتجهَّمَتْه الأنصار وغلَّظت له لذكره كان قبل ذلك رسول الله ﷺ وأحبَّت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبيُّ ﷺ فآمنه واستنشده:

بانَـتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَهـا لم يُجْزَ مَكْبُولُ

وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذ عرَضَـتْ ... إلاَّ أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وما تَدُومُ على العَهْدِ الَّذي زَعَمَتْ ... كما تَلَوَّنُ في أثوابِهـا الغُولُ

ولا تَمَسَّكُ بالوُدِّ الَّـذي زَعَمَتْ ... إلَّا كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيلُ

كانَـتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلَا ... وما مَوَاعِيـدُهُ إلَّا الأَباطيـلُ

نُبِّئْتُ أَنَّ رسُولَ اللهِ أَوْعَدَني ... والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَبْذُولُ

مَهْلاً هَدَاك الَّذي أَعْطاكَ نافِلَةَ القُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصِيلُ
لا تَأْخُذَنِّي بأَقْوالِ الوُشاةِ ولم أُذْنِبْ ولو كَثُرَتْ فيَّ الأَقاويلُ

فلمّا بلغ قوله:

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ به وصارِمٌ من سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ
في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قال قائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زالوا فمازال أنْكــاسٌ ولا كُشُفٌ يَوْمَ اللِّقاءِ ولا سُودٌ مَعازِيلُ

فنظر رسول الله ﷺ إلى من عنده من قريش كأنَّه يُومي إليهم أن يسمعوا حتَّى قال:

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ البُهْمِ يَعْصِمُهم ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ

يعرّض بالأنصارِ لغِلْظتهم كانت عليه، فأنكرت قريش عليه وقالوا لم تمدحْنا إذ هجوتَهم فقال:

مَنْ سَرَّه شَرَفُ الحَيَاةِ فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالِحِي الأَنْصارِ
الباذِلِــــينَ نُفُوسَهم لنَبِيِّهِمْ يَوْمَ الهِيـاجِ وسَطْوَةِ الجَبَّـارِ
يَتَطَهَّرُونَ كأَنَّـــه نُسُكٌ لهم بدِمـاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ

فكساه النبيُّ ﷺ بُرْدة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاءُ في العيدَيْن. زعم ذلك أَبان بن عثمان ابن عفّان. وقال الحُطَيْئَة لكعب قد علمتم روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعدك فإنّ الناس أروى لأشعاركم فقال:

فمَنْ لِلقَوافِي شَأْنُها مَنْ يَحُوكُها إذا ما مَضَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ

كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس واحِداً تَنَخَّلَ منها مِثْلَ ما يَتَنَخَّلُ

يُثَقِّفُها حتَّى تَلِينَ كُعُوبُها فيُقْصِرَ عنها من يُسِيءُ ويَعْمَلُ

فاعترضه مُزَرِّدٌ أخو الشمّاخ فقال:

فلَسْتَ كحَسَّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ وَلَسْتَ كَشَمَّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

فبَاْسْتِك إنْ خَلَفْتَني خَلْفَ شاعرٍ من الناسِ لا أُكْفَى ولا أَتَنَخَّلُ

وقال الكُمَيْت:

فدُونَكَ مُقْرَبَةً لا تُسَا طُ كَرْهاً بِسَوْطٍ ولا تُرْكَلُ

مُهَذَّبَةً لا كقَوْلِ الهُذا ءِ مِمَّن يُسِيءُ ومَنْ يَعْمَلُ

وما ضَرَّها أنَّ كَعْباً ثَوَى وفَوَّزَ من بَعْدِهِ جَرْوَلُ

النابغة الذُّبْيانيُّ

هو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أُمامة. ويقال أبا ثُمامة. وأهل الحجاز يفضّلون النابغة وزهيراً. وقال شُعَيب بن صَخْر سمعتُ عيسى ابن‌عمر ينشد عامر بن عبد الملك المِسْمَعِيَّ شعر النابغة فقلتُ يا أبا عبد الله هذا والله الشعر لا قول الأَعْشَى:

لَسْنا نُقاتِلُ بالعُصِيِّ ولا نُرامِي بالحِجارَهْ

ويقال: كان النابغة أحسنهم ديباجةَ شعر، وأكثرهم رونقَ كلام، وأجزلهم بيتاً. كان شعره كلاماً ليس فيه تكلُّف. ونبغ بالشعر بعد ما احتنك وهلك قبل أن يُهْتَر. قال وكان يُقْوِي في شعره فعيب ذلك عليه وأسمعوه في غناءٍ:

أَمِنَ آل ميَّـةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ ... عَجْلَانَ ذا زادٍ وغَيْرَ مُزوَّدِ
زَعَم البَوارحُ أَنَّ رِحْلَتَنا غَداً ... وبذاك خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسْوَدُ

ففطن فلم يَعُدْ.

قال الشّعْبيُّ دخلتُ على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه فالتفت إليه عبد الملك فقال مَن أشعر الناس؟ فقال أنا. فأظلم ما بيني وبينه. فقلت من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجَّب عبد الملك من عجلتي! فقال هذا الأخطل. فقلت أشعر منه الذي يقول:

هـذا غُـلامٌ حَسَنٌ وَجْهُـهُ مُسْتَقْبَلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ
للحارثِ الأكبر والحارِث الـ أصْغَرِ والأعْرَجِ خَيْرِ الأنامْ
ثم لِهِنْـدٍ ولِهِنْـدٍ وقَـدْ يُنْجَعُ في الرَّوْضاتِ ماءُ الغَمامْ
سِتَّـةُ آبائِهم مـا هُمُ هُمْ خَيْرُ مَن يَشْرَبُ صَفْوَ المُدامْ

فقال الأخطل صدق يا أمير المؤمنين النابغة أشعر منّي. فقال لي عبد الملك ما تقول في النابغة؟ قلتُ قد فضَّله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرَّة، خرج وببابه وفد غَطَفانَ فقال: أيُّ شعرائكم الذي يقول:

أتَيْتُـكَ عارِيـاً خَلَقـاً ثِيابِي على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ
فألْفَيْـتُ الأمانَـةَ لم تَخُنْهـا كذلِكَ كان نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا النابغة. قال فأيُّ شعرائكم الذي يقول:

حَلَفْتُ فلم أتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ولَيْسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

قالوا النابغة. قال فأيُّ شعرائكم الذي يقول:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عنك واسِعُ

ويروى وازع، قالوا النابغة. قال هذا أشعر شعرائكم.

قال حسّانُ: وفدتُ على النعمان بن المنذر فمدحته فأجازني وأكرمني فإني لجالس عنده ذات يوم إذا صوت من خلف قُبَّته يقول:

أنـامَ أمْ يَسْمَـعُ رَبُّ القُبَّـهْ يا أوْهَبَ الناسِ لِعَنْسٍ صُلْبَهْ
ضَرَّابَـةٍ بالمِشْفَرِ الأذِبَّـهْ ذاتِ نَجاءٍ في يَدَيْها جَذْبَهْ

قال أبو ثُمَامة فدخل فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين. وكان يوم تَرِدُ فيه النعم السود ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلّا لـه، فأمر له منها بمائة بعير معها رعاؤها ومظالّها وكلابها، فلم أدرِ على ما أحسده على جودة شعره أم على جزيلِ عطيّته. قال أبو عبيدة عن الوليد بن رَوْح قال مكث النابغة زماناً لا يقول الشعر فأمر يوماً بغسل ثيابه وعصَّب حاجبَيْه على عينيه فلمّا نظر إلى الناس قال:

المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ وطُولُ عَيْش ما يَضُرُّه
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ ويَبْقَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّه
وتَخُونُـهُ الأَيّامُ حَتّى لا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّه
كَمْ شامِتٍ بِيَ إنْ هَلَكْتُ وقائِلٍ للهِ دَرُّهْ

وممّا يُتمثّل به من شعره:

نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابُوسَ أَوْعَدَني ... ولا قَرارَ علـى زَأْرٍ منَ الأَسَدِ

تمثَّل به الحجّاج بن يوسف حين سخِط عليه عبد الملك بن مروان

وقوله:

فلَوْ كَفِّي اليَمِينُ بَغَتْكَ خَوْناً ... لأَفْرَدْتُ اليَمـينَ منَ الشِّمالِ

أخذه المثقَّب العَبْديُّ فقال:

ولَوْ أنِّي تَخالِفُني شِمالِي ... بنَصْرٍ لم تصاحِبْها يَميـني

وقوله:

فحَمَّلْتَني ذَنْبَ آمرِئٍ وتَركْتَهُ ... كَذِي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ راتِعُ

أخذه الكُميت فقال:

ولا أَكْوِي الصِّحَاح براتِعاتٍ بهنَّ العُرُّ قَبْلي ما كُوينا

وقوله:

وٱسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّدِيق ولا تكُنْ قَتَباً يَعُضُّ بغارِبٍ مِلْحاحا

أخذه ابن ميَّادَةَ فقال:

ما إنْ أُلِحُّ على الإخْوان أَسْأَلُهُمْ كما يُلِحُّ بَعِضٌ الغاربِ القَتَبُ

ويقال إن النابغة هجا النعمان بقوله:

قَبَّــحَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّــى بلَعْنٍ وارثَ الصائِغ الجَبَانَ الجَهُولا

والصائغ هو عطيَّة أبو سَلْمَى أُمّ النعمان.

وكانت العرب تضرب أمثالاً على أَلْسنة الهوامّ. قال المفضَّل الضبّيُّ يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حيَّة غلبت عليها فخرج أَخَوَان يريدانها فوثبت على أحدهما فقتلته فتمكَّن لها أخوه في السلاح، فقالت هل لك أن تؤمنني فأُعطيك كلَّ يوم ديناراً: فأجابها إلى ذلك حتَّى أَثْرَى. ثم ذكر أخاه فقال كيف يَهْنِئني العيش بعد أخي؟ فأخذ فأساً وصار إلى جحرها فتمكَّن لها، فلمّا خرجت ضربها على رأسها فأثَّر فيه ولم يمعن، ثم طلب الدينار حين فاته قتلها. فقالت إنَّه ما دام هذا القبر بفنائي وهذه الضربة برأسي فلستُ آمنك على نفسي. فقال النابغة في ذلك:

تَذَكَّرَ أَنَّي يَجْعَلُ اللهُ فُرْصَةً فيُصْبِحُ ذا مالٍ ويَقْتُلَ واتِرَهْ

فلمّا وَقَاها اللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ وللبِرِّ عَيْنٌ لا تُغَمِّضُ ناظِرَهْ

فقالَتْ معاذَ اللهِ أُعْطِيكَ إنَّني   رَأَيْتُكَ غَدَّاراً يَمِينُكَ فاجِرَهْ
أَبَى ليَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقابلي   وضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رأسِيَ فاقِرَهْ

ومّما أخذ منه قوله:

لَوْ أَنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهِبٍ   عَبَدَ الإلٰـهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنا لِبَهْجَتِها وَحُسْـنِ حَدِيثها   ولَخالهُ رُشْداً وإنْ لم يَرْشُدُ

أخذه ربيعة بن مَقْروم الضبّيُّ فقال:

لَوْ أَنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهِبٍ   في رأس مُشْرِفَةِ الذرى يَتَبَتَّلُ
لَرَنا لَبَهْجَتِها وَحُسْنِ حَدِيثها   ولَهَـمَّ من ناموسِـهِ يَتَنَـزَّلُ

ومما يتمثّل به أيضاً من شعره:

ومَنْ عَصاك فَعاقِبْه مُعاقَبَةً   تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

وهو الذلُّ والهوان.

وقال أوس بن حارثة: المنيَّة، ولا الدنيَّة؛ والنار، ولا العار.

وقال النابغة في العفَّة وهو أحسن ما قيل فيه:

رِقاقُ النِّعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ   يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يَوْمَ السَّباسِبِ

أخذه عديُّ بن زيد فقال:

أَجْـلَ أَنَّ اللهَ قـد فَضَّلَكُمْ   فَوْقَ مَن أَحْكي بصُلْبٍ وإزار

فالصُّلْبُ الحَسَبُ والإزار العفاف.

وفي أمثالهم أصْدَقُ من قطاة. قال النابغة:

تَدْعُو القَطَا وبها تُدْعَى إذا نُسِبَتْ   يا حُسْنَها حِينَ تَدْعُوها فَتَنْتَسِبُ

وذلك لأنَّها تلفظ باسمها، أخذه أبو نُوَاس فقال:

أَصْدَقُ من قَوْلِ قَطاةٍ قَطَا

هو زياد بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة ابن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان وسُمّي النابغة بقوله:

فَقَدْ نَبَغَتْ لنا منهم شُؤُونُ

وكان شريفاً فغضَّ منه الشعر. وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدّه وكانوا له مكرمين. قال ابن الكلبيّ قال حسّان بن ثابت: رحلتُ إلى النعمان فلقيتُ رجلاً فقال أين تريد؟ فقلت هذا الملك. قال فإنَّك إذا جئته متروك شهراً ثم يسأل عنك رأس الشهر ثم أنت متروك شهراً آخر ثم عسى أن يأذن لك، فإن أنت خلوت به وأعجبتَه فأنت مُصيب منه، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاظعنْ فإنَّه لا شيء لك. قال فقدمت عليه ففعل بي ما قال ثم خلوتُ به وأصبت منه مالاً كثيراً ونادمته. فبينا أنا معه في قُبَّة إذ جاءَ رجل يرجز حول القبَّة:

أنِمْتَ أَمْ تَسْمَعُ رَبَّ القُبَّـهْ   يا أَوْهَبَ الناسِ لعَنْسٍ صُلْبَهْ
ضَرَّابَـــةٍ بالمِشْفَرِ الأَذِبَّـــهْ   ذاتِ هِبَابٍ في يَدَيْها جُلْبَهْ

فقال النعمان أبو أمامة فأذنوا له، فدخَل فحيّاه وشرب معه ووردت النَّعَمُ السود ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعلم مكانه ولا يفتحل أحد فحلاً أسود، فاستأذنه أن ينشده، فأنشده كلمته التي يقول فيها:

فإنَّـكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ   إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كَوْكَبُ

فدفع إليه مائة ناقة من الإبل السود فيها رعاؤها، فما حسدت أحداً حسدي النابغة لما رأيتُ من جزيل عطيَّته وسمعتُ من فضل شعره. ثم إنَّ النعمان بُلِّغ عنه شيئاً فنذر دمه فسار النابغة إلى ملوك غسّان.

وقد اختلفوا في السبب الذي بلغه عنه فقال قوم ذكروا أنَّه هجاه فقال:

مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه ... رِخْوُ المَفاصِلِ أَيْرُهُ كالمِرْوَدِ

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها:

قَبَّحَ اللهُ ثم ثَنَّى بلَعْنٍ ... وارِثَ الصائعِ الجَبَانَ الجَهُولا

مَنْ يَضُرُّ الأَدْنَى ويَعْجِزُ عن ضُرِّ الأَقَاصِي ومَن يَخُونُ الخَلِيلا

يَجْمَعُ الجَيْش ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو ... ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا

ووارث الصائغ هو النعمان بن المنذر. وكان الصائغ جدّ النعمان ابن المنذر وأمّه سَلْمَى بنته واسمه عطيَّة ومنزله فَدَك. ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يَقُلْه النابغة، وإنَّما قاله على لسانه قوم حسدوه، منهم عبد قَيْس بن خُفاف التميميُّ ومنهم مُرَّة بن ربيعة بن قَرْثَع السعديُّ. ويقال كان السبب في مفارقته إيّاه ومصيره إلى غسّان أن النعمان قال له وعنده المتجرّدة امرأته صفها لي في شعرك يا أباأمامة، فقال قصيدته التي أوَّلها:

أَمِنَ آل مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ

وقد ذكر فيها بطنها وعكنها ومتنها وروادفها وفرجها فقال:

وإذا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَخْثَمَ جاثِماً ... مُتَحَيِّزاً بمكانِهِ مِلْءَ اليَدِ

وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مُسْتَهْدِفٍ	رابي المَجَسَّةِ بالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ
وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مُسْتَحْصِفٍ	نَزْعَ الحَزوَّرِ بالرِّشاءِ المُحْصَدِ

وكان للنعمان نديم يقال له المنخَّل اليَشْكُرِيُّ يُتَّهَم بالمتجرّدة ويُظَنُّ بولد النعمان منها أنَّهم منه. وكان المنخَّل جميلاً وكان النعمان قصيراً دميماً أبرشَ، فلمّا سمع المنخَّل هذا الشعر قال للنعمان ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلاَّ من قد جرَّب فوقر ذلك في نفسه، وبلغ النابغة ذلك فخافه فهرب إلى غسَّان فصار فيهم وانقطع إلى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر الغسّانيّ وإلى أخيه النعمان بن الحارث فأقام النابغة فيهم فامتدحهم فغمَّ ذلك النعمان وبلغه أن الذي قُذف به عنده باطل، فبعث إليه أنَّك صرتَ إلى قوم قتلوا جدّي فأقمت فيهم تمدحهم، ولو كنت صِرْتَ إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحِصْن أن كنّا أردنا بك ما ظننتَ، وسأله أن يعود إليه. فقال شعره الذي يعتذر فيه. وقَدِمَ عليه مع زَبَّان بن سَيَّار ومنظور بن سيَّار الفَزَاريّين وكان بينهما وبين النعمان دُخْلُل فضرب لهما قبَّة ولا يشعر أن النابغة معهما ودسَّ النابغة أبياتاً من قصيدته:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّنَدِ

وهي:

نُبِّئْتُ أَنَّ أبا قابُوسٍ أَوْعَدَني	ولا قَرارَ على زَأْرٍ من الأَسَدِ
مَهْلاً فِدَاءٌ لك الأقوامُ كُلُّهمُ	وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلَدِ
فلا لَعَمْرُ الَّذي مَسَّحْتُ كَعْبَتَه	وما أُرِيقَ على الأَنْصابِ من جَسَدِ
ما إنْ بَدَأْتُ بشيءٍ أنت تَكْرَهُهُ	إذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ يَدِي

فلمّا سمع النعمان الشعر أقسم بالله أنَّه لشعر النابغة وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريَّين وكلَّماه فيه فأمَّنه.

قال الأصمعيُّ كان النابغة يضرب له قبَّة حمراءُ من أدم بسوق عُكاظ فتأتيه الشعراءُ فتعرض عليه أشعارها. وقال أبو عُبيدة يقول من فضَّل النابغة على جميع الشعراءِ هو أوضحهم كلاماً وأقلُّهم سقطاً وحشواً وأجودهم مقاطعَ وأحسنهم مطالعَ. ولشعره ديباجة إن شئتَ قلتَ ليس بشعر مؤلَّف من تأنُّثه ولينه، وإن شئت قلت صخرة لو رُدِيَتْ بها الجبال لأزالتها. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الأخطل يشبَّه بالنابغة. قال وكان يُقْوِي في شعره، فدخل يثرب فغُنّي بشعره ففطن فلم يعد للأقواء.

وممّا سبق إليه النابغة فأُخذ منه قوله في المرأة:

لو أنَّها عرضت... البيتين

أخذه بعض شعراءِ ضبَّة وأحسبه ربيعة بن مقروم فقال:

لو أنها... البيتين

وقال النابغة:

فاستَبْقِ وَدَّك... البيت

أخذه ابن ميَّادة فقال:

ما إنْ الحُّ... البيت

وممّا أخذه العلماءُ عليه قوله في صفة الثور:

تَحِيدُ عن أَسْتَنٍ سُودٍ أسافِلُهُ مَشْيَ الإماءِ الغَوَادِي تَحْمِلُ الحُزَما

قال الأصمعيُّ: وإنَّما توصف الإماءُ في مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدوّ لأنَّهنَّ يجئن بالحطب إذا رُحْن. ومثله قول الأخنس التغلبيّ:

يَظَلُّ بها رُبْدُ النعام كأنَّها إماءٌ تَزَجَّى بالعَشِيِّ حَوَاطِبُ

وقال بعض من طلب له التخرُّج إنَّما أراد أن الإماءَ تغدو لحمل الحزم رواحاً. وأخذوا عليه قوله:

تَخُبُّ إلى النُّعْمان حتَّى تَنالَهُ فِدى لك من رَبٍّ طَرِيفي وتالِدِي

وكُنْتُ آمْرَءاً الا أمْدَحُ الدَّهْرَ سُوقَةً فلَسْتُ على خَيْرٍ أتاك بحاسِدِ

فامتنَّ عليه بمدحه وجعله خيراً سيق إليه لا يحسده عليه. وأخذوا عليه قوله:

إذا ما غزا بالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَه عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بعَصائِبِ

جوانِحَ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبِيلَهُ إذا ما آلْتَقَى الجَمْعانِ أوَّلُ غالِبِ

جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين. والطير قد تتبع العساكر للقتلى، ولكنَّها لا تعلم أيُّها يغلب، وأخذوا عليه قوله في وصف السيوف:

يَطِيرُ فُضاضاً حَوْلَها كُلُّ قَوْنَسٍ ويَتْبَعُها منهم فَرَاشُ الحَواجِبِ

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الُمضاعف نَسْجُهُ ويُوقِدْن بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ

وذكر أنها تقدُّ الدروع التي ضوعف نسجُها والفارس والفرس حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة. وقال صالح بن حسّان لجلسائه: أعلمتم أن النابغة كان مخنَّثاً؟ قالوا وكيف علمت ذلك؟ قال بقوله:

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَه   فتناولَتْـــه واتَّقَتْنـــا باليَـــدِ

لا والله ما عرف تلك الإشارة إلاَّ مُخَنَّثٌ.

قالوا وقد سبق في صفة الثـور إلى معنى لم يحسن فيه، وأحسن فيه غيره قال يذكره:

من وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُهُ   طاوِي المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

أراد بالفرد أنَّه مسلول من غمده. وأخذه الطرِماح فأحسن قال يذكر الثور:

يَبْــدُو وتُضْمِرُه البلادُ كأنَّـه   سَيْـفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان الأصمعيُّ يستحسن قول الطرمّاح. قالوا وأفرط في وصف العنق بالطول فقال يذكر امرأة:

إذا ارتَعَشَتْ خاف الجَبانُ رِعاثَها   ومَن يَتَعَلَّـقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ

والرعاث القرط. وقال غيره فأحسن:

عَلَى أنْ حِجْلَيْها وإنْ قُلْتَ أُوسِعَا   صَمُوتانِ من مَلْءٍ وقِلَّةِ مَنْطِقِ

ومما سبق إليه ولم ينازَعْه قوله:

فإنَّـكَ كاللَّيْل الذي هو مُدْرِكِي   وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنك واسِعُ

ثم قال:

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينَةٍ   تَمُدُّ بها أَيْدٍ إليك نَوازِعُ

قال أبو محمَّد: رأيتُ قوماً يستجيدونه وهو عندي غير جيّد في

المعنى ولا التشبيه. وكان الأصمعيُّ يكثر التعجُّب من قوله:

وعَيَّرَتْني بنو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ ... وهل عليَّ بأَنْ أَخْشاك مِن عار

قال ومما سبق إليه ولم يجاذَبْه قوله في أوّل شعره:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ

قالوا وقايس في شعره فأحسن، قال للنعمان حين فارقه:

ولكِنَّني كُنْتُ آمْرَءًا لِيَ جانِبٌ ... من الأرض فيه مُسْتَمازٌ ومَذْهَبُ

مُلُوكٌ وإخْوانٌ إذا ما لَقِيتُهم ... أُحَكَّمُ في أَمْوالهم وأُقَرَّبُ

كفِعْلِكَ في قَوْمٍ أراك آصْطَنَعْتَهُمْ ... ولم تَرَهم في شُكْرِ ذلك أَذْنَبُوا

يقول اجعلْني كقوم صاروا إليك وكانوا مع غيرك فاصطنعتهم وأحسنت إليهم ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه. يقول فأنا مثلهم صِرْت عنك إلى غيرك فاصطنع إليَّ فلا ترني مذنباً إذ لم تر أولئك مذنبين.

ومن جيّد شعره قوله:

ولَسْتَ بمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّه ... عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

يقول من لم تُصلحه وتقوّمه من الناس فلستَ بمستبقيه ولا راغب فيه. ويستجاد له قوله في صفة المرأة:

نَظَرَتْ إلَيْكَ بحاجةٍ لم تَقْضِها ... نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجوه العُوَّدِ

يقول نظرت إليك ولم تقدر أن تكلّمك كما ينظر المريض إلى وجوه عُوّاده ولا يقدر أن يكلّمهم. ويستجاد له قوله:

تُكَلِّفُني أَنْ يَفْعَلَ الدَّهْرُ همَّها وهَلْ وَجَدَتْ قَبْلي على الدَّهْر قادِراً

وممّا أكفأ فيه قوله في قصيدة مجرورة أوّلها:

قالت بنو عامرٍ خالُوا بني أَسَدٍ
يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوام

وقال فيها:

تَبْدُو كواكِبُهُ والشَّمْسُ طالِعَةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلامُ إظلامُ

وقال في قصيدته التي أوّلها:

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ وبذاك خَبَّرَنا الغرابُ الأَسْوَدُ

المُسَيَّبُ بن عَلَس

هو من شعراءُ بكر بن وائِل المعدودين وخال الأَعْشَى وهو القائل:

ولَقَـدْ بَلَوْتُ الفاعِلِينَ وفِعْلَهم   فلـذي الرُّقَيْبَـة ما لَـهُ مِثْـلُ
كَفَّـاهُ مُخْلِفَـةٌ ومُتْلِفَـةٌ   وعَطَاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزْلُ

ويُستحسن قوله:

تَبِيـتُ المُلُوكُ عـلى عَتْبِهـا   وشَيْبانُ إنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ
وكالشُّهْـد بالراح أَخْلاقُهُمْ   وأَحْلامُهم منهما أَعْـذَبُ
وكالمِسْـكِ تُـرْبُ مَنامـاتِهم   وريَّـا قُبُورِهِمُ أَطْيَـبُ

هو من خُمَاعة. وهم من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار. ويكنى أبا الفِضَّة، وهو خال الأَعْشَى، أَعْشَى قَيْس. وكان الأعشى راويته واسمه زُهَير بن عَلَس. وإنَّما لقّب المسيّب ببيت قاله. وهو جاهليٌّ لم يدرك الإسلام، وكان امتدح بعض الأعاجم فأعطاه ثم أتى عدوًّا له من الأعاجم يسأله فسمَّه فمات ولا عقب له.

وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله يذكر ثغر المرأة:

كـأنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيـل بـه   إذْ ذُقْتَـهُ وسُلافَـةَ الخَمْر
شَرِق بمـاءِ الـذَّوْبِ أَسْلَمَهُ   للمُبْتَغِيـهِ مَعاقِـلُ الدَّبْر

وقال الجَعْديُّ:

وكـأنَّ فاهـا بـات مُغْتَبِقـاً بَعْدَ الكَرى من طَيِّبِ الخَمْرِ
شَرِقـاً بمـاء الـذَّوْبِ أَسْلَمَهُ بالطَّوْدِ أيْمَنُ من قُرَى النَّسْرِ

وقال المسيّب في النَّحْل:

سُود الرُّؤُوسِ لصَوْتِها زَجَلٌ مَحْفُوفة بمَسارِبٍ خُضْرِ

وقال الجَعْديُّ:

قُرْع الرُّؤُوس لصَوْتِها زَجَلٌ في النَّبْعِ والكَحْلاء والسِّدْرِ
بَكَرَتْ تُبَغِّي الخَيْرَ في سُبُلٍ مَخْرُوفـةٍ ومسارِبٍ خُضْـرِ

وقال المسيّب يذكر النحل:

بَكَرَتْ تَعَرَّضُ في مَراتِعِهـا فَوْقَ الهِضـابِ بمَعْقِـلِ الوَبْرِ
وغَـدَتْ لمَسْرِحِهـا وخالَفَهـا مُتَسَرْبِلٌ أَدَمـاً علَى الصَّدْرِ
فأصاب ما حَذِرَتْ ولو عَلِمَتْ حَدِبَـتْ عليـه بِضَيِّـقٍ وَعْرِ
حَتَّـى تَحَـدَّرَ من عَوَازِبِـهِ أُصُـلاً بسَبْـعِ ضَوَائِنَ وُفْرِ

وقال الجَعْديُّ:

حَتَّـى إذا عقلـت وخالَفَهـا مُتَسَرْبِـلٌ أَدَماً عـلى الصَّدْرِ
صَـدَعٌ أُسَيِّـدٌ من شَنُوءَةَ مَشَّاءٌ قَتَلْنَ أبـاه في الدَّهْرِ
يَمْشي بمِحْجَنِـه وقِرْبَتِـهِ مُتَلَطِّفـاً كتَلَطُّـفِ الوَبْرِ
فأصـابَ غِرَّتَهـا ولو شَعَرَتْ جَدِبَـتْ عليـه بضَيِّـقٍ وَعْرِ
حتَّـى تَحَـدَّرَ من منازِلِهـا أُصُـلاً بسَبْـغِ ضَوائِنَ وُفْرِ

ومما يستجاد له من شعره قوله في ذي الرُّقَيبة:

ولقد شهدت... البيتين

وقوله في بني شيبان:

تبيت الملوك... الثلاثة الأبيات

وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله في الناقة:

مَرِحَتْ يَداها للنّجاء كأنّما ... تَكْرُو بكَفّيْ ماقِطٍ في قاعِ

تكرو: تلعَبُ بالكُرَة، والماقط: الذي يضرب بالكُرَة الحائطَ ثم يأخذها .أخذه الشمَّاخُ فقال:

كأنَّ أَوْبَ يَدَيْها حينَ عاودَها ... أَوْبُ المِراحِ وقد هَمُّوا بتَرْحالِ

مَقْطُ الكُرِينَ على مكنوسَةٍ زَلَفٍ ... في ظَهْرِ حَنَّانةِ النِّيرينْ مِغْوالِ

ويستجاد له قوله:

لو كُنْتَ من شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كُنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَـةَ البَـدْرِ

ويستجاد له قوله في المرأة:

تأْمَنُ فُؤَادَكَ إذ لـه عَرَضَتْ ... حَسَنٌ برَأْيِ العَيْنِ ما تَمِقُ

بانَتْ وصَـدْعٌ في الفُؤَادِ بها ... صَدْعَ الزُّجاجَـةِ لَيْسَ يَتَّفِـقُ

وأخذ عليه قوله في الناقة:

وكأنَّ غارِبَها رباوَةُ مَخْرِمٍ ... وتَمُـدُّ ثِنْيَ جَدِيلِهـا بشِراعِ

أراد تَمُدُّ جديلَها بعُنق طويلة. والجديل الزمام. وأراد أن يشبّه العُنق بالدقل فشبَّهها بالشراع. قال ابن الاعرابيّ لم يعرف الشراع من

الدقل وليس هذا عندي غلطاً، والشراع يكون على الدقل فسُمّي باسمه والعرب تسمّي الشيء باسم غيره إذا كان معه وبسببه، يدلُّ على ذلك قول أبي النَّجْم:

كـأنَّ أهْدامَ النَّسِيـلِ المُنْسَلِ على يَدَيْها والشِّـراعِ الأطْوَلِ

أراد بقايا الوَبَر على يديها وعنقها فسمَّى العُنق شِراعاً.

المُتَلَمِّسُ

هو جَرير بن عبد المسيح من بني ضُبَيعة. وأخواله بنو يَشْكُر. وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، وهو الذي كان كتب له إلى عامل البَحْرَيْن مع طَرَفَة بقتله وكان يدفع كتابه إلى غلام بالحيرة ليقرأه فقال له: أَنْتَ المتلمّس؟ قال: نعم، قال: فالنجاء فقد أمر بقتلك، فنبذ الصحيفة في نهر الحيرة وقال:

أَلْقَيْتُها بالثِنْيِ من جَنْبِ كافِرٍ ... كذلِكَ أُقْنِي كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ
رَضِيتُ لها بالماءِ لمّا رَأَيْتُها ... يَجُولُ بها التَيَّارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

وكان أشار على طرفة بالرجوع فأبى عليه فهرب إلى الشأم فقال:

مَنْ مُبْلِغُ الشُعَراءِ عن أَخَوَيْهِمُ ... خَبَراً فتَصْدُقَهُمْ بذاك الأَنفُسُ
أَوْدَى الّذي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ منهما ... ونَجَا حِذَارَ حِبائِهِ المُتَلَمِّسُ
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لا أبا لك إنَّه ... يُخْشَى عليك من الحِباءِ النِقْرِسُ

ومن جيّد شعره قوله:

وما كنتُ إلاّ مِثْلَ قاطِعِ كَفِّه ... بكَفٍّ له أُخْرَى فأَصْبَحَ أَجْذَمَا
يَداه أصابَتْ هذه حَتْفَ هذه ... فلم تَجِد الأُخْرَى عليها مُقَدَّما
فلمّا استقاد الكفَّ بالكَفِّ لم يَجِدْ ... له دَرَكاً في أن تبينا فأَحْجَمَا

فأَطْرَقَ إطْراقَ الشُجاعِ ولو رأى مَساغاً لنابَيْه الشُّجاعُ لَصَمَّما
لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليوم ما تُقْرَعُ العَصَا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا لِيَعْلَمَا

ومن إفراطه قوله:

أحارِثُ إنَّا لو تُساطُ دِماؤنا تزايَلْنَ حتّى لا يَمَسَّ دَمٌ دَما

يقول إن دماءهم تماز من دماء غيرهم، وهذا ما لا يكون.

وسُمّي المتلمّس بقوله:

وذاك أوَانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبابُهُ زَنَابِــيرُهُ والأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

العِرْض الوادي. ويُرْوَى حيٌّ ذبابُه.

هو المتلمّس بن عبد العُزَّى، ويقال ابن عبد المسيح من بني ضُبيعة ابن ربيعة، ثم من بني دَوْفَنٍ. وأخواله بنو يشكر، واسمه جرير. وسُمّي المتلمّسَ بقوله:

فهذا أوانُ العِرْضِ حَيًّا ذُبابَه زنابــيرهُ والأَزْرَقُ المتلمِّسُ

وكان ينادم عمرو بن هند مَلك الحيرة هو وطَرَفة بن العَبْد فهَجَواه فكتب لهما إلى عامله بالبَحْرَيْن كتابَيْن أوهمهما أنَّه آمر لهما فيهما بجوائز وكتب إليه يأمره بقتلهما فخرجا حتّى إذا كانا بالنَّجَف إذا هما بشيخ على يسار الطريق يُحْدِث ويأكل من خبز في يده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه. فقال المتلمّس ما رأيتُ كاليوم شيخاً أحمق! فقال الشيخ وما رأيتَ من حُمْقِي: أُخْرِجُ خَبيثاً وأُدْخِلُ طيّباً وأقتل عدوًّا، أحمقُ منّي والله مَن حاملٌ حتفَه بيده. فاستراب المتلمّس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة فقال له المتلمّس أتقرأ يا غلام؟ قال نعم. ففكَّ صحيفته ودفعها إليه فإذا فيها: أمّا بعدُ، فإذا

أتاك المتلمّس فاقطعْ يديه ورجليه وادفنه حيًّا. فقال لطَرَفة ادفع إليه صحيفتك يقرأها ففيها والله ما في صحيفتي، فقال طَرَفة كَلاَّ، لم يكن ليجترىء عليَّ. فقذف المتلمّس بصحيفته في نهر الحِيرَة وقال:

قذفتُ بها... البيت

وأخذ نحو الشأم وأخذ طرفة نحو البحرين فضُرِب المثل بصحيفة المتلمّس. وحرَّم عمرو بن هند على المتلمّس حَبَّ العراق فقال:

آليْتُ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ آكُلُهُ   والحَبُّ يأكُلُه في القَرْيَةِ السُّوسُ

وأتى بُصْرَى فهلك بها. وكان له ابن يقال له عبد المدان أدرك الإسلام وكان شاعراً وهلك ببُصْرى ولا عقب له.

قال أبو عُبَيدة: واتَّفقوا على أن أشعر المُقِلّين في الجاهليَّة ثلاثة: المتلمّس والمسيَّب ابن عَلَس وحُصَين بن الحُمَام المُرّيُّ.

ومّما يعاب من شعره قوله:

وقد أَتَناسَى الهَمَّ عِنْدَ احتضارِه   بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصيعريَّة سِمَة للنوق لا للفُحُول فجعلها لفحل وسمعه طَرَفة وهو صبيٌّ ينشد هذا فقال استَنْوَقَ الجملَ، فضحك الناس وسارت مَثَلاً. وأتاه المتلمّس فقال له أَخرج لسانك، فأخرجه، فقال ويل لهذا من هذا. يريد ويل لرأسه من لسانه. ويعاب قوله:

أحارثُ أنّا لو تُشاط... البيت

وهذا من الكذب والإفراط. ومثله قول رجل من بني شيبان: كنتُ أسيراً مع بني عمّ لي وفينا جماعة من موالينا في أيدي التغالبة

فضربوا أعناق بني عمّي وأعناق الموالي على وَهْدة من الأرض، فكنت والله أرى دم العربيّ يماز من دم المولى حتى أرى بياض الأرض بينهما فإذا كان هجيناً قام فوقه ولم يعتزل عنه.

ويتمثَّل من شعره بقوله:

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَــقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ ... وتَقْوَى اللهِ من خَيْرِ العَتَـادِ
لَحِفْظُ الحـالِ أَيْسَرُ من بُغاهُ ... وضَرْبٍ في البِلادِ بغَيْرِ زادِ
وإِصْـلاحُ القَليـلِ يَزِيـدُ فيـه ... ولا يَبْقَى الكثيرُ على الفَسادِ

طَرَفَة بن العَبْد

هو طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان. وهو أجودهم طويلةً وهو القائل:

لخَوْلَةَ أطْلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ

وله بعدها شعر حسن. وليس عند الرُّواة من شعره وشعر عَبيد إلّا القليل. وكان في حَسَب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مَرْثَد، وكان عبد عمرو سيّد أهل زمانه فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه فقال:

ولا عَيْبَ فيه غَيْرَ أنَّ له غِنًى وأَنَّ له كَشْحاً إذا قام أَهْضَمَا
وإنَّ نساءَ الحَيّ يَعْكُفْنَ حَوْلَه يَقُلْنَ عَسِيبٌ من سَرَارةِ مَلْهَما

فبلغ عمرو بن هند الشعر فخرج يتصيَّد ومعه عبد عمرو فأصاب حماراً فعقَرَه وقال لعبد عمرو أنزل إليه فنزل إليه فأعْياه فضحك عمرو بن هند وقال لقد أبصرك طرفة حين قال: ولا عيب... البيت.

وكان عمرو بن هند شرّيراً وكان طرفة قال له قبل ذلك:

لَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرو رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ

فقال عبد عمرو أبيت اللعن الذي قال فيك أشدُّ ممّا قال فيَّ، قال

وقد بلغ من أمره هذا، قال نعم فأرسل إليه وكتب له إلى عامله بالبحرين فقتله. وقد بيَّنتُ خبرَه في كتاب الشراب. ويقال إنَّ الذي قتله المعلَّى بن حَنَش العبديُّ. والذي تولَّى قتله بيده معاوية بن مُرَّة الأَيْفُليُّ َحيّ من طَسْم وجَديس. ومن جيِّد شعره قوله:

أرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخيلٍ بمالِهِ ... كقَبْرِ غَوِيٍّ في البَطَالة مُفْسِدِ
أرَى المَوْتَ يَعْتامُ الكَرِيمَ ويَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أَرَى الدَّهْرَ كَنْزاً ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وما تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ
لعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ ما أَخْطَأَ الفَتَى ... لكالطِوَلِ المُرْخَى وثِنْياه في اليَدِ

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير فأبى أعمامهُ أن يقسموا ماله فقال:

ما تَنْظُرُونَ بمالِ وَرْدَةَ فيكُمُ ... صَغُرَ البَنُونَ ورَهْطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ
قد يَبْعَثُ الأمرَ العظيمَ صَغيرُهُ ... حَتَّى تَظَلَّ له الدِّماءُ تَصَبَّبُ
والظُّلْمُ فَرَّقَ بين حَيَّيْ وائِلٍ ... بَكْرٌ تُساقِيها المَنايا تَغْلِبُ
والصِّدْقُ يَأْلَفُهُ الكَرِيمُ المُرْتَجَى ... والكِذْبُ يَأْلَفُهُ الدَّنِيُّ الأَخْيَبُ

ويتمثَّل من شعره بقوله:

وتَرُدُّ عنك مَخيلَةَ الرَّجُلِ العِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عنِ العَظْمِ
بحُسامِ سَيْفِكَ أو لِسانِك والكَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ

وبقوله:

لَنا يَوْمٌ وللكِرْوانِ يَوْمٌ ... تَطِيرُ البائِساتُ ولا نَطِيرُ

الكِرْوان جمع كَرَوان مثل شِقْذان وهي دويَّبة.

ويقال إن أوّل شعر قاله طرفة أنّه خرج مع عمّه في سفر فنصب فخًّا فلمّا أراد الرحيل قال:

يـــا لَــكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ خَلا لَكِ الجَوُّ فبيضي وٱصْفِري
ونَقِّري ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّري قـد رُفِعَ الفَخُّ فماذا تَحْذَري
لا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُصادِي فٱصْبِري

قال أبو محمَّد: هو طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بـن عُباد بن صَعْصَعَة بن قيس بن ثعلبة. ويقال إنَّ اسمه عمرو وسمّي طرفة ببيت قاله. وأمُّه وَرْدَة من رهط أبيه وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقّها:

ما تَنْظُرُون بحَقّ... البيت

وكان أحدث الشعراء سِنًّا وأقلّهم عُمْراً، قُتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين. وكان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلّها في الجام الذي في يده فقال:

أَلَا يا بِأَبِي الظَّبْيُ ٱلَّذِي يَبْرُقُ شَنْفاهُ
ولوْلا المَلِـكُ القاعِدُ قد أَلْثَمَنِي فاهُ

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً:

وَلَيْـتَ لنا مَكانَ المُلْكِ عَمْرٍو رَغُوثــاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَـدُورُ
لعَمْرُكَ إنَّ قابوسَ بن هِنْـدٍ ليَخْلِــطُ مُلْكَـه نُوكٌ كَثـيرُ

وقابوس هو أخو عمرو بن هند وكان فيه لين ويسمَّى قَيْنة العُرس فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حَوْثَرة عامله على البَحْرَيْن كتاباً أوهمه فيه أنَّه أمر له بجائزة وكتب للمتلمّس بمثل ذلك. قال أبو محمَّد: وأمّا المتلمّسَ فقد ذكرت قصَّته، وأمّا طرفة فمضى بالكتاب فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتّى أثمله ثم فَصَدَ أكحلَه فقَبْرهُ بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له مَعْبَد بن العبد فطلب بديته فأخذها من الحواثر.

قال أبو عبيدة مرَّ لبيدٌ بمجلس لنَهْدٍ بالكوفة وهو يتوكأ على عَصاً فلمّا جاوز أمروا فتًى منهم أن يلحقه فيسأله مَن أشعر العرب ففعل فقال له لبيد الملك ٱلضِلِّيل يعني امرأ القيس. فرجع فأخبرهم. قالوا ألَّا سألته ثم من؟ فرجع فسأله فقال ابن العشرين يعني طرفة. فلمّا رجع قالوا: ليتك كنت سألتَه ثم مَن؟ فرجع فسأله فقال: صاحب المِحْجَن يعني نفسَه.

قال أبو عبيدة طرفة أجودهم، وأجِدُه لا يلحق بالبحور يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة، ولكنّه يوضع مع أصحابه الحارث بن حِلّزة وعمرو بن كلثوم وسُوَيد بن أبَي كاهل.

وممّا سبق إليه طرفة فأخذ منه قوله يذكر السفينة:

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حَيْزُومُها بها   كما قسَمَ التُّرْبَ الْمُفايِلُ باليَدِ

أخذه لبيد فقال:

تَشُقُّ خَمَائِلَ الدَّهْنَا يداه   كما لَعِبَ الْمُقامِرُ بالفِئال

وأخذه الطِّرمّاح فقال:

وغَدا يَشُقُّ يداه أوساطَ الرُّبا   قَسْمَ الفِئالِ يَشُقُّ أوسَطَه اليَدُ

ومن ذلك قوله:

ومكـانِ زعِـل ظِلْمانُـه كالمَخاض الجُرْب في اليوم الخَدِرْ
قـد تبطَّنْـتُ وتحْتِي سُرُحٌ تتّقـي الأرض بمَلْثوم معِرْ

أخذه عديٌّ بن زيد ولَبيد فقال عديٌّ:

ومكـانِ زَعِـلِ ظِلْمانُـهُ كرجال الحُبْش تَمْشِي بالعَمَدْ
قـد تَبطَّنْـتُ وتَحْـتي جَسْرَةٌ عُبْرُ أسْفـارِ كمِخْراقِ وحَـدْ

وقال لبيد:

ومكـانِ زَعِـلِ ظِلْمانُـه كحَزِيـق الحَبْشِيِّـينَ الزُّجَـلْ
قـد تَبَطَّنْـتُ وتحتى جَسْرَةٌ حَرَجٌ في مِرْفَقَيْهـا كالفتَـلْ

ومن ذلك قوله:

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى وجَدِّك لم أحفِلْ مَتَى قام عُوَّدِي
فمنهنَّ سَبْقِي العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وكَرِّي إذا نادَى المُضافُ مُحَنَّباً كسِيـدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ
وتَقْصِيرُ يَوْم الدَّجْن والدَّجْنُ مُعْجِبٌ
ببَهْكَنَـةٍ تَحْتَ الخِبـاءِ المُعَمَّـدِ

أخذه عبدالله بن نَهيك بن أساف الأنصاريُّ فقال:

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى وجَدِّكَ لم أحْفِلْ مَتَى قام رامِسُ
فمنهنَّ سَبْقِي العاذلاتِ بشَرْبَةٍ كأنَّ أخاها مَطْلَعَ الشّمْسِ ناعِسُ
ومنهنَّ تَجْرِيدُ الكَواعِبِ كالدُّمَى إذا ٱبْتُزَّ عن أكْفالِهِنَّ المَلابِسُ

ومنهن تَقْرِيطُ الجَوَادِ عِنانَه إذا اسْتَبَقَ الشَّخْصَ الخَفِيَّ الفوارسُ

ومما سبق إليه قوله:

سَتُبْدِي لك الأَيَّامُ ماكنت جاهِلاً ويأْتِيكَ بالأَخْبارِ مَن لم تُزَوِّدِ

وقال غيره:

ويأْتِيك بالأَنْباءِ من لم تَبِعْ له بَتاتاً ولم تَضْرِبْ له وَقْتَ مَوْعِدِ

ومن جيّد شعره:

أَلاَ أَيُّها اللاَّحِيَّ أَنْ أَحْضُرَ الوَغَى
وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنت مُخْلِدِي

فإنْ كنتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتي فَذَرْنِي أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يَدِي

أَرَى قَبْرَ نَحَّام بَخيل بماله... البيت

أَرَى الدَّهْرَ كنزاً... البيتين

ومن جيّد شعره:

ولا غَرْوَ إلّا جارتي وسُؤالُها أَلاَ هل لنا أَهْلٌ سُئِلْتِ كذلكِ

دعا عليها بأن تغترب حتّى تُسأل كما سألَتْه.

ومن حسن الدعاء قول النابغة الذبيانيّ:

أَغَيْرَك مَعْقِلاً أَبْغِي وحِصْناً فأَعْيَتْني المَعاقِلُ والحُصُونُ

وجِئْتُك عارِياً خَلَقاً ثِيابِي على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ

العاري من عراك يَعْرُوك إذا أتاك يطلب ما عندك ونحوه العافي. ومن جيّد شعر طرفة:

وأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بالظَّنِّ أَنَّــه إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ
وإنَّ لِسانَ المَرْءِ ما لم تَكُنْ له حَصــاةٌ عـلى عَوْراتِـهِ لَدَلِيـلُ
وإنَّ آمْرءًا لم يَعْفُ يَوْماً فُكَاهَةً لِمَنْ لم يُرِدْ سُوءًا بها لَجهُولُ

وقال وهو صبيٌّ:

كُـلُّ خَلِيـلٍ كنـتُ خالَلْتُـه لا تَرَكَ اللهُ لــه واضِحَـهْ
كلُّهم أَرْوَغُ من ثَعْلَــــبٍ مـا أَشْبَـهَ اللَّيْلَـةَ بالبارِحَـهْ

وممّا يعاب من شعره قوله يمدح قوماً:

أُسْدُ غِيلٍ فإذا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كُـــلَّ أَمُونٍ وطِمِرْ
ثُمَّ راحُوا عَبَــقُ المِسْكِ بهم يلْحَفُونَ الأَرْضَ هُدَّابَ الأُزُرْ

ذكر أنَّهم يُعطون إذا سكروا ، ولم يشرط لهم ذلك في صحوهم كما قال عنترة:

وإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهْلِكٌ مالي وعِرْضِي وافِرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فما أُقصِّرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتِ شَمائِلِي وتَكَرُّمِي

قالوا والجيِّد قول زُهَير:

أَخُو ثِقَـةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مالَهُ ولكنَّـه قـد يُتْلِفُ المالَ نائِلُهْ

وقال بعض المُحْدَثين:

فَتًـى لا تَلُوكُ الخَمْرُ شحْمَةَ ماله ولكِنْ عطايــا عُوَّدٌ وبَوَادِي

وطَرَفة أوَّل من ذكر الأُدْرَةَ في شعره فقال:

فما ذَنْبُنا في أَنْ أداءَتْ خُصاكُمُ   وأَنْ كُنْتُمُ في قَوْمكم مَعْشَراً أُدْرا

إذا جَلَسُوا خَيَّلْتَ تَحْتَ ثِيابِهِمْ   خَرانِقَ تُوفِي بالضَّغِيبِ لها نَذْرا

وذكرها النابغة الجعديُّ فقال:

كَذِي داءٍ بإحْدَى خُصْيَتَيْه   وأُخْرَى لم تَوَجَّع من سَقامِ

فضَمَّ ثيابَهُ من غيرِ بُرْءٍ   على شَعْراءَ تُنْقَضُ بالبِهامِ

وطرفة أوَّل من طَرَدَ الخَيَال فقال:

فقُلْ لِخَيَال الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبْ   إليها فإنّي واصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ

وقال جَرِيرٌ:

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلُوب ولَيْسَ ذا   وَقْتَ الزِيّارَةِ فَارْجِعِي بسَلاَم

قال الأصمعيُّ قلتُ لشيخ مُسِنٍّ من المدنيّين أرأيت قول كثّير:

قد أَرُوعُ الخَلِيلَ بالصُّرْم مِنّي   لم يَخَفْه وقلّةِ التّكَلُّمِ

أيُّ شيءٍ هذا من السِّبَاب؟ فقال يا ابن أمّ أيَّ شيءٍ يصنع أحرقته.

الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُريُّ

هو من بني يَشْكُر من بكر بن وائل. وكان أبرص وهو القائل:

آذنَتْنــــا ببَيْنِهــــا أسْاءُ رُبَّ ثــاوٍ يُمَــلُّ منه الثَّوَاءُ

ويقال إنَّه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً في شيءٍ كان بين بكر وتغلب بعد الصلح، وكان ينشده من وراءِ السِّجْف للبرص الذي كان به فأمر برفع السِّجْف بينه وبينه استحساناً لها. وكان الحارث متوكّئاً على عَنْزة فارتزَّتْ في جسده وهو لا يشعر، وكان له ابن يقال له مذعور ولمذعور ابن يقال له شِهاب بن مذعور وكان ناسباً وفيه يقول مِسْكين الدارميُّ:

هَلُمَّ إلى ابن مَذْعورٍ شهــابٍ يُنَبِّــىءُ بالسِّفــال وبالمَعَــالي

قال الأصمعيُّ قد أقوى الحارث بن حِلِّزة في قصيدته التي ارتجلها قال:

فملَكْنــا بذلــك النــاسَ إذْ ما مَلَــكَ المُنْــذِرُ بنُ مــاءِ السَّماءِ

قال أبو محمَّد ولن يضرَّ ذلك في هذه القصيدة لأنَّه ارتجلها فكانت كالخطبة. وممّا يُتمثَّل به من شعره:

فعِشْ بجَـــــــدٍّ لا يَضرْ كَ النُّوكُ ما أُوتِيتَ جَـدًّا

والنُّــوكُ خَيْــرٌ في ظِـلاَ لِ العَيْشِ مِمَّنْ عــاشَ كَـدًّا

لَقيط بن معْمَر

هو لقيط بن معمر من إياد. وكانت إياد أكثر نِزَار عدداً وأحسنهم وجوهاً وأمدَّهم وأمنعهم. وكانوا لَقَاحاً لا يؤدُّون خرجاً وهم أوَّلُ مَعَديّ خرج من تهامة فنزلوا السواد وغلبوا على ما بين البحرين إلى سنْداد والخَوَرْنَق. وسِنْداد نهر كان بين الحيرة إلى الأُبُلَّة، وكانوا أغاروا على أموال لأنوشروان فأخذوها فجهَّز إليهم الجيوش فهزموهم مرَّةً بعد مرَّة. ثم إن إياداً ارتحلوا حتَّى نزلوا الجزيرة فوجَّه إليهم كسرى بعد ذلك ستِّين ألفاً في السلاح، وكان لقيط متخلِّفاً عنهم بالحيرة فكتب إليهم:

سَلاَمٌ في الصَّحِيفَةِ من لَقيطٍ ... إلـى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأَنَّ اللّيْثَ كِسْرَى قد أَتاكُمْ ... فلا يَشْغَلْكُمُ سَوْقُ النِّقادِ
أتــاكُمْ مِنْهُمُ ستُّون أَلْفــاً ... يَزُجُّـون الكَتائِبَ كالجَـرَادِ
عــلى خَنَــقٍ أَتَيْنَكُمُ فهـذا ... أَوَانُ هلاَكِكُمْ كهلاك عاد

فاستعدَّت إياد لمحاربة جنود كسرى ثم التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً أُصيب فيه من الفريقين ورجعت عنهم الخيل، ثم اختلفوا بعد ذلك فلحقت فرقة بالشام وفرقة رجعت إلى السواد وأقامت فرقة بالجزيرة. وفي هذه القصَّة يقول أيضاً في قصيدته:

يا دارَ عَبْلَةَ من مُحْتَلّها الجرَعَا

يا لَهْفَ نفْسِيَ إنْ كانت أمورُكُم شَتّى وأُبْرِمَ أمرُ الناس فاجْتَمَعا

أحْرارُ فارِسَ أَبْناءُ المُلُوك لهم من الجُمُوع جُموعٌ تَزْدَهِي القَلَعا

فهم سِراعٌ إليكم بين مُلْتَقِطٍ شَوْكاً وآخرَ يَجْنِي الصابَ والسَّلَعا

هو الجَلاءُ الّذي تَبْقَى مَذَلّتُه إنْ طارَ طائرُكُم يوماً وإنْ وَقَعا

قُومُوا قِياماً على أَمْشاطِ أَرْجُلِكُمْ ثم آفْزَعُوا قد يَنالُ الأَمْنَ مَن فَزِعَا

وقلِّــــدُوا أَمْرَكم لله دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّراعِ بأَمْرِ الحرب مُضْطَلِعا

لا مُتْرفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَه ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعا

ما زالَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرَهُ يَكُونُ مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعا

حتّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُه مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لا قَحْماً ولا ضَرَعا

أَوْس بن حَجَر

هو أَوْس بن حَجَر بن عتّاب. قال أبو عمرو بن العَلاء كان أوس فحل مُضَر حتّى نشأ النابغة وزُهير فأخملاه. وقيل لعمرو بن معاذ وكان بصيراً بالشعر: مَن أشعر الناس؟ فقال أَوْس. قيل ثم مَن؟ قال أبو ذُؤَيب. وكان أوس عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم للحُمُر والسلاح ولا سيَّما للقوس وسبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة وهو القائل:

وجاءَتْ سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... بأكْثَرِ ما كانوا عَدِيداً وأَوْكَعُوا

أوكعوا اشتدُّوا. يقال استوكعت المَعِدة وأوكعت إذا اشتدَّت.

وفي أمثال العرب: أَسْمَحَتْ قَرُونَتُه أي سمحت نفسه. قال أوس:

فلاقَى آمْرَءًا من مَيْدَعانَ وأَسْمَحَتْ ... قَرُونتُه باليَأْسِ منها فعَجَّلا

ويقال رجل مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ إذا كان ولّاجاً خرّاجاً قال أوس:

وإنْ قال لي ماذا ترى يَسْتَشِيرُني ... يَجِدْني ابنُ عَمّي مِخْلَطَ الأَمْرِ مِزْيَلا

ومن جيّد معانيه قوله:

وما أنا إلَّا مُسْتَعِدٌّ كما تَرَى ... أخو شُرَكِيّ الوِرْدِ غَيْرُ مُعَتِّمِ

وشُرَكيٌّ وِرْدُ ماءٍ في إثر ماءٍ وهو المتتابع، يقول أغشاهم بما يكرهون ومنه يقال فلان يتورَّدُنا بشرٍّ معتِّم غير مُحْتَبِسٍ، وقوله:

وإنْ هَزَّ أقْوامٌ إليَّ وحَدَّدُوا ... كَسَوْتُهُمُ من خَيْرِ بَزٍّ مُتَحَّمِ

هزّ من السَّيْر، ومتحَّم من الأَتْحميّ وهو بُرْدٌ، وهذا مَثَلٌ ضربه يقول إنَّه يهجوهم بأَخْبَث هجاءٍ يقدر عليه. ومنه قول الآخر:

سأَكْسُوكما يا ٱبْنَيْ يَزيد بن جُعْشُمٍ ... رِداءَيْنِ من قِيرٍ ومن قَطِرانِ

وقال أوس:

تَرَكْتُ الخَبيثَ لم أُشارِكْ ولم أَدِقْ ... ولكِنْ أَعَفَّ اللهُ مالي ومَطْعَمِي

لم أَدِقْ لم أَدْنُ، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

كانت إذا وَدَقَتْ أَمْثالُهُنَّ له ... فبَعْضُهُنَّ عنِ الأُلَّافِ مُنْشَعِبُ

وقال أوس:

فقَوْمِي وأَعْدائي يَظُنُّونَ أَنَّني ... مَتَى يُحْدِثُوا أَمْثالَها أَتَكَلَّم

يظنُّون يُوقنون، وليس من ظنّ الشكّ. قال الله جلَّ وعزّ وظَنُّوا أَلَّا مَلْجَأَ مِن اللهِ إلَّا إلَيْهِ. أي أيقنوا.

قال أوس يصف قَوْساً:

كَتُومٌ طِلاعُ الكَفِّ لا دُونَ مِلْئِها ... لا عَجْسُها عن مَوْضِعِ الكَفِّ أَفْضَلَا

إذا ما تَعاطَوْها سَمِعْتَ لصَوْتِها ... إذا أَنْبَضُوا عنها نَئِيماً وأَزْمَلَا

النئيم صوت البوم. والأزمل صوت الجنّ. ثم وصف النابل والنبل فقال:

كَساهُنَّ من رِيشٍ يَمانٍ ظَواهِراً ... سُخاماً لُؤَاماً لَيِّنَ المَسِّ أَصْحَلَا

يَخُرْنَ إذا أُنْفِزْنَ في ساقِطِ النَّدَى ... وإنْ كان يَوْماً ذا أَهاضِيبَ مُخْضِلَا

خُوارَ المَطافِيلِ المُلَمَّعَةِ الشَّوَى وأَطْلاؤُها صادَفْنَ عِرْنانَ مُبْقِلا

ثم وصف السيف فقال:

كأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَى ومَدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْداً فأَسْهَلَا

على صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينِ جِلائِهِ كَفَى بالَّذِي أَبْلَى وأَنْعَتَ مُنْصُلَا

هو من تميم. أَسَديٌّ. وهو شاعر تميم. قال أبو عبيدة: حدَّثني يونس عن أبي عمرو بن العلاءِ قال: كان أوس شاعر مُضَرَ حتَّى أسقطه النابغة وزهير، فهو شاعر تميم في الجاهليَّة غير مدافَع. وقال الأصمعيُّ قال أوس بن حَجَر:

لعَمْرُكَ إنَّا والأَحالِيفَ هؤُلاَ لَفِي حِقْبَةٍ أَظْفارُها لم تُقَلَّمِ

أي نحن في حرب، فأخذ المعنى زُهير والنابغة، قال زهير:

لَدَى أَسَدٍ شاكِي السِّلاح مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفارُهُ لم تُقَلَّمِ

وقال النابغة:

وبنو قُعَيْنٍ لا مَحالَةَ أَنَّهُمْ آتُوك غَيرَ مُقَلَّمِي الأَظْفارِ

وقال الأصمعيُّ: أوس بن حجر أشعر من زهير، ولكنَّ النابغة طأطأ منه. قال أوس:

تَرَى الأَرضَ مِنَّا بالفَضاءِ مَرِيضَةً مُعَضِّلَةً مِنَّا بجَمْعٍ عَرَمْرَمِ

وقال النابغة:

جَيْشٌ يَظَلُّ به الفَضاءُ مُعَضِّلاً يَدَعُ الإِكامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِي

فجاءَ بمعناه وزاد.

وقالت الشعراءُ في نفار الناقة وفَزَعِها فأكثرت ولم تعدُ ذكر الهِرّ

المقرون بها وابن آوَى. وقال أوس بن حجر:

كـأَنَّ هِرًّا جَنِيباً عِنْدَ غُرْضَتِها وَٱلْتَفَّ دِيكٌ بِرِجْلَيْها وخِنْزِيرُ

قالوا وجمع ثلاثة ألفاظ أعجميَّة في بيت واحد فقال:

وقارَفَتْ وهي لم تَجْرَبْ وباعَ لها من الفَصَافِصِ بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

الفصافص الرَّطْبَة وهي بالفارسيَّـة إسْبِسْت. والنُّمِّيُّ الفلوس بالروميَّة. والسفسير السِمْسار.

قال الأصمعيُّ ولم أسمع قطّ ابتداءَ مرثية أحسن من ابتداء مرثيته:

أَيَّتُهـا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَـا إنَّ الَّـذِي تَحْـذَرِينَ قد وَقَعا

قال وأحسن في وصف السحاب:

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَـكـادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قام بالراحِ

يَنْفِي الحَصَى عن جَدِيد الأرضِ مُبْتَرِكاً كأَنَّـه فاحِـصٌ أو لاعِـبٌ داحِ

فمَنْ بنَجْوَتِهِ كمَنْ بعَقْوَتِهِ والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِي بقِرْواحِ

ويستجاد له قوله:

إذا ما عَلَوا قالوا أَبُونا وأُمُّنا وليس لهم عالِينَ أُمٌّ ولا أَبُ

ويستجاد له قوله:

وإنِّي رَأَيْتُ الناسَ إلَّا أَقَلَّهُمْ خِفافَ العُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلا

بَنِي أُمِّ ذِي المالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ وإنْ كان عَبْداً سَيِّدَ الأَمْرِ جَحْفَلا

وهُمْ لِمُقِلّ المالِ أولادُ عَلَّةٍ   وإنْ كان مَحْضاً في العُمُومَة مُخْوِلاَ
وليس أَخُوك الدائمَ العَهْدِ بالّذي   يَسُوءُك إنْ وَلّى ويُرْضِيك مُقْبِلاَ
ولكِنْ أخوك النائ ما كنتَ آمِناً   وصاحِبُك الأَدْنى إذا الأمرُ أَعْضَلاَ

ويستجاد له قوله في السيف:

كأَنَّ مَدَبَّ... البيت

وهو أوصف الناس للقوس. ثم تبعه الشمّاخ.

المُرَقّشُ الأكبر

هو ربيعة بن سعد بن مالك. ويقال بل هو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة وسُمّي المرِقّش بقوله:

الـــــدارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما   رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

وهو أحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته أَسْماءُ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة. وكان أبوها زوَّجها رجلاً من مُرَاد والمرقّش غائب، فلمّا رجع أُخْبِر بذلك فخرج يريدها ومعه عسيف له من غُفَيلة، فلمّا صار في بعض الطريق مرض حتّى ما يُحْمَل إلّا معروضاً، فتركه الغُفَيليُّ هناك في غار وانصرف إلى أهله فخبَّرهم أنَّه مات فأخذوه وضربوه حتّى أقرَّ فقتلوه. ويقال إن أسماءَ وقفت على أمره فبعثت إليه فحُمل إليها وقد أكلت السباعُ أنفه فقال:

يا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ   أَنَسَ بنَ عمرو حَيْثُ كان وحَرْمَلا

للهِ دَرُّكُمَـــــا ودرُّ أبيكُما   إنْ أفْلَت الغُفَليُّ حتّى يُقْتَلا

من مُبْلـغُ الفِتْيـان أنْ مُرَقّشاً   أَضْحى على الأَصْحاب عِبأً مُثْقلا

ذَهَـبَ السِّبـاعُ بأنفِهِ فَتَرَكْتَـهُ   يَنْهَسْنَ منـه في القِفارِ مُجَدَّلا

وكأَنَّما تَرِدُ السِّبـــــاعُ بشِلْوِه.   إذ غاب جَمْعُ بني ضُبَيْعَةَ مَنْهَلا

ويقال بل كتب هذه الأبيات على خَشَبِ الرحل وكان يكتب بالحِمْيريَّة فقرأها قومُه، فلذلك ضربوا الغُفَيْليَّ حتّى أقرَّ.

ومن جيّد شعره قوله:

فهَلْ يَرْجِعَنْ لي لِمَّتي إنْ خَضَبْتُها | إلى عَهْدها قَبْلَ المَماتِ خِضابُها
رأت أُقْحُوانَ الشَّيْبِ فوق خَطِيطَةٍ | إذا مُطِرَتْ لم يَسْتَكِنَّ صُؤَابُها
فإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبابَ فقد تُرَى | به لِمَّتي لم يُرْمَ عنها غُرابُها

وقوله:

ودَوِّيَّة غَبْراءَ قد طال عَهْدُها | تَهالَك فيها الوِرْدُ والمَرْءُ ناعِسُ
قَطَعْتُ إلى مَعْروفِها مُنْكَراتِها | بعَيْهَمَةٍ تَنْسلُّ واللَّيْلُ دامِسُ
وتَسْمَعُ تَزْقاءً منَ البُوم حَوْلَها | كما ضُرِبَتْ بَعْدَ الهُدُوِّ النَّواقِسُ
وأعْرَضَ أعْلامٌ كأنَّ رُؤُوسها | رُؤُوسُ رجال في خَليج تَغامَسُ
ولَمّا أضأْنا اللَّيْلَ عند شِوائِنا | عَرَانا عليها أَطْلَسُ اللَّوْن بائسُ
نَبَذْتُ إليه حُزَّةً من شوائنا | حَيَاءً وما فُحْشِي على مَنْ أُجالسُ
فآبَ بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأْسَه | كما آبَ بالنَّهْب الكَميُّ المُخالسُ

ومما سبق إليه قوله:

يَأْبى الشَّبـابُ الأَقْوَرِينَ ولا | تَغْبِطْ أخاك أنْ يُقالَ حَكَمْ

أخذه عمرو بن قَمِيَّة فقال:

لا تَغْبِطِ المَرْءَ أنْ يقالَ له | أَضْحَى فلانٌ لسِنِّه حَكَما
إن سَرَّه طُولُ عُمْره فلَقَـدْ | أَضْحَى عَلى الوَجْه طُولُ ما سَلِما

هو عمرو بن سعد بن مالك بن عباد بن ضُبيعة وسُمّي المرقّش بقوله:

كما رقّش... البيت

وأكل السبع أنفه فقال:

من مُبْلغُ الفتيان... البيتين

قال أبو محمَّد: وهو يُعَدُّ من العُشّاق وصاحبته ابنة عمّه أسْماءُ بنت عوف بن مالك. وعوف هو الحُسَام، ويستحسن له قوله:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دَنــــا   نِــيرُ وأَطْرافُ الأَكُــفِّ عَنَمْ
ليس علـى طُولِ الحَيـاةِ نَـدَمْ   ومن وراءِ المَرْءِ مــا يَعْلَمْ

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

يأبى الشباب... البيت

أخذه الكميت فقال:

لا تغبط... البيتين

المُرَقِّشُ الأَصْغَرُ

يقال إنَّه أخو الأكبر، ويقال إنَّه ابن أخيه. واختلفوا في اسمه فقال بعضهم هو عمرو بن حَرْمَلَة. وقال آخرون هو ربيعة بن سفيان. وهو من بني سعد بن مالك بن ضُبيعة وأحد عُشّاق العرب المشهورين. وصاحبته فاطمة بنت المنذر، وكانت لها خادمة تجمع بينهما يقال لها هند بنت عجلان فلذلك، ذكرها في شعره. وكان للمرقّش ابن عمّ يقال له جَنَابُ بن عوف بن مالك لا يُؤثِرُ عليه أحداً، وكان لا يكتمه شيئاً من أمره، فألحَّ عليه أن يخلّفه ليلةً عند صاحبته فامتنع عليه زماناً ثم إنَّه أجابه إلى ذلك فعلَّمه كيف يصنع إذ دخل عليها، فلمّا دنا منها أنكرتْ عليه مسَّه فنحَّتْه عنها وقالت لعن اللهُ سرًّا عند المُعيديّ وجاءت الوليدة فأخرجته فأتى المرقّشَ فأخبره فعضَّ على إبهامه فقطعها أسفاً وهام على وجهه حياءً فذلك قوله:

ألا يا آسْلَمِي لا صَرْمَ في اليوم فاطِما	ولا أبداً ما دام وَصْلُكِ دائما
رَمَتْكِ ابنةُ البَكْرِيّ عن فَرْعِ ضالةٍ	وهُنَّ بنا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعائما
صَحَا قَلْبُه عنها خَلاَ أنّ رُوعَه	إذا ذُكِرَتْ دارَتْ به الأرضُ قائما
أفاطمَ لو أنّ النِساءَ ببَلْدَةٍ	وأنتِ بأُخرى لاتَّبَعْتُكِ هائما
مَتَى ما يَشأْ ذو الوُدّ يَصْرِمْ خَليلَهُ	ويَغْضَبْ عليه لا مَحالةَ ظالما

وآلى جَنابٌ حلْفَةً فأطَعْتَه ... فنفْسَك ولِّ اللَّوْمَ إنْ كنتَ نادما

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَمْكُثُ واجماً ... وقد تَعْتَرِي الأحلامُ مَن كان نائما

ومما سبق إليه قوله:

ومَن يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَه ... ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما

أخذه القُطاميُّ فقال:

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائلون له ... ما يَشْتَهِي ولأُمِّ الُمخْطِىءِ الهَبَلُ

هو عمرو بن سفيان بن سعد بن مالك، ابن أخي المرقّش الأكبر. ويقال هو ابن حَرْمَلة. وهو يُعَدُّ من العُشّاق، وصاحبته بنت عَجْلان، أمة كانت بنت عمرو بن هِنْد وفيها يقول:

يا بنتَ عَجْلان ما أَصْبَرَني ... على خُطُوبٍ كنَحْتٍ بالقَدُوم

ومما سبق إليه فأُخذ منه قوله:

ومَنْ يَلْقَ خيراً... البيت

أخذه القُطاميُّ فقال:

والناسُ مَن يَلْقَ... البيت

ويُعاب عليه قوله في المرأة:

صَحا قلبُه عنها على أنَّ ذكرَه ... إذا خَطَرَتْ دارت به الأرضُ قائما

قالوا كيف يصحو مَن إذا ذُكرت له دارت به الأرض.

قالوا وكان عضَّ سبَّابته فقطعها من حُبّها وقال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ ... ويَجْشَمُ من هَوْلِ الأمور المَجاشِما

وكان هرب من المنذر وأتى الشأم فقال:

أَبْلِغِ المُنْذِرَ المُنَقِّبَ عَنِّي غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا مُسْتَعِينِ
لاتَ هَنَّا ولَيْتَنِي طَرَفَ الزُّ جِّ وأَهْلِي بالشأم ذاتِ القُرونِ

عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ

هو من بني تميم جاهليٌّ وهو الذي يقال له علقمة الفَحْلُ، وسُمّي بذلك لأنّه احتكم مع امرىء القيس إلى امرأته أمّ جُنْدُب لتحكم بينهما فقالت قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على رويّ واحد وقافية واحدة فقال امرؤ القيس:

خَليلَيَّ مُرّا بي على أُمّ جُنْدُبِ   لنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

وقال علقمة:

ذَهَبْتَ منَ الهِجْرانِ في كُلّ مَذهبِ   ولم يَكُ حَقًّا كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

ثم أنشداها جميعاً فقالت لامرىء القيس علقمة أشعر منك. قال وكيف ذاك؟ قالت لأنّك قلتَ:

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ   وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

فجهدتَ فَرَسَك بسوطك ومريتَه بساقك. وقال علقمة:

فأَدْرَكَهُنَّ ثانيــاً من عِنانِــهِ   يَمُرُّ كمَرِّ الرائِـحِ المُتَحَلِّـبِ

فأدرك طريدتَه وهو ثانٍ من عنانِ فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زَجَرَه. قال ما هو بأشعر منّي ولكنَّك له وامق، فطلَّقها فخلف عليها علقمة فسُمّي بذلك الفحل. ويقال بل كان في قومه رجل يقال له علقمة الخصيُّ ففرَّقوا بينهما بهذا الاسم.

ومن جيّد قوله:

فــإنْ تَسْألوني بالنِّساءِ فإنَّــني بَصِيرٌ بأدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ
إذا شاب رأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالُه فليس له في وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

هو تميميٌّ من ربيعة الجُوع وهو الذي يقال له الفحل، وكان ينازع امرأ القيس الشعر، فقال كلٌّ واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك، فقال علقمة قد حكَّمتُ امرأتك أمَّ جُنْدُب بيني وبينك فقال قد رضيتُ فقالت أمُّ جُنْدُب قُولاَ شعراً تصفان فيه الخيل على رويّ واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدته التي أوَّلها:

خَلِيـلَيَّ مُرّا بي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

وقال علقمة قصيدته التي أوَّلها:

ذَهَبْتَ من الهِجْران في غَيْرِ مَذْهَبِ... البيت

ثم أنشداها جميعاً فقالت لامرىء القيس علقمة أشعر منك. قال وكيف؟ قالت لأنَّك قلت:

فللسوط أُلهوب... البيت

فجهدتَ فرسَك بسوطك وزجرِك فأتعبتَه بساقك وقال علقمة:

فَوَلَّـى على آثارِهِنَّ بحاصِـبٍ وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ منَ الشَّدِّ مُلْهَبِ
فأَدْرَكَهنَّ ثانياً... البيت

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنانه لم يضربه بسوطه ولم يَمْرِه بساقه ولم يزجره. فقال لها ما هو بأشعر منّي ولكنَّكِ له عاشق فطلَّقها وخَلَفَ

عليها علقمة فسمّي الفَحْلَ لذلك. ويقال إنه قيل له الفحل لأنَّ في رهطه رجلاً يقال له علقمة الخصيُّ وهو علقمة بن سَهْل أحد بني ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ويكنى أبا الوضّاح وكان بعُمانَ. وسبب خِصائه أنَّه أُسر باليمن فهرب فظُفر به ثم هرب مرَّة أخرى فأخذ فخُصي فهرب ثالثةً وأخذ جَمَلَيْن يقال لهما عَوْهَجٌ وداعرٌ فصارا بعُمان فمنها العَوْهَجيَّة والداعِرِيَّة. وكان شهد على قُدَامة بن مظعون وكان عامل عُمَرَ على البحرين بشرب الخمر فحدَّه عمر وهو القائل:

يقول رِجالٌ من صَدِيق وحاسد ... أَراك أبا الوَضَّاح أَصْبَحْتَ ثاويا

فلا يَعْدَمِ البانون بَيْتاً يكنُّهم ... ولا يَعْدَمِ الميراثُ منّي المَواليا

وجَفَّتْ عُيُونُ الباكياتِ وأَقْبَلُوا ... إلى مالهم قد بِنْتُ عنه وماليا

حراصاً على ما كُنْتُ أَجْمَعُ قَبْلَهم ... هَنِيئاً لهم جَمْعِي وما كُنْتُ وانيا

وكان لعلقمة بن عَبَدَة أخ يقال له شأس بن عبدة، أسره الحارث ابن أبي شَمِر الغسَّانيُّ مع سبعين رجلاً من بني تميم، فأتاه علقمة ومدحه بقصيدة أوَّلها:

طَحَا بك قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

إلى الحارِثِ الوَهّابِ أَعْمَلْتُ ناقتِي ... لِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْن وَجِيبُ

فلمّا بلغ هذا البيت:

وفي كُلّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فحُقَّ لشَأْسٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ

فقال الحارث نعم وأَذْنِبَة وإنَّما أراد علقمة بقوله:
وفي كلّ حيّ قد خبطت بنعمة

إنَّ النابغة كان شفع في أسارى بني أَسَدٍ فأطلقهم وكانوا نيّفاً وثمانين. ثم سأله علقمة أن يطلق أسارى بني تميم ففعل. ويقال إن شأساً هو ابن أخي علقمة.

ويستجاد له من هذا الشعر:

فإن تَسْألوني بالنساء... الثلاثة الأبيات

الأَفْوَهُ الأَوْدِيُّ

هو صَلاَءَةُ بن عمرو ، من مَذْحِجٍ ، ويكنى أبا ربيعة . وهو القائل :

لا يَصلُحُ القَوْمُ فَوضَى لا سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا
تُهْدَى الأُمورُ بأَهْلِ الرأْيِ ما صلحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبالأَشْرار تَنْقادُ

ومن جيّد شعره قوله :

إنَّما نعمَـــةُ قَوْمٍ مُتْعَـــةٌ وحَيـاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعـارُ
حَتَـمَ الدَّهْـرُ علينـــا أنَّـه ظَلَفٌ ما نال مِنّا وجُبارُ

ظَلَفٌ باطلٌ وجُبَارٌ هَدَرٌ . وهذه القصيدة من جيّد شعر العرب أوَّلها :

إن ترى رأسِيَ فيــه نَزَعٌ وشَوَايَ خَلَّـــةٌ فيهـا دُوارُ

وهو القائل :

والمَرْءُ مـا يُصْلِـحُ له لَيْلَةٌ بالسَّعْـدِ تُفْسِدُهُ لَيالي النُّحُوس
والخَيْرُ لا يأْتِـي ابتِغاءٌ به والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشُّمُوس

عَدِيُّ بن زيد العِبَاديُّ

هو عَديُّ بن زيد بن حمّاد بن أَيُّوب، من زيد مناة بن تميم. وكان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتُمل عنه شيءٌ كثير جدًّا. وعلماؤنا لا يرون شعره حُجَّة. وله أربع قصائد غُرَر إحداهنَّ:

أَرَوَاحٌ مُـــوَدِّعٌ أم بُكُـــور … لـك فَاعْمِدْ لِأَيِّ حالٍ تَصِيرُ

وفيها يقول:

أيُّهـا الشامِـتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْرِ … أأنْـــــتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ منَ الأَ … يَّام أم أَنْـتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

مَنْ رأَيْتَ المَنُونَ خَلَّـدْنَ أَمْ مَنْ … ذا عليه من أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

أَيْنَ كسْرَى كِسْرَى المُلُوك أَبُو سا … سانَ أَمْ أينَ قَبْلَـــهُ سابورُ

وبنو الأَصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الرُّومِ … لم يَبْـــقَ منهم مَذْكُورُ

وأَخُو الحَضْرِ إذ بنـاه وإذ دِجْلَـةُ … تُجْبَـى إليـه والخابورُ

شادَه مَرْمَراً وجَلَّلَـــهُ … كِلْساً فلِلطَّيْرِ في ذُرَاه وُكورُ

وتَبَيَّنْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أَشْرَفَ … يَوْمـاً ولِلهُـــدَى تَفْكِـيرُ

سَرَّه حالُـه وكَثْرَةُ مـا … يَمْلِـكُ والبَحْرُ مُعْرِضـاً والسَّدِيـرُ

فَارْعَوَى قَلْبُـهُ فقـال ومـا … غِبْطَـةُ حَيٍّ إلى المَماتِ يَصِـيرُ

ثُمَّ بَعْـدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والأ … مَّةِ وارَتْهُـمُ هنـاك القُبورُ

ثُمَّ أَضْحَوا كأَنَّهم وَرَقٌ جَــف فأَلْوَتْ بـــه الصَّبَـا والدَّبُورُ

والثانية:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدارِ من أُمِّ مَعْبَدِ	نَعَمْ فَرَماك الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلُّدِ

وفيها يقول:

أَعـاذِلَ ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي	إلى ساعةٍ في اليوم أو في ضُحَى الغَدِ
ذَرِيـني فإِنّي إِنَّما لِيَ ما مَضَى	أَماميَ من مالي إذا خَفَّ عُوَّدي
وحُمَّــتْ لِميقاتٍ إِليَّ مَنِيَّـتي	وغُودِرْتُ قد وسِّدْتُ أو لم أُوَسَّدِ
وللوارِثِ الباقي منَ المال فَاتْرُكي	عِتابِي فإِنّي مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدِ

والثالثة:

لم أَرَ مِثْـلَ الفِتْيانِ في غَبَنِ الْـ	أَيّـامِ يَنْسَوْنَ مـا عَوَاقِبُهـا

والرابعة:

طـال لَيْلِي أُراقِـبُ التَّنْويرا	أَرْقَـبُ اللَّيْلَ بالصَّباح بَصيرا

وهو القائل في قصَّة الزَّبّاءِ وجَذِيمة وقَصير الطالب بالثأر:

دَعـا بالبَقَّــةِ الأُمَراءَ يومـاً	جَذِيمَـةُ عَصْرَ يَنْجُوهُمْ ثبينـا
فطـاوَعَ أمرهم وعَصَى قَصيراً	وكـان يقول لو تَبِـعَ اليَقينـا
ودَسَّتْ في صَحِيفَتِهـا إليــه	لِيَمْلِـكَ بُضْعَهـا ولأَنْ تَدينـا
فأَرْدَتْه ورُغْبُ النَّفْس يُرْدِي	ويُبْــدِي للفتَـى الحَيْنَ المُبينـا
وخَبَّرَتِ العَصَا الأَنْباءَ عنه	ولم أَرَ مِثْـلَ فارِسِها هَجِينـا

وقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِراهِشَيْهِ | وأَلْفَى قَوْلَها كَذِباً ومَيْنا
ومَنْ حَذِرَ المَلاوِمَ والمَخازِي | وهُنَّ المُنْدِباتُ لِمَنْ مُنِينا
أَطَفَّ لأَنْفِهِ المُوسَى قَصِيرٌ | لِيَجْدَعَهُ وكانَ به ضَنِينا
فأَهْواهُ لمارِنِهِ فأَضْحَى | طَلاَّبَ الوِتْرِ مَجْدوعاً مَشِينا
وصادَفَتِ آمْرَءًا لم تَخْشَ منه | غَوائِلَه وما أَمِنَتْ أَمِينا
فلمّا ارْتَدَّ منها ارْتَدَّ صُلْباً | يَجُرُّ المالَ والصَّدْرَ الضَّغِينا
أَتَتْها العِيسُ تَحْمِلُ ما دَهاها | وقَنَّعَ في المُسُوحِ الدارِعِينا
ودَسَّ لها على الأَنْفاقِ عَمْراً | بِشِكَّتِهِ وما خَشِيَتْ كَمِينا
فجَلَّلَها قَدِيمَ الأَثْرِ عَضْباً | يَصُكُّ به الحَواجِبَ والجَبِينا
فأَضْحَتْ من خَزائِنِها كأَنْ لم | تَكُنْ زَبّاءُ حامِلَةً جَنِينا
وأَبْرَزَها الحَوادِثُ والمَنايا | وأَيُّ مُعَمَّرٍ لا يَبْتَلِينا
إذا أَمْهَلْنَ ذا جَدٍّ عَظِيمٍ | عَطَفْنَ له ولو فَرَّطْنَ حِينا
ولم أَجِدِ الفَتَى يَلْهُو بشيءٍ | ولو أَثْرَى ولو وَلَدَ البَنِينا

هو عَدِيُّ بن زيد بن حِمَاز بن زيد بن أَيُّوب بن محروف بن عامر ابن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم. وأوّل من نزل الحيرة منهم أيُّوب بسبب دم أصابه، وكان منزله اليمامة. وكان حِماز أوّل من تعلَّم الكتابة من بني أيُّوب وكتب للنعمان الأكبر. وكان عديٌّ ترجمان أبرواز ملك فارس وكاتبه بالعربيَّة، فلمّا قُتل عمرو بن هند وصف له عديٌّ بن زيد النعمان بن المنذر بن امرىء القيس وأشار عليه بتوليته العرب، واحتال في تلك حتّى ولاّه من بين إخوته وكان أدمَّهم

وأقبحهم، ثم بلغ النعمانَ عن عديّ شيءٌ فخافه فاحتال حتَّى وقع في يده فحبسه فقال في الحبس أشعاراً وبعث بها إليه فمنها قوله:

أَلاَ مَن مُبْلِـغُ النُّعْمان عَنِّي ... عَلانِيَـةً ومـا يُغْنِي السِّرَارُ
بـأَنَّ المَرْءَ لم يُخْلَقْ حَدِيداً ... ولا هَضْبـاً تَوَقَّلَـه الوَبـارُ
ولكِنْ كالشِّهـاب سَنَـاهُ يَخْبُو ... وحـادِي المَوْتِ عنه ما يَحارُ
فهَلْ من خالِـدٍ إِمَّا هَلَكْنـا ... وهـل بالمَوْت يا للنَّاس عارُ

ومنها قوله:

أَبْلِـغِ النُّعْمانَ عَنِّي مأْلَكـاً ... أَنَّني قد طال حَبْسِي وآنْتِظاري
لو بغَيْرِ المـاءِ حَلْقي شَرِقٌ ... كُنْتُ كالغَصَّانِ بالماءِ آعْتِصاري

فلم يزل في حبسه حتَّى مات، ويقال إنه قتله وكان له ابن يقال له زيد بن عديّ فتوصَّل إلَى أَبَرْواز حتَّى حلَّ محلَّ أبيه. وذكر زيد لأبرواز نساءَ آل المنذر ونعتهنَّ له بالجَمال، فكتب أَبرواز إلى النعمان يأمره أن يزوّجه أخته أو ابنته، فلمّا قرأ النعمان الكتاب قال للرسول فأين المَلِكُ عن مها السَّوَاد فرجع الرسول فأخبره بما قال وحرَّف زيد القول عنده وقال فأين هو عن بقر العراق، فطلبه أبرواز وهرب النعمان منه حيناً ثم بدا له أن يأتيه فأتاه بالمدائن فصفَّ له كسرى ثمانية آلاف جارية صفَّيْن، فلمّا صار بينهما قلن له أما فينا للمَلِك غِنًى عن بقر العراق؟ وعلِم النعمان أنَّه غير ناجٍ منه وأمر به كسرى فحُبس في ساباط المدائن ثم أُلقي تحتَ أرجل الفِيَلَة فتوطَّأَتْه حتَّى مات.

وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العَلاء قال كان عديٌّ بن زيد

في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجاريها. قال والعرب لا تروي شعره لأن ألفاظه ليست بنجديّة. وكان نصرانياً من عباد الحيرة قد قرأ الكتب.

قال الأصمعيُّ كان عديٌّ لا يُحْسِنُ أن ينعت الخيل، وأخذ عليه قوله في صفة الفرس فارهاً متابعاً، وقال لا يقال للفرس فاره. إنَّما يقال له جواد وعتيق. ويقال للكَوْدَن والبغل والحمار فاره، ووصفَ الخمر بالخُضْرة ولم يُعْلَم أحدٌ وصفها بذلك قال:

والمَشْرَفُ الهِنْـديُّ نُسْقَى به أخْضَرَ مَطْموثاً بماءِ الخَرِيصْ

وهو أوَّل من شبَّه أباريق الخمر بالظباء، قال يذكر بيت الخمَّار:

بَيْـتِ جُلُوفٍ بـارِدٍ ظِلُّـه فيه ظِباءٌ ودَوَاخِيلُ خُوصْ

فقال بعده:

كأَنَّ إبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ

ويستجاد له قوله:

قـد يُدْرِكُ المُبْطِيُّ من حَظِّه والخَيْرُ قد يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيصْ

ويستجاد له قوله في وصف السُّقاة:

والرَّبْرَب المَكْفُوف أرْدانُـه يَمْشِي رُوَيْـداً كمَشْيِ الرَّهِيصْ

ثم قال بعد أن وصف الخمر والندامى:

ذلِكَ خَيْرٌ من فُيُوجٍ على البا بِ وقَيْدَيْنِ وغـلٌّ قَرُوصْ
أو مُرْتَقَى نِيـق على مَرْكَبٍ أذْفَرَ عَوْدٍ ذي أكافٍ قَمُوصْ
لا يُحْسِنُ المَشْيَ ولا يَقْبَلُ الرِّدْ فَ ولا يُعْطَى به قُلْبُ خُوصْ

ومن نُسُورٍ حَوْلَ مَوْتَى يُمَزِّقْنَ لُحُوماً من طَرِيٍّ الفَرِيص

قالوا وهذان لا يتقاربان، وكيف يجعل هذا خيراً من هذا.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله لأخيه يحذّره أن يدخل أرض النعمان

فلا تُلْفَيَنَّ كأُمِّ الغُلا م إلّا تَجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ

أخذه ابن مُقْبِل فقال:

لا أُلْفَيَنَّ وإيّاكُمْ كعارِمَةٍ إلّا تَجِدْ عارِماً في الناس تَعْتَرِمِ

قال أبو محمَّد معناه إن لم تجد من يَرْضَعُها رَضَعَتْ ثدي نفسها. يقال عَرَمَ الصبيُّ أُمَّه إذا رضعها، ويقال إن لم تجد من يخادشها ويقاتلها خدشت وجه نفسها وادَّعَتْه على بريّ.

وهو ممن أقرّ على نفسه بالزنا فقال:

بَناتِ كِرامٍ لم يُرَبْنَ بضَرَّةٍ دُمًى شَرِقاتٍ بالعَبِيرِ رَوادِعا

لَهَوْتُ لَهُنَّ بين سِرٍّ ورَشْدَةٍ ولم آلُ عن عَهْدِ الأَحِبَّةِ خادِعا

يُسارِقْنَ مِ الأَسْتارِ طَرْفاً مفتَّراً ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدُورِ الأصابِعا

وينسب إلى الكذب بقوله:

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُها تَقْضِمُ الهِنْدِيَّ والغارا

يريد بالهنديّ العُود. قال أبو محمّد، وليس هذا عندي كذباً لأنَّه لم يُرِد أنَّه يوقدها بالعُود وإنّما أراد أنّها توقد بالغار وهو شجر وتُلقى قطَع العود على ذلك للطيب، وهو مثل قول الحارث بن حِلِّزَة:
أَوْقَدَتْها بَيْنَ العَقِيقِ فشَرْخَيْنِ بعودٍ كما يَلُوحُ الضِيَاءُ أراد أنَّها أوقدتها وألْقت عليها عود البَخُور.

عمرو بن كُلْثُوم

هو من بني تَغْلب من بني عتّاب جاهليٌّ (قديم) وهو قاتل عمرو بن هند مَلِك الحيرة. وكان سبب ذَلك أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمُّه من خدمة أمّي؟ فقالوا نعم عمرو بن كلثوم. قال ولِمَ (ذلك) قالوا لأنَّ أباها مُهَلْهِل بن ربيعة وعمَّها كُلَيب وائل أعزُّ العرب وبعلَها كلثوم بن مالك بن عَتَّاب أفرس العرب وابنها عمرو بن كلثوم سيد مَن هو منه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمَّه أُمَّه. فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تَغْلِب، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برُواقه فضُرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا، وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى (بنت مهلهل أمُّ عمرو بن كلثوم) على هند في قبَّة في جانب الرواق وهند أمُّ عمرو بن هند عمَّة امرىء القيس الشاعر وليلى بنت مهلهل أمُّ عمرو بن كلثوم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أمّ امرىء القيس. وقد كان أمر عمرو بن هند أمَّه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطُرف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بن هند بمائدة فنَصَبَها فأكلوا ثم دعا بالطرف، فقالت هند يا ليلى ناوليني ذلك

الطبق، فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وألحّت، فصاحت ليلى: واذُلّاه يالَتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر إلى عمرو بن هند فعَرَفَ الشرَّ في وجهه فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتّى قتله. ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق وساقوا نجائبهَ وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو ابن كلثوم:

بأيِّ مَشيَّةٍ عَمْرو بن هِنْدٍ تُطِيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرينا
تَهَدَّدْنَا وأَوْعِدْنا رُوَيْداً مَتَى كُنّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينا

وقال الفَرَزْدَقُ (لجرير)

ما ضَرَّ تَغلبَ وائِلٍ أَهَجَوْتَها أم بُلْتَ حَيْثُ تَناطَحَ البَحْرانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً عَمْراً وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمانِ

وقال أُفْنون التَّغْلبيُّ:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بن هِنْدٍ إذا دَعَا لِيُخْدِمَ أُمّي أُمَّه بمُوَفَّقِ

ويقال إن أخاه مُرَّة بن كلثوم هو القاتل المنذر بن النعمان بن المنذر. وفي ذلك يقول الأَخْطَلُ:

أبَني كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذا قَتَلاَ المُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلالا

يعني بعمّيه عمراً ومُرَّة ابني كلثوم.

وعمرو بن كلثوم هو القائل:

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند. وهي من جيّد شعر العرب القديم، وإحدى السبع. ولِشغفِ تغلبَ بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراءِ:

أَلْهَى بَني تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قالها عمرو بن كُلْثُومِ

يُفاخِرُونَ بها مُذْ كان أَوَّلُهُمْ يا لَلرِّجالِ لفَخْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ

وابنه عَبَّاد بن عمرو بن كلثوم هو قاتل بشر بن عمرو بن عُدس.

ولعمرو بن كلثوم عقب منهم العَتَّابيُّ الشاعر المشهور، واسمه كلثوم ابن عمرو ويكنى أبا عمرو وكان كاتباً مجيداً في الرسائل وشاعراً مجيداً.

أبو دُؤَاد الإيَادِيُّ

قال أبو محمَّد: اختلفوا في اسمه فقال بعضهم هو جارية بن الحجّاج. وقال الأصمعيُّ هو حنظلة بن الشرقيّ. وكان في عصر كعب ابن مامة الإياديّ الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه النَّمَريَّ فمات عطشاً فضرب به المثل في الجود، وبلغه عنه شيءٌ فقال:

وأَتـاني تَقَحِـيمُ كَعْـبٍ إلى المَنْطِـقِ إنَّ النَّكِيثَـةَ الإِقْحـامُ
(في نظـامٍ ما كُنْتُ فيه فلا يَحْزُنْك قَوْلٌ لِكُلِّ حَسْناءَ ذامُ
ولَقَـدْ رابني ابنُ عَمِّيَ كَعْبٌ إنَّـه قـد يَرُومُ ما لا يُرامُ
غَيْرُ ذَنْـبِ بني كِنانَـة مِنِّي إنْ أُفارِقْ فإنَّـني مِجْـذامُ)

وكان بعض الملوك أخافه، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه فضرب المثل بجار أبي دوا د. قال طَرَفَة:

إنِّي كَفَـانيَ من هَمٍّ هَمَمْتُ به جارٌ كجارِ الحُذَاقيِّ الَّذي انْتَصَفا

والحذاقيُّ هو أبو دواد. وحُذَاق قبيلة من إياد، (ويقال إنَّما أجاره الحارث بن همّام بن مرَّة بن ذُهْل بن شيبان وذلك أن قباذ سرّح جيشاً إلى إياد فيهم الحارث بن همّام فاستجار به قوم من إياد فيهم أبو داود فأجارهم).

وكان أبو عُبيدة يذكر أن جار أبي داود هو كعب ابن مامة. وأنشد لقيس بن زُهير (بن جذيمة) في ربيعة بن قُرْط:

أُحاوِلُ ما أُحاوِلُ ثم آوي إلى جارٍ كجارِ أبي دُوادِ

وهو أحد نُعّات الخيل المجيدين. قال الأصمعيُّ هم ثلاثة: أبو دواد في الجاهليَّة، وطُفَيْل، والنابغة الجعديُّ. قال والعرب لا تروي شعر أبي دواد وعديّ بن زيد، لأنَّ ألفاظها ليست بنَجْديَّة.

وقيل للحُطيئة مَن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

لا أعُدُّ الإقْتارَ عُدْماً ولكِنْ فَقْدُ منْ قَدْ رُزِئْتُهُ الإعْدامُ
من رِجالٍ من الأَقارِبِ فادُوا من حُذَاقٍ هُمُ الرُّؤوسُ الكِرامُ
فيهِمِ لِلْمُلَاينِينَ أَنــاةٌ وعُرامٌ إذا يُرادُ العُرامُ
فعلَى إثْرِهِمْ تَساقَطُ نَفْسِي حَسَراتٍ وذِكْرُهُمْ لي سَقَامُ

وهذه القصيدة أجود شعره. ويستجاد منها قوله في صفة إبله:

إبِلِي الإبْلُ لا يُحَوِّزُها الرَّا عُونَ مَجَّ النَّدَى عليها المُدامُ
سَمِنَتْ فاسْتَحَشَّ أَكْرُعُها لا النَّيُّ نَيٌّ ولا السَّنامُ سَنامُ
فإذا أَقْبَلَتْ تَقُول إكامٌ مُشْرِفاتٌ بَيْنَ الإكامِ إكامُ
وإذا أَعْرَضَتْ تَقُولُ قُصُورٌ من سَماهِيجَ فَوْقَها آطامُ
وإذا ما فَجِئْتَها بَطْنَ غَيْثٍ قُلْتَ نَخْلٌ قد حان منها صِرامُ
فَهْيَ كالبَيْضِ في الأداحِيِّ ما يُو هَبُ منها لِمُسْتَتِمٍّ عِصامُ

ومما يتمثَّل به من شعره قوله:

أَكُلَّ آمْرِئٍ تَحْسِبِينَ آمْرَءًا ونـاراً تَحَرَّقُ باللَّيْـل نـارا

وقوله:

المـاءُ يَجْرِي ولا نِظـام لـه لو وَجَـدَ الماءُ مَخْرَقاً خَرَقَهْ

ومما سبق إليه فأُخذ منه قوله:

تَرَى جارَنـا آمِنـاً وَسْطَنَـا يَرُوحُ بعَقْـدٍ وَثِيـقِ السَّبَـبْ

إذا مـا عَقَدْنـا لـه ذِمَّـةً شَدَدْنا العِناجَ وعَقْدَ الكَرَبْ

أخذه الحُطيئة فقال:

قَوْمٌ إذا عَقَـدُوا عَقْداً لجارِهِمُ شَدّوا العِناجَ وشَدُّوا فَوْقَه الكَرَبَا

حاتِمُ بـن عبد الله الطَّائيُّ

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج من طَيِّءٍ . وأمّه عِنَبَةُ بنت عَفِيف من طيّءٍ . وكان جواداً شاعراً جيّد الشعر . وكان حيث ما نزل عُرِف منزله وكان ظَفِراً ، إذا قاتل غلب وإذا غَنِمَ أنهب وإذا سُئل وهب وإذا ضرب بالقداح سبق وإذا أسر أطلق. ومرَّ في سفره على عَنَزَة وفيهم أسيرٌ فاستغاث به الأسير ولم يحضره فكاكُه فاشتراه من العَنَزيّين وأقام مكانه في القِدّ حتّى أدّى فداءَه. وقسم ماله بضع عشرة مرّة. وكان أقسم بالله لا يقتل واحدَ أمّه.

قال أبو عُبيدة أجواد العرب ثلاثةٌ: كعب بن مامة، وحاتم طيّءٍ (وكلاهما ضُرب به المثل)، وهَرِم بن سِنَان صاحب زُهَير. وكانت لحاتم قدور عظام بفنائه لا تنزل عن الأثافيّ. وإذا أهلَّ رجب نحر كلَّ يوم وأطعم. وكان أبوه جعله في إبل له وهو غلام فمرَّ به عَبِيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذُّبيانيُّ وهم يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثة من إبله وهو لا يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم فتسمَّوا له ففرَّق فيهم الإبل كلَّها . وبلغ أباه ما فعل فأتاه فقال له ما فعلت الإبل فقال يا أبه طوَّقتُك مَجْدَ الدهر طوقَ الحمامة، وأخبره بما صنع. فقال له أبوه: لا أساكنُك أبداً ولا أُوويك. قال حاتم إذاً لا أبالي، فاعتزله. وكانت أمُّه عِنَبَةُ لا تُليقُ شيئاً سخاءً وجوداً وكان إخوتها

يمنعونها من ذلك فتأبَى عليهم، وكانت مُوسرة فحبسوها في بيت سنةً يرزقونها قوتاً لعلَّها تكفُّ عمّا كانت عليه إذا ذاقت طعم البؤس وعرفت فضل الغنى. ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمة من مالها فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت لها دونكِ الصرمة فقد والله مسَّني من الجوع ما آليتُ معه ألَّا أمنع الدهر سائلاً شيئاً. ثم أنشأت تقول:

لَعَمْرِي لقدْماً عَضَّنِي الجُوعُ عَضَّةً   فآلَيْتُ ألَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائعا

فقُولا لِهذا اللائِمِي الآنَ أَعْفِنِي   وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَلْ فعَضّ الأَصابِعا

ولا ما تَرَوْنَ اليَوْمَ إلاَّ طَبِيعَةً   فكَيْفَ بتَرْكِي يا ابنَ أُمّ الطَّبائِعا

قال عديٌّ بن حاتم: كان حاتم رجلاً طويل الصمت وكان يقول: إذا كان الشيءُ يكفيكه الترك فآتركه. وقالت النَّوَار امرأته أصابتنا سنة اقشعرَّت لها الأرض، واغبرَّ أُفُق السماء، وراحت الإبل حُدْباً حدابيرَ وضنَّت المراضع عن أولادها فما تَبِضُّ بقطرة وجَلَفَتِ ألسنة المالَ وأيقنّا أنّه الهلاك، فوالله إنّي لفي ليلةٍ صنَّبْرٍ بعيدة ما بين الطرفَيْن إذ تصاغى أُصَيْبِيَتُنا من الجوع عبد الله وعديٌّ وسَفَّانة، فقام حاتم إلى الصبيَّيْن وقمتُ إلى الصبيَّة فوالله ما سكنوا إلّا بعد هدأة من الليل. ثم ناموا ونمت أنا معه وأقبل يعلّلني بالحديث، فعرفتُ ما يريد فتناومتُ، فلمّا تهوَّرت النجوم إذا شيءٌ قد رفع كِسْر البيت. فقال مَن هذا؟ فولَّى، ثم عاد. فقال من هذا؟ فولَّى، ثم عاد في آخر الليل. فقال من هذا؟ فقالت جارتك فلانة أتيتُك من عند أُصَيْبِيَة يتعاوون عُواءَ الذئاب من الجوع فما وجدتُ معوَّلاً إلّا عليك أبا عديّ. فقال والله لأُشبعنّهم، فقلت من أين؟ قال لا عليك، فقال أعجليهم فقد أشبعك

اللهُ وإيَّاهم، فأقبلت المرأة تحمل ابنين ويمشي جانبَيْها أربعة كأنَّها نعامة حولها رئالها فقام إلى فرسه فوجأ لبَّته بُمديته فخرَّ ثم كشطه ودفع المدية إلى المرأة فقال شأنك الآن. فاجتمعنا على اللحم فقال سَوْءَة أتأكلون دون الصِّرْم ثم جعل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول هُبُّوا أيُّها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا، والتفع بثوبه ناحيةً ينظر إلينا لا والله ما ذاق منه مُزْعةً وإنه لأحوج إليه منّا. فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلّا عظم أو حافر. فعذلتُه على ذلك. فأنشأ حاتم يقول:

مَهْلاً نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ والعَذَلا ... ولا تَقُولي لِشيءٍ فات ما فَعَلا

ولا تَقُولِي لمالٍ كُنْتَ مُهْلِكَه ... مَهْلاً وإن كُنْتُ أُعْطِي الجِنَّ والخَبَلا

يَرَى البَخِيلُ سَبيلَ المالِ واحِدَةً ... إنَّ الجَوَادَ يَرَى في مالِه سُبُلا

لا تَعْذِلِينيَ في مالٍ وَصَلْتُ به ... رِحْماً وخَيْرُ سَبيلِ المالِ ما وَصَلا

وأتى حاتم ماويَّة بنت عَفْزَر يخطبها فوجد عندها النابغة الذبيانيَّ ورجلاً من النَّبِيت يخطبانها، فقالت بهم انقلبوا إلى رحالكم وليقل كلُّ رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومَنْصِبَه فإنّي متزوّجة أكرمكم وأشعركم فانطلقوا ونحر كلُّ رجل منهم جزوراً ولبست ماويَّة ثياباً لأَمَة لها واتَّبعتهم فأتت النَّبيتيَّ فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك فأخذته وأتت حاتماً وقد نصب قدوره فاستطعمته فقال انتظري حتّى تبلغ القدر أناها فانتظرت حتّى بلغت، فأطعمها أعظماً من العَجُز وقطعة من السنام وقطعة من الحارك، ثم انصرفت. وأهدى إليها النابغة والنَّبيتيُّ ظهرَيْ جزوريهما، وأهدى إليها حاتم مثل ما أهدى إلى امرأة من جاراته.

وصبَّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتيُّ:

هَلَّا سَأَلْتِ هداكِ اللهُ ما حَسَبِي عِنْدَ الشِّتاءِ إذا ما هَبَّتِ الرِّيحُ
ورَدَّ جازِرُهُمْ حَرْفاً مُصَرَّمَةً في الرَّأسِ منها وفي الأَنْقاءِ تَمْلِيحُ
إذا اللِّقاحُ غَدَتْ مُلْقَى أَصِرَّتُها ولا كَرِيمَ منَ الوِلْدانِ مَصْبُوحُ

ثم استنشدت النابغة فأنشدها:

هَلَّا سَأَلْتِ بني ذُبْيانَ ما حَسَبِي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَما
وهَبَّتِ الرِّيحُ من تِلْقاءِ ذي أُزُلٍ
تُزْجِي مع الصُّبْحِ من صُرّادِها صرَما
إنّي أُتَمِّمُ أَيْسارِي وأَمْنَحُهُمْ مَثْنَى الأَيَادي وأَكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُما

ثم استنشدت حاتماً فأنشدها:

أَماوِيَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ويَبْقَى من المال الأَحادِيثُ والذِّكْرُ
أَماوِيَّ إنّي لا أَقولُ لسائِلٍ إذا جاءَ حَلَّ في مالِنا نَذْرٍ
أَماوِيَّ إمّا مانِعٌ فمُبَيِّنٌ وإمّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أَماوِيَّ ما يُغْنِي الثَّراءُ عنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاق الصَّدْرُ
أَماوِيَّ إنْ يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرَةٍ منَ الأَرْضِ لا ماءٌ لَدَيَّ ولا خَمْرُ
تَرَى أَنَّ ما أَنفَقْتُ لم يَكُ ضَرَّني وأَنَّ يَدِي مِمّا بَخِلْتُ به صِفْرُ
وقد عَلِمَ الأَقْوامُ لَوْ أَنَّ حاتِماً أَرادَ ثَرَاءَ المالِ كان له وَفْرُ

فلمّا فرغ من إنشاده دعت ماويَّة بالغداءِ فقُدِّم إلى كلّ رجل ما

كان أطعمها فنكَّس النَّبيتيُّ والنابغة رؤوسهما فلمّا رأى حاتم ذلك رمى بالذي قُدّم إليهما وأطعمهما ممّا قُدّم إليه فتسلَّلا لِواذاً فتزوَّجت حاتماً وفيها يقول:

وإنّي لَمِزْجاءُ المَطِيّ على الوَجَى ... وما أنا من خُلّانِكِ ٱبْنَةَ عَفْزَرا
فلا تسأليني واسألي أيُّ فارسٍ ... إذا الخيْلُ جالَتْ في قَناً قد تَكَسَّرا
وإنّي لَوَهّابٌ قُطُوعِي وناقَتِي ... إذا ما ٱنْتَشَيْتُ والكُمَيْتَ المُصَدَّرا
وإنّي كأَشْلاءِ اللِّجامِ ولَنْ تَرَيْ ... أخا الحَرْبِ إلَّا ساهِمَ الوَجْهِ أَغْبَرا
أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّت به الحَرْبُ عَضَّها ... وإنْ شَمَّرَتْ يَوماً به الحَرْبُ شَمَّرا

وكانت من بنات ملوك اليمن. ويقال إن عَديَّ بن حاتم منها. ويقال بل عديٌّ وعبد الله وسَفَّانة من النَّوار. وعقب حاتمٍ من ولد عبد الله وليس لعديّ عقب من الذكور، وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله:

إذا كان بَعْضُ المال رَبًّا لأَهْلِهِ ... فإنّي بحَمْدِ اللهِ مالي مُعَبَّدُ

أخذه حُطائِطُ بن يَعْفُر فقال:

ذَرِيني أَكُنْ للمال رَبًّا ولا يَكُنْ ... لِيَ المالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّه غدا
أَرِيني جَواداً ماتَ هَزْلاً لَعَلَّني ... أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلاً مُخَلَّدا

ويستحسن له قوله:

أَلا أَبْلِغا وَهْمَ بن عَمْرٍو رِسالةً ... فإنَّك أَنْتَ المَرْءُ بالخَيْرِ أَجْدَرُ
رَأَيْتُكَ أَدْنَى من أُناسٍ قَرابَةً ... وغَيْرَكَ منهم كُنْتُ أَحْبُو وأَنْصُرُ
إذا ما أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنا ... بِمَوْتٍ فكُنْ أَنْتَ الَّذي يَتأَخَّرُ

ومن شعره:

فإنّـك إنْ أعطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ نالا مُنْتَهى الذَّمِّ أجْمَعا

وتذكر طيىء أن رجلاً يُعْرَف بأبي خَيْبَريّ مرَّ بقبر حاتم فنزل به وبات يناديه يا أبا عديّ اَقْرِ أضيافَك، فلمّا كان في السحر وثب أبو خيبريّ يصيح واراحلتاه فقال له أصحابه ما شأنك؟ فقال خرج والله حاتم بالسيف حتّى عقر ناقتي وأنا أنظر إليه فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تَنْبعث. فقالوا قد والله قراك، فنحروها وظلُّوا يأكلون من لحمها ثم أردفوه وانطلقوا، فبينا هم كذلك في مسيرهم طلع عليهم عديٌّ بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه ببعيره فقال إن حاتماً جاءَني في المنام فذكر لي شتمك إيّاه وأنّه قراك وأصحابك راحلتك وقد قال في ذلك أبياتاً وردَّدها عليَّ حتّى حفظتها:

أبـا خَيْبَرِيّ وأنـتَ امْرُؤٌ حَسُودُ العَشِيرةِ لَوّامُهـا
فما ذا أرَدْتَ إلى رِمَّـةٍ بداوِيَّـةٍ صَخِـبٍ هامُهـا
تُبَغّي أذاهـا وإعْسارَهـا وحَوْلَـكَ عَوْفٌ وأنْعامُهـا

وأمرني بدفع جمل مكانها إليك فخذه، فأخذه.

عَنْتَرَةُ بن شدّاد (العَبْسيُّ)

هو عَنْتَرة بن عمرو بن شدّاد بن عمرو بن قُراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بَغيض. وقال ابن الكلبيّ شدّاد جدُّه أبو أبيه غلب على اسم أبيه فنُسب إليه وإنَّما هو عنترة بن عمرو بن شدّاد. وقال غيره شدّاد عمُّه، وكان عنترة نشأ في حجره فنُسب إليه دون أبيه؛ وإنَّما ادَّعاه أبوه بعد الكِبَر وذلك أنَّه كان لأَمَةٍ سوداءَ يقال لها زَبيبة. وكانت العرب في الجاهليَّة إذا كان للرجلِ منهم ولد من أمة استعبده وكان لعنترة إخوة من أُمّهِ عَبيد. وكان سبب ادّعاءِ أبي عنترة إيّاه أن بعض أحياءِ العرب أغاروا على قوم من عَبْس فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيُّون فلحقوهم فقاتلوهم، عمّا معهم، وعنترة فيهم. فقال له أبوه: كُرَّ ياعنترة. فقال عنترة: العَبْدُ لا يُحْسِنِ الكَرّ، إنّما يُحْسِن الحِلَابَ والصَّرّ. فقال: كُرَّ وأنت حُرّ فكرَّ وهو يقول:

كُـــلُّ آمْرِئٍ يَحْمِي حِرَهْ　　أَسْــوَدَهُ　　وأَحْمَـــرَهْ

والوارِدَاتِ مِشْفَرَهْ

وقاتل يومئذ فأبلى واستنقذ ما كان بأيدي عدوّهم من الغنيمة فادَّعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه.

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة: عنترة وأُمُّه زَبيبة سوداءُ ، وخُفاف بن عُمَير الشَّريديُّ من بني سُلَيم وأُمُّه نَدْبَة وإليها يُنْسَب وكانت سوداءَ ، والسُّلَيك بن عُمَير السعديُّ وأمُّه سُلَكَة وإليها يُنْسَب وكانت سوداءَ .

وكان عنترة من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول من الشعر إلّا البيتين والثلاثة حتّى سابَّه رجل من بني عبس فذكر سواده وسواد أمّه وإخوته وعيَّره بذلك وبأنّه لا يقول الشعر . فقال له عنترة والله إن الناس ليترافدون بالطُّعْمة فما حضرتَ مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدُّك قطُّ ، وإنَّ الناس ليُدْعَوْن في الغارات فيُعْرَفون بتسويمهم فما رأيناك في خيل مغيرة في أوائل الناس قطُّ ، وإنّ اللَّبْسَ ليكون بيننا فما حضرتَ أنت ولا أبوك ولا جدُّك خُطَّة فَيْصَل وإنَّما أنت فَقْعٌ نبت بقَرْقَر وإنّي لأَحتضر البأس وأُوفي المغنَم وأَعفُّ عن المسألة وأَجود بما ملكت يَدي وأَفصل الخطَّة الصمعاءَ ، وأما الشعر فستعلمَ . فكان أوَّل ما قال قصيدة:

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ

وهي أجود شعره وكانوا يسمُّونها المُذْهَبَة. وكان عنترة قد شهد حرب داحس والغبراء فحسُن فيها بلاؤُه وحُمدت مشاهده. قال أبو عبيدة: إنّ عنترة بعد ما تأوَّتْ عبس إلى غطفان بعد يوم جَبَلَة وحملت الدماءَ احتاج وكان صاحب غارات فكَبِرَ فعجز عنها وكان له بَكْرٌ على رجل من غطفان فخرج قِبَله يتجازاه فهاجت رائحة من صَيِّفٍ وهبَّت نافحة وهو بين شَرْج وناظِرةَ فأصابت الشيخ فهَرَأَته فوجدوه

ميتاً بينهما. قال أبو عبيدة: وهو قتل ضَمْضَماً المُرّيَّ أبا حُصَين بن ضَمْضَم وهَرِم بن ضَمْضَم في حرب داحس والغبراء. وفي ذلك يقول:

ولَقَدْ خَشِيتُ بأَنْ أَمُوتَ ولم تَدُرْ ... للحَرْبِ دائِرَةٌ على ٱبْنَيْ ضَمْضَمِ
الشاتِمَيْ عِرْضِي ولم أَشْتِمْهُما ... والناذِرَيْنِ إذا لَمْ ٱلْقَهُما دَمِي
إنْ يَفْعَلَا فلقَدْ تركْتُ أَباهما ... جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

ومّما سبق إليه ولم ينازَع فيه قوله:

وخَلَا الذُّبابُ بها فليس ببارِحٍ ... غَرِداً كفِعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ ... فِعْلَ المُكِبِّ على الزِنّاد الأَجْذَمِ

وهذا من أحسن التشبيه. وقوله:

وإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهْلِكٌ ... مالي، وعِرْضِي وافِرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما عَلِمْتِ شمائِلِي وتَكَرُّمِي

ومن ذلك قوله:

إنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي وأَحْمِي سائِرِي بالمُنْصُلِ
وإذا الكَتِيبةُ أَحْجَمَتْ وتلاحظت ... أُلفِيتُ خَيْراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ

يقول: النصف من نسبي في خير عبس. وأَحْمي النصفَ الآخر، وهو نسبه في السودان، بالسيف فأشرّفه أيضاً. ومن حسن شعره قوله:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفَ كأَنَّني ... أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

فأجَبْتُهــا إنَّ المَنِيَّــة مَنْهَــلٌ لا بُــدَّ أنْ أُسْقَى بذاكِ المَنْهَلِ
فَٱقْنَيْ حَياءَكِ لا أباَلَكِ وٱعْلَمِي أنِّي ٱمْرُؤٌ سأَمُوتُ إنْ لم أُقْتَلِ
إنَّ المَنِيَّــةَ لَوْ تُمَثَّــلُ مُثِّلَتْ مِثْلِي إذا نَزَلُوا بضَنْكِ المَنْزِلِ

ومن إفراطه قوله:

وأنَا المَنِيَّــةُ في المَوَاطِنِ كُلِّها والطَّعْنُ مِنِّي سابِــقُ الآجالِ

وفي هذه يفخر بأخواله من السودان يقول:

إنِّي لتُعْرَفُ في الحُرُوبِ مَوَاطِنِي في آل عَبْسٍ مَشْهَـدِي وفِعالِي
منهم أَبِي حَقًّا فهُمْ لي والِـدٌ والأُمُّ من حـامٍ فهُمْ أَخْوالي

الأَسْوَد بن يَعْفُر

جاهلي ،هو من بني حارثة بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل بـن دارم ويكنَّى أبا الجَرَّاح وكان أعمى ،ولذلك قال:

ومِنَ الحَوادِثِ لا أبا لك أَنَّني ضُرِبَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بالأَسْدادِ
لا أَهْتَـدِي فيهـا لمَدْفَعِ تَلْعَةٍ بَيْنَ العُذَيْب وبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ

وفيها يقول:

مـاذا أُؤَمِّلُ بعـد آلِ مُحَرِّقٍ تَركُوا منازِلَهم وبَعْـدَ إِيَـادِ
أَهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والقَصْرِ ذي الشُّرُفاتِ من سَنْدادِ
نَزَلُوا بأَنْقِرَةٍ يَسِيـلُ عَلَيْهِمُ ماءُ الفُراتِ يَجيءُ من أَطْوادِ
أَرْضٌ تَخَيَّرَهـا لِطِيـبِ مَقِيلِها كَعْبُ بن مامَةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ
جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ فكأَنَّما كانوا عَلَـى ميعـادِ
(فـأَرَى النَّعِيمَ وكُلُّ ما يُلْهَى به يَوْمـاً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ)

وسمع عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً يتمثَّل بالبيت الأخير فقال: كم تركوا من جنّات وعيون .وكان له أخ يقال له حُطَائِط وهو القائل:

أَرِيني جَوَاداً مات هَزْلًا لَعَلَّني أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلًا مُخَلَّدَا

ولا عقب للأسود ولا لأخيه حُطائط، وكان الأسود مِمَّن يهجو قومه قال:

أَحَقًّا بَنِي أَبْناءِ سَلْمَى جَنْدَلٍ وَعيدُكُمُ إيّايَ وَسْطَ المَجالِسِ

الأَعْشَى ميمون بن قيس

هو من سعد بن ضُبيعة بن قيس وكان أعمى ويكنى أبا بَصير وكان أبوه قيس يُدْعَى قَتيل الجُوع وذلك أنه كان في جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من ذلك الجبل فسدَّت فم الغار فمات فيه جوعاً وكان جاهليًّا قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبيِّ ﷺ ليسلم فقيل له إنَّه يحرّم الخمر والزنا فقال أتمتَّع منهما سنةً ثم أُسْلِمُ فمات قبل ذلك بقرية باليمامة وقالوا إن خروجه يريد النبيَّ ﷺ في صلح الحُدَيْبِيَة، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد فقال أريد محمَّداً، فقال أبو سفيان إنه يحرّم عليك الخمر والزنا والقِمار فقال أمّا الزنا فقد تركني ولم أتركه وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً وأما القمار فلعلّي أصيب منه خَلَفاً، قال فهل لك إلى خير قال وما هو قال بيننا وبينه هُدْنة فترجع عامك هذا وتأخُذ مائة ناقة حمراء فإنْ ظهر (بعد ذلك) أتيتَه وإن ظفرنا به كنتَ قد أصبت عوضاً من رحلتك فقال لا أُبالي فانطلق به أبو سفيان إلى منزله وجمع إليه أصحابه وقال يا معشر قريش هذا أعشى قيس وقد علمتم شعره ولئن وصل إلى محمَّد ليضرِّبنّ عليكم العرب (قاطبةً) بشعره فجمعوا له مائة ناقة (حمراء) فانصرف فلمّا صار بناحية اليمامة ألقاه بعيرُه فقتله، ويسمّى صنّاجة العرب لأنه أوّل من ذكر الصَّنج في شعره فقال:

وَمُسْتَجِيبٌ لِصَوْتِ الصَّنْجِ تَسْمَعُه إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ

شبَّه العُود بالصَّنْج، وكان الأعشى يفد على ملوك فارس ولذلك كثرت الفارسيَّة في شعره كقوله:

فَلَأَشْرَبَنَّ ثَمانِياً وثَمانِياً وثَمانَ عَشْرَةَ وآثْنَتَيْنِ وأَرْبَعا

من قَهْوَةٍ باتَتْ بفارِسَ صَفْوَةً تَدَعُ الفَتَى مَلِكاً يَمِيلُ مُصَرَّعا

بالجُلَّسانِ وطَيِّبٍ أَرْدانُهُ بالوَنِّ يَضْرِبُ لي يَكُرُّ الإِصْبَعا

والنايَ نَرْمٍ وبَرْبَطٍ ذِي بُحَّةٍ والصَّنْجُ يَبْكِي شَجْوَهُ أَنْ يُوضَعا

وسمعه كسرى يوماً ينشد فقال مَن هذا فقالوا اَسْرُوذْ كُوَيَذ تازِي أي مغنّي العرب فأنشد:

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ وما بِيَ من سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ

فقال كسرى فسِّروا لنا ما قال فقالوا ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عِشْق فقال كسرى إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لِصٌّ، وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة ويمدح الأسود بن المنذر أخا النعمان وفيه يقول في قصيدته:

ما بُكاءُ الكَبيرِ بالأَطْلالِ

أَنْتَ خَيْرٌ من أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النّا سِ إذا ما كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجالِ

وقال له النعمان بن المنذر لعلَّك تستعين على شعرك هذا فقال له الأعشى احبسني في بيت حتّى أقول فحبسه (في بيت) فقال قصيدته التي أوَّلها:

أَأَزْمَعْتَ من آلِ لَيْلَى آبتكارا وشَطَّتْ على ذي هَوًى أنْ تُزارا

وفيها يقول:

وقيَّدَنِي الشِعْرُ في بَيْتِـــــهِ كما قَيَّـــدَ الآسراتُ الحِمارا

قال حمّاد الراوية حدَّثني سِماك عن عُبَيد راوية الأعشى عن الأعشى قال قدمتُ على النعمان فأنشدته:

إلَيْـكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كان كَلالُها تَرُوحُ مع اللَّيْلِ التَّمامِ وتَغْتَدِي

حتَّى أتيتُ على آخرها فخرج إلى ظهر النَّجَف فرأيتُه قد اعتمّ بنباته من بين أحمر وأصفر وأخضر وإذا فيه من هذه الشقائق شيءٌ لم أر مثله فقال ما أحسن هذه الشقائق احْمُوها فحموها فسُمّي شقائق النعمان بذلك، قال وحدَّثني الرِّياشيُّ عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِماك عن عُبَيْد راوية الأعشى قال قلت للأعشى ماذا أردتَ بقولك:

ومُدامَــةٍ مِّـا تُعَتِّـقُ بابِـلٌ كـدَمِ الذَّبيحِ سَلَبْتُها جِرْيالَها

قال شربتها حمراءَ وبُلْتُها بيضاءَ، والجريال اللون، وكان عُبَيد هذا يصحب الأعشى ويروي شعره وكان عالماً بالإبل وله يقول الأعشى في ذكر الناقة:

[لم تُعَطَّفْ على حُوَارٍ] ولم يَقْطَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَها من خُمَالِ، ولّما قال الأعشى في عَلْقَمَة بن عُلَاثة.

عَلْقَمَ مـــا أَنْـــتَ إلى عامِرٍ (الناقِـضِ الأَوْتـارِ والواتِـرِ

نذر علقمة دمه فخرج الأعشى يريد وجهاً فأخطأ به دليله فألقاه في ديار بني عامر بن صَعْصَعَة فأخذه رهط علقمة فأتوه به فقال:

أَعَلْقَمَ قــد صَيَّرَتْـني الأُمورُ إلَيْـك وما أَنْتَ لي مُنْقِصُ

فهَبْ لي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوسُ ولا زِلْتَ تَنْمِي ولا تَنْقُصُ

في أبيات، فعفا عنه، فقال الأعشى ينقض ما قال أوَّلًا:

عَلْقَمَ يا خَيْرَ بني عامِرٍ للضَّيْفِ والصاحِبِ والزائِرِ
والضاحِكَ السِّنِّ على هَمِّهِ والغافِرَ العَثْرَةَ للعاثِرِ

قال أبو عبيدة أسر رجل من كَلْب الأعشى فكتمه نفسه وحبسه واجتمع عند الكلبيّ شَرْبٌ فيهم شُرَيح بن عمرو الكلبيُّ فعرف الأعشى فقال للكلبيّ مَن هذا فقال خَشاش التقطتُه، قال ما ترجو به ولا فداءَ له خلِّ عنه فخلَّى عنه فأطعمه شُرَيح وسقاه، فلمّا أخذ منه الشراب سمعه يترنَّم بهجاء الكلبيّ فأراد استرجاعه فقال الأعشى:

شُرَيحُ لا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ ما عَلِقَتْ حِبالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أَظْفاري
كُنْ كالسَّمَوْألِ إذ طافَ الهُمامُ به في جحْفَلٍ كهَزِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
بالأَبْلَقِ الفَرْدِ من تَيْماءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غَيْرُ غَدَّارِ
خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له اِعْرِضْهما هكذا أَسْمَعْهما حارِ
فقال ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أنت بَيْنَهما فَٱخْتَرْ وما فيهما حَظٌّ لِمُخْتارِ
فشَكَّ غَيْرَ طويلٍ ثم قال له أُقْتُلْ أَسِيرَكَ إنِّي مانعٌ جاري
وسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتَ به رَبٌّ كَرِيمٌ وبِيضٌ ذاتُ أَطْهارِ
فٱخْتار أدراعَه أن لا يُسَبَّ بها ولم يَكُنْ عَهْدُه فيها بخَتَّارِ

قال أبو محمَّد ذكر وفاءَ السَّمَوْءَل بن عادياء في ما خلَّف عنده امرؤ القيس وأنه بذل ابنه دون أمانته حتَّى قُتل، وفي الأعشى يقول

أبو كَلْبَة، وفي الأَصَمّ بن مَعْبَد من ولد الحارث بن عُبَاد الذي قام بحرب بَكْرٍ:

قُبِّحْتُمَا شاعِرَيْ حَيٍّ ذَوِي حَسَبٍ   وحُزَّ أَنْفاكما حَزًّا بِمِنْشارِ
أَعْنِي الأَصَمَّ وأَعْشانا إذا ابْتَدَرا   أَلَّا اسْتَعانا على سَمْعٍ وإِبْصارِ

قال أبو عبيدة الأعشى هو رابع الشعراء المتقدّمين وهو يقدَّم على طَرَفة لأنَّه أكثر عدد طِوالٍ جيادٍ وأوصف للخمر والحُمُر وأمدح وأَهْجَى، فأما طرَفة فإنَّما يوضَع مع الحارث بن حِلِّزة وعمرو بن كُلْثُوم وسُوَيد بن أبي كاهل في الإسلام، وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ باض عليهِمُ   إذا رِيعَ يَوْماً للصَّرِيخ المُنَدَّدِ

وقال سَلَامة بن جَنْدَل وهو جاهلي:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ باض عليهمُ   بنَهْيِ القِذافِ أو بنَهْيِ مُخَفَّقِ

وقال زَيْد الخَيْل وهو جاهليٌّ:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ باض عليهِمُ   وأَعْيُنُهم تَحْتَ الحَدِيدِ خَوَازِرُ

ويعاب الأعشى بقوله:

وقد غَدَوْتُ إلى الحانُوتِ يَتْبَعُني   شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، ويعاب بقوله في ملك الحِيرَة.

ويَأْمُرُ لليَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ   بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ فقد كاد يَسْنَقُ

واليحموم فرس وقالوا هذا مما لا يُمْدَح به رجل من خِساس

الجُنُود لأنَّه ليس من أحد له فرس إلّا وهو يَعْلِفُه قَتًّا ويقضمه شعيراً وهذا مديح كالهجاء. قال أبو محمَّد ولست أرى هذا عيباً لأنَّ الملوك تُعِدُّ فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه خوفاً من عدوّ يفجأها أو أمرٍ ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البِدَار إليها فلا يحتاج إلى أن يتلوَّم على أسراج فرسه وإلجامه، وإذا كان واقفاً غُدِّيَ وعُشِّيَ فوضع الأعشى هذا المعنى ودلَّ به على مُلْكه وعلى حزمه، ويُستحسن له قوله في الخمر:

تُريك القَذَى من دُونِها وهي دونَه إذا ذاقها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ

يريد أنَّها من صفائها تريك القذاة عالية عليها والقذاة في أسفلها فأخذ الأخطَلُ المعنى فقال:

ولَقَدْ تُباكِرُني على لذَّاتِها صَهْباءُ عالِيَةُ القَذَى خُرْطُومُ

ولم تختلف الرواة في ألفاظ بيت اختلافَها في بيت له وهو:

إنِّي لَعَمْرُ الَّذي حَطَّتْ مَنَاسِمُها تُخْدَى وسِيقَ إليها الباقِرُ العَثَلُ

رواه بعضهم خَطَّتْ يريد خَطَّت التراب ورواه بعضهم حَطَّتْ أي اعتمدت في السَّيْر، وروى بعضهم تُخْدَى وبعضهم تَخْدِي، وروى بعضهم الباقر العَثَلُ وهي الكثيرة، ورواه آخر الباقر الغُيُل وهي السِّمان ورواه آخر وجدَّ عليها النافِرُ العَجِلُ يريد النُّفَّارَ من مِنًى، وهو ممَّن أقرَّ بالمَلَكَيْن الكاتبين في شعره قال يمدح النعمان:

فلا تَحْسِبَنِّي كافِراً لك نِعْمَةً على شاهِدِي يا شَاهِدَ اللهِ فَاشْهَدِ

قوله على شاهدي يريد على لساني يا شاهد الله يريد المَلَك الموكَّل به

وكان هذا من إيمان العرب بالمَلَكَيْن بقيَّة من دين إسماعيل ﷺ، ويستحسن قوله في سكران:

فراحَ مَكِيثاً كأَنَّ الدَّبَا ... يَدِبُّ على كُلّ عَظْمٍ دَبِيبَا

قال وأحسن ما قيل في الرياض قوله:

ما رَوْضَةٌ من رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَّمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْماً بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائِحَةٍ ... ولا بأَحْسَنَ منها إذ دَنَا الأُصُلُ

عَبِيدُ بن الأَبْرَص (الأَسَديُّ)

هو عَبِيد بن الأبرص بن عوف بن جُشَم بن عامر بن مالك بن زهير ابن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد، وكان عَبيد شاعراً جاهليًّا قديماً من المعمَّرين وشهد مقتل حُجْر أبي امرىء القيس وهو القائل لامرىء القيس:

يـــا ذا المُخَوِّفُنـــا بقتْل أَبِيهِ إذْلالاً وحَيْنـــا
أَزَعَمْــتَ أَنَّــك قــد قَتَلْــتَ سَرَاتَنــا كَذِبــاً ومَيْنــا
هَلَّا عـــلى حُجْر بنِ أُ مِّ قَطَــامِ تَبْكِي لا عَلَيْنــا
إِنَّـــا إذا عَــضَّ الثِقـــا فُ بِرَأْسِ صَعْدَتِنــا لَوَيْنــا
نَحْمِي حَقِيقَتَنـــا وبَعْــضُ القَوْمِ يَسْقُــطُ بَيْنَ بَيْنــا
هَلَّا سَأَلْـــتَ جُمُوعَ كِنْـــدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنـــا
أَيَّـــامَ نَضْرِبُ هامَهُمْ ببَوَاتِرٍ حَتَّـــى انْحَنَيْنـــا

وقتله النعمان بن المنذر يومَ بؤسه ويقال إنَّه لقيه يومئذ وله أكثر من ثلاثمائة سنة، فلمّا رآه النعمان قال هلَّا كان هذا لغيرك يا عَبيد أَنْشِدْني فربَّما أعجبني شعرك فقال له عبيد حال الجَريض دون القَريض قال أنشدني:

أَقْفَرَ من أَهْلِهِ مَلْحُوبُ

فأنشده عبيد:

أَقْفَرَ من أَهْلِــهِ عَبِيـــدُ فاليَوْمَ لا يُبْـدِي ولا يُعِيـدُ

فسأله أيَّ قِتْلة يختار قال عبيد أسقى من الراح حتَّى أثمل ثم افصدْني الأكحل ففعل ذلك به ولطَّخ بدمه الغَرِيَّيْن. قال أبو محمَّد الغريّان طربالان كان يلطّخهما بدماء القتلى يوم بؤسه (وكان بناهما على نديمَيْن له وهما خالد بن نَضْلة الفَقْعَسيُّ وعمرو بن مسعود) وهو موضع معروف بالكوفة يقال له الغَرِيّان، وأجود شعره قصيدته التي يقول فيها:

أَقفَرَ من أَهْلِها مَلْحُوبُ

وهي إحدى السبع وفيها يقول:

وكُلُّ ذي نِعْمَةٍ مَخْلُوسُها وكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكْذُوبُ
وكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوْرُوثُها وكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسْلُوبُ
وكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَؤُوبُ
اِفْلَحْ بما شِئْتَ قد يُبْلَغُ بالضَّعْف وقد يُخْدَعُ الأَرِيبُ
مَنْ يسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوهُ وسائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ
(واللهُ لَيسَ لَه شَرِيكٌ عَلَّامُ ما أَخْفَتِ القُلُوبُ)
لا يَعِظُ الناسَ مَنْ لم يَعِظْهُ الدَّهْرُ ولا يَنْفَعُ التَّلْبِيبُ
(والمَرْءُ ما عاشَ في تَكْذِيبٍ طُولُ الحَيَاةِ له تَعْذِيبُ)
ساعِفْ بأَرْضٍ إذا كُنْتَ بها ولا تَقُلْ إِنَّنِي غَرِيبُ
قد يُوصَلُ النازِحُ النَّائِي وقَدْ يُقْطَعُ ذو السُّهْمَةِ القَرِيبُ
(أعاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ وَلَدٍ أَمْ غانِمٌ مِثْلُ مَن يَخِيبُ)

ومما يتمثَّل به من شعره قوله:

لأَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ تَنْدُبُني وفي حَيَاتِيَ ما زَوَّدْتَنِي زادِي

بِشْرُ بن أبي خازِمٍ

هو من بني أَسَد جاهليٌّ قديم شهد حرب أَسَد وطيِّءٍ وشهد هو وابنه نَوْفَل بن بشَر الحِلْف بينهما، قال أبو عمرو بن العَلاء فحلانِ من الشعراء كانا يُقْويان النابغة وبشر بن أبي خازم، فأمّا النابغة فدخل يَثْرِبَ فغُنِّيَ بشعره ففطن فلم يَعُدْ للإقواء، وأمّا بشر (بن أبي خازم) فقال له أخوه سَوَادَةُ إنَّك تُقْوي قال وما الإقواءُ قال قولك:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي ... ويُنْسِي مِثْلَ ما نُسِيَتْ جُذَامُ

ثم قلت:

وكانوا قَوْمَنا فبغَوْا عَلَيْنا ... فسُقْناهُمْ إلى البَلَدِ الشَّآمِ

فلم يَعُدْ للإقواءِ، ويعاب من شعره قوله في وصف فرس:

على كُلِّ ذِي مَيْعَةٍ سابِحٍ ... يُقَطِّعُ ذو أَبْهَرَيْهِ الحِزاما

الأبهر عِرْق مكتنفٌ للصُّلْب وأراد بقوله ذو أبهرَيْه جنبيْه فجعل الأبهر اثنين وهو واحد، وكان الصواب أن يقول ذو أبهر والمعنى أنَّه إذا انحطَّ قطع حِزامه لانتفاخ جَنْبَيْه قال الآخر:

وللفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ

وقال النبيُّ ﷺ ما زالَتْ أُكْلَةُ خَيْبَر تعادُّني فهذا أوان قَطَعَتْ أبهري، وقال في سفينة:

أُجالِـدُ صَفَّهُمْ ولَقَـدْ أرَاني   علـى زَوْراءَ تَسْجُـدُ للرِيّـاح
إذا ركِبَتْ بصاحِبِها خَلِيجاً   تَذَكَّرَ مـا لَدَيْـهِ من جُنَـاحِ
ونَحْنُ عَلَـى جوانِبِهـا قُعُودٌ   نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبِلِ القِمَاحِ

وهي الرافعة الرؤُوس والغضُّ الذلُّ في الطرف، وكان بشر في أوّل أمره يهجو أَوْس بن حارثة بن لام (الطائيَّ) فأسرته بنو نَبْهان من طيِّءٍ فركب أوس إليهم فاستوهبه (منهم) وكان قد نذر ليحرقنّه إن قدر عليه فوهبوه له فقالت له أمُّه سُعْدَى قبح الله رأيك أكْرِمِ الرجل وخَلّ عنه فإنَّه لا يمحو ما قال غيرُ لسانه ففعل فجعل بشر مكان كلّ قصيدة هجاءٍ قصيدة مدحٍ.

سَلاَمَةُ بن جَنْدَلٍ

هو من بني عامر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم، جاهليٌّ قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان، وكان عمرو بن كُلْثُوم أغار على حيٍّ من بني سعد بن زيد مناة فأصاب منهم وكان فيمن أصاب أحمر ابن جَنْدَل، وكان سلامة بن جندل أحد من يصف الخيل فيُحْسِن، وأجود شعره قصيدته التي أوّلها:

أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذو التَّعاجِيبِ ... وَلَّى وذلك شأوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ
أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ ... فيه نَلَذُّ ولا لَذَّاتَ للشِّيبِ
وَلَّى حَثِيثاً وهذا الشَّيْبُ يَتْبَعُهُ ... لَوْ كان يُدْرِكُهُ رَكْضَ اليَعاقِيبِ

وهو القائل:

تَقُولُ ٱبْنَتِي إنَّ انْطِلاقَكَ واحِداً ... إلى الرَّوْعِ يَوْماً تارِكِي لا أَبَا لِيَا
ذَرِينِي منَ الإشفاقِ أو قَدِّمِي لنا ... مِنَ الحَدَثانِ والمَنِيَّةِ وَاقِيَا
سَتَتْلَفُ نَفْسِي أو سأَجْمَعُ هَجْمَةً ... تَرَيْ ساقِيَيْها يأْلَمانِ التَّرَاقِيَا

لَبيدُ بن رَبِيعَةَ

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلَاب العامريُّ وكان يقال لأبيه رَبيعُ المُقْترِين لسخائه وقتلته بنو أَسَد في حربٍ بينهم وبين قومه، ويقال قتله مُنْقِذ بن طَرِيف الأَسَديُّ، ويقال قتله صامت بن الأَفْقَم من بني الصَّيْداء، يقال ضربه خالد بن نَضْلة وتَمَّم عليه هذا وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه وذلك أنه قتل قاتِلَه)، ويُكنى لَبيد أبا عَقِيل وكان من شعراء الجاهليَّة وفرسانهم وكان الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيُّ وهو الأَعْرَج وجَّه إلى المُنْذِر بن ماء السماء مائة فارس وأَمَّره عليهم فصاروا إلى عسكر المنذر وأَظهروا أَنَّهم أتوه داخلين في طاعته فلمّا تمكَّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقُتل أكثرهم ونجا لبيد حتّى أتى ملك غسّان فأخبره الخبر فحمل الغسّانيُّون على عسكر المنذر فهزموهم وهو يوم حَلِيمة وكانت حليمة بنت ملك غسّان وكانت طيَّبت هؤلاء الفتيان حين توجَّهوا وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس الإِضْريج، وأدرك لبيد الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم (لبيد) الكوفة وبنوه فرجع بنوه إلى البادية (بعد ذلك) فأقام لبيد إلى أن مات بها فدُفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال إن وفاته كانت في أوَّل خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة، ولم يقل في

الإسلام إلّا بيتاً واحداً واختُلف في البيت، قال أبو اليَقْظان هو:

اَلْحَمْـدُ للهِ إذ لم يأتِنِي أَجَلِي حتَّى كَسَاني مِنَ الإسْلام سِرْبالا

وقال غيره بل هو قوله:

ما عاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصالِحُ

وقال له عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنشدْني من شعرك فقرأ سورة البقرة وقال ما كنتُ لأَقول شعراً بعد إذ علَّمني الله سورة البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمس مائة (درهم) وكان ألفَيْن، فلمّا كان في زمن معاوية قال له معاوية هذان الفَوْدان فما بال العِلاَوة يعني بالفودين الألفَيْن وبالعلاوة الخمس مائة وأراد أن يحطَّه إيّاها، فقال: أموت الآن وتبقى لك العلاوة فرقَّ له (معاوية) وترك عطاءه على حاله فمات بعد ذلك بيسير، وكان لبيد آلى في الجاهليَّة ألاَّ تَهُبَّ الصَّبا إلاّ أطعم الناس حتَّى تسكن وألزمه نفسه في إسلامه فخطب الوليد بن عقبة الناس بالكوفة يوم صبا وقال: إنّ أخاكم لبيداً آلى ألاَّ تهبّ له الصبا إلا أطعم الناس وهذا اليوم من أيّامه فأعينوه وأنا أوَّل من أعانه ونزل فبعث إليه بمائة بكرة وكتب إليه:

أَرَى الجَزَّارَ يَشْحَـذُ شَفْرَتَيْـه إذا هَبَّتْ رِياحُ أَبِي عَقِيـلِ

أَشَمُّ الأَنْـفِ أَصْيَـدُ عامريٌّ طَوِيلُ الباعِ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

وَفَـى ٱبْنُ الجَعْفَرِيِّ بِحِلْفَتَيْـهِ عـلى العِلاَّتِ والمـالِ القَلِيـلِ

بنَحْرِ الكُوم إذ سَحَبَتْ عليه ذيولَ صَباً تَجَاوُبُ بالأَصيلِ

فلمّا أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد رأيتُني وما أَعْيا بجواب شاعر فقالت:

إذا هَبَّتْ رِياحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنـا عنـد هَبَّتِها الوَلِيـدا
أَشَمَّ الأَنْـفِ أَصْيَـدَ عَبْشَمِيًّا أَعـانَ عَلَـى مُرُوءَتِهِ لَبِيـدا
بِأَمْثـالِ الهِضـابِ كأَنَّ رَكْباً عليها من بني حامٍ قُعُودا
أبا وَهْبٍ جَزاكَ اللهُ خَيْراً نَحَرْناها وأَطْعَمْنـا الثَّرِيـدا
فعُـدْ إِنَّ الكَرِيمَ لـه مَعـادٌ وظَنِّي يا ابن أَرْوَى أن تَعُودا

فقال لها لبيد أحسنتِ لولا أنَّك استطعمتِهِ (قالت إنه ملك وليس بسوقة ولا بأس باستطعام الملوك).

ومُلاعبُ الأَسِنَّة هو عمٌّ لبيد واسمه عامر بن مالك وسُمّي ملاعب الأسنَّة لقول أَوْس بن حَجَر.

ولاعَـبَ أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ عامِرٌ فراحَ لـه حَظُّ الكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

وكان ملاعب الأسنَّة أخذ أربعين مرباعاً في الجاهليَّة ولمّا كَبُرَ عامر وأَهْتَرَ تنازع عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمة بن عُلَاثة الجعفريّان في الرئاسة حتَّى تنافرا إلى هَرِم بن قُطْبَة بن سيَّار الفَزَاري، وأَرْبَد بن قَيْس الذي أتى النبي ﷺ غادراً هو أخو لبيد لأُمّه،وكان قدم عليه مع عامر بن الطُّفَيل فدعا الله عليه فأصابته بعد منصرفه صاعقة فأحرقته ففيه قال لبيد:

أَخْشَى على أربَدَ الحُتُوف ولا أَرْهَـبُ نَوْءَ السّماكِ والأَسَدِ
فَجَّعَني الرَّعْـدُ بالْفـارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَـةِ النَّجُـدِ

ويقال فيه نزلت ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بها مَنْ يَشاءُ وفيه يقول وهو من جيّد شعره:

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالعُ وتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنا والمصانعُ
وقد كُنْتُ في أَكْنافِ جارِ مَضِنَّةٍ ففارَقَني جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ
فلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا فكُلُّ فَتَى يَوْماً به الدَّهْرُ فاجِعُ
وما النـاسُ إلاَّ كالدِّيارِ وأَهْلُها بها يَوْمَ حَلُّوها وغَدْوا بَلاَقِعُ)
وما المَرْءُ إلَّا كالشهَابِ وضَوْءِه يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ
وما البِرُّ إلَّا مُضْمَرَاتٌ من التُّقَى وما المالُ إلَّا مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ
وما المالُ والأَهْلُونَ إلَّا وَدَائِعٌ ولا بُـدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ)
وما الناسُ إلَّا عامِلَانِ فعامِلٌ يُتَبِّرُ ما يَبْنِي وآخَرُ رافِعُ
فمنهم سَعِيدٌ آخِذٌ بنَصِيبِهِ ومنهم شَقِيٌّ بالمَعِيشَةِ قانِعُ
أَلَيْسَ وَرَائِي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيتي لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عليها الأَصابعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدِبٌّ كأَنِّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ
فأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَه تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فلا تَبْعَدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ علينا فدَانٍ للطُّلُوعِ وطالِعُ
أَعاذِلَ ما يُدْرِيكَ إلَّا تَظَنِّيًا إذا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ راجِعُ
أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ للفَتَى وأَيُّ كَرِيمٍ لم تُصِبْه القَوارِعُ
لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الضَّوارِبُ بالحَصَى ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

ومما يستجاد له قوله أيضاً:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهَ باطِلُ وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ
إذَا المَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً ظَنَّ أَنَّه قَضَى عَمَلاً والمَرْءُ ما عاشَ آمِلُ
حَبائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بِسَبِيلِهِ ويَفْنَى إذا ما أَخْطَأَتْهُ الحَبائِلُ
فقُولا له إنْ كان يَقْسِمُ أَمْرَهُ أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ أُمُّكَ هابِلُ

فإنْ أَنْتَ لم تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَانْتَسِبْ   لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوائِلُ
فإنْ لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والِداً   ودُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَواذِلُ
وكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً سَيَعْلَمُ سَعْيَهُ   إذا كُشِفَتْ عند الإلٰهِ المَحَاصِلُ

وهذا البيت الآخر يدلُّ على أنه قيل في الإسلام وهو شَبيه بقول الله تبارك وتعالى ﴿وحُصِّلَ مَا في الصُّدُورِ﴾ أو كان لبيد قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب ولعلَّ البيت منحول،وممّا يستجاد له قوله:

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ   ولَخَيرُ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها

يقول اقطع لبانتك ممّن لم يستقم (لك) وصلُه فإنَّ أحسن الناس وَصْلاً أحسنهم وَضْعاً للقطيعة في موضعها، ويستجاد له قوله:

واكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَها   إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بالأَمَلْ

(يقول) اكذب النفس أن تَعِدَها الخيرَ وتُمَنِّيَها إيّاه،وإذا صدقها فقال لها مصيرك إلى الهلكة والزوال أزرى ذلك بأمله، ثم قال:

غَيْرَ أَنْ لا تَكْذِبَنْها في التُّقَى   واخْزُهـا بالبِرِّ للهِ الأَجَـلْ

قوله اخْزُها سُسْها، وممّا يعاب له من هذه القصيدة:

ومَقَـامٍ ضَيِّـقٍ فَرَّجْتُـهُ   بمَقامِي ولِساني وجَـدَلْ
لَوْ يَقُومُ الفِيـلُ أو فَيَّالُـهُ   زَلَّ عن مِثْلِ مَقامِي وزَحَلْ

وقالوا ليس للفيّال من الخطابة والبيان ولا من القوّة ما يجعله مثلاً لنفسه وإنّما ذَهَبَ إلى أن الفيل أقوى البهائم فظنَّ أن فيَّاله أقوى الناس،قال أبو محمّد وأنا أراه أراد بقوله لو يقوم الفيل أو فيّاله مع فيَّاله فأقام أو مقام الواو،وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله:

كعَقْر الهاجريّ إذا بَنَـــاهُ باشبـاهٍ حـذين علـى مثال

أخذه الطِرِمّاحُ فقال:

حَرَجاً كمِجْدَل هاجِرِيٍّ لَزَّهُ بذَواتِ طَبْخٍ أطِيمة لا تخمُدُ
قُـدِرَتْ عَلَى مُثُلٍ فهُنَّ تَوائِمٌ شتّـى يُلائِمُ بينَهُنَّ القَرْمَـدُ

ذوات طبـخٍ يعني الآجُرَّ أطيمةٍ يعني أتُونٍ)، ومن ذلك قوله وذكر نوقاً:

لها حَجَلٌ قد قَرَّعَتْ من رُؤُوسِهِ لهـا فَوْقَـه مِمّا تَحَلَّبُ واشِلُ

أخذه النابغة الجعديُّ فقال:

لها حَجَلٌ قُرْعُ الرُؤُوس تَحَلَّبَتْ على هَامَةٍ بالصَّيْفِ حتّى تَمَوَّرا

يعني بالحَجَل أولادها الصغار، قال أبو محمّد قال لي شيخ من أصحاب اللغة اجتمعت الرواة على خطأً في بيت لبيد وهو قوله:

من كُـلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عصيَّهُ زوْجٌ عَلَيْـهِ كِلَّـةٌ وقرامُهـا

وقال المحفوف الهودح والزوج النمط فكيف يُظِلّ النمط وهو أسفل العصيّ وهي فوق وإنّما كان ينبغي أن يرووه من كلّ محفوف يُظِلُّ عِصيُّه زَوْجاً ثم يرجع إلى المحفوف فيقول عليه كلّة وقِرامُها قال أبو محمّد ولا أرى هذا إلّا غلطاً منه ولم تكن الرواة لتجتمع على هذه الرواية إلّا بأخذ عن العرب وأراهم كانوا يُلْقُون أيضاً النمط فوق الأعواد ويُلقونه داخله وأَحْسِبُني قد رأيت هذا بعينه في البادية، ومما سبق إليه فأُخذ منه قوله:

من المُسْبِلينَ الرَّيْطَ لَذٌّ كأنَّما تَشرَّبَ ضاحِي جِلْدِه لَوْنَ مُذْهَبِ

أخذه الأخطل فقال:

لَـــذٌّ تَقَبَّلَـــهُ النَّعِـــيمُ كأنَّما　　مُسِحَتْ ترائِبُهُ بماءِ مُذْهَبِ

وقوله يذكر قوماً ماتوا:

وإنَّا وإخْواناً لَنَا قد تتابَعُوا　　لَكالْمُغْتَدِي والرائحِ المُتهجِّرِ

أخذه المُحْدَث فقال:

سَبَقُونا إلى الرَّحِيل وإنَّا لَبالأثَرْ

ويستجاد له قوله في النعمان يصف نظره وشِرَّته:

وانْتَضَلْنا وابنُ سَلْمَى قاعِدٌ　　كعَتيقِ الطَّيْرِ يُغْضِ ويُجَلْ

والهَبَانِيـــقُ قِيـــامٌ معَهُمْ　　كُلُّ مَحْجُومٍ إذا صُبَّ هَمَلْ

تَحْسِرُ الدِّيبـاجَ عن أذْرُعِهِم　　عِنْـدَ ذي تاجٍ إذا قال فَعَلْ

فَتَوَلَّـــوْا فاتِـــراً مَشْيُهُمُ　　كَرَوَايَا الطِّبْعِ هَمَّتْ بالوَحَلْ

ولبيد أوَّلُ من شبَّه الأباريق بالبطّ فأُخذ ذلك منه قال يذكر الخمر:

تُضَمَّنُ بَيْضاً كالإوَزِّ ظُرُوفُها　　إذا أتْأَقُوا أعْناقَها والحَوَاصِلا

فأخذه بعض الضَّبِّيِّين فقال:

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ　　دَمُ الزِّقِّ عنَّا واصْطِفاقُ المَزاهِرِ

كـأنَّ أبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّـةً　　إوزٌّ بِأعْلَى الطَّفِّ عُوجُ المَناقرِ

وقال أبو الهنديّ:

سَيُغْنِي أبا الهِنديِّ عن وَطْبِ سالِمٍ　　أباريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ

مُقَدَّمَـــةٌ قَزًّا كـــأَنَّ رِقابَهــا رِقابُ بَنَاتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ

وقال لبيد:

حتى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وأَجَنَّ عوْراتِ الثُّغُورِ ظَلَامُها

وقال ثعلبة بن صُعَيْر:

فَتذَكَّرا ثَقَلاً رَثِيــداً بَعْدَمــا أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَها في كافِرِ

يعني الليل.

زَيْدُ الخَيْلِ

هو زيد الخيل بن مُهَلْهِل من طيءٍ ،جاهليٌّ وأدرك الإسلام ووفد على النبيّ ﷺ في وفد طيّء وأسلم وسمّاه زيد الخَيْر وقال له ما وُصف لي أحد في الجاهليَّة فرأيتُه في الإسلام إلَّا رأيتُه دون الصفة لَيْسَك يريد غيرَك وقطع له أَرْضِين وكانت المدينة وَبِئَةً فلمّا خرج من عند النبيّ ﷺ قال إن يَنْجُ زيد من أمّ مِلْدَم ،فلمّا بلغ بلده مات وكان يُكْنَى أبا مُكْنِف وكان له ابنان يقال لهما مُكْنِف وحُرَيْث أسلما وصحبا النبيَّ ﷺ وشهدا قتال الردَّة مع خالد بن الوليد وحمّاد الراوية مولى مُكْنِف (وحُرَيث هو الذي يقول يرثي أوس بن خالد وقُتل في حرب:

أَلَا بكرَ الناعِي بأَوْسِ بن خالدٍ ... أَخِي الشَّتْوَةِ الغَبْراءِ والزَّمَنِ المَحْلِ

فلا تجزَعِي يا أُمَّ أَوْسٍ فإنَّه ... تُصيبُ المَنايا كلَّ حافٍ وذي نَعْلِ

فَـإنْ تَقْتُلُوا بالغَدْرِ أَوْساً فإنَّنِي ... تَركْتُ أبا سُفْيانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ

قَتَلْنـا بقَتْلانا منَ القَوْم عُصْبَةً ... كِراماً ولم نأْكُلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ

ولَوْلَا الأَسَى ما عِشْتُ في الناس ساعَةً ... ولكِنْ إذا ما شِئْتُ ساعَدَني مِثْلي

وكان زيد الخيل أخذ فرساً لكعب بن زهير فقال كعب بن زهير:

لقد نال زيدُ الخيل مالَ أخيكُمُ ... فأصبح زيدٌ بعد فقرٍ قد اقْتَنَى

فأجابه زيد الخيل:

أَفِي كُلِّ عامٍ مَأْتَمٌ تَبْعَثُونَهُ ... على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثِيبَ وما رُضَى

تَقُولُ أُرى زَيْداً وقد كان مُصْرِماً ... أُراهُ لعَمْرِي قَدْ تَمَوَّلَ واَقْتَنَى

وذاكَ عَطاءُ اللهِ في كُلِّ غارَةٍ ... مُشَمِّرَةٍ يَوْماً إذا قُلِّصَ الخُصَى

فلَوْلا زُهَيْرٌ أَنْ أُكَدِّرَ نِعْمَةً ... لَقاذَعْتُ كَعْباً ما بَقِيتُ وما بَقَا

ومن خبيث الهجاءِ قول زيد الخيل:

فَخَيْبَةُ مَن بُغِيرُ على غَنِيٍّ ... وباهِلَـةَ بن أَعْصُرَ والرِّكابِ

وأَدَّى الغُنْمَ مَنْ أَدَّى قُشَيْراً ... ومَنْ كانَتْ له أَسْرَى كِلابِ

النابغة الجَعْدِيُّ

هو عبد الله بن قيس من جَعْدَة بن كعب بن ربيعة وإخوة جعدة عُقَيل وقُشَير والحَرِيش، وكان يُكْنَى أبا لَيْلَى، وهو جاهليٌّ، وأتى رسول الله ﷺ وأنشده:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جاءَ بالهُدَى ... ويَتْلُو كِتابــاً كالمَجَرَّةِ نَيِّرا

بَلَغْنـا السَّماءَ مَجْدَنا وجُدُودَنا ... وإِنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلِكَ مَظْهَرا

فقال رسول الله ﷺ إلى أين أبا ليلى فقال إلى الجنَّة فقال رسول الله ﷺ إن شاء الله وأنشده:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ له ... بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَةُ أَنْ يُكَدَّرا

(ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يكن له ... حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا)

فقال رسول الله ﷺ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك،قال فبقي عمره لم تنقضّ له سنٌّ،وكان معمَّراً ونادم المُنْذِرَ أبا النعمان بن المنذر وفي ذلك يقول:

تَذَكَّرْتُ والذِّكْرَى تَهِيجُ على الفَتَى ... ومن حاجَةِ المَحْزُونِ أن يَتَذَكَّرا

نَدَامايَ عِنْـدَ المُنْذِرِ بن مُحَرِّقٍ ... أَرَى اليَوْمَ ظاهِرَ الأَرْضِ مُقْفِرا

ويقال إنه كان أقدم من النابغة الذُّبْياني لأنَّ الذبيانيَّ نادَمَ النعمان

وهذا نادم أباه. ونَسَبَ المنذر إلى محرِّق وهو جدُّه وعمِّر حتَّى ورد على ابن الزُّبير وروى له الحديث عن رسول الله ﷺ أَنا والنَّبِيُّونَ فُرَّاطٌ لقاصِفِينَ وحتَّى نازَعَ الأَخْطَلَ الشعر فغلبه الأخطل فهو من مُغَلَّبِي مُضَر ومات بإِصْبَهان وهو ابن مائة وعشرين سنة وكان العلماءُ يقولون في شعره خِمَارٌ بوافٍ ومِطْرَفٌ بآلافٍ يريدون أن في شعره تفاوتاً فبعضُه جِدٌّ مُبَرِّزٍ وبعضه رديٌّ ساقط، ومِمَّا سبق إليه فأخذ منه قوله في صفة الفرس:

كـأَنَّ مَقَــطَّ شَرَاسِيفِــهِ ... إلى طَرَفِ القُنْــبِ فالمَنْقَــبِ
لُطِمْنَ بتُرْسٍ شَدِيـدِ الصِّقا ... لِ من خَشَبِ الجَوْزِ لم يُثْقَـبِ

أخذه ابن مُقْبِل فقال:

كـأَنَّ مـا بـين جَنْبَيْهِ ومَنْقَبِهِ ... من جَوْزِهِ ومَنَاطِ القُنْبِ مَلْطومُ
بتُرْسٍ أَعْجَمَ لم تَنْخَرْ مناقِبُـه ... مِمَّـا تَخَيَّرَ في آطامهـا الرُّوم

وقال الجَعْديُّ:

أَرَأَيْتَ إِنْ بكَرَتْ بلَيْلٍ هامَتِي ... وخَرَجْتُ منها بالِياً أَوْصالي
هل تَخْمِشَنْ إِبِلِي عَلَيَّ وُجُوهها ... أو تَضْرِبَنَّ نُحُورَهــــا بمآلِي

وقال الآخر:

أَرَأَيْتَ إِنْ بَكَرَتْ بلَيْلٍ هامَتِي ... وخَرَجْـتُ منها بالياً أَثْوابي
هَلْ تَخْمِشَنْ إِبِلِي عَلَيَّ وُجُوهَها ... أَوِ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَها بسِلاب

ويستحسن له قوله في نساءٍ سُبِينَ:

دَعَتْنـا النِّساءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنا ... دُعَـاءَ نِسَاءٍ لم يُفارَقْنَ عن قِلَى

حَنِينَ الهِجانِ ام دم نادَى بورْدِها ... سُقَاةٌ يَمُـدُّونَ المَوَاتِـحَ بالدِّلا
فقُلْنـا لهم خَلُّوا طَرِيقَ نِسائنا ... فقالوا لنـا كَلَّا فقُلْنـا لهم بلى
فنَحْنُ غِضـابٌ من مكانِ نِسائنا ... ويَسْفَعُنـا حَرٌّ منَ النار يُصْطَلى
تَفُورُ علَيْنـا قِدْرُهم فنُديمُهـا ... ونَفْثَأُها عنّـا إذا حَمْيُها غَـلا
فلم أرَ يَوْماً كان أكْثَرَ باكِياً ... ووَجْهاً تَرَى فيه الكآبَةَ مُجْتَلَى
ومُفْتَصَلًا عن ثَـدْيِ أُمٍّ تُحِبُّهُ ... عَزِيزٌ عليها أن يُفارِقْنَ مُفْتَلَى
وأشْمَـطَ عُرْياناً يُشَدُّ كِتافُـه ... يُلَامُ على جَهْدِ القِتالِ وما ٱئْتَلَى

وقال لامرأته حين خرج غازياً:

باتَـتْ تُذَكِّرُني بـاللهِ قاعِـدَةً ... والدَّمْـعُ يَنْهَلُّ من شَأْنَيْهِا سَبَلا
يا ٱبْنَةَ عَمّي كتابُ اللهِ أخْرَجَـني ... كُرْهـاً وهل أمْنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا
فإنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ الناسِ يَرْجِعُني ... وإنْ لَحِقْتُ بِرَبّي فٱبْتَغي بَدَلا
ما كُنْتُ أعْرَجَ أو أعْمَى فيَعْذِرَني ... أو ضارِعاً من ضَنًى لم يَسْتَطِعْ حِوَلا

وقال يرثي رجلاً:

فَتًـى كَمُلَتْ خَيْراتُهُ غَيْرَ أنَّهُ ... جَوَادٌ فما يُبْقِي منَ المال باقيا
فَتًـى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... عـلى أنَّ فيه ما يَسُوءُ الأعاديا
يُـدِرُّ العُرُوقَ بالسِّنان ويَشْتَرِي ... مَن المَجْد ما يَبْقَى وإنْ كان غاليا

وقال:

ولَوْ أنَّ قَوْمي لم تَخُنّي جُدُودُهم ... وأحْلامُهُمْ أصْبَحْتُ للفَتْقِ آسِيا
ولٰكِنَّ قَوْمي أصْبَحُوا مِثْلَ خَيْبَرٍ ... بها داءُها ولا تضُرُّ الأعادِيا

وقال يذكر سنّه:

ومَنْ يَحْرِصْ على كِبَرِي فإنّي ... منَ الشُّبّان أَزْمانَ الخُنانِ
مَضَتْ مائةٌ لِعامِ وُلِدْتُ فيه ... وعَشْرٌ بعد ذلك وحِجَّتانِ

وهو القائل:

الْحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَه ظَلَما
الْمُولِجِ اللَّيْلَ في النَّهارِ وفي اللَّيْلِ نَهاراً يُفَرِّجُ الظُّلَما
الخافِضِ الرَّافِعِ السَّماءَ على آلْ ... أَرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَها دِعَما
الخالِقِ البارئِ الْمُصَوِّرِ في آلْ ... أَرْحامِ ماءً حَتَّى يَصِيرَ دَما
مِنْ نُطْفَةٍ قَدَّها مُقَدِّرُها ... يَخْلُقُ منها الأَبْشارَ والنَّسَما
ثم عِظاماً أَقامها عَصَبٌ ... ثُمَّت لَحْماً كساه فَآلْتَأَما
ثم كسا الرِّيشَ والعَقائِقَ أبشاراً وجِلْداً تَخالُهُ أَدَما
والصَّوْتَ واللَّوْنَ والمَعايِشَ وآلْ ... أَخْلَاقَ شَتَّى وفَرَّقَ الكَلِما
ثُمَّتَ لا بُدَّ أَنْ سَيَجْمَعُكُمْ ... واللهِ جَهْراً شَهَادَةٌ قَسَما
فَآئْتَمِرُوا الآنَ ما بدا لَكُمُ ... وآعْتَصِمُوا إنْ وَجَدْتُمْ عِصَما
في هذه الأَرْضِ والسَّماءِ ولا ... عِصْمَةَ منه إلّا لِمَنْ رَحِما
يا أَيُّها الناسُ هَلْ تَرَوْنَ إلى ... فارِسَ بادَتْ وخَدُّها رَغَما
أَمْسَوْا عَبِيداً يَرْعَوْنَ شاءَكُمُ ... كأَنَّما كانَ مُلْكُهُمْ حُلُما
أَوْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ ... يَبْنُونَ من دُونِ سَيْلِهِ العَرِما
فمُزِّقُوا في البِلَادِ وآعْتَرَفُوا الْهُونَ وذاقُوا البأساءَ والعَدَما

وبُدِّلُوا السِّدْرَ والأراكَ به ٱلْخَمْطَ وأَضْحَى البُنْيانُ مُنْهَدِما

وقال أيضاً:

لَبِسْتُ أُناساً فأَفْنَيْتُهُمْ وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسا
ثَلاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وكان الإِلٰهُ هُوَ المُسْتَآسا
وعِشْتُ بعَيْشَيْنِ إنَّ المَنُونَ تَلَقَّى المَعايِشَ فيها خِماسا
فحِيناً أُصادِفُ غُرّاتِها وحِيناً أُصادِفُ منها شِماسا
نَشَأْتُ غُلاماً أُقاسِي الحُرُوبَ ويَلْقَى المُقاسُونَ مِنِّي مِراسا
وحُمْرٍ من الطَّعْنِ غُلْبِ الرِّقا بِ كالأُسْدِ يَفْتَرِسُونَ ٱفْتِراسا
شَهِدْتُهُمُ لا أُرَجِّي الحَيَاةَ حتَّى تَساقَوْا بسُمْرٍ كِياسا
وشُعْثٍ يُطابِقْنَ بالدارِعِينَ طِباقَ الكِلابِ يَطَأْنَ الهَراسا
فلمّا دَنَوْنا لجِرْسِ النُّبُوحِ ولا نُبْصِرُ الحَيَّ إلَّا ٱلْتِماسا
أَضاءَتْ لنا النارُ وَجْهاً أَغَرَّ مُلْتَبِساً بالفُؤادِ ٱلْتِباسا
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لم يجعلِ اللهُ فيه نِحاسا
بِآنِسَةٍ غَيْرَ أُنْسِ القِرافِ وتَخْلِطُ بالأُنْسِ منها شِماسا
إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَها تَثَنَّتْ عليه فكانت لِباسا

مُهَلْهِل (بن ربيعة)

هو عَدِيٌّ بن ربيعة أخو كُلَيب وائِل الذي هاجت بمقتله حربُ بَكْرٍ وتَغْلبَ وسُمّي مُهَلْهِلاً لأَنَّه هَلْهَلَ الشعرَ أي أرقَّه وكان فيه خُنْثٌ ويقال إنَّه أوّل من قصَّد القَصائد وفيه يقول الفَرَزْدَقُ:

ومُهَلْهِل الشُّعَراءِ ذاك الأَوّلُ

وهو خال امرىء القيس وجدٌّ عمرو بن كلثوم أبو أُمّه لَيْلَى، وهو أحد الشعراء الكذبة لقوله:

ولَوْلاَ الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلُ حَجْرٍ   صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

وأَحد البُغاةِ لقوله:

قُـــلْ لِبَنِي حِصْنٍ يَرُدُّونَـــهُ   أو يَصْبِرُوا للصَّيْلَمِ الخَنْفَقِيـقِ

مَنْ شاءَ دَلَّى النَّفْسَ في هُوَّةٍ   ضَنْـكٍ ولكِنْ مَنْ له بالمَضِيقِ

أمرهم أن يردُّوا كُلَيْباً وقد قُتل وأعلمهم أنَّه لا يَرْضَى بشيءٍ غير ذلك، وكان مهلهل القائم بالحرب ورئيس تغلب، فلمّا كان يوم قِضَّة وهو آخر أَيّامهم وكان على تغلب أسر الحارث بن عُبَاد مهلهلاً وهو لا يعرفه، فقال له الحارث تدلُّني على عديّ بن ربيعة المهلهل وأنت آمن، فقال له المهلهل إن دللتُك على عديّ فأنا آمن ولي دَمي، قال الحارث نعم، قال فأنا عديٌّ، فجزَّ ناصيته وخلاَّه وقال لم أعرف، وفي ذلك

يقول الحارث بن عُبَاد:

لَهْفَ نَفْسِي علي عَدِيٍّ ولم أَعْرِفْ عَدِيًّا إذْ أَمْكَنَتْني اليَدانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحُروبِ ولم يُطْلَلْ قَتيلٌ أَبَأْتُهُ ٱبْنَ أَبانِ.

ثم خرج مهلهل فلحق باليمن فنزل في جَنْب (حيّ من اليمن) فخطب إليه رجل منهم ابنته فقال إنّي طريد غريب فيكم ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه فأكرهوه حتّى زوجّها وكان المهر أَدَماً فقال:

أَنْكَحَها فَقْدُها الأَراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحِباءُ من أَدَمِ
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جاءَ يَخْطُبُها رُمِّلَ ما أَنْفُ خاطِبٍ بدَمِ

ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو أبو أَسْماءَ صاحبة المُرَقِّش الأكبر فأسره فمات في اساره، (وكانت أيّام بكر وتغلب خمسة أيّام مشاهير أوّلها يوم عُنَيزة وتكافأوا فيه والثاني يوم واردات وكان لتغلب على بكر والثالث يوم الحِنْو وكان لبكر على تغلب والرابع يوم القُصَيْبات وكان لتغلب على بكر وقتلوهم قتلاً ذريعاً والخامس يوم قِضَّة وهو آخر أَيّامهم وكان لبكر وفيه أُسر مهلهل ابن ربيعة).

العَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ

مرْداسٌ الحصاة التي يُرْمَى بها في البئر ليَظْهَرَ هل فيها ماءٌ أو لا ، يروى أن النبيَّ ﷺ أعطى المؤَلَّفة قلوبهم يوم حُنَين فأعطى أبا سفيان ابن حرب مائة من الإبل وأعطى صَفْوان بن أميَّة مائة من الإبل وأعطى العبّاس بن مرداس دون المائة فقام بين يدي رسول الله ﷺ فقال:

أَتَجْعَــلُ نَهْبِي ونَهْــبَ العُبَيْــد بــين عُيَيْنَــة والأَقْرَعِ

ومــا كــان بَـدْرٌ ولا حابِسٌ يَفُوقــانِ مِرْداسَ في مَجْمَــعِ

وما كُنْتُ دُونَ آمْرِئٍ منهما ومَنْ تَضَــعِ اليَوْمَ لا يُرْفَـعِ

فأَتَمَّ له النبيُّ ﷺ مائة.

أبو زُبَيْد الطَّائِيُّ

هو المنذر بن حَرْمَلة (من طيّئ) وكان جاهليًّا قديماً وأدرك الإسلام، إلَّا أنَّه لم يُسْلم ومات نصرانياً وكان من المعمَّرين، يقال إنَّه عاش مائة وخمسين سنة وكان نديم الوليد بن عُقْبَة، وذُكر لعثمان أنَّ الوليد يشرب الخمر وينادم أبا زُبَيد فعزله عن الكوفة وحدَّه. في الخمر، ففي ذلك يقول أبو زُبَيد:

مَنْ يَرَى العِيرَ لاَبْنِ أَرْوَى عـلى ظَهْرِ المُرَوَّى حُداتُهُنَّ عِجَالُ

وابن أروى هو الوليد وأَرْوَى أمُّه وأمُّ عثمان بن عفَّان وفيها يقول:

قَوْلُهُمْ شُرْبُـكَ الحَرَامُ وقد كا　　نَ شَرَابٌ سِوَى الحَرَامِ حَلاَلُ

وكان أبو زُبَيد في بني تغلب وهم أخواله وكان له غلام يَرْعَى عليـه إبله فَغَزَتْ بَهْراءُ وهم من قُضَاعة بني تغلب فمرُّوا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيد وانطلق معهم ليدُلَّهم على عورة القوم ويقاتل معهم فهُزمت بهراءُ وقُتل الغلام فقال أبو زبيد في ذلك:

قـد كُنْتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ　　عن نَصْرِ بَهْراءَ غَيْرِ ذي فَرَسِ

تَسْعَـى إلى فِتْيَـةِ الأَرَاقِمِ واسْتَعْجَلْتَ قَبْـلَ الجُمانِ والقَبَسِ

لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فتَطْلُبَهـا　　ولا هُـمُ نُهْـزَةٌ لِمُخْتَـلِسِ

إمَّا تُقَارَنْ بـك الرِّماحُ فلا　　أَبْكِيـكَ إلَّا لِلدَّلْوِ والمَرَسِ

ولمّا صار الوليد بن عقبة إلى الرَّقَّة واعتزل عليًّا ومعاوية سار أبو زُبيد إليه فكان ينادمه وكان يُحْمَل في كلّ يوم أَحَد إلى البيعة فيحضُر مع النصارى ويشرب فبينا هو في يوم أحد يشرب والنصارى حوله رفع رأسه إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس عن يده وقال:

إذا جُعِلَ المَرْءُ الَّذي كان حازِماً   يُحَلُّ به حَلَّ الحُوَارِ ويُحْمَلُ

فَلَيْسَ له في العَيْشِ خَيْرٌ يُرِيدُهُ   وتَكْفِينُه مَيْتاً أَعَفُّ وأَجْمَلُ

ومات فدُفِنَ على البَليخ وهناك أيضاً قبر الوليد بن عقبة، ولم يصف أحدٌ من الشعراء الأسدوَصْفَه، قال شُعْبة قلتُ للطِّرمّاح ما شأن أبي زُبيد وشأن الأسد قال إنه لقيه أسد بالنَّجَف فسلَّخه، وهو القائل للوليد بن عقبة:

مَنْ يَخُنْكَ الصَّفاءَ أو يَتَبَدَّلْ   أو يَزُلْ ما تَزُولُ الظِّلَالُ

فَٱعْلَمَنْ أَنَّني أَخُوكَ أَخُو العَهْد حياتِي حتَّى تَزُولُ الجِبَالُ

لَيسَ بُخْلٌ عَلَيْكَ مِنِّي بمالٍ   أبَداً ما أَقَلَّ سَيْفاً حِمَالُ

فَلَكَ النَّصْرُ باللِّسانِ وبالْكَفِّ إذا كان لليَدَيْنِ مَصَالُ

كُلُّ شيْءٍ يَحْتالُ فيه الرِّجالُ   غَيْرَ أَنْ لَيسَ للمَنايا ٱحْتِيَالُ

ومن جيّد شعره:

إنَّ طُولَ الحَيَاةِ غَيْرُ سُعُودِ   وضَلَالٌ تَأْمِيلُ نَيْلِ الخُلُودِ

عُلِّلَ المَرْءُ بالرَّجاء ويُضْحِي   غَرَضاً للمَنُونِ نَصْبَ العُودِ

كُلَّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ منها برَشْقٍ   فمُصِيبٌ أو صافَ غَيْرَ بَعِيدِ

كُلُّ مَيْتٍ قد ٱغْتَفَرْتُ فلا أوْ   جَعَ من والِدٍ ومن مَوْلُودِ

غَيْرَ أَنَ الجُلاَحَ هَدَّ جَنَاحِي   يَوْمَ فارَقْتُـهُ بِأَعْلَى الصَّعِيـدِ

وعلى هذه القصيدة احتذى ابن مَنَاذِر مرثيته عبد المجيد عبد الوهّاب الثقفيَّ. ومن جيّد شعره:

إنَّما مُـتُّ والفُؤادُ عَمِيـدٌ   يَوْمَ بانَـتْ بِوُدِّهـا خَنْساءُ

وفيها يقول:

لَيْتَ شِعْرِي وأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ   إنَّ لَيْتـاً وإنَّ لَوَّا عَنَـاءُ

أَيُّ ساعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي   حِينَ لاحَتْ للصابحِ الجَوْزاءُ

وَٱسْتَظَلَّ العُصْفُورُ كَرْهاً مَعَ الضَّبِّ وأَوْفَى في عُودِهِ الحِرْبـاءُ

ونَـفَى الجُنْـدُبُ الحَصَى بكرَاعَيْـهِ وأَذْكَتْ نِيرانَها المَعْزاءُ

ويستجاد من تشبيهه في الأسد قوله يصفه:

إذا واجَهَ الأَقْرَانَ كان مِجَنَّهُ

جَبِينٌ كَـتَطْباقِ الرَّحَا ٱجْتابَ مَمْطَرا

حَسَّانُ بن ثابِتٍ

هو حسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاريُّ ويكنى أبا الوليد وأبا الحُسَام وأُمُّه الفُرَيْعة من الخَزْرَج وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ متقدّم الإسلام إلّا أنّه لم يشهد مع النبيّ ﷺ مشهداً لأنّه كان جبَاناً، وكانت له ناصية يُسْدِلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه رَوْثة أنفه من طوله ويقول: ما يسرُّني به مِقْوَل أحدٍ من العرب واللهِ لو وضعتُه على شَعَر لحَلَقَه أو على صخر لفَلَقَه، وعاش في الجاهليَّة ستّين سنة وفي الإسلام ستّين سنة ومات في خلافة معاوية وعَمِيَ في آخر عمره، قال الأَصْمَعيُّ: الشعر نَكِدٌ بابُه الشرُّ فإذا دخل في الخير ضَعُفَ هذا حسَّان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهليَّة، فلمّا جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرَّة أخرى شعر حسَّان في الجاهليَّة من أجود الشعر فقُطع متنُه في الإسلام لحال النبيّ ﷺ، وكان حسَّان يَفِدُ على ملوك غسَّان بالشأم وكان يمدحهم، ومن جيّد شعره قوله فيهم:

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ٱبْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

يُغْشَوْنَ حَتّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شَمِر الغسّانيّ وكان أَثِيراً عندهم، ولذلك يقول:

قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ حَقَّ مَكِينٍ   عِنْدَ ذِي التَّاجِ مَقْعَدِي ومَكَاني

ولمّا سار جَبَلَة بن الأَيْهَم إلى بلاد الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية فسأله جبلة عن حسّان فقال له شيخ كبير قد عَمِيَ، فدفع إليه ألف دينار وقال ادفعها إلى حسّان، قال فلمّا قدمتُ المدينة ودخلتُ مسجد رسول الله ﷺ رأيتُ فيه حسَّانَ بن ثابت فقلتُ له صديقُك جَبَلَة يقرأ عليك السلام، قال فهات ما معك فقلتُ يا أبا الوليد كيف علمتَ؟ قال ما جاءتني منه رسالة قطُّ إلّا ومعها شيءٌ، هذا في بعض الروايات. قال وحدَّثني ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن أهل المدينة قال: بعث الغسّانيُّ إلى حسّانَ بخمس مائة دينار وكُسًى وقال للرسول إن وجدتَه قد مات فأبسط هذه الثياب على قبره واشتر بهذه الدنانير إبلًا فأنحرها على قبْره، فجاءَ فوجده حيًّا فأخبره فقال لوددتُ أنك وجدتَني ميتاً. قال بعض أهل المدينة ما ذكرتُ بيت حسّانَ إلّا عُدْتُ في الفتوَّة (وهو قوله):

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ في فَلَقِ ٱلصُّبْحِ وصَوْتَ الْمُغَرِّدِ الغَرِدِ

ووُلد لحسَّان عبد الرحمان من أخت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وكانت تسمَّى سِيرِينَ، وكان عبد الرحمان بن حسَّان شاعراً وكان له ابن يقال له سعيد بن عبد الرحمان، وكانت لحسَّان بنت شاعرة وأرق حسّان ذات ليلة فعنَّ له الشعر فقال:

مَتَارِيكُ أَذْنابِ الأُمورِ إِذا ٱعْتَرَتْ   أَخَذْنا الفُرُوعَ وٱجْتَنَثْنا أُصُولَها

ثم أجبل فلم يجد شيئاً فقالت له بنته كأَنَّك قد أجبلت يا أبه، قال أجل قالت فهل لك أن أُجيز عنك؟ قال وهل عندك ذلك؟ قالت نعم

قال: فافعلي، فقالت:

مَقَاوِيلُ بالمَعْرُوفِ خُرْسٌ عنِ الخَنَا كِرَامٌ يُعاطُونَ العَشِيرةَ سُولَهـا

فحمى الشيخ فقال:

وقافِيَـةٍ مثـل السِّـنانِ رُزِئْتُها تناولت من جوّ السماء نُزولَها

فقالت:

يَرَاها الَّذِي لا يُنْطَقُ الشِّعْرُ عِنْدَهُ ويَعْجِزُ عن أَمْثالِها أَنْ يَقولها

فقال حسَّانُ: لا أقول بيت شعر وأنت حيَّة، قالت: أَوَأُومِّنُك؟ قال: وتفعلين، قالت: نعم لا أقول بيت شعر ما دمتَ حيًّا، وانقرض ولد حسّان فلم يبق له عقب، وقال حسّان أو ابنه عبد الرحمان قلتُ شعراً لم أقل مثله (وهو):

وَإِنَّ آمْرَءًا أَمْسَى وأَصْبَحَ سالِماً مِنَ النَّاسِ إلَّا ما جَنَى لَسَعِيدُ

والناس يقولون:

فشَرُّكُمَا لِخَيْرِكما الفِدَاءُ

وهو عجز بيت لحسّان، قال:

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ لـــه بِنِـــدٍّ فَشَرُّكـــا لخَيْرِكـــا الفِـــداءُ

النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ

هو من عُكْل وكان شاعراً جواداً ويسمَّى الكيِّسَ لحُسْن شعره ،وهو جاهليٌّ وأدرك الإسلام فأَسْلم ،وهو القائل لرسول الله ﷺ :

إنّا أتَيْناك وقَدْ طال السَّفَرْ نَقُودُ خَيْلًا ضُمَّراً فيها عَسَرْ
نُطْعِمُها الشَّحْمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ والخَيْلُ في إطْعامِها اللَّحْمَ ضَرَرْ

الشحم يعني اللَّبَن ، وعاش إلى أن خرف وأهتر وأُلقي على لسانه اِصْبَحُوا الراكبَ فألقى رجل على لسانه افْعَلوا بالراكب ،فجعل يقولها ، وكان له ابن يقال له ربيعة وهاجر إلى الكوفة ، وذكر الأصمعيُّ عن حمّاد بن ربيعة بن النمر أنه قال أظرف الناس النَّمِرُ في قوله :

أَهِيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ أُوَصِّ بدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدِي

والناس يروون البيت لنُصَيب وممّا يتمثَّل به من شعره قوله :

ومَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فأَرْجُ الغِنَى وإلى الَّذِي يُعْطِي الرَّغائِبَ فأَرْغَبِ
لا تَغْضَبَنَّ على آمْرِىءٍ في مالِهِ وعَلَى كَرائِمِ صُلْبِ مالِكِ فآغْضَبِ

وقوله :

إذا كُنْتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ مِنْهُمُ غَرِيباً فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سَعْدِ
فإنَّ آبنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ إذَا لم يُزاحِمْ خالَهُ بأَبٍ جَلْدِ

ومن جيّد التشبيه قوله في إعراض المرأة:

فَصَدَّتْ كأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِناعِها ... بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ

أخذه المُحْدَث فقال:

يا قَمَراً للنِّصْفِ من شَهْرِهِ ... أَبدَى ضِياءً لِثَمانِ بَقِينَ

ومّما يعاب عليه قولهُ في وصف سيف:

تَظِلُّ تَحْفِرُ عنه إنْ ضَرَبْت به ... بَعْدَ الذِّراعَيْنِ والساقَيْنِ والهادِي

ذكر أنَّه قطع ذلك كلّه ثم رَسَبَ في الأرض حتَّى احتاج إلى أن يحفر عنه، وهذا من الإفراط والكذب.

تأَبَّطَ شَرًّا

هو ثابت بن عَمْسَل ،وقال الأصمعيُّ كان ابن طَرَفَة الهُذَليُّ وهو أعلمهم بتأبَّط شرًّا وأمره يقول هو ثابت بن جابر وأنشد :

وَيْلُ آمِّ طِرْفٍ قَتَلُوا بِرَخْمانْ   بثابِتِ بن جابرِ بن سُفْيانْ

وهو من فَهْم ، وفَهْم وعَدْوان أخوان ، وكان شاعراً بئيساً يغزو على رِجْلَيه (وحده) وكانت أمُّه تؤخِّذ بولَه إذا غزا فأخذت بولَه وقد قُتل بجيّ فعرفت أنَّه قد قُتل وهُذَيل تدَّعي قتله وقد قال في شعره :

أَسافَ وأَفْنَى ما لَدَيْهِ ابنُ عَمْسَلِ

يعني نفسه ولعلَّه لقب ، ومن جيِّد شعره قوله :

يا مَن لِعَذّالـة خَذّالَـةٍ نَشِبِ   خَرَّقتِ باللَّوْمِ جِلْدِي أيَّ تَخْراقِ

تَقُولُ أَهْلَكْتَ مالاً لَوْ ضَنِنْتَ بِهِ   من ثَوْبِ عِزٍّ ومن بَزٍّ وأَعْلاقِ

(سَدِّدْ خِلالَك من مالٍ تُجمِّعُهُ   حَتّى تُلاقِيَ ما كُلُّ آمْرِئٍ لاقِ)

عاذِلَتا إنَّ بَعضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ   وهَلْ مَتاعٌ وإنْ بَقَّيْتُه باقِ

إنّي زَعِيمٌ لَئِنْ لم تَتْرُكِي عَذَلِي   أَنْ يَسْأَلَ الحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفاقِ

أَنْ يَسْأَلَ الحَيُّ عنّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ   فلا يُخَبِّرُهم عن ثابتٍ لاقِ

لتَقْرَعِنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ   إذا تَذَكَّرْتِ يَوْماً بَعْضَ أَخْلاقِي

وذكر في شعره أنه لقي الغول فقتلها وجعل يصفها:

تَقُولُ سُلَيْمى لجاراتِها أَرَى ثابِتاً يَفَناً حَوْقَلا
لها الوَيْلُ ما وَجَدَتْ ثابتاً أَلفَّ اليدَيْنِ ولا زُمَّلا
ولا رَعِشَ الساقِ عِنْدَ الجِراء إذا بادَرَ الحَمْلَةُ الهَيْضَلا
يَفُوتُ الجِيادَ بتَقْرِيبِهِ ويَكْسُو هَوادِيَها القَسْطَلا
وأَدْهَمَ قد جُبتُ جِلْبابَهُ كما ٱجْتابَتِ الكاعِبُ الخَيْعَلا
آلى أَنْ حَدَا الصُّبْحُ أَثْناءه ومَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلا
على شَيْمِ نارٍ تَنَوَّرْتُها فبِتُّ لها مُدْبِراً مُقْبِلا
فأَصْبَحْتُ والغُولُ لي جارَةٌ فيا جارَتَا أَنْتِ ما أَهْوَلا
وطالَبْتُها بُضْعَها فٱلْتَوَتْ بوجهٍ تهَوَّلَ فاسْتَغْوَلا
(فقُلْتُ لها يا ٱنْظُرِي كَيْ تَرَى فوَلَّتْ فكُنْتُ لها أَغْوَلَا
فطارَ بقَحْفِ ٱبْنَةِ الجِنّ ذُو سَفَاسِقَ قد أَخْلَقَ المِحْمَلا
إذا كَلَّ أَمْهَيْتُهُ بالصَّفا فحَدَّ ولم أُرِه صَيْقَلا)
عَظاءَةَ قَفْرٍ لها حُلَّتا نِ من وَرَقِ الطَّلْح لم تُغْزَلا
فمَنْ سالَ أَيْنَ ثَوَتْ جارَتِي فإِنَّ لها باللِّوَى مَنْزِلا
وكُنْتُ إذا ما هَمَمْتُ ٱعْتَزَمْتُ وأَحْرِ إذا قُلْتُ أَنْ أَفْعَلا

مُزَرِّدٌ والشَّمَّاخُ

هما ابنا ضِرَارٍ، ويقال إنَّما سُمّي مُزَرِّداً لقوله في زبدة الزقّ:

فجاءتْ بها صَفْراءَ ذاتَ أَسِرَّةٍ   تَكَادُ عَلَيْها رَبَّةُ النِّحْي تَكْمَدُ
فقُلْتُ تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنَّني   لدُرْدِ الشُّيُوخِ في السِّنِينَ مُزَرِّدُ

وهو القائل لرسول الله ﷺ:

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّــا كأَنَّنــا   أَفَأْنَا بأَنْمارٍ ثَعالِبَ ذي غِسْلِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ لم أَرَ مِثْلَهُمْ   أَجَرَّ على الأَدْنَى وأَحْرَمَ للفَضْلِ

يعني أَنْمار بن بَغِيض وهم رهطه ،فهو أحـد من هجا قومه وهو ممَّن يهجو الأَضياف ويمنُّ عليهم بما قراهم به ،وأُمُّه وأُمُّ الشمّاخ من ولد الخُرْشُب وفاطمة بنت الخرشب هي أُمُّ ربيع بن زياد وإخوته العَبْسِيّين الذين يقال لهم الكَمَلَة واسمها مُعَاذَة بنت خلف وتكنى أمّ أوس، ويقال إن اسم الشمّاخ مَعْقِل بن ضِرَار وهـو من أوصف الشعراء للقوس والحُمُر قال يصف القوس:

وذاقَ فأَعْطَتْه من اللِّينِ جانباً   كَفَى وَلَهاً أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حاجِزُ
إذا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عنها تَرَنَّمَتْ   تَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعَتْها الجنائِزُ

ومما سبق إليه فأُخذ منه قوله:

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوِشاحِ إذا مَشَتْ
تخامُصَ حافِي الرِّجْلِ في الأمْعَزِ الوَجِي

أخذه ذو الرُّمَّة فقال يصف إبلاً:

تَشْكُو الوَجَى وتَجَافَى عن سَفائِفِها تَجافِيَ البِيضِ عَنْ بَرْدِ الدَّمالِيجِ

وهو أوصف الشعراء للقوس وكذلك أَوْس بن حَجَر في وصف القوس، والشمّاخ أوصف الشعراءِ للحمير وأرجز الناس على بديهة، نزل في سفر كان فيه فرجز وحدا بالقوم فقال:

لم يَبْقَ إلَّا مِنْطَقٌ وأَطْرافْ ورَيْطتانِ وقَميصٌ هَفْهافْ
وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إسْكافْ يا رُبَّ غازٍ كارِهٍ لِلْإيجافْ
أَغْـدَرَ في الحَيِّ بَرُودَ الأَصْيافْ
مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيب الأَطْرافْ

ثم ترك هذا الرويّ وأخذ في رويّ آخر فقال:

لَمَّـا رَأَتْنـا واقِفِي المَطِيَّاتْ قامَـتْ تَبَـدَّى لي بأَصْلَتِيَّاتْ
غُرٌّ أَضَــــاءِ الثَّنِيَّـــاتْ خَوْدٌ من الظَّعائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ
حَلَّالَــةُ الأَوْدِيَـةِ الغَوْرِيَـاتْ صَفِيُّ أَتْرابٍ لهـا حَيِيَّــاتْ
مِثْـلَ الأَشاءَاتِ أَوْ البَرْدِيَّاتْ أَوْ الغَمامــاتِ أَوِ الوَدِيَّـاتْ
أَوْ كَظِبَـاءِ السِّدَرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَّ بالقَيْـظِ على رِكِيَّاتْ
مِنَ الكُلَى في خُسُفٍ رَوِيَّاتْ وضَعْنَ أَنْماطاً عـلى زِرْبِيَّاتْ

ثُمَّ جلَسْنَ بِرُكَـةَ البُخْتِيَّـاتْ   مَنْ راكِبٌ يُهْدى لنا التَّحِيَّاتْ
أَرْوَعُ خَرَّاج مِنَ الداوِيَّـاتْ   جَوَّابُ لَيْـلٍ مِنْجَرُ العَشِيَّاتْ
يَبِيتُ بَيْنَ الشُّعَبِ الحارِيَّاتْ   يَسْرِي إذا نام بَنُو السَّرِيَّاتْ

ومّا يُتمثَّل به من شعره قوله في رجز آخر حدا به:

لَيْسَ بما لَيْسَ به باسٌ باسْ   ولا يَضُرُّ البَرَّ ما قالَ النَّاسْ

وكان الشمّاخُ جاهلياً إسلاميًّا، وقال الحُطَيئَة أَبْلِغوا الشمّاخ أنَّه أشعر غَطَفان وكان (الشمّاخ) خرج يريد المدينة فصحب عَرَابة بن أَوْس الأَنصاريَّ فسأله عرابة عمّا يريد بالمدينة فقال: أردتُ أن أمتار لأهلي، وكان معه بعيران، فأنزله وأكرمه وأوقر له بعيرَيْه تَمْراً وبُراً فقال فيه:

رَأَيْـتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو   إلى الخَيْراتِ مُنْقَطِـعَ القَرِينِ
إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ   تَلَقَّاهـا عَرَابَـةُ باليَمِـينِ

وأخوهما جَزْءُ بن ضِرَار وهو القائل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عَلَيْـكَ سَلَامٌ من أَمِيرٍ وباركَتْ   يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ

رَبِيعَةُ بن مَقْرُومٍ

هو من ضَبَّة جاهليٌّ إسلاميٌّ وشهد القادسيَّة وجَلُولاءَ وهو من شعراءِ مُضَرَ المعدودين وكانت عبد القيس أَسَرَته ثم مَنَّتْ بعد دَهْر وهو القائل:

وواردَةٍ كأنَّها عُصَبُ القَطَا ... تُثِيرُ عَجاجاً بالسَّنابِكِ أَطْهَبا

وَزَعْتُ بِمِثْلِ السِّيدِ نَهْدٍ مُقَلَّصٍ ... جَهِيزٍ إذا عِطْفاهُ ماءً تَحَلَّبا

ومَرْبَأَةٍ أَوْفَيْتُ جِنْحَ أَصِيلَةٍ ... عليها كما أَوْفَى القُطاميُّ مَرْقَبا

رَبِيئَةَ جيشٍ أو رَبِيئَةَ مِقْنَبٍ ... إذا لم يُقُدْ وَغْلٌ منَ القَوْمِ مِقْنَبا

فلمّا انْجَلى عَنّي رَفعْتُها ... يُشَبِّهُها الرَّائي سَراحِينَ لُغَّبا

وهو القائل:

نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا ... قُدْماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

أخذه من قيس بن الخَطيم أو أخذه قيس منه، قال قيس:

إذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كان وَصْلُها ... خُطَانا إلى أَعْدائنا فنُضارِبُ

الحُطَيْئَةُ

هو جَرْوَل بن أَوْس من بني قُطَيْعة بن عَبْس ولُقِّبَ الحطيئة لقصَره وقربه من الأرض ويكنى أبا مُلَيكة، وكان راوية زُهَير، وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ ولا أراه أسلم إلّا بعد وفاة رسول الله ﷺ لأنّي لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب إلّا أنّي وجدتُه يقول في أوَّل خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدَّت العرب:

أَطَعْنا رَسُولَ اللهِ إذ كان حاضِراً ... فيا لَهْفَتي ما بالُ دينِ أبي بَكْرِ

أَيُورِثُها بَكْراً إذا مات بَعْدَهُ ... فتِلْك وبَيْتِ اللهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله أطعنا رسول الله قومَه أو العرب وكيف ما كان فإنَّه كان رقيق الإسلام لئيم الطبع، ومن المشهور عنه أنَّه قيل له حين حضرته الوفاة أوصِ يا أبا مُلَيكة فقال مالي للذكور من ولدي دون الإناث، فقالوا إنَّ الله لم يأمر بهذا فقال لكنّي آمُرُ به ثم قال ويل للشعْر من الرُّواةِ السَّوْءِ، وقيل له أوصِ للمساكين بشيءٍ فقال أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنَّها تجارة لن تبورَ، وقيل له اعتقْ عبدك يساراً فقال اشهدوا أنه عبدٌ ما بقي (عبسيٌّ) وقيل له فلان اليتيم ما توصي له (بشيءٍ) فقال أوصي بأن تأكلوا ماله و... أمَّه قالوا فليس إلّا هذا، قال احملوني على حمارٍ فإنَّه لم يمت عليه كريم لعلّي أنجو ثم تمثَّل:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّني رَأَيْتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
لـه خَبْطَةٌ في الحَلْقِ لَيْسَتْ بسُكَّرٍ ولا طَعْمَ راحٍ يُشْتَهى ونَبِيـذِ

ومات مكانه وكان هجا أمّه وأباه ونفسه فقال في أمّه:

تَنَحَّيْ فَاقْعُـدِي مِنِّي بَعِيـداً أَراحَ اللهُ مِنْـكِ العالَمِينـا
أَلم أُوَضِحْ لَـكِ البَغْضاءَ مِنّي ولٰكِنْ لا إخالُـكِ تَعْقِلينا
أَغِرْبالاً إذا ٱسْتُودِعْـتِ سِرًّا وكانُونـاً عـلى المُتَحَدِّثِينـا
جَزاكِ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ولَقَّـاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينـا
(حَيَاتُـكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سَوْءٍ ومَوْتُكِ قد يَسُرُّ الصالِحِينا)

وقال لأبيه:

لَحـاكَ اللهُ ثم لَحـاكَ حقًّـا أبـاً ولَحـاكَ من عَمٍّ وخـالِ
فنِعْمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى المَخازِي وبِئْس الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى المَعَالي
جَمَعْتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاك رَبِّي وأَبْوابَ السَّفَاهَـةِ والضَّـلالِ

وقال لنفسه:

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إلَّا تَكَلُّماً بِسُوءٍ فما أَدْرِي لِمَنْ أنـا قائِلُهْ
أَرَى لِيَ وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ فقُبِّـحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

وقال عبد الرحمان بن أبي بَكْرة رأيتُ الحُطيئة بذات عِرْق فقلتُ له يا أبا مُلَيكة أيُّ الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسان حيَّة فقال هذا إذا طَمِعَ. ودخل على عُتَيْبَة بن النَّهَّاس العِجْلِيّ في عَباءَة فلم يعرفه عُتَيبة ولم يسلّم عليه، فقال أَعْطِني، فقال له عتيبة ما أنا في عمل

فأُعْطِيَك من غُدَده وما في ماليَ فَضْلٌ عن قومي فانصرف الحطيئة فقال له رجل من قومه عرَّضتَنا للشرّ هذا الحطيئة، قال رُدُّوه فردُّوه فقال له عُتَيبة إنَّك لم تسلِّمْ تسليمَ أهل الإسلام ولا استأنستَ استئنَاسَ الجار ولا رحَّبتَ ترحيبَ ابن العمّ وكتمتنا نفسَك كأنَّك كنتَ معتلاًّ، قال هو ذاك، قال اجلسْ فلك عندنا ما تحبُّ (فجلسَ) ثم سأله من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يعني زُهَيْراً، قال ثم مَنْ قال الذي يقول:

مَنْ يَسْأَلِ النـــاسَ يَحْرِمُو هُ وَسَائِـــلُ اللهِ لا يَخِيـــبُ

يعني عَبيدا، قال ثم مَن قال أنا. قال عُتَيبة لغلامه اذهبْ به إلى السوق فلا يشيرنَّ إلى شيءٍ ولا يسومنَّ به إلَّا اشتريتَه له، فانطلق به الغلام فعَرَض عليه اليُمْنَة والخزّ وبياض مصر والمرويَّ فلم يُرد ذلك وأشار إلى الأكسية والكرابيس الغِلاظ والعَبَاءِ، فاشترى له منها بمائتي درهم واشترى له قُطُفاً وأوقر له راحلةً من تمر وراحلة من بُرّ ثم قال له حَسْبُك، فقال له الغلام إنَّه قد أمرني أن أبسط يدي لك بالنفقة ولا أجعل لك علَّةً، فقال لا حاجة لقومي في أن تكون لهذا عليهم يد أعظم من هذه، فانصرف الغلام إلى عتيبة فأخبره بذلك، وقال الحطيئة:

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْكَ ولا حَمْدُ
وأَنْتَ آمْرُؤٌ لا الجُودُ منك سَجِيَّـــةٌ فتُعْطِي وقد يُعْدِي على النائِلِ الوَجْدُ

وأتى الحطيئة مجلسَ سعيد بن العاص وهو على المدينة يعشّي الناسَ فلمّا فرغ (الناس من طعامهم) وخفَّ مَن عنده نظر فإذا رجل

قاعد على البِسَاط قبيح الوجه كبير السنّ سيّىء الهيئة، وجاءَ الشُّرَط ليقيموه فقال سعيد دَعُوه، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارهم وهم لا يعرفونه، فقال لهم الحطيئة ما أصبتم جيّد الشعر قال له سعيد وعندك من ذلك علم؟ قال نعم. قال فمَن أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

لا أَعُدُّ الإِقْتارَ عُدْماً ولكِنْ فَقْدُ مَنْ رُزِئْتُهُ الإِعْدامُ

يعني أبا دُؤاد، قال ثم مَنْ قال الذي يقول:

أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقد يُبْلَغُ بالضَّعْفِ وقَدْ يُخدَّعُ الأَرِيبُ

قال ثم مَنْ قال فحسبك والله بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعتُ إحدى رجليَّ على الأخرى ثم عويت عُواءَ الفصيل في أثر القوافي، قال ومَن أنت؟ قال أنا الحطيئة فرحَّب به سعيد وقال له قد أسأتَ في كتمانك إيّانا نفسك منذ الليلة وقد علمتَ شوقنا إليك وإلى حديثك ومحبَّتنا لك وأكرمه وأحسن إليه فقال:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَضْحَى على الأَمرِ سائِسٌ بَصِيرٌ بما ضَرَّ العَدُوَّ أَرِيبُ
سعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ فَهْوَ صَلِيبُ
إذا غِبْتَ عَنَّا غاب عَنَّا رَبِيعُنا ونُسْقَى الغَمامَ الغُرَّ حِينَ تَؤُوبُ
فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضوءِ نارِهِ إذا الرِّيحُ هَبَّتْ والمَكانُ جَدِيبُ

ومرَّ الحطيئة بالنَّضَّاح بن أَشْيَم الكلبّي ومعه بناته فقال له النضّاح إنَّ لنا جِدَةً ولك علينا كرامة فمُرْنا بما تحبُّ نأتِه وآنهنا عمّا شئتَ تكرهه نجتنبْه. فقال وَرِيتَ بك زنادي أنا أَغْير الناس قلباً وأشعر الناس لساناً فأْنَهَ بنيك أن يُسْمِعوا بناتي الغناءَ فإنَّ الغناءَ رُقْيةُ الزِّنا

وكان للنضّاح سبعة بنين فقال له لا تسمع غناءَ رجل منهم ما كنت عندنا، ونهى بنيه أن يمرّوا ببابه فأقام عنده، فلمّا أراد أن يرحل قال للنضّاح زوّجْ بعض بنيك بعضَ بناتي، فقال النضّاح لابنه كعب ذلك فقال كَعْبٌ لو عَرَضَها (عليَّ) بِشِسْع نَعْلٍ ما أردتُهَا (قال ولِمَ؟ قال أكره لسانه) وكان في ولد النضّاح الغناءُ منهم زِمامُ بن خِطَام بن النضّاح كان أجود الناس غناءً بدويًّا وفيه يقول الصِّمَّة القُشَيْريُّ:

دَعَوْتُ زِمَاماً للهوَى فأَجابَنِي ... وأَيُّ فَتًى لِلَّهْوِ بَعْدَ زِمَامِ

وكان الحطيئة جاور الزِّبْرِقان بن بَدْر فلم يحمد جُوَاره فتحوَّل عنه إلى بَغِيض فأكرم جواره فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً:

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلًا ... ذا حاجَةٍ عاش في مُسْتَوْعَرٍ شاسِ

جاراً لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِله ... وغادَرُوهُ مُقِيماً بَيْنَ أَرْماسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْـهُ كِلابُهُمُ ... وجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وأَضْراسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها ... واقْعُدْ فإِنَّكَ أنْتَ الطاعِمُ الكاسِي

فاستعْدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه وأنشده آخر الأبيات، فقال له عمر ما أعلمه هجاك أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً (قال إنَّه لا يكون في الهجاء أشدُّ من هذا) ثم أرسل إلى حسَّان ابن ثابت فسأله عن ذلك فقال لم يهجُه ولكن سلح عليه فحبسه عمر وقال يا خبيث لأَشغلنَّك عن أعراض المسلمين فقال وهو محبوس:

ماذا أَرَدْتَ لأَفْراخٍ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِبَهم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ

فرقَّ له عمر وخلَّى سبيله وأخذ عليه ألَّا يهجو أحداً من المسلمين

وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله:

عَوازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامَةٍ ولم تُحْتَلَبْ إلَّا نَهاراً ضَجُورُها

أخذه ابن مُقْبِل فقال:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامةٍ ولم ترَ ناراً تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

النَّجاشِيُّ الحارِثيُّ

هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب وكان فاسقاً رقيق الإسلام وخرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة فمرَّ بأبي سَمَّال الأَسَديّ فوقف عليه فقال هل لك في رؤوس حُمْلان في كَرْش في تنُّور من أوّل الليل إلى آخره قد أَيْنعت وتهرَّأت فقال له (ويحك) أفي شهر رمضان (تقول هذا) قال ما شهر رمضان وشوّال إلّا واحداً، قال فما تسقيني عليها؟ قال شراباً كالورس يطيّب النفس ويجري في العِرْق ويكثر الطِّرْق ويشدُّ العظام ويسّهل للفدم الكلام، فثنى رجله فنزل فأكلا وشربا، فلمّا أخذ فيهما الشراب تفاخرا فعَلَتْ أصواتهما فسمع ذلك جارٌ لهما فأتى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأخبره فبعثَ في طَلَبهما، فأمّا أبو سَمَّال فشقَّ الخُصَّ ونفذ إلى جيرانه فهرب فأُخذ النجاشيُّ فأُتي به عليّ بن أبي طالب فقال له ويحك ولْداننا صِيَامٌ وأنت مفطر فضربه ثمانين سوطاً وزاده عشرين سوطاً. فقال له ما هذه العِلاوة يا أبا الحَسَن؟ فقال (هذه) لجُرْأتك على الله في شهر رمضان، ثم وَقَفه للناس ليَرَوْه في تُبّان فهجا أهل الكوفة فقال:

إذا سَقَى اللهُ قَوْماً صَوْبَ غادِيَةٍ	فلا سَقَى الله أَهْلَ الكُوفَةِ المَطَرا
التَّارِكينَ عَلَى طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ	والناكِحِينَ بِشَطَّيْ دِجْلَةَ البَقَرا

والسارِقِينَ إذا ما جَنَّ لَيْلُهُمْ والطالِبِينَ إذا ما أَصْبَحُوا السُّوَرا

وقال:

ضَرَبُوني ثُمَّ قالوا قَــدَرٌ قَـدَّرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَـدَرْ

وكان هجا بنى العَجْلان فاستعدوْا عليه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

إذا اللهُ عـادَى أَهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ فعادَى بَنِي العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ

فقال عمر إنما دعا فإن كان مظلوماً استجيب له، وإن كان ظالماً لم يُسْتَجَبْ له قالوا وقد قال أيضاً:

قُبَيِّلَـةٌ لا يَغْـدِرُونَ بذِمَّــةٍ ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا، قالوا وقد قال أيصاً:

لا يَرِدُونَ المـاءَ إلَّا عَشِيَّــةً إذا صَدَرَ الوُرّادُ عن كُلِّ مَنْهَلِ

فقال عمر: ذلك أَقلُّ لِلّكاكِ، قالوا وقد قال أيضاً:

تَعافُ الكِلابُ الضارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وتَأْكُلُ من كَعْبٍ وعَوْفٍ ونَهْشَلِ

فقال عمر: أجنَّ القومُ موتاهم فلم يُضيِّعوهم، قالوا وقد قال:

ومـا سُمِّيَ العِجْلَانَ إلَّا لِقِيلِهمْ خُذِ القَعْبَ واَحْلُبْ أيُّها العَبْدُ واَعْجَلِ

فقال عمر: خير القوم خادمُهم (وكلُّنا عَبِيد الله) ثم بعث إلى حسَّانَ والحُطَيئة وكان محبوساً عنده، فسألها فقال حسّان مثل قوله في شعر الحطيئة فهدَّد (عمر) النجاشيَّ وقال له إنْ عدتَ قطعتُ لسانك، وهو القائل في معاوية:

ونَجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلَالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّمـاحُ دَوَانِي

فلمّا بلغ الشعر معاوية رفع ثندؤتَيْه وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي فكيف قال هذا؟ ومن جيّد شعره قوله لمعاوية:

يا أيُّها المَلِكُ المُبْدِي عَدَاوَتَهُ ... رَوِّىءْ لِنَفسِكَ أيَّ الأَمْرِ تَأْتَمِرُ

وما شعرْتُ بما أَضْمَرْت من حَنَقٍ ... حَتَّى أَتَتْنِي به الأَخْبارُ والنُّذُرُ

فإنْ نَفِسْتَ على الأَقْوامِ مَجْدَهُم ... فَٱبْسُطْ يَدَيْكَ فإنَّ الخَيْرَ يُبْتَدَرُ

وٱعْلَمْ بِأَنَّ عَلِيَّ الخَيْرِ من نَفَرٍ ... شُمِّ العَرَانِـينِ لا يَعْلُوهُمُ بَشَرُ

نِعْمَ الفَتَى أَنْتَ إلّا أَنَّ بَيْنَكُما ... كَمَا تَفَاضَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ والقَمَرُ

وما إخالُكَ إلّا لَسْتَ مُنْتَهِياً ... حَتَّى يَمَسَّكَ من أَظْفَارِهِ ظُفُرُ

إنّي ٱمْرُؤٌ قَلَّ ما أُثْنِي على أَحَدٍ ... حتَّى أَرَى بَعْضَ ما يأتِي وما يَذَرُ

لا تَمْدَحَنَّ ٱمْرَءًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُهُ الخُبُرُ

وهجا قُرَيشاً لعنه الله فقال:

إنَّ قُرَيشاً والإمامَـةَ كَالَّـذي ... وَفَى طَرَفَاهُ بعد أَنْ كان أَجْدَعا

وحُـقَّ لِمَن كانَتْ سَخِينَةُ قَوْمَهُ ... إذا ذُكِرَ الأَقْوامُ أَنْ يَتَقَنَّعا

وقال

سَخِينَةُ حَيٌّ يعرفُ الناسُ لُؤْمَها ... قَدِيماً ولم تُعْرَفْ بمَجْدٍ ولا كَرَمْ

فيا ضَيْعَةَ الدُّنْيا وَضَيْعَةَ أَهْلِها ... إذا وَلِيَ المُلْـكَ التَّنَابِلَةُ القُدَمْ

وعَهْدِي بهم في الناس ناسٌ وما لَهُمْ ... مِنَ الحظِّ إلّا رِعْيَةُ الشاءِ والنَّعَمْ

وكان للنجاشي أَخٌ يقال له حُدَيْج وله يقول ابن مُقْبِلٍ:

أَبْلِغْ حُدَيْجاً بِأَنّي قد كَرِهْتُ له ... بُعْـدَ المَقالَـةِ يَهْدِيها فتَأْتِينـا

عامِرُ بن الطُّفَيْل

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامريُّ، وهو ابن عمّ لَبِيد الشاعر، وكان فارس قَيْسٍ، وكان أعور عقيماً لا يُولَد له ولم يعقب، وهو القائل:

لَبِئْسَ الفَتَى إنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عاقِراً ... جَبَاناً فما عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ
لَعَمْرِي وما عَمْرِى عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَقَدْ شانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

وكان له فرس يقال له المَزْنُوق وله يقول:

وقد عَلِمَ المَزْنُوقُ أَنِّي أَكُرُّه ... على جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّرِ
إذا ازْوَرَّ من وَقْعِ السِّلَاحِ زَجَرْتُهُ ... وقُلْتُ لَهُ ارْبَعْ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرِ

وأبوه فارس قُرْزُلٍ، قال بعض الشعراء لعامر:

فإنَّكَ يا عامِ ابنَ فارِسِ قُرْزُلٍ ... عَنِ القَصْدِ إذْ يَمَّمْتَ ثَمْلَانَ جائِرُ

ومن جيّد الشعر قوله:

وما الأَرْضُ إلَّا قَيْسُ عَيْلَانَ أَهلُها ... لَهُمْ ساحَتَاها سَهْلُها وحُزُومُها
وقد نال آفاقَ السَّمٰواتِ مَجْدُنا ... لنا الصَّحْوُ من آفاقِها وغُيُومُها

وله:

ونَسْتَلِبُ الأَقْرانَ والجُرْدُ كُلَّحٌ ... عَلَى الهَوْلِ يَعْسِفْنَ الوَشِيجَ المُقَوَّما

ونَحْنُ صبحْنـا حَيَّ أَسْماءَ غارةً　　أبـالَ الحَبالَى غِبُّ وَقْعَتِنا دَمَا

وكان عامر أتى النبيَّ ﷺ فقال له تجعل لي نصفَ ثمار المدينة وتجعلني وليَّ الأمر من بعدك وأُسْلِمُ، فقال النبيُّ ﷺ اللهمَّ اكفني عامراً واْهد بني عامر، فانصرف وهو يقول لأملأنَّها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً ولأربطنَّ بكلّ نخلة فرساً، فطُعن في طريقه فمات وهو يقول: غُدَّةٌ كغُدَّة البعير وموتٌ في بيت سَلُوليَّة، ويكنى أبا عليّ، وهو الذي نافر عَلْقَمَة بن عُلاثة إلى هَرِم بن قُطْبَة الفَزَاريّ حين أُهْتِرَ عمُّه عامر بن مالك ملاعِبُ الأَسِنَّة، ولعلقمة يقول الأَعْشَى:

إن تَسُد الحُوصَ فـلم تَعْدُهُمْ　　وعامِرٌ سادَ بـــــني عامِرِ

والحُوص ولد الأحوص بن مالك بن جعفر بن كلاب، ويقال لهم الأحوص أيضاً. ومن جيّد شعره قوله:

فإنّي وإنْ كُنْتُ ابنَ فارسِ عامِرٍ　　وسَيِّدِها المَشْهُورِ في كُلِّ مَوْكِبِ
فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن وِرَاثَةٍ　　أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ
ولكِنَّـني أَحْمِي حِمَاها وأَتَّقِي　　أَذَاها وأَرْمِي مَنْ رماهَا بِمَنْكِبِ

مالك ومُتَمِّم ابنا نُوَيْرة

هما من ثَعْلَبَة بن يَرْبُوع، وكان مالك فارس ذي الخِمار، وذو الخِمَار فرسه، وفيه يقول:

مَتَى أَعْلُ يَوْماً ذا الخِمارِ وشِكَّتِي ... حُسامٌ وصَدْقٌ مارِنٌ وشَلِيلُ

وقتله خالد بن الوليد في الردَّة وتزوج امرأته وقتل من قومه مقتلة عظيمة، ولهذا السبب كان سُخط عمر بن الخطّاب على خالد بن الوليد ولمالك عقب، ودخل متمّم على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال له عمر ما أرى في أصحابك مثلك، قال يا أمير المؤمنين أما والله إنّي مع ذلك لأركب الجمل الثَّفَال وأعتقل الرمح الشَّطُونَ وألبس الشملة الفَلُوت. ولقد أسرَتْني بنو تَغْلِبَ في الجاهليَّة فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني، فلمّا رآه القوم أعجبهم جَماله وحدَّثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداءٍ. قال أبو محمَّد ولمّا استُشهد زيد بن الخطّاب يوم مُسَيْلمة دخل متمّم على عمر بن الخطّاب فقال له أَنْشِدْني بعض ما قلتَ في أخيك، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كأنِّي ومالِكاً ... لِطُولِ ٱجْتِماعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً مَعا

فقال له عمر يا متمّم لو كنتُ أقول الشعر لسرَّني أن أقولَ في زيد

ابن الخطّاب مثل ما قلتَ في أخيك. قال متمّم يا أمير المؤمنين لو قُتل أخي قِتْلَةَ أخيك ما قلتُ فيه شعراً أبداً. فقال عمر يا متمّم ما عزّاني أحدٌ في أخي بأحسن ممّا عزَّيْتَني به. وهذه القصيدة من أحسن ما قال وفيها يقول:

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَرَاها وأنَّني ... أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعا

وأنّي مَتَى ما أَدْعُ بِاسْمِكَ لا تُجِبْ ... وكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تُجِيبَ وتَسْمَعا

فما شارِفٌ عَيْساءُ رِيعَتْ فَرَجَّعَتْ ... حَنيناً فأَبْكَى شَجْوُها البَرْكَ أَجْمَعا

ولا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلَاثٍ رَوَائِمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرًّا من حُوَارٍ ومَصْرَعا

يُذَكِّرْنَ ذا البَثِّ القَدِيمِ بِدائِهِ ... إذا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعا

بأَوْجَدَ مِنّي يَوْمَ قام لِمَالِكٍ ... مُنادٍ فَصِيحٌ بالفِراقِ فأَسْمَعا

وكان لمتمّم ابنان: إبراهيم وداود، وكانا شاعرين خطيبين، ودخل إبراهيم على عبد الملك بن مروان فقال له إنك لشِنَّخْف، فقال يا أمير المؤمنين إنّي من قوم شِنَّخفين، والشنَّخْف: الجسيم من الرجال. قال وأراك أحمر قَرْفاً، قال الحُسْنُ أحمر يا أمير المؤمنين، وممّا سبق إليه مالك وأخذه الناس منه قوله:

جَزَيْنا بَنِي شَيْبانَ أَمْسِ بقَرْضِهِم ... وعُدْنا بِمِثْلِ البَدْءِ والعَوْدُ أَحْمَدُ

فقال الناس: العَوْدُ أَحْمَدُ، وقال بعض المُحْدَثين:

وأَحْسَنَ فيما كان بَيْني وبَيْنَهُ ... فإِنْ عاد بالإحْسانِ فالعَوْدُ أَحْمَدُ

وكان صُرَد بن جَمْرَة الذي شرب منيَّ عبدِ أبي سُوَاج الضبّيّ عمَّ مالك ومتمّم ابنَيْ نُوَيْرة، وكان صرد يَخْتَلِفُ إلى امرأة أبي سواج فقال لها يوماً أريد أن تَقُدّيَ لي سَيْراً من آست أبي سواج، فقالت أفعل

وعمدَتْ إلى نَعْجة فذبحتها وقَدَّتْ من باطن إلْيتها سَيْراً ودفعته إليه فجعله صُرَدُ في نعله وكان يقول إذا رأى ابا سواج.

بتٌّ بِذي بَلِّيّانْ وفي نَعْلِي شِرْكانْ قُدّا مِن آسْتِ إنْسانْ

فلمّا أكثر علم أبو سُوَاجٍ أنَّه يعرض به فطرح ثوبه وقال لمن حضر أُنشدكم بالله هل ترون بأساً؟ قالوا لا ثم أمر أبو سواج عبداً له أن يواقع أمة له كان زوَّجه إيّاها وأن يُفْرِغَ من منيّه في عُسٍّ، ففعل فقال لامرأته والله لتسقينه صُرَدَ أو لأقتلنَّك فبعثت إلى صرد فأقام عندها، فلمّا استسقى حلبت له على ذلك المنيّ فشربه فمات فتَمِيمٌ تعيَّرُ بشرب المنيّ وقد أكثر الشعراءُ في ذلك. قال الشاعر:

أَتَحْلِفُ لا تَذُوقُ لنا طَعَاماً وتَشْرَبُ مَنْيَ عَبْدِ أَبِي سُوَاجِ
شَرِبْتَ رَثِيَّةً فحَبِلْتَ عنها فما لك راحَةٌ دُونَ النِّتاجِ

ومالك هو القائل:

سأَهْدِي مِدْحَةً لبَنِي عَدِيٍّ أَخُصُّ بها عَدِيَّ بَنِي جَنَابِ
تُرَاثَ الأَحْوَصِ الخَيْرِ ابنِ عَمْرٍو ولا أَعْنِي الأَحاوِصَ من كِلابِ
أَتَيْنا حَيَّ خَيْرٍ بني مَعَدٍّ هُمُ أَهْلُ المَرابِعِ والقِبابِ
شُرَيْحٌ والفُرَافِصَةُ بن عَمْرٍو وإِخْوتُهُ الأَصاغِرُ للرِّبابِ

خُفَافُ بن نَدْبَة

هو خُفَاف بن عُمَير بن الحارث بن الشَّريد السُّلَميُّ وأُمُّه نَدْبَة سوداءُ ، وإليها يُنْسَب ، وهو من أغربة العرب وهو ابن عمّ خَنْساءَ بنت عمرو بن الشريد الشاعرة. وهو القائل:

كِلَانـــــا يُسَوِّدُهُ قَوْمُـــــهُ عـــلى ذلِــكَ النَّسَبِ المُظْلِمِ

يعني السودان ويُكنى أبا خُرَاشة ،وأَسْلم وبقي إلى زمن عمر ،وله يقول عباس بن مِرْداس السُّلَميُّ وكان يهاجيه:

أَبَا خُرَاشَةَ إمّا كُنْتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قَوْمِي لم تأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وخُفَاف هو قاتل مالك بن حِمَار سيّد بني شَمْخ بن فَزَارة ،وفي ذلك يقول:

إنْ تَكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُها فعَمْداً على عَيْنِي تيَمَّمْتُ مَالِكا
أَقُولُ لـه والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تأَمَّلْ خُفَافاً إنَّنِي أَنَا ذلِكا

وشهد خُفَاف مع النبيّ ﷺ فتح مكَّة ومعه لواءُ بني سُلَيم ، ومما يُسْتَلُ عنه من شعرِ قوله:

فـلم يَــكُ طَبَّهُمْ جُبْنٌ ولكِنْ رمَيناهُمْ بثالِثَــــةِ الأَثَافِي.

خَنْساءُ بنت عمرو

هي تُمَاضِر بنت عمرو بن الشَّرِيد وكان دُريد بن الصِّمَّة خطبها ، وذلك أنَّه رآها تَهْنأُ إبلاً لها فهويها فردَّتْه وقالت أتراني تاركةً بني عمّي كأنَّهم عوالي الرماح ومرتثَّةً شيخَ بني جُشَم ، ففي ذلك يقول دُريَد :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وارْبَعُوا صَحْبِي ⠀⠀ وقِفُوا فَــإنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخُنَـاسُ قد هامَ الفُؤَادُ بِكُمْ ⠀⠀ وأَصابَــهُ تَبْــلٌ مِنَ الحُــبِّ
مـا إنْ رَأَيتُ ولا سَمِعْتُ به ⠀⠀ كالْيَوْمِ هانِـىءَ أَيْنُـقٍ جُرْبِ
مُتَبَــذِّلاً تَبْــدُو مَحاسِنُــهُ ⠀⠀ يَضَعُ الهِنَـاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

فخطبها رَوَاحَةُ بن عبد العُزَّى السلميُّ فولدت له عبدالله وهو أبو شَجَرَة ثم خلف عليها مِرْداس بن أبي عامر السلميُّ فولدت له زَيْداً ومعاوية وعمراً وهي جاهلية كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبيانيّ وكان النابغة تُضْرَبُ له قبَّة حمراءُ من أَدَم بسوق عُكَاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى أبو بصير ثم أنشده حسَّانُ بن ثابت ثم الشعراءُ ، ثم جاءت الخنساءُ السُّلَميَّة فأنشدته فقال لها النابغة والله لولا أنَّ أبا بصير أنشدني آنـفاً لقلتُ إنَّك أشعر الجنّ والإنس، فقال حسَّانُ والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن

جدّك فقبض النابغة على يده ثم قال يآبن أخي إنك لا تُحْسِن أن تقول مثل قولي:

فإنَّـكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أنَّ الْمُنتأَى عَنْكَ واسِعُ

ثم قال للخَنْساءِ أنشديه فأنشدته فقال والله ما رأيتُ ذات مثانة أشعر منك، فقالت له الخنساءُ لا والله ولا ذا خُصْيَيْن، وكان أخوها صَخْر بن عمرو شريفاً في بني سُلَيم، وخرج في غزاة فقاتل فيها قتالاً شديداً وأصابه جُرْح رغيب فمرض مــن ذلك فطال مرضه وعاده قومُه فكانوا إذا سألوا امرأته سَلْمَى عنه قالت لا هو حيٌّ فيُرْجَى ولا ميّت فيُنْسى، وصخر يسمع كلامها فشقَّ عليه، وإذا قالوا لأُمّه كيف صَخْرٌ اليوم قالت أصبح صالحاً بنعمة الله فلمّا أفاق من علَّته بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سَلْمَى فعلَّقها بعمود الفسطاط حتَّى ماتت وقال (غيره بل قال ناولوني سيفي لأنظر كيف قوَّتي وأرد قتلها وناولوه فلم يطق السيف ففي ذلك يقول:

أهمُّ بأَمْرِ الحَزْم ... البيـــــــت وأوّل الشعر

أرى أمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيادَتِي وملَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعي ومَكاني

وما كُنْتُ أَخْشَى أن أكُونَ جِنَازَةً عَلَيْــكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثَــانِ

فأَيُّ آمْرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حَلِيلَةً فلا عاش إلَّا في أذًى وهَوَانِ

أَهمُّ بأَمْرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُـهُ وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ

لَعَمْرِي لَقَـدْ أَنْبَهْتِ مَنْ كان نائماً وأَسْمَعْتِ مَنْ كانَتْ له أُذُنانِ

ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ من حَيَاةٍ كأنَّها مَحَلَّـةُ يَعْسُوبٍ برأْسِ سِنَـانِ

ثم نُكِسَ بعد ذلك من طعنته فمات فكانت أخته خَنْساءُ ترثيه، ولم

تزل تبكيه حتّى عَمِيَتْ، ودخلت خنساءُ على أمّ المؤمنين عائشة وعليها صِدَارٌ لها من شَعَر فقالت لها عائشة رضي الله عنها يا خَنْساءُ إنَّ هذا لقبيح قُبض رسول الله ﷺ فما لبستُ هذا، قالت إنَّ له قصَّة قالت فأخبريني، قالت زوَّجني أبي رجلاً وكان سيّداً مِعطاءً فذهب ماله فقال لي إلى من يا خنساءُ؟ قلت إلى أخي صخر فأتيناه فقسم ماله شطرين فأعطانا خيرهما فجعل زوجي أيضاً يعطي ويحمل حتّى نفد ماله فقال إلى من فقلت إلى أخي صَخْر فأتيناه فقسم ماله شطرَيْن فأعطانا خيرهما فقالت امرأته أما ترضى أن تعطيها النصف حتَّى تعطيها أفضل النصيبيْن فأنشأ يقول:

والله لا أَمْنَحُها شِرارَها ولو هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمارَها
وجَعَلَتْ من شَعَرٍ صِدارَها

فذلك الذي دعاني إلى أن لبستُ هذا حين هلك، وكانت تقف بالموسم فتسوم هَوْدَجَها بسُومة وتعاظمُ العربَ بمصيبتها، بأبيها عمرو بن الشَّريد وأخويها صخر ومعاوية بن عمرو وتنشدهم فتبكي الناس، وكان أبوها يأخذ بيدي ابنيه صخر ومعاوية ويقول أنا أبو خَيْرَيْ مُضَر فتعترف له العرب بذلك، ثم قالت الخنساء بعد ذلك كنت أبكي لصخر من القتل فأنا أبكي له اليوم من النار، وممّا سبقت إليه قولها:

أَشَمُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأنَّه عَلَمٌ في رَأْسِهِ نارُ

فيها تقول:

مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ لم تَكْبَرْ شَبِيبَتُهُ كأنَّه تَحتَ طَيِّ الثَّوْبِ أُسْوارُ
لم تَرَهُ جارَةٌ يَمْشِي بساحَتِها لرِيبَةٍ حينَ يُخْلِي بَيْتَه الجارُ

فما عَجُولٌ لَـدَى بَوٍّ تُطِيفُ به قد ساعَدَتْها على التَّحْنانِ أَظْآرُ
أَوْدَى به الدَّهرُ عنها فهْيَ مُرْزِمَةٌ لها حَنينَانِ إصْغارٌ وإكْبَارُ
تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حَتَّى إذا ذَكَرَتْ فإنَّما هِيَ إقْبــالٌ وإدْبــارُ
يَوْماً بأَوْجَعَ مِنِي يَوْمَ فارقَنِي صَخْرٌ ولِلدَّهْرِ إحْلاءٌ وإمرارُ

المُساوِرُ بن هِنْدٍ

وكنيته أبو الصَّمْعاءِ. هو المساور بن هِنْد بن قيس بن زُهير بن جَذِيمة العبسيُّ، وقيس بن زهير جدُّ المساور هو صاحب الحرب بين عبس وفزارة، وهي حرب داحس والغَبْراءِ، وكان المساور يهاجي المَرَّارِ الفَقْعسيَّ ويهجو بني أسد. قال الشاعر:

شَقِيَتْ بَنُو أَسَدٍ بِشِعْرِ مُسَاوِرٍ ... إنَّ الشَّقِيَّ بكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ

وهو القائل للمرَّار:

ما سَرَّني أَنَّ أُمّي مِن بني أَسَدٍ ... وأَنَّ رَبِّيَ يُنْجِيني مِنَ النارِ
وأَنَّهم زَوَّجُوني من بَناتِهِمُ ... وأَنَّ لي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينارِ

فقال له المرَّار:

لَسْتَ الى الأُمِّ من عَبْسٍ ومن أَسَدٍ ... وإنَّما أَنتَ دِينارُ بن دِينارِ
وإنْ تَكُنْ أَنتَ من عَبْسٍ وأُمِّهِمُ ... فأُمُّ عَبْسِكُمُ من جارَةِ الجارِ

وقال له الحجَّاجُ لِمَ تقول الشعر بعد الكِبْرِ؟ قال أُسْقَى به الماءَ وأُرْعَى به الكلأ وتُقْضى لي به الحاجة، فإن كفيتني ذلك تركتُه. وعُمِّر طويلاً، وهو القائل:

بَلِيتُ وعِلْمِي في البِلادِ مَكانَهُ ... وأَفْنَى شَبَابِي الدَّهْرُ وَهْوَ جَدِيدُ

وأَدْرَكَني يَوْمٌ إذا قُلْتُ قد مَضَى يَعُودُ لَنَــا أو مِثْلُـهُ فيعُودُ

وأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ تَقادُمُ عَهْدِ القَيْنِ وَهْوَ حَدِيدُ

أَلَمْ تَعْلَمُوا يا عَبْسُ لو تَشْكُرُونَنَي إذا ٱلْتَفَّتِ الذُّوَّادُ كَيْفَ أَذُودُ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي ضَحُوكٌ إِلَيْكُمُ وعِنْدَ شَدِيدَاتِ الأُمُورِ شَدِيدُ

وهلك المساور بعُمَان.

ضابىءُ بن الحارث البُرْجُميُّ

هو ضابىءُ بن الحارث بن أرطاة من بني غالب بن حنظلة من البَرَاجِم، وكان استعار كلباً من بعض بني جَرْوَل بن نَهْشَل فطال مكثه عنده فطلبوه فامتنع عليهم فعرضوا له فأخذوه منه فغضب ورمى أمَّهم بالكلب واسم الكلب قُرْحان فقال:

تَجشَّمَ دُوني وَفدُ قُرْحانَ شُقَّةً ... تَظَلُّ بها الوَجْناءُ وَهْيَ حَسِيرُ
فأرْدَفْتُهُمْ كلباً فراحوا كأنَّما ... حَبَاهُمْ بتاجِ الهُرْمُزَانِ أَمِيرُ
وقلَّدْتُهُمْ ما لو رَمَيْتُ مُتَالِعاً ... به وهو مُغْبَرٌّ لكاد يَطِيرُ
فيا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبلِّغَنْ ... ثُمَامَةَ عَنِّي والأُمُورُ تَدُورُ
فأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ ... فإنَّ عُقُوقَ الوالِدَاتِ كَبِيرُ
فإنَّكَ كَلْبٌ قد ضَرِيتَ بما تَرَى ... سَمِيعٌ بما فَوْقَ الفِرَاشِ خَبِيرُ
إذا عَثَّنَتْ من آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً ... يَبِيتُ لها فَوْقَ الفِرَاشِ هَرِيرُ

فاستَعْدَوْا عليه عثمان بن عفَّان فحبسه، وقال والله لو أنَّ رسول الله ﷺ حيٌّ لأَحْسِبَنَّه نَزَلَ فيك قرآن وما رأيتُ أحداً رمى قوماً بكلب قبلك، ومثل هذا قول زُهير، ورمى قوماً بفحل إبل حبسوه عليه فقال:

ولَوْلاَ عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ ... وشَرُّ مَنِيحَةٍ أ.. مُعَارُ

إذا صَمَحَتْ نِسَاؤُكُمْ إلَيْهِ ... أَشَظَّ كأنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ

وكان أراد أن يفتك بعثمان بن عفّان فقال في الحبس:

هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَني ... تَرَكْتُ على عُثْمانَ تَبْكِي حَلاَئِلُهْ

ولم يزل في حبس عثمان إلى أن مات.

ومن شعره في الحبس (قوله):

ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فإنّي وقَيَّاراً بها لَغَرِيبُ

وماعاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي من الفَتَى ... رَشاداً ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

ورُبَّ أُمُورٍ لا تضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وللقَلْبِ من مَخْشاتِهِنَّ وَجِيبُ

ولا خَيْرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ ... على نائِباتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

وفي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وفي الجَزْمِ قوةٌ

ويُخْطِىءُ في الحَدْسِ الفتى ويُصِيبُ

ولَسْتَ بمُسْتَبْقٍ صَدِيقاً ولا أخاً ... إذا لم تُقِدْهُ الشَّيءَ وَهْوَ قَرِيبُ

ولمّا قتل عثمان رضي الله عنه جاء عُمير بن ضابىء فرفسه برجله فلمّا كان زمن الحجّاج وعرض أهل الكوفة ليوجّههم مدداً للمهلَّب عرضه فيهم وهو شيخ كبير فقال له أَقبلْ منّي بديلاً، قال نعم، فقال عَنْبَسَةُ بن سعيد هذا الذي رفس عثمان وهو مقتول فردَّه فقتله، وفي ذلك يقول الشاعر:

تَخَيَّرْ فإمَّا أَنْ تَزُورَ ابنَ ضابِىءٍ ... عُمَيْراً وإمَّا أن تَزُورَ المُهَلَّبَا

هُمَا خُطَّتَا خَسْفٍ نَجاؤُكَ مِنْهُما ... رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشْهَبَا

وأخو ضابىء مُعَرِّض بن الحارث، ومما سبق إليه ضابىء فأخذ

منه قوله في الثور:

يُساقِطُ عنه رَوْقُه ضارِيَاتِها سِقاط حَدِيدِ القَيْنِ أَخْوَل أَخْوَلا

أخذه الكُمَيْتُ فقال:

يُساقِطُهُنَّ سِقاطَ الحَدِيدِ يَتْبَعُ أَخْوَلَهُ الأَخْوَلُ

يقال تساقطت النار أخول أخولَ أي قِطَعاً قِطَعاً.

مالِكُ بن الرَّيْبِ

هو من مازِنِ تميمٍ وكان فاتكاً لِصًّا يُصيب الطريق مع شِظاظ الضَّبِّي الذي يُضْرب به المثل فيقال أَلَصُّ من شِظاظ ومالك الذي يقول:

سَيُغْنِيني المَلِيكُ ونَصْلُ سَيْفي ... وكَرَّاتُ الكُمَيْتِ عَلَى التِّجارِ

وحُبس بمكَّة في سرقة فشفع فيه شمّاس بن عقبة المازنيُّ فاستنقذه وهو القائل في الحبس:

أَتَلْحَقُ بالرَّيْبِ الرِّفاقُ ومالِكٌ ... بمَكَّةَ في سِكْنٍ يُغنِّيهِ راقِبُهْ

ثم لحق بسعيد بن عثمان بن عفّان فغزا معه خراسان فلم يزل بها حتَّى مات، ولمّا حضرته الوفاة قال:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبيتَنَّ لَيْلَةً ... بجنبِ الغَضَا أُزْجي القِلاصَ النَّواجِيا

فلَيْتَ الغَضَا لم يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ ... ولَيْتَ الغَضَا ماشَى الرِّكابَ لَيَالِيا

أَلَمْ تَرَني بِعْتُ الضَّلالَةَ بالهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ في جَيْشِ ابن عَفَّانَ غازِيا

لَعَمْري لَئِنْ غالَتْ خُرَاسَانُ هامتي ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ باب خُرَاسانَ نائِيا

فيا صاحِبَيْ رحْلِي دنا المَوْتُ فاحْفِرَا ... برابِيَةٍ إنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيا

وخُطَّا بأَطْراف الأَسِنَّةِ مضجَعي ... ورُدَّا على عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيا

ولا تَحْسِدَاني بارَكَ اللهُ فيكما ... مِنَ الأَرْضِ ذاتِ العَرْضِ تُوسِعا ليا

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عليَّ فلم أجِدْ ... سوى السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا

وبالرَّمْلِ مِنّي نِسْوةٌ لو شَهِدْنَني ... بَكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطَّبيبَ المُداويا

وقال يهجو الحجَّاج:

فإنْ تُنْصِفُوا يا آلَ مَرْوانَ نقْتَرِبْ ... إِلَيْكُمْ وإلَّا فأْذَنُوا بِبِعـادِ

فإنَّ لَنَا عَنْكم مَرَاحاً ومَزْحَلاً ... بِعيسٍ إلى رِيحِ الفَلاةِ صَوَادِ

فماذا عسَى الحجَّاجُ يَبْلُغُ جُهْدُهُ ... إذا نَحْنُ جاوَزْنا قَناةَ زِياد

فلوْلاَ بَنُو مَرْوانَ كان ابنُ يُوسُفٍ ... كما كان عَبْداً من عَبِيدِ إِيَادِ

زَمان هو العَبْدُ المُقِرُّ بذِلَّةٍ ... يُراوِحُ صِبْيانَ القُرَى ويُغادِي

وليس له عقبٌ، وممّا سبق إليه فأُخذ عنه قوله:

العَبْـدُ يُقْرَعُ بالعَصَـا ... والحُرُّ يَكْفِيـهِ الوَعِيـدُ

وقال آخر:

العَبْـدُ يُقْرَعُ بالعَصَـا ... والحُرُّ تَكْفِيـهِ الإشارَهْ

وقال ابن مُفَرِّغ:

العَبْـدُ يُقْرَعُ بالعَصَـا ... والحُرُّ تَكْفِيـهِ المَلاَمَـهْ

وقال بَشَّار:

الحُرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ ... ولَيْسَ للمُلْحِـف مِثْـلُ الرَّدِّ

ابنُ أَحْمَرَ الباهِلِيُّ

هو عمرو بن أحمر بن فَرَّاص بن مَعْن بن أعْصُر ، وكان أعور ، رماه رجل يقال له مَخْشِيٌّ بسهم فذهبت عينُه فقال:

شَلَّتْ أَنامِلُ مَخْشِيٍّ فلا جَبَرَتْ ... ولا آسْتعانَ بضاحي كَفِّهِ أَبَدَا

أَهْوَى لها مِشْقَصاً حَشْراً فشَبْرَقَها ... وكنْتُ أَدْعُو قَذَاها ٱلْإِثْمِدَ القَرِدا

وعمّر تسعين سنة وسُقي بطنه فمات ، وفي ذلك يقول:

إِلَيْـكَ إِلَهَ الحَقِّ أَرْفَعُ رَغْبَتِي ... عِيَاذًا وخَوْفاً أَنْ تُطِيلَ ضَمَانيا

فإِنْ كان بُرْءًا فٱجْعَل البُرْءَ نعْمَةً ... وإِنْ كان فَيْضاً فٱقْضِ ما أَنْت قاضِيا

لقاؤُكَ خيرٌ من ضَمَانٍ وفِتْنةٍ ... وقد عِشْتُ أَيَّاماً وعِشْتُ ليَالِيا

أُرَجِّي شَباباً مُطْرِهِمًّا وصحَّةً ... وكَيْف رَجاءُ المَرْءِ ما ليس لاقيا

وكيفَ وقد جَرَّبْتُ تِسْعِينَ حجَّةً ... وضَمَّ فُؤَادِي نَوْطَةٌ هِيَ ما هيا

وفي كُـلِّ عامٍ يَدْعُوَانِ أَطِبَّةً ... إِلَـيَّ وما يُجْدُونَ إِلّا الهَوَاهِيا

فإِنْ تَحْسُمَا عِرْقاً من الدّاءِ تَتْرُكَا ... إلى جَنْبِهِ عِرْقاً من الدّاءِ ساقيا

فـلا تَحْرُقَا جِلْدِي سَوَاءٌ عَلَيْكما ... أَداوَيْتُما العَصْرَيْنِ أم لا تُدَاوِيا

شَرِبْتُ الشُّكاعَى وٱلْتَدَدْتُ أَلِدَّةً ... وأَقْبَلْتُ أَفْواهَ العُرُوقِ المَكَاويا

شَرِبْنـا وداوَيْنا وما كان ضَرَّنا ... إذا اللهُ حمَّ القَـدْرَ أَلاّ تُدَاويا

وقد أتى ابن أحمر في شعره بأربعة ألفاظ لا تُعرف في كلام العرب سمَّى النار مَامُوسَة ولا يعرف ذلك قال:

تَطَايَحَ الطَّلُّ عن أَعْطافِها صُعُداً كما تَطَايَحَ عن مامُوسَةَ الشَّرَرُ

وسمَّى حُوارَ الناقة بابوساً ولا يعرف ذلك فقال:

حَنَّتْ قَلُوصِي إلى بابُوسِها جَزَعاً فما حَنِينُكِ أَمْ ما أَنْتِ والذِّكَرُ

وفي بيت آخر يذكر فيه البقرة:

وبَنَّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ

أي تأخَّر ولا يُعرف التَّبْنيس وقال:

وتَقَنَّعَ الحِرْباءُ أُرْنَتَهُ مُتَشَاوِساً لوَرِيدِهِ نَقْرُ

قال الأُرْنَة ما لُفَّ على الرأس ولا يُعرف ذلك في غير شعره، وقالوا هو أكثر بيتَ آفاتٍ، قال:

تُمشِّي بأَكْنافِ البَلِيخ نساؤُنا أَرامِلَ يسْتَطْعِمْن بالكَفِّ والفَم
نَقَائِذ برْسامٍ وحُمَّى وحَصْبَةٍ وجُوعٍ وطاعُونٍ وفَقْرٍ ومَغْرمِ

وقال أبو عمرو بن العَلاء كان ابن أحمر في أفصح بقعة من الأرض أهلاً بين يَذْبُلَ والقَعَاقعِ، يعني مولده قبل أن ينزل الجزيرة ونواحيها، وأخذت العُلماءُ عليه قوله في وصف امرأة:

لم تَدْرِ ما نَسْجُ اليَرَنْدَج قَبْلَها ودِرَاسُ أَعْوَصَ دارِسٍ مُتَجَدِّدِ

واليرندج جلود سود فظنَّ أنه شيءٌ يُنْسَج، ودراس أعوصَ أي لم تُدارس الناسَ عويصَ الكلام، وقوله دارس متجدّد يريد أنه يخفى أحياناً ويتبيَّن أحياناً.

ابن مُفَرِّغ الحِمْيرِيُّ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميريُّ حليف لقُريش يقال إنَّه كان عبداً للضَّحَّاك بن عبد عَوْف الهِلاَليّ فأنعم عليه ،ويقال سُمّي أبوه مُفَرِّغاً لأنَّه كان خاطر على شُرْب سِقاءِ لبن فشربه حتَّى أتى عليه ، ولَّما ولي سعيد بن عثمان بن عفَّان خراسان استصحبه فلم يَصْحَبْه وصحب عبَّاد ابن زياد بن أبي سفيان فلم يَحْمَده ،وكان عبَّاد طويل اللحية عريضها فركب ذات يوم وابن مفرّغ معه في موكبه فهبَّت الريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرّغ:

أَلاَ لَيْتَ اللُّحَى كانَتْ حَشِيشاً ... فَنُعْلِفَهـــا دَوَابَّ المُسْلِمِينـــا

وقال أيضاً:

سَبَـقَ عَبَّـادٌ وصلَّتْ لِحْيَتُـهْ ... وكان خَرَّازاً تَجُورُ قِرْبَتُهْ

فبلغ ذلك عبّاداً فجفاه وحقد عليه فقال ابن مفرّغ بعد انصرافه عنه:

إنَّ تَرْكِي نَـدَى سَعِيدِ بنِ عُثْما ... نَ فَتَى الجُودِ ناصِرِي وعَدِيدِي

واتِّباعِي أَخـا الرَّضاعَةِ واللُّؤْ ... مِ لَنَقْـصٌ وفَوْتُ شأوٍ بَعيـدِ

قلْـتُ واللَّيْـلُ مُطْبِـقٌ بعُرَاهُ ... لَيْتَـني مُتُّ قَبْلَ تَرْكِ سَعِيدِ

فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذَّبه وسقاه التُّرْبُذ في النبيذ

وحمله على بعير وقرن به خنزيرةً فأمشاه بطنُه مشياً شديداً فكان يسيل منه ما يخرج على الخنزيرة فتصيءُ فكلّما صاءَتْ قال ابن مفرّغ:

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لَمَّا مَسَّها القَرَنُ   لا تَجْزَعِي إنَّ شَرَّ الشِّيمَةِ الجَزَعُ

وسُمَيَّة أمُّ زياد، فطيف به في أزقّة البصرة وأسواقها والناس يصيحون خلفه (اين چيست) لما يسيل منه وهو يقول:

آبَسْت نَبيذ اسْت، عُصَارات زَبيبَسْت، سُمَيَّه رُو سَفيدَسْت،

فلما ألحَّ عليه ما يخرج منه قيل لابن زياد إنَّه لمآبه فأمر به فأُنزل فاغتسل فلمّا خرج من الماءِ قال:

يَغسِلُ الماءُ ما فَعَلْتَ وقَوْلِي   راسِخٌ منك في العِظامِ البَوَالِي

ثم دسَّ إليه غرماءَه يقتضونه ويستَعْدُون عليه ففعلوا ذلك فأمر ببيع ما وُجد له في إعطاءِ غرمائه، فكان فيما بيع له غلام كان ربّاه يقال له بُرْدٌ كان يعدل عنده ولدَه وجارية له يقال لها الأَرَاكَة، فقال ابن مفرّغ:

يا بُرْدُ ما مَسَّنا دَهْرٌ أَضَرُّ بنا   من قَبْلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدا
أَمَّا الأَرَاكُ فكانَتْ من مَحارِمِنـا   عَيْشاً لَذِيذاً وكانَتْ جَنَّةً رَغَدا
لَوْلا الدَّعِيُّ ولَوْلا ما تَعَرَّضَ لي   مَن الحَوادِثِ ما فارَقْتُها أَبَدا

وقال في قصيدة له وهي أجود شعره:

وشَرَيْـــتُ بُرْداً لَيْتَـــنِي   من بَعْـدِ بُرْدٍ كُنْـتُ هامَـهْ
أو بُومَـــةً تَدْعُو الصَّــدَى   بَيْنَ المُشَقَّرِ واليَمامَـــــهْ

وأوّل الشعر:

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ من أُمامَهْ ... من بَعْدِ أَيَّامٍ برامَهْ

ثم إنَّ عبيد الله بن زياد أمر به فحُمل إلى سجستان إلى عبَّاد ابن زياد فحُبس بها فكان ممّا قال في الحبس:

حَيِّ ذا الزُّورَ وانْهَهُ أن يَعُودَا ... إنَّ بالباب حارِسِينَ قُعُودا
من أساوِيرَ لا يَنُون قِياماً ... وخَلاخيلَ تُسْهِرُ المَوْلُودا
وطَمَاطِيمَ من سَيَابِجَ غُتْمٍ ... يُلْبِسُوني مَعَ الصَّبَاحِ قُيُودا
لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ في غَلَسِ اللَّيْلِ مُغيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدا
يَوْمَ أُعْطَى من المَخافَةِ ضَيْماً ... والمَنَايا يَرْصُدْنَني أَنْ أَحِيدا

وكان الحُسَين بن عليّ رضي الله عنه تمثَّل بهذين البيتين الآخرين حين بلغته بيعة يزيد بن معاوية فعلم من حَضَر أنَّه سيخرج عليه، وقال ابن مفرّغ لمعاوية:

ألا أبْلِغْ مُعاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً عنَ الرَّجُلِ اليَمَانِي
أتَغْضَبُ أن يُقالَ أبُوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أنْ يُقالَ أبوك زانِ
وأشْهَدُ أنَّ إلَّكَ من زِيادٍ ... كإلِّ الفِيلِ من وَلَدِ الأتَانِ
وأشْهَدُ أنَّها حَمَلَتْ زِيَاداً ... وصَخْرٌ من سُمَيَّةَ غَيْرُ دانِ

وإنّما أخذ:

واشهد أن إلَّك من زياد

من حسَّانَ بن ثابت قال حسَّانُ:

وأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ من قُرَيْشٍ كإِلِّ السَّقْبِ من وَلَدِ النَّعَامِ

وقال أيضاً:

إنَّ زِيَـاداً ونافِعـاً وأَبـا بَكْرَةَ عِنْدِي من أعْجَبِ العَجَبِ
إنَّ رِجـالاً ثلاثَـةً خُلِقُوا من رِحْمِ أُنثى مُخالِفِي النَّسَبِ
ذا قُرَشِيٌّ كَمَـا يَقُولُ وذا مَوْلى وهـذا آبْنُ عَمِّـهِ عَرَبِي

فلمّا طال حبسُه بعث رجلاً أنشد على باب معاوية واليمنُ أجمع ما كانت بباب معاوية قولَه:

أَبْلِـغْ لَدَيْكَ بني قَحْطانَ قاطِبَةً عَضَّتْ بـ... أَبِيها سادَةُ اليَمَنِ
أَمْسَى دَعِيٌّ زِيادٍ فَقْعُ قَرْقَرَةٍ يا لَلْعَجَائِبِ يَلْهُو بآبْنِ ذي يَزَنِ

فدخل أهل اليمن إلى معاوية فكلّموه فوجَّه رجلاً على البريد في إطلاقه فصار إلى سجستان فبدأ بالحبس فأطلقه وقرَّب إليه دابَّةً من بغال البريد فلمّا استوى عليها قال:

عَـدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليك إمارَةٌ نَجَوْتِ وهـذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
طَلِيقُ الَّذي نَجَّى من الحَبْسِ بَعْدَما
تَلاَحَمَ في دَرْبٍ عَلَيْـكِ مَضِيـقُ
ذَرِي وتَناسَيْ ما لَقِيتِ فإِنَّهُ لِكُـلِّ أُناسٍ خَبْطَـةٌ وحَرِيقُ
قَضَى لَكِ حَمْحامٌ بأَرْضِكِ فآلحَقِي بأَهْلِـكِ لا يُؤْخَذْ عَلَيْكِ طَرِيقُ

سُلَيْك بن سُلَكَة السَّعْديُّ

هو منسوب إلى أُمّه سُلَكَة وكانت سوداءَ ، واسم أبيه عمرو بن يثْرِبِيّ ويقال عُمَير (وهو) من بني كَعْب بن سَعْد بن زيد مناة بن تميم وهو أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم ورُجَيلائهم ، وكان له بأس ونجدة وكان أدلَّ الناس بالأرض وأجودهم عَدْواً على رِجْلَيْه وكـان لا تعلق به الخيل ، وقالت له بنو كنانة حين كبر إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقي من إحضارك ،فقال اجمعوا لي أربعين شابًّا وابغوني درعاً ثقيلة فأخذها فلبسها وخرج الشباب حتّى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحْضِر فلاث العَدْوَ لوثاً واهتَبَصُوا في جَنَبَتَيْه فلم يصحبوه إلّا قليلاً فجاءَ يُحْضِر منتبذاً حيث لا يرونه وجاءَت الدرع تخفق في عنقه كأنَّها خرقة ، وكان سُلَيْك يقول اللهمَّ إنَّك تهيّىءُ ما شئتَ لمن شئت إذا شئتَ ،اللهمَّ إنّي لو كنتُ ضعيفاً لكنتُ عبداً ولو كنتُ امرأة لكنتُ أمةً ،اللهمَّ إنّي أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة ،فأصابته خصاصة شديدة فخرج على رجليه رجاءَ أن يصيب غِرَّة من بعض من يمرُّ عليه فيذهب بإبله حتّى إذا أمسى في ليلة من ليالي الشتاءِ قَرَّة مقمرة اشتمل الصمَّاءَ ونام ، فبينا هو كذلك جثم عليه رجل فقال استأسرْ فرفع سليك رأسه فقال إنَّ الليل طويل وإنَّك مقمر فذهبت مثلاً وجعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث استأسر فلم يعبأ به فلمّا آذاه

ضمَّه سليك ضمَّةً ضرط منها وهو فوقه، فقال سليك أَضَرِطاً وأنت الأعلى، فذهبت مثلاً، ثم قال له ما شأنك؟ فقال أنا رجل فقير خرجتُ لعلّي أصيب شيئاً، قال انطلقْ معي، فخرجا فوجدا رجلاً قصَّتُه مثل قصَّتهما فأتوا جَوْفَ مُرَادِ وهو باليمن، فإذا فيه نعم كثير فقال سليك لهما كُونا، منّي، قريباً حتَّى آتى الرعاءَ فأعلم لكما علم الحيّ أقريب هو أم بعيد فإنْ كانوا قريباً رجعتُ إليكما وإن كانوا بعيداً قلتُ لكما قولاً أحى به إليكما فأغيرا على ما يليكما فانطلق حتَّى أتى الرعاءَ فلم يزل بهم يتسقّطهم حتَّى أخبروه خبر الحيّ فإذا هو بعيد فقال لهم السُّليك أَلا أُغنّيكم قالوا بلى فرفع عقيرته يتغنَّى:

يا صاحِبَيَّ أَلَا لا حيَّ بالوادِي ... إلَّا عَبِيدٌ وآمٍ بَيْنَ أَذْوادِ
أَتَنْظُرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَعْدُوَانِ فإنَّ الرِّيحَ لِلْعادِي

فلمّا سمعا ذلك اطَّردا الإبل فذهبا بها، قال أبو عبيدة. بلغني أن السُّليك رأَتْه طلائعُ جيش لبكر بن وائل جاءُوا ليغيروا على تميم ولا يعلم بهم فقالوا إنْ علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين فلمّا هايجاه خرج يَمْحَصُ كأنَّه ظبي فطارداه سحابةَ يومهما ثم قالا إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصَّر عن العَدْو فنأخذه، فلمّا أصبحا وجدا أثره قد عثر بأَصْل شجرة ونَدَرَت قوسُه فانحطمت فوجدا قِصْدَةً منها قد ارتزَّت بالأرض فقالا ما له أخزاه الله ما أشدَّه وهمَّا بالرجوع ثم قالا لعلَّ هذا كان من أوَّل الليل ثم فتر فتبعاه فإذا أثره متفاجًّا قد بال في الأرض وخدَّ، فقالا قاتله الله ما أشدَّ متنَه فانصرفا (عنه) وتمَّ إلى قومه فأنذرهم فكذَّبوه لبُعْد الغاية فقال:

يُكَذِّبُني العَمْران عمرو بن جُنْدَب وعَمْرو بن سَعْدٍ والمُكَذِّبُ أكْذَبُ
ثَكِلْتُكما إنْ لم أكُنْ قد رَأَيْتُها كَرَادِيسَ يَهْدِيها إلى الحيِّ كَوْكَبُ
كَرَادِيس فيها الحَوْفَزَانُ وحَوْلَهُ فَوَارِسُ هَمَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا

وجاءَ الجيش فأغاروا عليهم، وكان يقال له سُلَيْك المقانِبِ وقد وصفه عمرو بن معدي كرب فقال:

وسَيْرِيَ حَتَّى قال في القوم قائل عليك أبا ثَوْرٍ سُلَيْكَ المَقَانِبِ
فرُعْتُ به كاللَّيْثِ يَلْحَظُ قائماً إذا رِيعَ منه جانِبٌ بَعْدَ جانِبِ
له هامَةٌ ما تأكُلُ البَيْضُ أُمَّها وأَشْباحُ عادِيٌّ طَوِيلِ الرَّواجِبِ

ومرَّ في بعض غزواته ببيت من خَثْعَم أهلُه خُلُوفٌ فرأى فيهم امرأة بَضَّة شابَّة فتسنَّمها ومضى فأخبرت القوم فركب أَنَس بن مُدْرِك الخَثْعَميُّ في أثره فقتله وطولب بديته فقال لا والله لا أديه ابن إفال وقال:

إنِّي وقَتْلِي سُلَيْكاً يَوْمَ أَعْقِلُهُ كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عافَتِ البَقَرُ
غَضِبْتُ للمَرْءِ إذ نـ... حَليلَتُهُ وإذْ يُشَدُّ على وَجْعائِها الثَّفَرُ

ابن فَسْوَةَ

هو عُتَيْبة (ويقال عُتْبَة) بن مِرْداس من بني تميم وكان ابن فسوة أسَرَه رجل من قومه فأتاه عتيبة فاشتراه منه فلقّب به فقال في نفسه:

ألاَ رُبَّ مَوْلى ناقصٌ غَيْرُ زائِدِ وحوّل مَوْلانا علينا آسْمَ أُمِّهِ

وكان له أخٌ شاعر يقال له أُدَيْهِمُ بن مِرداس وله عقب بالبادية، وكان عتيبة أتى عبدالله بن عبّاس فحجب عنه فقال:

أتيتُ ابنَ عَبَّاس أُرَجِّي نَوالَهُ فلم يَرْجُ مَعْرُوفي ولم يخشَ مُنْكَري
وقــال لبَوّابيــهِ لا تُدْخِلنَّــهُ وسَدَّ خَصَاصَ الباب من كُلِّ مَنْظَر
وتَسْمَعُ أَصْوَاتَ الخُصُوم وَرَاءَهُ كصَوْتِ الحَمَام في القَليبِ المُعَوَّر
فَلَوْكُنْتُ من زَهْرانَ قَضَّيْتَ حاجتي ولكِنَّــني مَوْلى جَمِيل بن مَعْمرِ

وكان ابن عبّاس تزوّج امرأة بالبصرة من زَهْران يقال لها شُمَيْلَة وقوله مولى جميل بن معمر أراد أنّه وليُّه ومن قومه، وكان جَميل مُضَرِيًّا

فلَيْتَ قَلُوصِي عُرِّيَتْ لو رَحلتها إلى حَسَنٍ في داره وٱبنِ جَعْفَر
إذا هي هَمّتْ بالخُرُوج يَصُدُّها عنِ القَصْدِ مِصْراعًا مُنِيفٍ مُجَيَّرِ
تُطَالِعُ أهل السُّوق والبابُ دُونَها بمُسْتَفْلَكِ الذِّفْرَى أَسِيل المُذمَّرِ

فباتت على خَوْفٍ كأنَّ بُغامَها   أَجِيجُ ابن ماءٍ في يرَاعٍ مُفجَّرِ

وكانت له خالة تُهاجي اللَّعِينَ المِنْقَريَّ وفيه تقول:

تُذكِّرُني سِبالُكَ إسْكَتَيْها   وأَنْفُكَ بَظْرَ أُمِّكَ يا لَعِينُ

وكان عتيبة عضَّه كلبٌ كَلِبٌ فأصابه ما يصيب صاحب الكلب الكَلِبِ فداواه ابنُ المُحِلّ بن قُدَامة بن الأسود فأباله مثل الكلاب والنمل فبرأ فقال فيه الشاعر:

ولَوْلا دَواءُ ابنِ المُحِلِّ وطِبُّهُ   هَرَرْتَ إذا ما الناسُ هَرَّ كَلِيبُها

وأَخْرَجَ بَعْدَ اللهِ أولادَ زارعٍ   مُوَلَّعَةٌ أَكْنافُها وجُنُوبُها

وكان الأسود جدُّ المُحِلِّ أتى النجاشيَّ فعلَّمه هذا الدواءَ فهو في ولده إلى اليوم.

عَمرو بن مَعْدِيكَرِبَ الزُّبَيْديُّ

هو من مَذْحِجٍ ويُكنى أبا ثَوْر وهو ابن خالة الزِّبْرِقَان بن بَدْر التميميّ وأخته رَيْحانة بنت مَعْدِي كَرِبَ التي يقول فيها:

أَمِنْ رَيْحَانَـةَ الداعِي السَّمِيـعُ ... يُؤَرِّقُـني وأَصْحـابي هُجُوعُ

وكانت تحت الصِّمَّة بن الحارث فولدت له دُرَيد بن الصِّمَّة وعبد الله وكان عمرو من فُرْسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية وأدرك الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ المدينة فأسلم ثم ارتدَّ بعد وفاته فيمن ارتدَّ باليمن ثم هاجر إلى العراق فأسلم وشهد القادسيَّة وله بها أثره وبلاؤه، وأوفده سعد بن أبي وقّاص بعد فتح القادسيَّة إلى عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه فسأله عمر عن سَعْد فقال هو لهم كالأب، أعرابيٌّ في نَمِرته أسد في تامورَته ويقال في ناموسَتِه نَبَطيٌّ في حُبْوته يَقْسِمُ بالسَّوِيَّة ويَعْدِل في القَضِيَّة ويَنْفُرُ في السَّرِيَّة ويَنْقُلُ إلينا حَقَّنا كما تَنْقُلُ الذرَّةُ فقال عمر وقد كان كتب إليه سعد يثني على عمرو لشدَّ ما تقارضتما الثناءَ وسأله عمر عن الحرب فقال مُرَّة المَذاق، إذا قلَّصت عن ساق من صبر فيها عُرِف، ومن ضَعُفَ عنها تَلِف وهي كما قال الشاعر:

الحَرْبُ أَوَّلَ ما تَكُونُ فُتَيَّةٌ ... تَسْعى بزينَتِها لكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إذا استَعَرتْ وشُبَّ ضِرَامُها ... عادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذاتِ خَليلِ

شَمْطاءَ جزَّتْ رأْسَها وتَنَكَّرَتْ   مَكْرُوهَــةً للشَّمِّ والتَّقْبيــل

وسأله عن السلاح فقال الرُّمْح أخوك وربَّما خانك والنبل منايا تُخْطِىء وتُصيب والترس هو المِجَنُّ وعليه تدور الدوائر والدِرْع مَشْغَلَة للفارس مَتْعَبَة للراجل وإنّها لحِصْنٌ حَصِينٌ. وسأله عن السيف فقال ثَمَّ قارعَتْك أمُّك عن الثُكْل، قال عمر بل أمُّك قال الحُمَّى أضرعتني. وشهد مع النعمان بن مقرِّن المُزَنيّ فَتْحَ نَهاوَنْد فقُتل هنالك مع النعمان وطُلَيحة بن خُوَيلد فقبورهم هنـاك بموضع يقال له الإسْفِيذَهان وعمرو أحدُ مَنْ يَصْدُقُ عن نفسه في شعره قال:

ولَقَــدْ أَجْمَـعُ رجْلَـيَّ بهـا   حَــذَرَ المَوْتِ وإنِّي لَفَرُورُ
ولَقَــدْ أَعْطِفُهَــا كارهَــةً   حِينَ للنَّفْسِ منَ المَوْتِ هَرِيرُ
كُـلُّ مـا ذلـك مِنِّي خُلُـقٌ   وبِكُـلٍّ أنا في الرَّوْعِ جَدِيرُ

ومن جيّد شعره:

أَمِنْ رَيْحانَةَ... البيت

وفيها يقول:

أَشابَ الرَّأْسَ أَيَّــامٌ طِوَالٌ   وهَمٌّ مــا تَضَمَّنُـهُ الضُّلُوعُ
وسَوْقُ كَتِيبَـةٍ دَلَفَتْ لِأُخْرَى   كَـأَنَّ زُهَاءَهـا رأْسٌ صَلِيـعُ
إذا لم تَسْتَطِـعْ شَيْئًا فدَعْهُ   وجـاوِزْهُ إلى مـا تَسْتَطِيـعُ
وصِلْـهُ بالزَّمَـاعِ فكُلُّ أَمْرٍ   سَمَا لك أو سَمَوْتَ له وَلُوعُ

وكان له أخ يقال له عبد الله وأخت يقال لها كَبْشَة فقُتل عبد الله، أخوه، وأراد عمرو أخذ الدية فقالت كبشة شعراً تعيّر فيه عمراً:

فإنْ أَنْتُمُ لم تثأَروا بأَخِيكُمُ   فمَشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ
ودَعْ عنْكَ عَمْراً إنَّ عَمْراً مُسَالِمٌ   وهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لمطْعَمِ

وقال عمرو:

أَعاذِلَ شِكَّتِي بَدَني ورُمْحي   وكُلَّ مُقَلِّص سَلِسِ القِيَادِ
أَعاذِلَ إنَّما أَفْنى شَبابِي   رُكُوبي في الصَّرِيخ إلى المُنادِي

عَمْرُو بن قَميئة

هو من قَيْس بن ثَعْلَبَة من بني سعد بن مالك رهط طَرَفة بن العَبْد. وهو قديم جاهليٌّ كان مع حُجْر أبي امرىء القَيْس فلمّا خرج امرؤ القيس إلى بلاد الروم صحبه وإيّاه عنى امرؤ القيس بقوله:

بَكَى صاحبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وأيْقَنَ أنَّا لاحقانِ بقَيْصَرا

ومن جيّد شعره قصيدته التي أوَّلها:

أرَى جارَتي خَفَّتْ وخَفَّ نَصيحُها ... وحُبَّ بها لَوْلاَ الهَوَى وطُمُوحُها

فبِيني عَلَى نَجْمٍ سَنِيحٍ نُحُوسُهُ ... وأشْأمُ طَيْرِ الزاجِرِينَ سَنِيحُها

فإنْ تَشْغَبِي فالشَّغْبُ مِنْكِ سَجِيَّةٌ ... إذا شِيمَتِي لم يُؤْتَ منها سَجِيحُها

أُقارِصُ أقْواماً فأُوفِي بقَرْضِهِمْ ... وعَفٌّ إذا أبْدَى النُّفُوسَ شَحِيحُها

وهو ممّن أنصف في شعره وصدق، قال:

فما أتْلَفَتْ أيْدِيهِمُ من نُفُوسِنا ... وإنْ كَرُمَتْ فإنَّنا لا نَنُوحُها

فأُبْنا وآبُوا كُلُّنا بمَضِيضَةٍ ... مُهَمَّلَةٍ أجْراحُنا وجُرُوحُها

وهو القائل:

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ حَيْثُ لا أرَى ... فكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وليس بِرَامِ

وأهْلَكَني تأْمِيلُ ما لَسْتُ مُدْرِكاً وتأْميلُ عامٍ بَعْدَ ذاك وعامِ
إذا ما رآني الناسُ قالوا ألم تَكُنْ جَلِيداً حَدِيثَ السِّنِّ غيْرَ كَهامِ
فأَفْنَى وما أُفْنِي منَ الدَّهْرِ لَيْلَةً فلم يُغْنِ ما أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظامِ
فَلَو أنَّني أُرْمَى بنَبْلٍ رَأَيْتُها ولكِنَّني أُرْمَى بغَيْرِ سِهامِ
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصَا أَنُوءُ ثَلاثاً بَعْدَهُنَّ قِيامِي
كأَنِّي وقد جاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بها عَنِّي عِذارَ لِجامِي

وفي عبد القيس عمرو بن قَميئَة الضُّبَعيُّ وهو شاعر أيضاً.

زُهَيْرُ بن جَنَابٍ

هو من كَلْب، وهو جاهليٌّ قديم، ولمّا قدمت الحَبَشَةُ تريد هدم البيت خرج زهير فلقي ملكهم فأكرمه ووجَّهه إلى ناحية العراق يدعوهم إلى الدخول في طاعته، فلمّا صار في أرض بكر بن وائل لَقيَه رجل منهم فطعنه طعنةً أَشْوَتْه فنجا وخرج هارباً فقال الذي طعنه:

طَعْنَةً ما طَعَنْتُ في غَبَسِ اللَّيْلِ زُهَيْراً وقد توَافَى الخُصُومُ
خانَني الرُّمْحُ إذ طَعَنْتُ زُهَيْراً وهو رُمْحٌ مُضَلَّلٌ مَشْؤُومُ

وهو من المعمَّرين وهو القائل في عمره:

المَوْتُ خَيْرٌ للفَتَى فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ
مِنْ أن يُرَى الشَّيْخَ الكَبِيرَ يُقادُ يُهْدَى بالعَشِيَّهْ
(مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَتَى قد نِلْتُهُ إلّا التَّحِيَّهْ)

وهو أحد النفر الثلاثة الذين شربوا الخمر صِرْفاً حتَّى ماتوا وهم زُهَير بن جَنَاب وأبو بَراء (عامر) ملاعب الأسنَّة عمُّ لَبيد وعمرو بن كُلْثوم التغلبيُّ. فأمّا زهير فإنَّه قال ذات يوم إنَّ الحيَّ ظاعن، فقال عبدالله بن عُلَيْم بن جَنَاب (ابن أخيه) إنَّ الحيَّ مقيم، فقال زهير مَنْ هذا المخالف لي؟ قالوا ابن أخيك قال فما أَحَدٌ ينهاه؟ قالوا لا قال أراني قد خُولفتُ، فدعا بالخمر فلم يزل يشربها صِرْفاً حتَّى قتلته. وأمّا

أبو بَراء (ملاعب الأسنَّة) فإنَّ النبيَّ ﷺ كان وجَّه عدَّة من أصحابه إلى بني عامر بن صَعْصَعَة في خُفارته فسار إليهم عامر بن الطُّفَيل ابن أخيه فلقيهم ببئر مَعُونَةَ فقتلهم، فدعا أبو براء بني عامر إلى الوثوب بعامر فلم يجيبوه، فغضب، فدعا بالخمر فشربها صرفاً حتَّى قتلته. وأمّا عمرو بن كلثوم فإنَّه أغار على بني حَنيفة باليمامة فأسره يزيد بن عمرو الحَنَفيُّ فشدَّه وثاقاً ثم قال ألستَ القائل:

مَتَـى تُعْقَـدْ قَرِينَتُنـا بِحَبْـلٍ　　نَجُذّ الحَبْلَ أو نَقِصِ القَرِينا

أمَا أني سأقرنك بناقتي هذه ثم أطْرُدُكما جميعاً فأنظر أيُّكما يجذُّ. فنـادى يا آل ربيعة أمُثْلةٌ، فاجتمعت إليه بنو لُجَيم فنَهَوْه عن ذلك فانتهى به إلى حَجْرٍ فأنزله قصراً وسقاه فلم يزل يشرب حتّى مات، ومن جيّد شعر زهير بن جناب:

ارْفَـعْ ضَعِيفَكَ لا يُحْربك ضعفُه　　يَوْماً فتُدْرِكَهُ عَواقِبُ ما جَنَى

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عَلَيْكَ وإنَّ مَنْ　　أثْنَى عَلَيْك بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وسمع رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها وهي تتمثّل به فكان يقول لها كيف الشعر الذي كنتِ تتمثّلين به؟ فإذا أنشدته إيّاه قال يا عائشة إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، ومن جيّد شعره قوله:

إنَّ بـني مالِـكٍ تَلْقَـى غَزِيَّهُمُ　　في الزاد فَوْضَى وعِنْدَ المَوْتِ إخْوَانَا

الأَضْبَطُ بن قُرَيْع السَّعْديُّ

هو من بني عَوْف بن كَعْب بن سعد رهط الزِّبْرِقان بن بَدْر ورهط ابن أنْف الناقة، وكان قومُه أساءُوا مجاورته فانتقل عنهم إلى آخَرين فأساءُوا مجاورته فانتقل منهم إلى آخرين فأساءُوا مجاورته فرجع إلى قومه وقال بكُلّ وادٍ بنو سَعْد. ويقال إنَّه قال أَيْنما أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْداً، وهو قديم وكان أغار على بني الحارث بن كعب فقتل منهم وأسر وجدع وخَصى ثم بنى أُطُماً وبنت الملوك حول ذلك الأُطُم مدينة صَنْعاءَ فهي اليوم قَصَبَتُها وهو القائل:

يا قَوْم مَنْ عاذِرِي منَ الخُدَعَهْ ... والمُسْيُ والصُّبْحُ لا فَلاَح مَعَهْ
فصِلْ حِبالَ البَعيدِ إنْ وَصَلَ الحَبْلَ وأَقْصِ القَريبَ إنْ قَطَعَهْ
واْقْنعْ من العَيْش ما أتاك به ... منْ قَرَّ عَيْناً بعَيْشِهِ نَفَعَهْ
قد يَجْمَعُ المالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... ويأْكُلُ المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ
(لا تُهِينَ الفَقِيرَ علَّك أَنْ ... تَخْشَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

المُسْتَوْغِرُ

هو المُسْتَوْغِرُ بن ربيعة بن كعب بن سعد رهطُ الأضبط وسُمّي المستوغر لقوله في فرس:

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلَاتِ منها   نَشِيشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغِيرِ

وهو قديم من المعمَّرين وعاش ثلاث مائة سنة وعشرين سنة وقال:

ولقَدْ سَئِمْتُ منَ الحَيَاةِ وطُولِها   وعُمِّرْتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مائَةً حَدَتْها بَعْدَها مائتانِ لي   وٱزْدَدْتُ من بَعْدِ الشُّهُور سِنِينَا

هَلْ ما بَقِي إلَّا كما قد فاتَني   يَوْمٌ يَمُرُّ ولَيْلَةٌ تَحْدُونا

حدَّثني سَهْل قال حدَّثني الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العَلَاءِ وابن العجَّاج أن المستوغر مرَّ مرَّة بعُكَاظ يقود ابنَ ابنه خَرِفاً فقال له رجل يا عبد الله أَحْسِنْ إليه فطال ما أَحْسَنَ إليك، قال أَوَتدري مَن هو قال نعم هو أبوكَ أو جدُّك قال هو وٱلله ابن ابني؛ قال الرجل لم أر كاليوم في الكذب ولا مستوغر بن ربيعة، قال فأنا المستوغر بن ربيعة قال وقال أبو عمرو بن العَلاء عاش المستوغر ثلاث مائة سنة وعشرين سنة.

اِبْنَا خَذَّاقٍ

هما سُوَيْد ويزيد ابنا خَذَّاق من عبد القَيْس قال أبو عمرو ابن العَلاء أوَّل شعر قيل في ذمّ الدنيا قول يزيد بن خَذَّاق:

هَلْ للفَتَى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من واقِي ... أم هل له من حِمَامِ المَوْتِ من راقِي
قد رجَّلُوني وما بالشَّعْرِ من شَعَثٍ ... وأَلْبَسُوني ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلاقِ
ورفَّعُوني وقالوا أَيُّما رَجُلٍ ... وأَدْرَجُوني كأَنّي طَيُّ مِخْراقِ
وأَرْسَلُوا فِتْيَةً من خَيْرِهم نَسَباً ... لِيُسْنِدُوا في ضَرِيحِ القَبْرِ أَطْباقِي
وقَسَّمُوا المالَ وارْفَضَّتْ عَوَائِدُهُمْ ... وقال قائلُهم مات ابنُ خَذَّاقِ
هَوِّنْ عَلَيْك ولا تُولَعْ بإشْفاقِ ... فإنَّما مالُنا للوارث الباقِي

وهما قديمان كانا في زمن عمرو بن هند. ويزيد القائل:

نُعْمانُ إنَّك غادِرٌ خُدَعٌ ... يُخْفِي ضَمِيرُكَ غَيْرَ ما تُبْدِي
فإذا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِنا ... فعَلَيْكَها إنْ كُنْتَ ذا جِدِّ
وهَزَزْتَ سَيْفَكَ كَيْ تُحارِبَنا ... فانْظُرْ بسَيْفِك مَنْ به تُرْدِي

وسويد القائل:

أَبَى القَلْبُ أنْ يأْتِي السَّدِيرَ وأَهْلَهُ ... وإنْ قيلَ عَيْشٌ بالسَّدِيرِ غَزِيرُ
به البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيَّةٍ ... وعَمْرُو بن هِنْدٍ يَعْتَدِي ويَجُورُ

وهو القائل أيضاً:

جَزَى اللهُ قابُوسَ بن هِنْـدٍ بِفِعْلِهِ بنـا وأخـاه غـدْرَةً وأثَاما
بما فَجرَا يَوْمَ العُطَيْفِ وفَرَّقَا قَبَائِـلَ أحْلَافاً وحيًّا حَرَاما
لَعَلَّ لَبُونَ المُلْـكِ تَمْنَعُ دَرَّها ويَبْعَثُ صَرْفُ الدَّهْرِ قَوْماً نِيَاما
وإلَّا تُغـادِنِي المَنِيَّـةُ أُغْشِكُمْ على عُدَواء الدَّهْرِ جَيْشاً لُهَاما

أَبُو الطَّمَحَان القَيْنيُّ

هو حَنْظَلَة بن الشَّرْقِيّ وكان فاسقاً وقيل له ما أدنى ذنوبك قال ليلة الدَّيْر ، قيل له وما ليلة الدير ؟ قالَ نزلتُ بدَيْرانيَّة فأكلتُ عندها طَفْشِيلًا بلحم خِنْزير وشربتُ من خمرها وزنيتُ بها وسرقتُ كِساءَها ومضيتُ ، وكانت له ناقة يقال لها المِرْقال وفيها يقول:

أَلَا حَنَّتِ المِرْقالُ وٱئْتَبَّ رَبُّها ... تَذَكَّرُ أَرْمَامـاً وأَذْكُرُ مَعْشَرِي

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّها ... بمَكَّـةَ أَن تَبْتَاعَ حَمْضاً بإِذْخِرِ

وكان نازلاً بمكَّة على الزُّبير بن عبد المطَّلب وكان يَنْزِلُ عليه الخُلَعاءُ وإنَّما أراد أنَّها لو عَرَفَتْ لسرَّها أن تنتقلَ من بلاد الأذخر إلى بلاد الحَمْض وهي البادية وفيها يقول:

وإنّي لأَرْجُو مِلْحَها في بُطُونِكُمْ ... وما بَسَطَتْ من جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرِ

والمِلْحُ اللَّبَنُ وكانوا أخذوا إبله بعد أن كانوا شربوا من لبنها في ضيافته فقال أرجو أن يعطِّفكم ذلك فتردُّها ، وهو القائل

يَكَادُ الغَمَامُ الغُرُّ تَرْعُدُ أَنْ رَأَى ... وُجُوهَ بني لامٍ وَيَنْهَلُّ بارِقُهْ

حُمَيْد بن ثَوْر الهِلَالِيُّ

هو من بني عامر بن صَعْصَعَة، إسلاميٌّ مُجيد، ومما يستجاد له قوله:

أَرَى بَصَرِي قد رابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ ... وحَسْبُـك داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ومن حسن التشبيه قوله في فرخ القطاة:

كأَنَّ على أَشْداقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ ... إذا هو مَدَّ الجِيدُ منه ليَطْعَمَا

ومن خبيث الهجاءِ قوله في رجلين بعثهما إلى عشيقته:

وقُولَا إذا جاوَزْتُما أَرْضَ عامِرٍ ... وجاوزْتُما الحَيَّيْنِ نَهْداً وخَثْعَما

نَزِيعان مِنِ جَرْمِ بن رَبَّانَ إنَّهُمْ ... أَبَوْا أن يَمِيرُوا في الهَزَاهِزِ مِحْجَمَا

أمرهما أن ينتسبا إلى جَرْم لأنَّ العرب تأمنها لذُلّها ولا تخاف منها غارةً، ويستجاد له قوله في وصف ذئب وامرأة:

تَرَى رَبَّـةُ البَهْمِ الفِرارَ عَشِيَّةً ... إذا ما عَـدَا في بَهْمِها وَهْوَ ضائِعُ

فقامَتْ تُعَشِّي ساعَةً ما تُطِيقُها ... مِنَ الدَّهْرِ يأْمَنْها الكِلابُ الظَّوالِعُ

رَأَتْـهُ فشَكَّتْ وهو أَكْحَلُ مائِلٌ ... إلى الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إليه الأَكارِعُ

طَوِي البَطْنِ إلّا من مَصِيرٍ يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أو سُؤْرٌ مِنَ الحَوْضِ ناقِعُ

تَرَى طرَفَيْـه يَعْسِلانِ كِلَاهما ... كما اهْتَزَّ عُودُ السَّاسَمِ المُتَتابِعُ

إذا خاف جَوْراً من عَدُوٍّ رَمَتْ بِهِ ... قُصَايَتُـه والجانِـبُ المُتَواسِعُ

وإنْ بـاتَ وَحْشاً لَيْلَـةً لم يَضِـقْ بها ذِرَاعاً ولم يُصْبِحْ لها وَهْوَ خاشِعُ
إذا ٱحْتَـلَّ حِضْنَيْ بَلْدَةٍ منهما لأُخْرى خَفِيُّ الشَّخْص للرِّيحِ تابعُ
وإنْ حَـذِرَتْ أَرْضٌ عليه فإنَّهُ بغِرَّةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْسِ قانعُ
ينـامُ بإحْـدَى مُقْلَتَيْـهِ ويَتَّقِي المنايا بأُخْرَى فَهْوَ يَقْظانُ هاجعُ
إذا قـامَ أَلْقَى بَوْعَهُ قَدْرَ طُولِهِ ومَرَّدَ منـه صُلْبَـهُ وَهْوَ بائِعُ
وفَكَّـكَ لِحْيَيْـهِ فلمَّا تعادَيَا صَأَى ثم أقْعَى والبلادُ بَلاَقِعُ
إذا ما عَدَا يَوْماً رَأَيْتُ ظِلالَةً مِنَ الطَّيْرِ ينْظُرْنَ الَّذي هو صانعُ

ويُستحسن له قوله في وصف الوَطْب:

فما زال يُسْقِي المَحْضَ حَتَّى كأَنَّه أَجِيرُ أُناسٍ أَغْضَبُوهُ مُباعَدُ
وعَزَّاه حَتَّـى أَسْـدَاه كأَنـه على القَرْوِ عُلْفُوفٌ من التُّرْكِ راقدُ
فلمَّا أَدَى واسْتَرْبَعَتْهُ تَرَنَّمَتْ أَلا كُلُّ شيْءٍ ما خلا الله بائِدُ

قوله أَدَى أي خثر واستربعته حملته تَرُوزُه وترنَّمت أي غَنَّت للسرور به.

فذاقَتْه من تَحْتِ اللِّفَافِ فسَرَّها جَرَاجِرُ منـه وَهْوَ مَلْآنُ سانِدُ
إذا مـال من نَحْوِ العَرَاقِي أَمَرَّه إلى نَحْرِها منه عِنَانٌ مُناكِدُ
يَمِيـلُ على وَحْشِيِّـهِ فيُمِيلُهُ لإنْسِيِّـهِ منها عِراكٌ مُناجِدُ
فلما تَجَلَّى اللَّيْلُ عنها وأَبْصَرَتْ وفي سُدف اللَّيْلِ الشُّخُوص الأَباعِدُ
يُقالُ لها جِدِّي هَوَيْتِ وبادِرِي عِناءَ الحَمَامِ ان تَميعَ المزايدُ
فعَضَّتْ تَرَاقِيهِ بصَفْراءَ جَعْدَةٍ فعَنْها تُصادِيهِ وعَنْها تُراوِدُ
تأَوَّبَها في لَيْلِ نَحْسٍ وقُرَّةٍ خَلِيلِي أبو الخَشْخاشِ واللَّيْلُ بائِدُ

فقال أُحَيّيكُمْ فقالَتْ تَرِيدُنا على الزُّبْدِ شَعْبُ بَيْنِنا مُتَباعِدٌ
إذا قال مَهْلًا اَسْجَحِي حَمْلَقَتْ له بزَرْقاءَ لم تَدْخُلْ عليها المَراوِدُ

وممّا أُخذ عليه قوله:

لَمّا تَخَايَلَتِ الحُمُولُ حَسِبْتُها دَوْماً بأَيْلَةَ ناعِماً مَكْمُوما

الدوم شجر المُقْل وهو لا يُكَمّ إنّما يُكَمّ النخلُ فأمّا قول النابغة الجَعْديّ في هذا المعنى:

كأَنَّ تَوالِيَها بالضُّحَى نَواعِمُ جَعْلٍ منَ الأَثْأَبِ

فقد أُخذ عليه وقالوا الجَعْل صِغار النخل فكيف جعله من الأثأب ولا أراه إلّا صحيحاً على التشبيه كأنّه أراد نواعم أَثْأَبٍ كالجَعْل وقد تسمّى العربَ الشيءَ باسم الشيء إذا كان له مُشْبِهاً ولعلَّ الأثأب أن تكون تسمّى إفناؤه جعلاً كما تسمّى افناءُ النخل وقِصارُهُ جَعْلاً، وممّا سبق إليه قوله في الإبل:

إذا القَوْمُ قالوا وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَوَاهَقْنَ حتّى وِرْدُهُنَّ طُرُوقُ

وقال آخر:

إذا القومُ قالوا وِرْدُهنّ ضُحَى غَدٍ تَوَاهَقْنَ حتّى وِرْدُهُنَّ عِشاءُ
إذا استُخْبِرَتْ رُكْبانُها لم يُخَبِّرُوا عَلَيْهِنَّ إلّا أَنْ يَكُونَ نِداءُ

المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ

هو من نُكْرَة واسمه مِحْصَن بن ثَعْلَبَة وإنَّما سُمِّي المثقِّبَ لقوله:

رَدَدْنَ تَحِيَّـــةً وكَنَنَّ أُخْرَى   وثَقَّبْنَ الوَصـــاوِصَ للعُيُونِ

وكان أبو عمرو بن العَلاءِ يستجيد هذه القصيدة له ويقول لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلَّموه وفيها يقول:

أَفاطِمَ قَبْـلَ بَيْنِـكِ مَتِّعِينِي   ومَنْعُـك ما سَأَلْتُك أَنْ تَبِينِي

ولا تَعِـدِي مَواعِـدَ كاذِبَاتٍ   تَمُرُّ بها رِياحُ الصَّيْفِ دُونِي

فإنّي لَوْ تُعانِـــدُني شِمَالِي   عِنادَكِ ما وَصَلْتُ بها يَمِينِي

إذاً لَقَطَعْتُهـا ولَقُلْـتُ بِينِي   كذلِـكَ أَجْتَوِي مَن يَجْتَوِينِي

فإمّـا أَنْ تكونَ أخي بحَـقٍّ   فأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي من سَمِينِي

وإلَّا فَاطَّرِحْـــنِي واتَّخِذْنِي   عَــدُوًّا أَتَّقِيــكَ وتَتَّقِينِي

فما أَدْرِي إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً   أُرِيــدُ الخَيْرَ أَيُّهما يَلِيـــنِي

أَأَلْخَيْرُ الَّـذِي أنـا أَبْتَغِيـهِ   أَمِ الشَّرُّ الَّـذي هو يَبْتَغِينِي

وهو قديم جاهليٌّ، كان في زمن عمرو بن هند وإيّاه عنى بقوله:

إلى عَمْرٍو ومِنْ عَمْرٍو أَتَتْنِي   أَخِي الفَعَلاتِ والحِلْمِ الرَّزِينِ

وله يقول:

غَلَبْتَ مُلُوكَ الناسِ بالحزمِ والنُّهَى   وأَنْتَ الفَتَى في سُورَةِ المَجْدِ تَرْتَقِي

وأَنْجِبْ به من آل نَصْرٍ سَمَيْــدَعِ   أَغَرَّ كلَوْنِ الهِنْدُوَانِيِّ رَوْنَــقِ

ومّما سبق إليه فأُخذ منه قوله في الناقة:

كـأَنَّ مَواقِـعَ الثَّفِنـاتِ منها   مُعَرَّسُ باكِرَاتِ الوِرْدِ جُونِ

يريد القطا. وقال عمر بن أبي ربيعة:

عَلَــى قَلُوصَيْنِ من رِكابِهِمُ   وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهما شَجَـــعُ
كأَنّما غــادَرتْ كَلاَكِلُهــا   والثَّفِنَـاتُ الخِفـافُ إذ وَقَعُوا
مَوْقِـعَ عِشْرِينَ من قَطاً زَمِرٍ   وَقَعـتْ خَمْساً خَمْساً معاً شِيَعُ

وقال ابن مُقْبل:

كـأَنَّ مَوْقعَ وِصْلَيْها إذا بَرَكَتْ   وقد تَطَابَقَ منها الزَّوْرُ بالثَّفِنِ
مَبيتُ خَمْسٍ مِنَ الكُدْرِيِّ في جَدَدٍ   يَفْحَصْنَ عَنْهُنَّ باللَّبّاتِ والجُرُنِ

وقال ذو الرُّمَّة:

كـأَنَّ مُخوَّاهـا علـى ثَفِناتِها   مُعَرَّسُ خَمْسٍ من قَطاً مُتَجَاوِرِ
وَقَعْـنَ ٱثْنَتَيْنِ وٱثْنَتَيْـنِ وفَـرْدَةً
حَرِيداً هي الوُسْطَى بصَحْراءِ جائِرِ

وقال الطِّرِمّاح:

كـأَنَّ مُخوَّاهـا علـى ثَفِناتِها   مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ للجَناجِنِ
وَقَعْنَ ٱثْنَتَيْنِ وٱثْنَتَيْنِ وفَرْدَةً   يُبَادِرْنَ تَغْلِيساً سِمَالَ المَداهِنِ

المُمزَّقُ العَبْديُّ

هو من نُكْرَة واسمه شاس بن نَهار وسُمّي الممزَّق لقوله:

فإنْ كُنتُ مأكُولاً فكُنْ خيْرَ آكِلٍ وإلَّا فأَدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ

وهو جاهليٌّ قديم وإنَّما يقول هذا لبعض ملوك الحيرة قال:

وناجيَةٍ عَدَّيْتُ من عِنْدِ ماجِدٍ إلى واجِدٍ من غَيْرِ سُخْطٍ مُفَرِّقِ

تُبَلِّغُني مَنْ لا يُدَنِّسُ عِرْضَهُ بغَدْرٍ ولا يَزْكُو لَدَيْهِ تَملُّقِي

تَرُوحُ وتَغْدُو ما يُحَلُّ وَضِينُها إلَيْكَ ابْنَ ماءِ المُزْنِ وابْنَ مُحَرِّقِ

أَحقًّا أَبيْتَ اللَّعنْ أَنَّ ابنَ بَرْتَنَا على غَيْرِ إجْرامٍ بريقيَ مُشْرِقِي

فإنْ كُنتُ مأكُولاً فكُنْ خيْرَ آكِلٍ وإلَّا فأَدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ

فأَنتَ عَمِيدُ النَّاسِ مَهْمَا تَقُلْ نَقُلْ ومَهْما تَضَعْ من باطِلٍ لا يُحَقَّقِ

أَكَلَّفْتَنِي أَدْواءَ قَوْمٍ تَرَكْتُهُمْ فإلَّا تَدارَكْنى منَ البَحْرِ أَغْرَقِ

فإنْ يُعْمِنُوا أُشْئِمْ خلافاً عَلَيْهِمُ

وإنْ يُتْهِمُوا مُسْتَحْقِبِي الحَرْبِ أُعْرِقِ

ابنُ دارَةَ

هو سالم بن دارة واسمُ أبيه مُسافِع وأمُّه دارة من بني أَسَد وسُمّيت دارَةَ لجمالها، شُبّهت بَدارة القَمَر وهو من ولد عبد الله بنَ غَطَفان بن سعد وكان هجّاءً وهو الذي هجا ثابت بن رافع الفَزاريَّ فقتله وهو القائل:

لا تأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به   على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيارِ

وكان المتولّي لقتله زُمَيل بن عبد مناف وقال:

أَنَـا زُمَيْـلٌ قاتِـلُ ابْنِ دارَهْ   وراحِضُ المَخزاةِ عن فَزَارَهْ

وفي ابن دارة يقول الشاعر وهو الكُمَيت بن مَعْروف:

فلا تُكْثِرَا فيه الضّجاجَ فإِنَّه   مَحَا السَّيْفُ ما قال ابنُ دارَةَ أجْمَعَا

وكان له أخٌ يقال له عبد الرحمان بن دارة وهو القائل في بعض الأَسَديّين:

يَجُوعُ الفَقْعَسِيُّ ولا يُصَلّي   ويَسْلَحُ فَوْقَ قارعَةِ الطَّرِيـقِ

ثم لم يلبث أن مات فقال الأسديُّ:

قَتَلَ ابنَ دارَةَ بالجَزِيرَة سَبُّنا   وزَعَمْتَ أَنَّ سَبابَنا لا يُقْتَلُ

وأتى سالم بن دارة عديَّ بن حاتم فقال له قد مدحتُك، فقال له

امسكْ عليك حتّى أنبّئك ما لي فتمدحني على حسبه لي ألف صابنية وألفا درهم وثلاثة أعبُد وفرسي هذا حبيس في سبيل الله فقُلْ، فقال:

تَحِنُّ قَلُوصِي في مَعَـدٍّ وإنَّما ... تُلَاقِي الرَّبِيعَ في دِيارِ بني ثُعَلْ

وأَبْقَى اللَّيالِي من عَدِيٍّ بن حاتِمٍ ... حُسَاماً كلَوْنِ المِلْح سُلَّ منَ الخِلَلْ

أَبُوك جَوَادٌ ما يُشَقُّ غُبارُهُ ... وأنـت جَوَادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِلَلْ

فإنْ تَتَّقُوا شَرًّا فمِثْلُكُمُ اتَّقَى ... وإنْ تَفْعَلُوا خَيْراً فمِثْلُكُمُ فَعَلْ

فقال له امسكْ عليك لا يبلغ مالي أكثر من هذا وشاطَرَه مالَه.

المُنَخَّلُ اليَشْكُرِيُّ

هو المُنَخَّلُ بن عُبَيد بن عامر من بني يَشْكُر وهو قديم جاهليٌّ وكان يشبّب بهِنْد، أخت عمرو بن هند ولها يقول:

يــا هِنْــدُ هَــلْ من نائـلٍ   يــا هنــدُ للعانِي الأَسِيرِ

وكان المنخَّل يُتَّهَمُ بالمُتَجَرِّدَةِ، امرأة النعمان بن المُنْذِر، وكان للنعمان منها ولدانِ كانَ النَاس يَقولون إنَّهما من المنخَّل وهوَ القائل في النابغة حين وصف المتجرّدة في قوله ما يَعرف هذا إلّا مَن جرَّب. وكان أيضاً يُتَّهَمُ بامرأة لعمرو بن هند، وكان جميلاً، وهو القائل:

ولَقَــدْ دَخَلْـتُ عـلى الفَتَـا   ةِ الخِـــدْرَ في اليَوْمِ المَطِيرِ
اَلْكاعِـــبِ الحَسْنَـــاء تَرْ   فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَرِيرِ
فدَفَعْتُهـــا فَتَدَافَعَـــتْ   مَشْيَ القَطَـــاةِ إلى الغَدِيرِ
وعَطَفْتُهـــا فَتَعطَّفَـــتْ   كَتَعَطُّـــفِ الظَّبْي الغَرِيرِ
فَتَرَتْ وقالَـــتْ يـــا مُنَخَّـــلُ مـــا بِجِسْمِـــك من فُتُورِ
مـــا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّـــكِ فَاَهْـــدإِي عَنِّي وسِيرِي
ولَقَـــدْ شَرِبْـــتُ مِنَ المُـــدَا   مَـــةِ بالصَّغِـــيرِ وبالكَبِـــيرِ
وشَرِبْـــتُ بالخَيْـــلِ الإِنَـــا   ثِ وبالمُطَهَّمَـــــةِ الذُّكُورِ
فــــإِذا سَكِرْتُ فإِنَّـــنِي   رَبُّ الخَوَرْنَـــقِ والسَّدِيرِ

وإذا صَحَوْتُ فإنّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ
يا هِنْدُ هَلْ من نائِلٍ يا هِنْدُ للعانِي الأَسِيرِ
وأُحِبُّها وتُحِبُّنِي ويُحِبُّ ناقتَها بَعِيرِي

وقتله عمرو بن هند وقال قُبَيْلَ قتله:

طُلَّ وَسْطَ العِبادِ قَتْلِي بلا جُرْمٍ وقَوْمِي يُنَتِّجُونَ السِخَالا
لا رَعَيْتُمْ بَطْناً خَصِيباً ولا زُرْتُمْ عَدُوًّا ولا رَزَأْتُمْ قِبَالا

في أبيات.

ابن حَبْنَاءَ

هو المغيرة بن حَبْناءَ من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وكان به برَص وهو القائل:

إنّي آمرُؤٌ حَنْظَلِيٌّ حينَ تَنْسُبُني ... لا مِلْعَتِيكِ ولا أَخْوالِيَ العَوَقُ
لا تَحْسِبَنَّ بَيَاضاً فِيَّ مَنْقَصَةً ... إنَّ اللَّهامِيمَ في أقْرابِها بَلَقُ

وكان له أخ يقال له صَخْرٌ، ويكنى أبا بِشْر، يهاجيه وله يقول المغيرة:

أَبوك أَبي وأَنتَ أَخِي ولكِنْ ... تَفَاضَلَتِ الطَّبَائِعُ والظُّرُوفُ
وأُمُّكَ حينَ تُنْسَبُ أُمُّ صِدْقٍ ... ولكِنَّ آبْنَهـا طَبِـعٌ سَخِيفُ

وصَخْر هو القائل لأخيه:

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مالاً وعَضَّنا ... زَمَانٌ نَرَى في حَدِّ أَنْيابِهِ شَغْبَا
تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبَ إنَّكَ مُذْنِبٌ ... فأَمْسِكْ ولا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبا

فأجابه المغيرة فقال:

لحَى الله أنْآنا عن الضَّيْفِ بالقِرَى ... وأَقْصَرَنا عَنْ عِرْضِ والِدِهِ ذَبَّا
وأَجْدَرَنا أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ بَاسْتِهِ ... إذا القُفُّ دَلَّى من مَخَارِمِهِ رَكْبا

واستشهد المغيرة بخراسان يوم نَسَفَ.

عَبْدُ بني الحَسْحَاسِ

اسمه سُحَيْم وكان حَبَشيًّا مغلَّطاً قبيحاً وهو القائل في نفسه:

أَتَيْـتُ نِساءَ الحارِثِيّـينَ غُدْوَةً ... بوَجْـهٍ بَرَاهُ اللهُ غَيْرَ جَمِيـلِ

فشَبَّهْنَـني كَلْباً ولَسْتُ بفَوْقِـهِ ... ولا دُونِـهِ إنْ كان غَيْرَ قَلِيلِ

وكان شاعراً مُحْسِناً وربَّما أنشد فيقول أَحْسَنْكُ والله يريد أحسنتُ والله، وكان عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنّي قد اشتريت لك غلاماً حبشيًّا شاعراً، فكتب إليه عثمان لا حاجة بنا إليه فاردده فإنَّما حظُّ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبّب بنسائهم وإذا جاع أن يهجوهم، وممّا أُخذ عليه في شعره قوله وذكر التقاءه وعشيقته:

فما زال بُرْدِي طَيِّباً من ثِيابِها ... إلى الحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بالِيَا

وقال آخرون هذا على التوهُّم لفرط العشق وهو نحو قول الأعرابيّ حين قيل له ما بلغ من حُبّك لها فقال إنّي لأَذكرها وبيني وبينها عَقَبَة الطائف فأَجِدُ من ذكرها ريح المسك، ويقول:

تَجَمَّعْنَ شَتَّـى من ثَلَاثٍ وأَرْبَعٍ ... وواحِـدَةٍ حتَّـى كَمَلْنَ ثَمَانِيا

وأَقْبَلْنَ من أَقْصَى الخِيامِ يَعُدْنَـني ... أَلَا إنَّما بَعْضُ العَوَائِدِ دائِيا

ويقال سمعه عمر بن الخطّاب ينشد:

ولَقَدْ تَحَدَّرَ من كَرِيمَةِ بَعْضِهِمْ عَرَقٌ على جَنْبِ الفِرَاشِ وطِيبُ

فقال له إنَّك مقتول، فسقوه الخمرَ ثم عرضوا عليه نسوة فلمّا مرَّتْ به التي كان يُتَّهَمُ بها أهوى إليها فقتلوه.

نُصَيْبٌ

كان نُصَيب عبداً أسود لرجل من أهل وادي القُرى فكاتَبَ على نفسه ثم أتى عبد العزيز بن مروان فقال فيه مِدْحَةً فوصله واشترى ولاءه، وقال أبو اليَقَظان هو عبد بني كعب بن ضَمْرة من كنانة، وقال آخرون كان من بَلِيّ من قُضَاعة وكانت أمُّه أَمَةً سوداءَ فوقع بها سيّدها فأولدها نُصَيْباً فوثب عليه عمُّه بعد موت أبيه فاستعبده ثم باعه من عبد العزيز بن مروان وكان يُكنى أبا الحَجْناء، وفيه يقول كُثَيِّر:

رَأَيْتُ أبا الحَجْناءِ في الناسِ جائِزاً ... ولَوْنُ أبي الحَجْناء لَوْنُ البَهَائِمِ
تَرَاهُ على ما لاحه من سَوَادِهِ ... وإنْ كان مَظْلوماً له وَجْهُ ظالِمِ

ودخل الفَرَزْدَقُ على سليمان بن عبد الملك وسليمان وليُّ عهد ونُصَيب عنده فقال سليمان: أَنْشِدْنا يا أبا فِرَاس، وأراد أن يُنْشده بعض ما امتدحه به فأنشده:

وركْبٍ كأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمُ ... لها سَلَباً من جَذْبِها بالعَصَائِبِ
سَرَوْا يرْكبُونَ الرِّيحَ، وهي تَلُفُّهُمْ ... إلى شُعَبِ الأَكْوارِ ذاتِ الحَقائِبِ
إذا استَوْضَحُوا ناراً يَقُولُونَ لَيْتَها ... وقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ نارُ غالِبِ

فغضِب سليمان فأَقبل على نُصَيب فقال أنشدْ مولاك يا نُصَيب فأنشده:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهُمْ قَفَا ذاتِ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونِي عن سُلَيْمانَ إِنَّني لِمَعْرُوفِهِ من أَهْلِ وَدَّانَ طالِبُ
فعاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ولَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

فقال له سليمان أحسنتَ وأمر له بِصلَةٍ ولم يصل الفرزدقَ فخرج الفرزدق وهو يقول:

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قال العَبِيدُ

وفيه يقول:

إذا اعْتاصَ القَرِيضُ عَلَيْكَ فَامْدحْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقالا
أَتَتْكَ بنا قِلاصٌ يَعْمَلاتٌ وَضَعْنَ مَدائِحاً وحَمَلْنَ مالا

ودخل الأُقَيْشِر على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذاكروا الشعر وذكروا قول نُصَيب:

أَهِيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإِنْ أَمُتْ فيا وَيْحَ دَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بعدِي

فقال الأُقَيْشِر والله لقد أساءَ قائل هذا الشعر، قال عبد الملك فكيف كنتَ تقول لو كنت قائله؟ قال كنتُ أقول:

تُحِبُّكُمُ نَفْسي حَيَاتِي فإِنْ أَمُتْ أُوكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدي

قال عبد الملك والله لأنت أسوأُ قولاً منه حين توكِّلُ بها، فقال الأقيشر فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال كنت أقول:

تُحِبُّكُمُ نَفْسي حَيَاتِي فإِنْ أَمُتْ فلا صَلُحَتْ هِنْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

فقال القوم جميعاً أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم، ومّا يختار له قوله في مولاه:

لِعَبْـدِ العَزيزِ عَلَـى قَوْمِـهِ وغَيْرِهِـم مِنَـنٌ غامِـرهْ
فبابُـك أَلْيَنُ أَبْوابِهِمْ ودارُكَ مأْهُولَـةٌ عامِرَهْ
وكَلْبُـكَ آنَسُ بالمُعْتَفِيـنَ مِنَ الأُمِّ بِأَبْنَتِها الزائِرَهْ
وكَفُّـكَ حِيـنَ تَرَى السّائِلـين أَنْـدَى مِنَ اللَّيْلَـةِ الماطِرَهْ
فمنكَ العَطاءُ ومِنّا الثّناءُ بكُـلِّ مُحَبَّرَةٍ سائِرَهْ

العُدَيْل بن الفَرْخ

هو العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْليُّ ولقبه العَبَّابُ، وكان العبَّاب كلباً له وهو من رهط أبي النَّجْم العِجْـليّ، وكان هجا الحجَّاج فطلبه فهرب منه إلى قَيْصَرَ ملك الروم فقال:

ودُونَ يَدِ الحَجَّاج مِنْ أَنْ تَنَالَني ... بِسَاطٌ لأَيْدِي اليَعْمَلاتِ عَرِيضُ
مَهَامِـهُ أَشْبـاهٌ كأَنَّ سَرَابَها ... مُلاءٌ بأَيْدِي الغاسِلاتِ رَحِيضُ

وكتب الحجَّاجُ إلى قيصر والله لتبعثنَّ به أو لأُغزينَّك خيلاً يكون أوَّلُها عندك وآخرها عندي، فبعث به إلى الحجّاج فلمّا دخل عليه قال أنت القائل:

ودون يد الحجّاج من أن تنالني

فكيف رأيت أمكن الله منك قال أنا القائل:

فلَوْ كُنْتُ في سَلْمَى أَجاً وشِعابِها ... لَكـانَ لحجَّـاجٍ عَلَيَّ دَلِيـلُ
خَلِيل أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وسَيْفه ... لِكُلِّ إمامٍ مُصْطَفًى وخَلِيلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسْلامِ حتَّى كأَنَّما ... هَدَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلاَلِ رَسُولُ

فخلّى سبيله، وهو القائل:

ما أَوْقَدَ الناسُ من نارٍ لَمكْرُمَةٍ ... إلاّ اصْطَلَيْنا وكُنَّا مُوقِدِي النّارِ

وما يَعُدُّونَ من يَوْمٍ سَمِعْتَ به   للنّاسِ أَفْضَلَ من يَوْمٍ بذِي قار
جِئْنا بأَسْلابِهم والخَيْلُ عابِسَةٌ   يَوْمَ آسْتَلَبْنا لكِسْرَى كُلَّ أُسْوارِ

وكان ربَّما رجز وهو القائل:

يا دارَ سَلْمَى أَقفَرَتْ من ذي قارْ   وهَلْ بإقْفارِ الدِّيارِ مِنْ عارْ

وذكر الإبل فقال:

قوَارب الماءِ سَوَامي الأَبْصارْ   وهُنَّ يَنْهَضْنَ بدكْداكٍ هارْ
أَوْرَقَ من تُرْبِ العراقِ خَوَّارْ   وقَدْ كُسِينَ عرَقاً مِثْلَ القارْ
يَخْرُجُ من تَحْتِ خِلَالِ الأَوْبارْ

في أبيات كثيرة

الرّاعي

هو حُصَيْن بنْ معاوية من بني نُمَيْر وكان يقال لأبيه في الجاهليَّة معاوية الرئيس وكان سيّداً، وإنَّما قيل له الراعي لأنَّه كان يصف راعي الإبل في شعره،وولدُه وأهل بيته بالبادية سادةٌ أشرافٌ،ويقال هو عُبَيْد بن حُصَيْن ويكنى أبا جَنْدَل وكان أعور وهجاه جَرِيرٌ لأنَّه اتَّهمه بالميل إلى الفرزدق فلقيه فعاتبه واستكفَّه فاعتذر إليه وجاءَ ابنه جَنْدَل من خلفه فضرب بالسوط مؤَخَّر بغلته وقال له إنَّك لواقف على كلب بني كُلَيب. وممّا سبق إليه فأُخذ منه قوله:

كأَنَّ العُيُونَ المُرْسِلاتِ عَشِيَّةً   شآبِيبَ دَمْعٍ لم تَجِدْ مُتَرَدَّدَا
مَزَايِدُ خَرْقاءِ اليَدَيْنِ مُسِيفَةً   أَخَبَّ بِهِنَّ المُخْلِفانِ وأَحْفَدَا

أخذه الطِّرِمَّاحُ فقال:

كأَنَّ العُيُونَ المُرْسِلاتِ عَشِيَّةً   شآبِيبَ دَمْعِ العَبْرَةِ المُتَحاتِنِ
مَزَايِدُ خَرْقاءِ اليَدَيْنِ مُسِيفَةً   يُخِبُّ بها مُسْتَخْلِفٌ غَيْرُ آيِنِ

وقال الراعي يصف الإبل:

نَجَائِبُ لا يُلْقَحْنَ إلّا يَعَارَةً   عِراضاً ولا يُشْرَيْنَ إلَّا غَوَالِيَا

أخذه الطرمّاح فقال:

أَضْمَرَتْهُ عِشْرِينَ يَوْماً ونِيلَتْ   يَوْمَ نِيلَتْ يَعَارَةً في عِراضِ

يعارةً ذاهبة الجسم،ويقال يعازُّ الناقةَ الفحلُ فيَضْرِبُها معارَضَةً،

واستُحسن له قوله في الاعتذار من ترك الزيارة:

إنّي وإيّاكِ والشّكْوَى الّتي قَصَرَتْ خَطْوِي ونأيكِ والوَجْدَ الّذي أَجِدُ
كالماءِ والظّالعِ الصّدْيانِ يَرْقُبُهُ هو الشّفاءُ له والرِّيُّ لو يَرِدُ

ومما أُخذ عليه قوله في المرأة:

تكْسُو المَفَارِقَ واللّبّاتِ ذا أَرَجٍ من قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكافُورِ دَرّاجِ

(الأرج الطيّب الرائحة. درّاج يذْهَبُ ويجيءُ) أراد المِسْك فجعله من قُصْب ظبي المسك، والقُصْب المِعَى وجعله يَعْتَلِفُ الكافور فيتولّد عنه المسك، واستُحسن له قوله في النساء:

تُحَدِّثُهُنَّ المُضْمَرات وفوْقَنَـــا ظِلَالُ الخُدُورِ والمَطِيُّ جَوَانِحُ
يُناجِينَنَـا بالطَّرْفِ دُونَ حَدِيثِنا ويَقْضِـينَ حاجاتٍ وهُنَّ نَوَازِحُ

وقال:

طافَ الخَيَالُ بأَصْحابي فقُلْتُ لهم أَأُمُّ شَذْرَةَ زارتْنَا أَمِ الغُولُ
لا مَرْحباً بآبْنَةِ الأَقْيانِ إذ طَرَقَتْ كـأَنَّ مَحْجِرَها بالقار مَكْحُولُ
سُودٌ مَعَاصِمُهـا جُعْدٌ مَعَاقِصُها قَدْ مَسَّها من عَقِيدِ القار تَفْصِيلُ

وقال:

ومـا بَيْضَةٌ بات الظَّلِيمُ يَحُفُّها بوَعْسَاءَ أَعْلَى تُرْبِها قد تَلَبَّدا
فلمّا عَلَتْهُ الشّمْسُ في يَوْمِ طَلْقَةٍ وأَشْرَقَ مُكّاءُ الضُّحَى فتَغَرَّدا
أَرادَ القِيــامَ فَازْبـأَرَّ عِفَاؤُهُ وحَرَّكَ أَعْلَى جِيـدِهِ فتَأَوَّدا
وهَزَّ جَنَاحَيْـهِ فساقَـطَ نَفْضُهُ فَرَاشَ النَّدَى من مَتْنِهِ فَتَبَدَّدا
فغادَرَ في الأُدْحِيِّ صَفْراءَ تَرْكَةً هِجاناً إذا ما الشَّرْقُ فيها تَوَقَّدا
بأَلْيَنَ مَسّاً من سُعادَ لِلَامِسٍ وأَحْسَنَ منها حِينَ تَبْدُو مُجَرَّدا

أُفْنُون

واسمه صُرَيْم بن مَعْشَر . هو من بني تَغْلبَ ،وسُمّي أفنونَ ببيت قاله وقال له كاهن في الجاهلية إنَّك تموت بثنيَّة يقال لها إلَاهَةُ وإنَّه خرج مع ركب فضلُّوا الطريق في ليلهم وأصبحوا بمكان فسألوا عنه فقالوا هذا ألاهة، فنزلوا ولم ينزل أفنون وخلَّى ناقته ترعى فعلقت مِشْفَرَها أَفْعى فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه فاحتكَّت بها فنهشته الأفعى فرمى بنفسه وقال لرفيق له يقال له معاوية:

لَسْتُ عَلَى شيءٍ فرُوحَنْ مُعاوِيَا ... ولا المُشْفِقات إذ تَبِعْنَ الحَوَازِيَا

لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي آمْرُؤٌ كَيفَ يَتَّقِي ... إذا هو لم يَجْعَلْ له اللهُ وَاقِيَا

فطَأْ مُعْرِضاً إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرَةٌ ... وإنَّك لا تُبْقِي بمالِكَ باقِيَا

كَفَى حَزَناً أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ غادِياً ... وأُتْرَكَ في أَعْلَى إلاهَة ثاوِيَا

ومات من ساعته فقبره هناك ، وهو القائل:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هِنْدٍ إذا دَعَا ... لِتَخْدُمَ أُمّي أُمَّه بمُوَفَّقِ

المُخَبَّلُ

المخبَّل المجنون وبه سمّي المخبَّل الشاعر؛ قاله أبو عمرو اسمه ربيعة ابن مالك وهو من بني شَمَّاس بن لأي بن أَنْف الناقة، وهاجر وابنه إلى البصرة وولدُه كثير بالأَحْساء وهم شعراءُ، وكان المخبَّل هجا الزِّبْرِقان ابن بَدْر وذكر أخته خُلَيْدة ثم مرَّ بها بعد حين وقد أصابه كَسْرٌ وهو لا يعرفها فآوَتْه وجبرت كسرَه فلمّا عرفها قال:

لقَدْ ضَلَّ حِلْمِي في خُلَيْدَةَ ضَلَّةً ... سأُعْتِبُ قَوْمِي بَعْدَها وأَتُوبُ
وأَشْهَدُ والمُسْتَغْفَرُ اللهُ أَنَّني ... كَذَبْتُ عَلَيْها والهِجاءُ كَذُوبُ

وهو القائل:

فإنْ يكُ غُصْنِي أَصْبَحَ اليَوْمَ ذاوِياً ... وغُصْنُكَ من ماءِ الشَّبابِ رَطِيبُ
فإنّي حَنَى ظَهْري حَوَانٍ تَرَكْنَهُ ... عَرِيشاً فمَشْيِي في الرِّجالِ دَبِيبُ
وما للعِظامِ الراجِفاتِ مِنَ البِلَى ... دَواءٌ وما للرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ
إذا قال أَصْحابِي رَبِيعَ أَلا تَرَى ... أَرى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وَهْوَ قَرِيبُ
فلا يُعْجِبَنْكَ المَرْءُ إنْ كان ذا غِنًى ... ستَتْرُكُهُ الأَيَّامُ وَهْوَ حَرِيبُ
وكائِنْ تَرَى في الناسِ من ذي بَشَاشَةٍ ... ومَنْ شأْنُه الإقْتارُ وَهْوَ نَجِيبُ

سُوَيْد بن أبي كاهِلٍ

هو سُوَيد بن غُطَيْف من بني يَشْكُر وكان الحجّاجُ تمثَّل يومَ رُسْتَقَباذَ على المنبر بأبيات من قصيدته وهي:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً صَدْرَهُ ... قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطَعْ
ويَرَاني كالشَّجَا في حَلْقِهِ ... عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لم يَرَني ... فإذا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعْ
قد كَفَاني اللهُ ما في نَفْسِهِ ... ومَتَى ما يَكْفِ شَيْئاً لم يُضَعْ
لم يَضِرْني غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَني ... فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ
ويُحَيِّيني إذا لاقَيْتُهُ ... وإذا يَخْلُو لـه لَحْمِي رَتَعْ
هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرَ لَيْثٍ خادِرٍ ... ثَئِدَتْ أَرْضٌ عليه فانْتَجَعْ
كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَما ... جَلَّلَ الرأسَ بَيَّاضٌ وصَلَعْ

وفيها يقول:

وأَبِيتُ اللَّيْلَ ما أَرْقُدُهُ ... وبعَيْنَيَّ إذا نَجْمٌ طَلَعْ
وإذا ما قُلْتُ لَيْلٌ قد مَضَى ... عَطَفَ الأَوَّلُ منه فرَجَعْ
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُوماً ظُلَّعاً ... فَتَوَالِيها بَطِيئاتُ التَّبَعْ
ويُزَجِّيها على إبْطائِها ... مُغْرَبُ اللَّوْنِ إذا اللَّيْلُ انْقَشَعْ

وفيها يقول:

ودَعَتْـــني برُقَاهــا إنَّهــا تُنْزِلُ الأَعْصَمَ من رَأْسِ اليَفَعْ
تُسْمِـعُ الحُـدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً لَوْ أَرادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَطَـعْ

أبو مِحْجَن

هو من ثَقِيف وكان مولَعاً بالشراب مشتهراً به، وكان سَعْد بن أبي وقّاص حبسه فيه فلمّا كان يوم القادِسِيَّة وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين وهو عند أمّ ولد لسَعْد قال:

كفَى حَزَناً أن تُطعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُوداً علَيَّ وِثَاقِيَا
إذا قُمْتُ عَنَّاني الحَدِيدُ وغُلِّقَتْ ... مَغَالِيقُ من دُونِي تُصِمُّ المُنَادِيَا
وقد كُنْتُ ذا أَهْلٍ كَثِيرٍ وإخْوَةٍ ... فَقَدْ تَرَكُونِي واحِداً لا أَخَا لِيَا
هَلُمَّ سِلَاحِي لا أَبَا لَكَ إنَّنِي ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إلَّا تَمَادِيَا

فقالت له أُم ولد سعد أتَجْعَلُ لي إنْ أنا أطلقتُك أن ترجع حتّى أعيدك في الوثاق؟ قال نعم. فأطلقتْه وركت فرساً لسَعْدٍ بَلْقاءَ وحمل على المشركين فجعل سعد يقول لولا أنَّ أبا محجن في الوثاق لظننتُ أنّه أبو محجن وأنَّها فرسي، وأنكشف المشركون وجاءَ أبو محجن فأعادته في الوثاق وأَتَتْ سعداً فأخبرته فأرسل إلى أبي محجن فأطلقه وقال والله لا حبستُك فيها أبداً، قال أبو محجن وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً، ودخل ابن أبي محجن على معاوية فقال له معاوية أبوك الذي يقول:

إذا مُتُّ فَادْفنِّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنّي بالفَلَاةِ فإنَّني ... أَخافُ إذا ما مُتُّ أَلَّا أَذُوقُها

فقال ابن أبي محجن لو شئتَ ذكرتُ أحسن من هذا من شعره، قال وما ذاك؟ قال قوله:

لا تَسْأَل النـاسَ ما مالي وكَثْرَتُهُ ... وسائِلِ القَوْمَ ما حَزْمِي وما خُلُقِي
اَلْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنّي من سَرَاتِهِمُ ... إذا تَطِيشَ يَدُ الرِّعْـدِيـدَةِ الفَرِق
قَدْ أَرْكَبُ الهَوْلَ مَسْدُولاً عَسَاكِرُهُ ... وأَكْتُمُ السِّرَّ فيـه ضَرْبَةُ العُنُقِ

وهو القائل:

إنْ يَكُنْ وَلّى الأَمِـيرُ فَقَـدْ ... طـابَ مِنْـه النَّجْـلُ والأَثَرُ
فيكُمُ مُسْتَيْقِـظٌ فَهِمٌ ... قُلْقُـلانٌ حَيَّـةٌ ذَكَرُ
أَحْمَـدُ الله إلَيْـك فَما ... وُصْلَـةٌ إلّا ستَنْبَتِرُ

عَمْرُو بن شأْسٍ

هو أبو عِرَاراً وفيه يقول عمرو لامرأته:

أرادت عِرَاراً بالهَوَانِ ومَنْ يُرِدْ ... عِرَار بُنَيَّ بالهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ
فإنْ كُنْتِ مِنِّي أوتُريدِين صُحْبَتِي ... فكُونِي له كالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ
وإلَّا فبِينِي مِثْلَ ما بانَ راكِبٌ ... تَيَمَّمَ خِمْساً لَيْسَ في سَيْرِهِ أَمَمْ
وإنَّ عِرَاراً إنْ يَكُنْ ذا شَكِيمَةٍ ... تُقَاسِينَهَا منه فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ
وإنَّ عِرَاراً إنْ يَكُنْ غَيْرَ واضِحٍ ... فإنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

ووفد على عبد الملك بن مروان وَفْدُ أهل الكوفة فلمّا دخلوا عليه وكلَّمهم رأى فيهم رجلاً آدم طويلاً فكلَّمه فأعجبه بيانه فلمّا تولّى تمثَّل عبد الملك بقول عمرو بن شأس.

وإنَّ عِراراً إنْ يَكُنْ غَيْرَ واضحٍ .... البيت

فالتفت الآدَمُ إلى عبد الملك فضحك فقال عبد الملك عليَّ به فلمّا جيءَ به قال ما أضحكك قال أنا يا أمير المؤمنين عِرارٌ، فأقعده معه وقدَّمه وسامره حتّى خرج، وممّا سبق إليه عمرو بن شأس فأُخذ منه قوله:

وأَسْيافُنــا آثارُهُنَّ كأَنَّهــا ... مَشَافِرُ قَرْحَى في مَبارِكِها هُدْلُ

أخذه الكُمَيْت فقال:

تُشَبِّـــهُ في الهــامِ آثارَهــا   مَشافِرَ قَرْحَى أَكَلْنَ البَرِيرَا

البريـر نبـت تأكله الإبل وهو ثمر الأراك وقال أبو النَّجْم يصف الجراحة:

تَحْكِي الفَصِيلَ الهادِلَ المَقْروحا

الهادِلُ الذي قد أَرْخَى شَفَتَيْه.

ابنُ الطَّثْرِيَّةِ

هو يزيد بن الطثريَّة. والطَثْريَّة أمُّه، وهي من طَثْر بن عَنْز بن وائل وقتلته بنو حَنيفة يوم الفَلَيح، فقالت أختُه ترثيه:

أرَى الأَثْلَ في جَنْبِ العَقِيقِ مُجاوِراً مُقِيماً وقد غالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ
فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَقاذِفٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأبَاجِلُهْ
إذا نَزَل الأَضْيَافُ كان عَذَوَّراً عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

وهو القائل:

وأَبْيَضَ مِثْلِ السَّيْفِ خادِمِ رُفْقَةٍ أَشَمَّ تَرَى سِرْبَالَهُ قد تَقَدَّدا
كَرِيمٍ على غِرَّاتِهِ لو تَسُبُّهُ لَفَدَّاك رِسْلاً لا تَرَاهُ مُرَبَّدا
يُعَجِّلُ للقَوْمِ الشِّواءَ يَجُرُّه بأَقْصَى عَصَاهُ مُنْضَجاً أو مُرَمَّدا
حَلُوفٌ لَقَدْ أَنْضَجْتُ وَهْوَ مُلَهْوَجٌ بنِصْفَيْنِ لوْ حَرَّكْتَهُ لَتَقَصَّدا
يُجِيبُ بلَبَّيْهِ إذا ما دَعَوْتَهُ ويَحْسِبُ ما يُدْعَى له الدَّهْرَ أَرْشَدا

وقوله أيضاً:

هَبِيني آمْرَءًا إمّا بَرِيًّا ظَلَمْتِهِ وإمّا مسيئاً تابَ منه وأعْتَبا
وكُنْتُ كَذِي داءٍ تَبَغَّى لِدائِهِ طَبيباً فلمّا لم يَجِدْه تَطَبَّبا

وهو القائل:

بِنَفْسِيَ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنانِهِ ... عَلَى كَبِدِي كانَتْ شِفاءً أنامِلُهْ
وَمَنْ هابَنِي في كُلِّ أَمْرٍ وهِبْتُهُ ... فلا هُوَ يُعْطِينِي ولا أنا سائِلُهْ

أبو الغُولِ

هو من بني نَهْشَل واسمه عِلْباءُ بن جَوْشَن، وهو من بني قَطن بن نَهْشَل وكان شاعراً مُجيداً وهو القائل:

وسَوْءةٍ يُكثِرُ الشَّيْطانُ إنْ ذُكِرَتْ منها التَّعَجُّبَ جاءَتْ مِنْ سُلَيْمانا .
لا تَعْجَبَنَّ لِخَيْرٍ زَلَّ عن يَــدِهِ
فالكَوْكَبُ النَّحْسُ يُسْقِي الأَرْضَ أَحْيانا

وهو القائل:

ولا يَجْزُونَ من خَيْرٍ بِشَرٍّ ولا يَجزُونَ مِنْ غِلظٍ بِلِينِ
هُمُ أَحْمَوْا حِمَى الوَقْبَى بضرْبٍ يُؤَلِّــفُ بَيْن أَشْتـاتِ المَنُونِ
فنَكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الأَعادِي وداوَوْا بالجُنُون منَ الجُنُون

زِيَادُ الأَعْجَمُ

هو زياد بن سَلْمَى ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامر من عبد القيس ،وكان ينزل إِصْطَخْرَ وكانت فيه لُكْنة فلذلك قيل له الأعجم وله عَقِبٌ ، وكان يهاجي قَتَادة بن مغرِّب اليشكريَّ ويقال مُغْرِب ،وفيه يقول:

يَشْكُرُ لا تَسْتَطِيعُ الوَفاءَ وتَعْجِزُ يَشْكُرُ أنْ تَغْدِرَا

وقَتَادة هو القائل:

بتٌّ بحُشٌّ في شَرّ مَنْزِلَةٍ لا أنا في لَذَّةٍ ولا فَرَسِي
هذا على الخَسْفِ لا قَضِيمَ له وأنا ذا لا يَسُوغُ لي نَفَسِي
لَلَيْلَةُ البَيْنِ إذْ هَمَمْتُ بها أَلَذُّ عِنْدِي من لَيْلَةِ العُرُسِ

وهمَّ الفَرَزْدَقُ بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً الأعجم فبعث إليه لا تعجل حتّى أُهْدِيَ إليك هديَّة ، فانتظر الفرزدق الهديَّة فبعث إليه:

ما تَرَكَ الهاجُونَ لي إنْ هَجَوْتُهُ مَصِحًّا أَرَاه في أَدِيمِ الفَرَزْدَقِ
ولا تَرَكُوا عَظْماً يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ لكاسِرِهِ أَبْقَوْهُ للمُتَعَرِّقِ
سأَكْسِرُ ما أَبْقَوْهُ لِي من عِظامِهِ وأَنْكُتُ مُخَّ الساقِ منه وأَنْتَقِي
وإنّا وما تُهْدِي لنا إنْ هَجَوْتَنا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ في البَحْرِ يَغْرَقِ

فلما بلغه الشعرُ قال ليس لي إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد، وهو القائل يرثي المغيرة بن المهلَّب.

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ ضُمِّنَا ... قَبْراً بمَرْوَ على الطَّرِيقِ الواضِحِ
فإذا مَرَرْتَ بقَبْرِهِ فَأعْقِرْ به ... كُومَ الهِجانِ وكُلَّ طَرْفٍ سابِحِ
وٱنْضحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدمائِها ... فلقَدْ يَكُونُ أخا دَمٍ وذَبَائِحِ

وقال له قَبِيصَة بن المهلَّب حين أنشده هذا: أعقرتَ يا أبا أُمامة قال إنّي كنتُ على مُقْرِفٍ، وتمثَّل الحجَّاجُ عند موت ابنه يوسف ببيتين من هذا الشعر:

أَلْآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى ... وٱفْتَرَّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارِحِ
وتَكامَلَتْ فِيكَ المُرُوءَةُ كلُّها ... وأَعَنْتَ ذلِكَ بالفَعالِ الصالِحِ

وهو القائل في كعب الأَشْقريّ من الأزد:

إذا عَذَّبَ اللهُ الرِّجالَ بشِعْرِهم ... أَمِنْتُ لكَعْبٍ أنْ يُعَذَّبَ بالشِّعْرِ

وهو القائل للأزد:

أَتَتْكَ الأَزْدُ تَعْثُرُ في لِحَاها ... تَسَاقَطُ من مَنَاخِرِها الجُوافُ

ولَمَّا قال لبني حَبْناءَ من تميم يهجوهم:

عَجِبْتُ لِأَبْلَقِ الخُصْيَيْنِ عَبْدٌ ... كأَنَّ عِجانَهُ الشِّعْرَى العَبُورُ

قيل له يا أبا أمامة لقد رفعتَهم بأعظم ما يقدرعليه، فقال والله لا يحول الحول حتَّى أرفعَهم بأعظم منه فقال:

لا يَدْلحُ الدَّهْرَ مِنْهُمْ خارِىءٌ أَبَداً ... إلَّا حَسِبْتَ عَلَى بابِ ٱسْتِهِ نَمِرَا

وقال ليزيد بن المهلَّب:

هَلْ لَكَ في حاجتي حاجةٌ ... أم أَنْتَ لها تارِكٌ طارِحُ

أَمِتْها لك الخَيْرُ أم أُحْيِها ... كما يَفْعَلُ الرَّجُلُ الصالِحُ

إذا قُلْتُ قد أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ ... كمَنْ لَيْسَ غادٍ ولا رائِحُ

وكان ينبغي أن يقول غادياً ولا رائحاً، وهو كثير اللَّحن في شعره ولهذا قيل له الأعجم ولفساد لسانه بفارس، وكذلك قوله:

أَنْتَ الفَتَى كُلُّ الفَتَى ... لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ

لا خَيْرَ في كَذِبِ الجَوَا ... دِ وحَبَّذا صِدْقُ البَخِيلِ

يا ٱبْنَ المُهَلَّبِ حاجَتِي ... عَجِّلْ فقَدْ حَضَرَ الرَّحِيلُ

وكذلك قوله:

تُكَلِّفُني سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ... وما جَرْمٌ وما ذاك السَّوِيقُ

فما شَرِبُوهُ إذْ كانَتْ حَلَالاً ... ولا غالَوْا بِه في يَوْمِ سُوقِ

فأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى ثُمَّ أَوْلى ... ثَلَاثاً يا ٱبْنَ جَرْمٍ إنْ تَذُوقُوا

ومن خُبْث هجائه قوله للأشاقِرِ:

قُبَيِّلَةٌ خَيْرُها شَرُّها ... وأَصْدَقُها الكاذِبُ الآثِمُ

وضَيْفُهُمُ وَسْطَ أبياتِهِمْ ... وإنْ لم يَكُنْ صائِماً صائِمُ

جَميل بن مَعْمَرٍ العُذْريُّ

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر ويكنى أبا عمرو وهو أحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته بُثَيْنة، وهما جميعاً من عُذْرَة وكانت بثينة تكنى أمَّ عبد الملك، ولها يقول جميل:

يا أُمَّ عَبْدِ المَلِكِ آصْرِمِينِي ‏ ‏ ‏ ‏ فبَيِّني صُرْمَـــكِ أو صِلِينِي

وقد يقال إنه جميل بن معمر بن عبد الله والجَمَال في عُذْرة والعشق كثير. قيل لأَعْرابيّ من العذريّين ما بال قلوبكم كأنَّها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح في الماء، أما تَجلَّدون؟ قال إنّا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها، وقيل لآخر مِمَّن أنت؟ فقال من قوم إذا أحبُّوا ماتوا فقالت جارية سمعتْه: عُذْريٌّ وربِّ الكعبة، وعَشِقَ جميل بُثَيْنة وهو غلام صغير، فلمّا كبر خطبها فرُدَّ عنها فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سرًّا ومنزلها وادي القُرَى، فجمع له قومها جمعاً ليأخذوه إذا أتاها فحذَّرتْه بثينة فاستخفى وقال:

ولوْ أَنَّ أَلْفاً دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ غَيَارَى وكُلٌّ حارِبٌ مُزْمِعٌ قَتْلِي
لَحاوَلْتُها إِمَّا نَهـاراً مُجاهِراً ‏ ‏ ‏ ‏ وإمَّا سُرَى لَيْلٍ ولو قُطِعَتْ رِجْلِي

وهجا قومَها فاستعدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم وهو يومئذ عامل معاوية على المدينة فنذر ليقطعنَّ لسانَه فلحق بجُذام وقال:

أَتَانِيَ عن مَرْوانَ بالغَيْبِ أَنَّهُ مُقِيدٌ دَمِي أو قاطِعٌ من لِسانِيا
فَفِي العِيسِ مَنْجاةٌ وفي الأَرْضِ مَهْرَبٌ إذا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثَانِبا

فأقام هناك إلى أن عُزِل مروان عن المدينة وانصرف إلى بلاده وكان يختلف إليها سرًّا ، وكان لبثينة أخ يقال له جَوَّاسٌ فشبَّب بأُخت جميل فغضب جميل وتواعدا لمراجزة ،فغلبه جميل ، ولمّا اجتمعوا لذلك قال أهل تَيْماء يا جميل قُلْ في نفسك ما شئتَ فأنتَ الباسل الجواد الجميل ولا تقل في أبيك شيئاً فإنَّه كان لِصًّا بتيماءَ في شملة لا تواري آسته ، وقالوا لجوّاس قُلْ وأنتَ دونه في نفسك فقُلْ ما شئتَ في أبيك فإنَّه صحب النبيَّ ﷺ ، وقال كُثَيِّرٌ قال لي جميل خُذْ لي موعداً من بثَينة قلتُ له هل بينك وبينها علامة فقال لي عهديَ بها وهم بوادي الدَّوْم يرحَضُون ثيابهم فأتيتُهم فأَجِدُ أباها قاعداً بالفِناءِ فسلَّمتُ فردَّ وحادثتُه ساعة حتَّى استنشَدني فأنشدتُه:

فقلتُ لها يا عَزَّ أرسل صاحبي على نَأْيِ دارٍ والمُوكَّلُ مُرْسَلُ
بأَنْ تجعَلِي بَيْني وبَيْنَكِ مَوْعِداً وأَنْ تأْمُرِيني بالَّذِي فيه أَفْعَلُ
وآخِرُ عَهْدِي مِنْكِ يَوْمَ لَقِيتِنِي بأَسْفَلِ وادِي الدَّوْمِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانب الخِدْر وقالت اخْسأْ ، فقال لها أبوها مَهْيَم يا بثينة قالت كلب يأتينا إذا نوَّم الناسُ من وراء هذه الرابية ، قال فأتيتُ جميلًا فأخبرتُه أنَّها واعدته وراءَ الرابية إذا نوَّم الناس قال أبو محمَّد هكذا حدَّثنا دِعْبِل بن عليّ الشاعر . وأمّا أبو عبد الله الزُّبَيْرِيُّ فقال التقى جَمِيلٌ وكُثَيِّرٌ فشكا أحدهما لصاحبه أنَّه مُحْصَرٌ لا يقدر

أن يزور فقال جميل لكثيّر أنا رسولك إلى عَزَّة فأَخبرني بآخر عهد كان لك بها قال كثيّر فإنَّ آخر عهدي أنّي مررتُ بهَا وبجواريها يغسلن ثياباً بأسفل وادي الدَّوْم فأتِهم فأنشدْهم ثلاث ذَود سُود ثم انظر ما يقالَ لك فأتاهم جميل فجعل ينشدهم الذَّوْدَ فقالت له جاريتها لقد رأيت ثلاثاً سُوداً مررن بالقاع خَلْفَنا ثم عَهدي بهنَّ وإحداهن تحتكُّ بالطلحة ومضى سائرهنَّ فانصرف جميل حتَّى أتى كثيّراً فأخبره فلمّا كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأتته عَزَّةَ وصاحبة لها معها فتحادثا طويلاً وجعل كثيّر يرى عَزَّة تنظر نحو جميل وكان جميل جميلاً وكان كثيّرُ دميماً فغضب كثيّر وغار فقالَ لجميل انطلق بنا قبل أنْ نُصْبحَ فانطلقا وقال:

رَأَيْتُ ٱبْنَةَ الضَّمْرِيِّ عَزَّةَ أَصْبَحَتْ ... كَمُحْتَطِبٍ ما يَلْقَ بِاللَّيْلِ يَحْطِبِ
وكانَـتْ تُمَنِّينَـا وتَزْعُمُ أَنَّهـا ... كَبَيْضِ الأَنُوقِ في الصَّفَا المُتَنَصِّبِ

ثم قال كثيّر لجميل متى عهدُك ببُثَيْنة؟ قال في أوَّل الصيف وقعةَ سحابة بأسفل وادي الدَّوْم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثوباً، فلمّا رأتني أنكرتني فضربت بيدها إلى ثوب في الماء فالتحفت به وعرفتني الجارية فعادت فطرحته في الماء وتحادثنا حتَّى غابت الشمس فسألتُها الموعد فقالت أهلُها سائرون ولم ألقَها بعدُ ولمَ أجد أحداً آمنُه أُرسله إليها، فقال كثيّر هل لك أن آتي الحيَّ فأقرع ببيت من شعر أو تخلو فأكلّمها، قال نعم، فخرج كثيّر حتَّى أناخ بهم فقالوا يا كثيّر حدِّثْنا كيف قلتَ لزوج عزَّة حين أمرها أنْ تسبَّك؟ قال كثيّر خرجا يرميان الجمار فوجداني قد أعْصَبَ الناسُ بي فطالعني زوجها فسمعني أنشد:

خَلِيلَيَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فَٱعْقِلَا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

فغار فقال لعزَّة لتُغْضِبَنَّه أو لأُطلّقنَّك، فقالت المنشد يعضُّ بكذا وكذا من أُمّه مُكْرَهَةً فقلتُ:

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرُ داءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ من أَعْراضِنا ما ٱسْتَحَلَّتِ

فقالت بثينة أحسنتَ والله ياكثيّر. قال كثيّر وأبيات قلتُها لعزَّة:

أَرْسَلَـني يا عَزَّ نَحْوَكِ صاحِبِي عَلَى طُولِ نَأْيٍ من حَبِيبٍ ومُرْسَلِ
بِأَنْ تَضْرِبِي بَيْنِي وبَيْنَكِ مَوْعِداً وأَنْ تُخْبِرِينِي ما الّذي فيه أَفْعَلُ
بآيَـةِ ما جِئْنـاكِ يَوْماً عَشِيَّةً بأَسْفَلِ وادِي الدَّومِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فقالت بُثَيْنة يا جارية أبغينا من الدومات حُجرة البطحاء حَطَباً لنذبح لكثيّر عريضاً من البُهْم ونشويه له، قال كثيّر أنا أعجل من ذلكَ فراح إلى جميل فأخبره أن الموعد الدومات، قال أبو محمَّد أرق عبد الملك بن مروان ذات ليلة فقال اطلبوا لي رجلًا يحدّثني فخرجوا إلى المسجد فوجدوا رجلًا فأدخلوه فقال له عبد الملك من أنت قال أنا فلان وكنتُ من أصدق الناس لجميل قال فحدّثْني عنه قال خرجتُ معه مرَّة حتَّى انتهينا إلى خباءٍ لآل بثينة وسَمِعَتْ به فأقبلت في نسوة معها وأقبلَ جميل نحوها فقعدن وقعد فتحادثوا ساعة ثم أخلوهما فلم يزالا يتشكَّيان حتَّى غَشِيَنا الصُّبْحُ فودَّع كلٌّ واحد منهما صاحبه ثم وضع جميلَ رجله في الغرز فمالت إليه بثينة فقالت يا جميل ادنُ منّي فمال إليها برأسه وعنقه فسارَّتْه بشيء فخرَّ مغشيًّا عليه ثم مضت فأتيته فلم أزل عند رأسه حتَّى طلعت الشمس عليه فقام ينفض رأسه وهو يقول:

فما مُكْفَهِرٌّ في رَحَى مُرْجَحِنَّةٍ ... ولا ما أَسَرَّتْ في معادِنِها النَّحْلُ
بأَحْلَى منَ القَوْلِ الّذي قُلْتِ بَعْدَما ... تَمَكَّنَ في حَيْزُومِ ناقَتِيَ الرِّجْلُ

فقال له عبد الملك ويحك فهل تدري ما سارَّتْه به؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، وذكر ابن عيّاش قال خرجتُ من تَيْماءَ فرأيتُ عجوزاً على أتان فقلتُ ممَّن أنتِ قالت من عُذْرَة قلتُ هل تروين عن بُثَيْنة وجميل شيئاً؟ قالت نعم والله إنَّا لَعَلَى ماءٍ من الجِنَابِ وقد اتَّقينا الطريق واعتزلنا مخافةَ جيوش تَجيءُ من الشأم إلى الحجاز وقد خَرج رجالنا في سَفَر وخلَّفوا عندنا غلماناً أحداثاً، وقد انحدر الغلمان عشيَّة إلى صرم لهم قريبَ منّا ينظرون إليهم ويتحدَّثون عند جَوَارٍ منهم فبقيتُ أنا وبُثَينة نسترمُّ غزلاً لنا إذ انحدر علينا منحدر من هضبة حذاءنا فسلَّم ونحن مستوحشون فرددتُ السلام ونظرتُ فإذا أنا برجل واقف شبَّهتُه بجميل فدنا فأَثْبتُّه فقلتُ أَجميل؟ قال أي والله، فقلت والله لقد عرَّضتَنا ونفسك شرَّا فما جاءَ بكَ قال هذه الغُول التي وراءَك وأشار إلى بثينة وإذا هو لا يتماسك، فقمتُ إلى قَعْب فيه أَقِطٌ مطحون وتمر وإلى عُكَّة فيها شيءٌ من سمن فعصرتُه على الأقطَ وأدنيته منه فقلت أَصِبْ من هذا ففعَلَ وقمتُ إلى سقاءِ لبن فصببتُ له في قَدَح وشننتُ عليه ماءً بارداً وناولتُه فشرب فتراجع فقلتُ لقد جُهدتَ فما أمرُك، قال أردتُ مِصْرَ فجئتُ أودّعكم وأسلّم عليكم وأنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث أنتظرُ أن أَجِدَ فُرجة حتّى رأيتُ مُنْحَدَرَ فتيانكم العشيَّة فجئتُ لأُحْدِثَ بكم عَهداً فحدَّثَنا ساعةً ثم ودَّعنا وانطلق فلم نلبث إلّا يسيراً حتّى أتانا نعيُّه من مصر قال ابن عيّاش فظننتُ قوله:

فمَنْ كان في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي		فبَرْقاءُ ذي ضالٍ عَلَيَّ شَهِيدُ

إنَّه أراد هذه الهضبة التي أقام فيها أيّاماً ما أكل وما شَرِبَ، وقال سهل بن سعد الساعديُّ أو ابنه عبّاس لقيني رجل من أصحابي فقال هل لك في جميل فإنَّه ثقيل، فدخلنا عليه وهو يَكِيدُ بنفسه وما يخيَّل لي أن الموت يكرثه، فقال ما تقول في رجل لم يزن قطُّ ولم يشرب خمراً قطُّ ولم يقتل نفساً حراماً قطُّ يشهد أن لا إله إلّا الله فقلت أظنُّه والله قد نجا فمن هذا الرجل؟ قال أنا قلتُ والله ما سلمتَ وأنت منذ عشرين سنة تنسبُ ببثينة قال إنّي لفي آخر يوم من أيّام الدنيا وأوَّل يوم من أيّام الآخرة فلا نالتني شفاعة محمَّد ﷺ إن كنت وضعتُ يدي عليها لريبة قطُّ قال فأقمنا حتَّى مات وذاكرتُ بهذا بعض مشايخنا فقال لي كيف يكون هذا أليس هو القائل:

فدَنَوْتُ مُخْتَفِياً أُضِرُّ بِبَيْتِها		حتَّى وَلَجْتُ عَلَى خَفِيِّ المَوْلِجِ
قالَتْ وعَيْشِ أَخِي ونِقْمَةِ والِدِي		لأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إنْ لم تَخْرُجِ
فخَرَجْتُ خِيفَةَ أَهْلِها فتَبَسَّمَتْ		فعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَها لم تَلْجَجِ
فلَثِمْتُ فاها آخِذاً بقُرُونِها		فِعْلَ النَّزِيفِ ببَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

وقال جميل حين حضرته الوفاة:

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بِجَمِيلِ		وثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولِ
ولَقَدْ أَجُرُّ البُرْدَ في وادِي القُرَى		نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعَ ونَخِيلِ
قُومِي بُثَيْنَةُ وآنْدُبِي بَعويلِ		وآبْكِي خَلِيلَكِ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ

وقالت بثينة ولا يحفظ لها شعر غيره:

وإنَّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ		منَ الدَّهْرِ ما جاءَتْ ولا حانَ حينُها

سَوَاءٌ عَلَيْنـا يا جَمِيلَ بنَ مَعْمَرٍ إذا مِتَّ باساءُ الحَيَاةِ ولِينُها

وجميل مِمَّن رضي بالقليل قال:

أُقَلِّبُ طَرْفِي في السَّماء لَعَلَّهُ يُوافِقُ طَرْفِي طَرْفَها حِينَ تَنْظُرُ

ومثله قول المَعْلُوط في الرضى بالقليل:

أَلَيْسَ اللَّيْـلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو وإيَّانـا فـذاك بنـا تَدَانـى

بَلَـى وتَرَى السَّماءَ كما أَراها ويَعْلُوهـا النَّهـارُ كما عَلانِي

ونحوه قول بعض الأعراب في الرضى بالقليل:

ومـا نِلْتُ منها مَحْرَماً غَيْرَ أَنَّني إذا هِيَ بالَتْ بُلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

قالوا وأفرط في قوله:

ولَوْ أَنَّ جِلْداً غَيْرَ جِلْدِكِ مَسَّنِي لَدَى مَضْجَعِي حقًّا إذاً لَشَرِيتُ

ولَوْ أَنَّ راقِي المَوْتِ يَرْقِي جِنَازَتِي بريقِـكِ يَوْمـاً يا بُثَيْنَ حَيِيتُ

ومّما يستجاد له قوله:

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَلِيداً فلم يَزَلْ إلى اليَوْمِ يَنْمِي حُبُّها ويَزِيدُ

وأَفْنَيْتُ عُمْرِي بانْتظارِي نَوالَها فبَلَّتْ بذاك الدَّهْرَ وَهْوَ جَدِيدُ

فلا أَنَا مَرْدُودٌ بِما جِئْتُ طالباً ولا حُبُّهـا فـيما يَبِيـدُ يَبِيـدُ

فمَنْ كان في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي فبَرْقـاءُ ذي ضالٍ عَلَيَّ شَهِيدُ

ومّما سبق إليه فأُخذ منه قوله:

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا

أخذه الفَرَزْدَقُ وأدخله الرُّواة في شعره. ومّما يستغَثُّ من شعره قوله:

فَلَوْ تَركَتْ عَقْلِي مَعِي ما طَلَبْتُها ولكِنْ طلَابِيها لَمَا فاتَ مِنْ عَقْلِي
فإِنْ وُجِدَتْ نَعْلٌ بأَرْضٍ مَضَلَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ يَوْماً فَاْعْلَمِي أَنَّها نَعْلِي

ويستجاد له قوله في هذا الشعر:

خَلِيلَيَّ فِيما عِشْتُما هَلْ رَأَيْتُما قَتِيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

وقال صالح بن حسَّان لجُلَسائه أيُّكم ينشد بيتاً نصفه مُخَنَّثٌ يتفكَّك بالعَقِيق ونصفه أعرابيٌّ في شملة بالبادية؟ قالوا ما نعرفه. قال هو قول جميل:

أَلَا أَيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلَا هُبُّوا أُسائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ
فقالوا نَعَمْ حَتَّى يَرُضَّ عِظامَهُ ويتْرُكَهُ حَيْرَانَ لَيْسَ لَهُ لُبُّ

تَوْبَةُ بن الحُمَيِّرِ

هو من بني عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة خَفَاجِيٌّ وكان شاعراً لِصًّا وأحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحَّالة بن كعب بن معاوية ومعاوية هو الأَخْيَل بن عُبَادة من بني عُقَيل بن كعب وكان يقول الأشعار فيها وكان لا يراها إلّا متبرقعةً فأتاها يوماً وقد سَفرت فأنكر ذلك وعلم أنَّها لم تسفر إلّا لأمر حدث وكان إخوتها أمروها أن تُعلمهم بمجيئه ليقتلوه فسفرت لتُنذره ويقال بل زوَّجوها فألقت البرقع ليعلم أنَّها قد برزت ففي ذلك يقول:

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ لَيْلَى تبَرْقَعَتْ ... فقَدْ رابَنِي منها الغَدَاةَ سُفُورُها

وأوّل الشعر:

نأَتْـكَ بلَيْلَى دارُها لا تَزُورُها ... وشَطَّتْ نَوَاها واسْتَمَرَّ مَرِيرُها

يَقُولُ رِجالٌ لا يَضِيرُكَ نَأْيُها ... بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُها

أَظُنُّ بهـا خَيْراً وأَعْلَمُ أَنَّهـا ... سَتُنْعِمُ يَوْماً أَوْ يُفَكُّ أَسِيرُها

أَرَى اليَوْمَ يَأْتِي دُونَ لَيْلَى كأَنَّما ... أَتَتْ حِجَجٌ من دُونِها وشُهُورُها

حَمَامَـةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِي ... سَقَاكِ منَ الغُرِّ الغوَادِي مَطِيرُها

أَبِينِي لنـا لا زال رِيشُكِ ناعِماً ... ولا زِلْتِ في خَضْراءَ عالٍ بَرِيرُها

فإنْ سَجَعَتْ هاجَتْ لِعَيْنِكَ عَبْرَةً ... وإنْ زَفَرَتْ هاجَ الهَوَى قَرْقَرِيرُها

وهو القائل:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ ودُونِي تُرْبَــةٌ وصَفائِــحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أو زَقَا إِلَيْها صَدًى من جانِبِ القَبْرِ صائِحُ
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى في السَّماءِ لأَصْعَدَتْ بطَرْفي إلى لَيْلَى العُيُونُ اللَّوَامِحُ

وكان تَوْبة رحل إلى الشأم فمرَّ ببني عُذْرة فرأَتْه بُثَينة فجعلت تنظر إليه فشقَّ ذلك على جَمِيل وذلك قبل أن يُظْهَر على حُبّه لها فقال له جميل من أنت؟ قال أنا توبة بن الحُمَيّر، قال فهل لك في الصِّراع قال ذلك إليك فنبذت إليه بثينة ملحفة مورَّسة فاتَّزر بها ثم صارعه فصرعه جميل ثم قال له هل لك في النِّضال؟ قال نعم فناضله فنضله جميل ثم قال له هل لك في السِّباق؟ قال نعم فسابقه فسبقه جميل فقال له توبة يا هذا إنَّك إنَّما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا إلى الوادي فهبطا إلى الوادي فصرعه توبة وسبقه ونَضَلَه، وكان توبة كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وهَمْدان، وكانت بين أرض بني عُقَيْل وأرض مَهْرَة مفازة قذفٌ فكان إذا أراد الغارة عليهم حمل المزاد وكان من أهدى الناس بالطريق، فخرج ذات يوم ومعه أخوه عُبيد الله وابن عمّ له فنذروا به فانصرف مُخْفِقاً فمرَّ بجيران لبني عوف بن عامر فأغار عليهم فأطرد إبلهم وقتل رجلاً من بني عوف وبلغ الخبر بني عوف فطلبوه فقتلوه وضربوا رِجْل أخيه فأعرجوه واستنقذوا إبل صاحبهم وانصرفوا وتركوا عند عبيد الله سقاءً من ماءٍ كيلا يقتله العطش فتحامل حتَّى أتى بني خَفَاجة فلاموه وقالوا فررتَ عن أخيك فقال يعتذر:

يَلُومُ عَلَى القِتَالِ بنو عُقَيْلٍ وكَيْفَ قِتَالُ أَعْرَجَ لا يَقُومُ

لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ

هي لَيْلَى بنت الأخيل من عُقَيل بن كعب وهي أشعرُ النساءِ لا يقدَّم عليها غير خَنْساءَ ،وكانت هاجت النابغة الجَعْديَّ وكان ممّا هجاها به قوله :

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَى وقُولَا لها هَلَا ... فقَدْ رَكِبَتْ أَمْراً أَغَرَّ مُحَجَّلا
بُرَيْذِينَةٌ بَلَّ البَرَاذِينَ ثَفْرُها ... وقَدْ شَرِبَتْ في أَوَّلِ الصَّيْفِ أُيَّلا
وقَدْ أَكَلَتْ بَقْلًا وَخِيماً نَبَاتُه ... وقد نَكَحَتْ شَرَّ الأخايل أَخْيَلا
وكَيْفَ أُهاجِي شاعِراً رُمْحُهُ اَسْتُهُ ... خَضِيبَ البَنَانِ لا يَزالُ مُكَحَّلا

فأَجابته وفاقته:

أَنابِغَ لم تَنْبَغْ ولم تَكُ أَوَّلَا ... وكُنْتَ وُشَيْلًا بَيْنَ لِصْبَيْنِ مَجْهَلا
أَعَيَّرْتَنِي داءً بأُمِّـكَ مِثْلُـهُ ... وأَيُّ جَوَادٍ لا يقال لَهُ هَلَا
تُساوِرُ سَوَّاراً إلى المَجْدِ والعُلَى ... وفي ذِمَّتِي لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلَا

أي ليفعلنَّ وسَوَّارٌ ابنُ أَوْفَى القُشَيْرِيُّ وكان زوجها) ورثت عثمان ابن عفّان رضي الله عنه فقالت:

أَبَعْدَ عُثْمانَ تَرْجُو الخَيْرَ أُمَّتُهُ ... وكان آمَنَ مَنْ يَمْشِي على ساقِ
خَلِيفَـةَ اللهِ أَعْطاهُم وخَوَّلَهُمْ ... ما كان من ذَهَبٍ جَوْمٍ وأَوْراقِ

فلا تُكَذِّبْ بوَعْدِ اللهِ واتَّقِهِ ... ولا توكَّلْ على شَيْءٍ بإشْفاقِ
ولا تَقُولَنْ لِشَيءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ ... قد كَتَبَ اللهُ ما كُلُّ آمْرِئٍ لاقِ

ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنَّتْ فقال لها ما رأى فيكِ تَوْبَةُ حينِ هويك؟ قالت ما رآه الناس فيك حينِ وَلَّوْك ، فضحك عبد الملك حتَّى بدت له سِنٌّ سوداءُ كان يخفيها ، وسألت الحجَّاج أن يحملها إلى قُتَيبة بن مُسْلِم بخراسان فحملها على البريد فلمّا انصرفت ماتت بسَاوَةَ فقُبرت بها ،ومن جيّد شعرها قولها في توبة:

أَقْسَمْتُ أَرْثي بَعْدَ تَوْبَةَ هالِكاً ... وأَحْفِلُ مَنْ دارَتْ عَلَيْه الدَّوائِرُ
لَعَمْرُكَ ما بالمَوْتِ عارٌ على الفَتَى ... إذا لم تُصِبْهُ في الحَيَاةِ المَعايِرُ
ومـا أَحَدٌ حَيًّا وانْ كان سالماً ... بأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقابِرُ
ومَنْ كان مِمّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جازِعاً ... فلا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُرَى وَهْوَ صابِرُ
ولَيْسَ لِذِي عَيْشٍ من المَوْتِ مَذْهَبٌ ... ولَيْسَ عَلَى الأَيَّامِ والدَّهْرِ غابِرُ
ولا الحَيُّ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتِبٌ ... ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحَيُّ ناشِرُ
وكُلُّ شَبَابٍ أو جَدِيدٍ إلى بَلًى ... وكُلُّ آمْرِئٍ يَوْماً إلى اللهِ صائِرُ
وكُـلُّ قَرِينَـيْ أُلْفَـةٍ لِتَفَرُّقٍ ... شَتَاتاً وإنْ ضَنَّا وطال التَّعاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ هالِكاً ... أَخا الحَرْبِ إنْ ضاقَتْ عَلَيْه المَصادِرُ
فأَقْسَمْتُ لا أَنْفَكُّ أَبكِيكَ ما دَعَتْ ... عَلَى فَنَنٍ وَرْقاءُ أو طار طائِرُ
قَتِيلَ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتَا له ... فما كُنْتُ إيّاهُمْ عَلَيْه أُحاذِرُ
ولكِنَّما أَخْشَى عَلَيْـه قَبِيلَـةً ... لها بدُرُوبِ الرُّومِ بادٍ وحاضِرُ

وقولها:

فـإنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنَّكُمْ ... فَتَى ما قَتَلْتُمْ آل عَوْفِ بن عامِرِ

وإلَّا تَكُنْ فِيكُمْ بَوَاءٌ فإنَّكم ... سَتَلْقَوْنَ يَوْماً وِرْدَهُ غَيْرَ صادِرِ
فَتًى هو أَحْيَى من فَتَاةٍ حَيِّيَةٍ ... وأَشْجَعُ من لَيْثٍ بِخَفَّانَ خادِرِ
فَتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفاقُ ولا يَرَى ... لِقِدْرٍ عِيَالاً دُونَ جارٍ مُجاوِرِ
فَتًى كان للمَوْلَى سَنَاءً ورِفْعَةً ... وللطارِقِ الساري قِرًى غَيْرَ باسِرِ
فَتًى يُنْهِلُ الحاجاتِ ثم يَعُلُّها ... فتُطْلِعُها عَنْهُ ثَنايا المَصادرِ
ولا تَأْخُذُ الكُومُ الجِلادُ سِلاحَها ... لِتَوْبَةَ في صِرِّ الشِّتاءِ الصَّنابِرِ
فنِعْمَ الفَتَى إنْ كان تَوْبَةُ فاجِراً ... وفَوْقَ الفَتَى إنْ كان لَيْسَ بفاجِرِ

وقولها أيضاً:

ومُخَرَّقٌ عَنْهُ القَمِيصُ تَخالُهُ ... وَسْطَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سَقِيما
حَتَّى إذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيسِ زَعِيما

شُبَيْلُ بن وَرْقَاءَ

هو من زَيْد بن كُلَيْب بن يَرْبُوع وكان شاعراً مذكوراً جاهليًّا فأدرك الإسلام وأسلم إسلامَ سَوْءٍ وكان لا يصوم رمضان فقالت له بنته ألا تصوم؟ فقال:

تأمُرُني بالصَّوْمِ لا دَرَّ دَرُّها وفي القَبْرِ صَوْمٌ لا أَباكِ طَوِيلُ

وكان له ابنان خالد وتَبَالَة.

طُفَيْلُ بن كعب الغَنَويُّ

قال أبو محمَّد هو طُفَيل بن كعب الغَنَويُّ وكان من أوصف الناس للخيل وكان يقال له في الجاهليَّة المُحَبِّرُ لحُسْن شعره وقال عبد الملك بن مروان مَن أراد أن يتعلَّم ركوب الخيل فليَرْو شعر طُفَيل. وقال معاوية دَعوا لي طفيلاً وسائرُ الشعراء لكم، وهو جاهليٌّ، وهو القائل:

إنِّي وإنْ قَلَّ مالي لا يُفارِقُني ... مِثْلُ النَّعامَةِ في أوْصالِها طُولُ

أو قارِحٌ في الغُرَابِيَّاتِ ذُو نَسَبٍ ... وفي الجِرَاءِ مِسَحٌّ الشَّدِّ إجْفِيلُ

إنَّ النِّساءَ كأشْجارٍ نَبَتْنَ مَعاً ... منها المُرَارُ وبَعْضُ النَّبْتِ مأْكُولُ

إنَّ النِّساءَ مَتَى يَنْهَيْنَ عن خُلُقٍ ... فإنَّـه واجِـبٌ لا بُـدَّ مَفْعُولُ

لا يَنْصَرِفْنَ لِرُشْدٍ إنْ دُعِينَ له ... وهُنَّ بَعْـدُ مَلاَئِـيمُ مَخَاذِيـلُ

وهو القائل:

بخَيْلٍ إذا قِيلَ آرْكَبُوا لم يَقُلْ لهم ... عَوَاوِيرُ يَخْشَوْنَ الرَّدَى أَيْنَ نَرْكَبُ

ولكِنْ يُجابُ المُسْتَغِيثُ وخَيْلُهُمْ ... عَلَيْها حُمَاةٌ بالمَنِيَّـةِ تَضْرِبُ

ومِمَّا سبق إليه (طُفَيل) قوله:

بحَيٍّ إذا قِيلَ آظْعَنُوا قد أُتِيتُمُ ... أقاموا فلم تُرْدَدْ عَلَيْهِمْ حَمَائِلُ

ثم قال ابن مقْبِل:

بَحيٍّ إذا قِيلَ ٱظْعَنُوا قد أُتِيتُمُ أَقاموا على أَظْعانِهِمْ وتَلَحْلَحُوا

وقال طُفَيل يذكر الإبل:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ولم تَرَ ناراً تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

وقال الحُطَيئة:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ولم تُحْتَلَبْ إلَّا نَهاراً ضَجُورُها

يقول لا تُحْلَبُ التي تضجر من الحلب في البَرْد ولكن إذا طلعت عليها الشمس.

ابْنُ مُقْبِلٍ

هو تَمِيم بن أُبَيّ بن مُقْبِل من بني العَجْلان، وفي رهطه يقول النَّجاشيُّ:

إذا اللهُ عادَى أهْل لُؤْم ورقَّةٍ فعادَى بني العَجْلان رَهْطَ ابن مُقْبل

وكان جاهليًّا إسلاميًّا ورثى عثمان بن عفَّان رضي الله عنه فقال:

لِيَبْـكِ بَنُو عُثْمانَ ما دام جِذْمُهُمْ عَلَيْـهِ بأَسْيافٍ تَعَرّى وتُحْشَبُ
نَعَاءِ لفَضْلِ الحِلْم والحَزْم والنَّدَى ومأْوَى اليَتَامى الغُبْر عامُوا وأَجْدَبُوا
ومَلْجَإِ مَهْرُوئِينَ يُلْفَى به الحَيَا إذا جَلَّفَتْ كَحْلٌ هو الأُمُّ والأَبُ

وكان خرج في بعض أسفاره فمرَّ بمنزل عَصَر العُقَيْليّ وقد جهده العطش فاستسقى فخرج إليه ابنتاه بعسّ (فيه لبن) فرأتاه أعور كبيراً فأَبْدتا له بعض الجَفْوة وذكرتا هَرَمه وعَوَره فغضب وجاز ولم يشرب وبلغ أباهما الخبرُ فتبعه ليردَّه فلم يرجع فقال له ارجعْ ولك أعجبهما إليك فرجع وقال قصيدته هذه، وهي أجود شعره:

كان الشَّبَابُ لِحاجاتٍ وكُنَّ له فقَدْ فَرِغْتُ إلى حاجاتِيَ الأُخَر
يا حُرَّ أَمْسَتْ بَلِيّاتُ الصِّبا ذَهَبَـتْ فلَسْتُ منها على عَيْنٍ ولا أَثَرِ

يا حُرَّ أَمْسَى سَوَادُ الرَّأْسِ خالَطَهُ
شَيْبُ القَذالِ ٱخْتِلاطَ الصَّفْوِ بالكَدَرِ
يا حُرَّ أَمْسَيْتُ شَيْخاً قد وَهى بَصَرِي
وٱلْتاثَ ما دُونَ يَوْمِ البَعْثِ من عُمُرِي

يا حُرَّ مَنْ يَعْتَذِرْ من أنْ يُلِمَّ به — رَيْبُ الزَّمانِ فإنّي غَيْرُ مُعْتَذِرِ
قالَتْ سُلَيْمى ببَطْنِ القاعِ من سُرُجٍ — لا خَيْرَ في المَرْءِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ
واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُها مِنّي فقُلْتُ لها — ما ذا تَعِيبانِ مِنّي يا ٱبْنَتَيْ عَصَرِ
لَوْلا الحَيَاءُ وباقِي الدِّينِ عِبْتُكُما — ببَعْضِ ما فيكما إذ عِبْتُما عَوَرِي
قد كُنْتُ أَهْدِي ولا أُهْدَى فعَلَّمَني — حُسْنَ المَقادَةِ أَنّى فاتَني بَصَرِي
قد قُلْتُما لِيَ قَوْلاً لا أَبا لَكُما — فيه حَدِيثٌ على ما كان من قِصَرِ

أخذه من قول امرىء القَيْس:

وحَدِيثٌ ما على قِصَرِهْ

أي أيُّ حديث هو على قِصَرِه على التعجُّب منه، وهو من أوصف العرب لِقَدْح، ولذلك يقال قِدْحُ ابن مُقْبِل، وهو القائل في نفسه:

إذا مُتُّ عن ذِكْرِ القَوافِي فلَنْ تَرَى — لها تالِياً بَعْدِي أَطَبَّ وأَشْعَرا
وأَكْثَرَ بَيْتاً مارِداً ضُرِبَتْ له — حُزُونُ جِبالِ الشِّعْرِ حتّى تَيَسَّرا
أَغَرَّ غَرِيباً يَمْسَحُ الناسُ وَجْهَهُ — كما تَمْسَحُ الأَيْدِي الجَوَادَ المُشَهَّرا

وقال ابنُ مُقْبِل في الفرس:

يُرْخِي العِذَارَ ولو طالَتْ قَبائِلُهُ — عن حَشْرَةٍ مِثْلِ سِنْفِ المَرْخَةِ الصَّفِرِ

وقال آخر:

لهـــا أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ — كإعْلِيطِ مَرْخٍ إذا ما صَفِرْ

وقال آخر:

حَشْرَةُ الأُذْنِ كإِعْلِيطِ صَفِرْ

وممّا يُسْتحسَن له قوله في النساء:

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالَتْ جَوانِبُهُ ... يَنْهالُ حِيناً ويَنْهاهُ الثَّرَى حِينا
يَهْزُزْنَ للمَشْيِ أوْصالاً مُنَعَّمَةً ... هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينا
أو كاَهْتِزازِ رُدَيْنِيٍّ تَداوَقَـهُ ... أَيْدِي التِّجارِ فزادوا مَتْنَه لِينا

أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ

هو أميَّة بن أبي الصَّلْت بن أبي ربيعة بن عبد عَوْف بن عُقْدة بن غِيَرَة بن قَسِي، وقَسِي هو ثَقيف بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصَفَة بن قيس عَيْلان وأُمُّه رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وقدكان قرأ الكتب المتقدّمة من كتب الله جلَّ وعزَّ ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر بأنَّ نبيًّا يبعث قد أظلَّ زمانه ويؤمّل أن يكون ذلك النبيَّ، فلمّا بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصَّته كفر حسداً له، ولمّا أنشد رسول الله ﷺ شعره قال آمن لسانُه وكفر قلبُه. وكان يحكي في شعره قِصَص الأنبياء ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب يأخذها من الكتب المتقدّمة وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب منها قوله:

بآيـةِ قام يَنْطُـقُ كُـلُّ شيءٍ ... وخـانَ أمانَةَ الدِّيكِ الغُرَابُ

وكانوا يقولون إن الديك كان نديماً للغراب فرهنه على الخمر وغدر به ولم يرجع وتركه عند الخمّار فجعله (الخمّار) حارساً، ومنها قوله:

غَيْمٌ وظَلْماءُ وفَضْـلُ سَحَابَـةٍ ... إذ كان كَفَّنَ واسْتَرَادَ الْهُدْهُدُ
يَبْغِي القَرَارَ لأُمِّـهِ لِيُجِنَّهـا ... فبَنَـى عليها في قفاهُ يَمْهَدُ
فيَزَالُ يَدْلَـحُ ما مَشَى بجِنَازَةٍ ... منها وما اخْتَلَفَ الجَدِيدُ الْمُسْنَدُ

وكانوا يقولون إن الهدهد لمّا ماتت أمُّه أراد أن يبرَّها فجعلها على رأسه يطلب موضعاً فبقيت في رأسه، فالقُنْزُعَة التي في رأسه هو قبرها وإنَّما انتنت ريحه لذلك، ومنها قوله:

قَمَرٌ وساهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب غلاف القمر يدخل فيه إذا كُسِفَ. وقوله في الشمس:

لَيسَتْ بطالِعَـةٍ لَهُمْ في رِسْلِها إلَّا مُعَذَّبَــةً وإلَّا تُجْلَــدُ

يقولون إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع وقالت لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله حتَّى تُدْفَع وتُجْلَد فتطلع، ويسمّي السماءَ في شعره صاقورة وحاقورة وَبِرْقع، ويقول في الله عزَّ وجلَّ:

هو السَّلْطِيطُ فَوْقَ الأَرْضِ مُقْتَدِرُ

ويقول:

وأبْدَتِ الثُّغْرُورَا

يريد الثغر، وهذه أشياءُ منكرة وعلماؤنا لا يرون شعره حُجَّةً في اللغة، ولَّما حضرته الوفاة قال:

كُلُّ عَيْشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْراً صائِرٌ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ ما قد بَدَا لي في رؤُوسِ الجِبَال أرْعى الوُعُولا

وأبوه أبو الصَّلْت الثَّقفيُّ شاعر وهو القائل في سَيْف بن ذي يَزَن:

أَتَى هِرَقْلَ وقَدْ شالَتْ نَعَامتُهُ فلم يَجِدْ عِنْدَهُ القَوْلَ الَّذِي قالا
ثم انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بعد تاسِعَةٍ مِنَ السِّنِينَ لقَدْ أَبْعَدْتَ إيغالا
حَتَّى أَتَى ببَنِي الأَحْرارِ يَحْمِلُهُمْ إنَّكَ عَمْرِي لَقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْقالا

مَن مِثْلُ كِسْرَى وباذانِ الجُنُودِ له ... ومِثْلُ وَهْرِزَ يوْمَ الجَيْشِ إذْ صالا

للهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَـةٍ خَرَجُوا ... ما إنْ تَرَى لَهُمُ في الناسِ أَمْثالا

غُلْباً جَحَاجِحَةً بِيضاً مَرَاجِحَةً ... أُسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضاتِ أشْبالا

يَرْمُونَ عَنْ عُتُـلٍ كأنَّها غُبُطٌ ... بزَمْخَرٍ يُعْجِـلُ المَرْمِيَّ إعْجالا

أَرْسَلْتَ أُسْداً عَلَى سُودِ الكِلابِ فَقَدْ ... أضْحَى شَرِيدُهُمُ في الأَرْضِ فُلاَّلا

فٱشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأْسِ غمْدانَ داراً منكَ مِحْلالا

ثُمَّ ٱطَّلِ المِسْكَ إذْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ ... وأَسْبِلِ اليَوْمَ مِنْ بُرْدَيْكَ إسْبالا

تِلْـكَ المَكَارِمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيبَـا بماءٍ فعـادا بَعْدُ أبْوالا

وكان لأُمَيَّةَ ابن يقال له القاسم وكان شاعراً وهو القائل:

قَوْمٌ إذا نزل الحَرِيـبُ بدارِهِمْ ... تَركُوهُ رَبَّ صَوَاهِـلَ وقِيَـانِ

فـإذا دَعَوْتَهُمُ ليَوْمٍ كَرِيهَـةٍ ... سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بالخُرْصانِ

لا يَنْقُرُونَ الأَرْضَ عِنْـدَ سُؤَالِهِمْ ... لِتَطَلُّـبِ العِـلاَّتِ بالعِيـدانِ

بَـلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَترى لها ... عِنْـدَ السُّؤَالِ كأَحْسَنِ الألْوانِ

خُلَيْدُ عَيْنَيْن

هو من عبد القيس من ولد عبد اللهبن دارم بن مالك وكان ينزل أرضاً بالبَحْرَيْن تُعْرَف بعيْنَيْن فنُسب إليها ، وهو القائل:

أَيُّها المُوقِـدانِ شُبَّا سَنَاها   إنَّ للضَّيْفِ طـارِفي وتِلَادِي

ومرَّ خُلَيد عينينِ بوالٍ لزياد على بعض كور فارس فسأله فلم يُعطه فقال أنت تُدِلُّ بالشعر فاذهب فقل ما شئتَ ، فقال أَما إنّي لا أهجوك ولكنّي أقول ما هو أشدُّ عليك من الهجاء فأنشأ يقول:

وكائِنْ عِنْـدَ تَيْمٍ من بُدُورٍ   إذا ما حُرِّكَتْ تَدْعُو زِيَادا
دَعَتْـه دَعْوَةً شَوْقـاً إليـه   وقـد شُدَّتْ حَنَاجِرُها صِفَادا

ونمى الشعر إلى زياد فقال لبَّيْك يا بدورَ تَيْمٍ وبعث إليه فأخذ منه مائة ألف درهم.

جَرِيرُ بن عَطِيَّةَ

هو جَرير بن عطيَّة بن حُذَيفة ولقب حذيفة الخَطَفَى لقوله:

وعَنَقاً باقِي الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

وهو من بني كُلَيب بن يربوع وكان عطيَّة أبو جرير مضعوفاً وأُمُّ جرير أمُّ قيس بنت مَعْبَد من بني كليب بن يربوع وكان له أخوان عمرو بن عطيَّة وأبو الورد بن عطيَّة وولدت جريراً أُمُّه لسبعة أشهر وعمّر نيّفاً وثمانين سنة ومات باليمامة وكان يكنى أَبَا حَزْرَة وكان له عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور منهم بِلَال بن جرير وكان أفضلهم وأشعرهم ويكنى أبا زافر ورأى في المنام أنّه قُطعت له أربع أصابع من أصابعه فقاتل بني ضبَّة فقتلوا له أربعة بنين ولبِلَال عقب منهم عُمَارة بن عَقيل بن بلال وهو القائل في دينار ويحيى ابني عبد الله:

ما زال عِصْيانُنا للهِ يُسْلِمُنا ... حَتَّى دُفِعْنا إلى يحيى ودِينَارِ
إلى عُلَيْجَيْنِ لم تُقْطَعْ ثِمارُهما ... قَدْ طال ما سَجَدَا للشَّمْسِ والنارِ

وكان بلال نزل برجل يقال له مَسْعود بن طُعْمة من بني بَيْدَعَة فلم يُحْسِن قراه فقال:

أَمَسْعُودُ أَنْتَ اللَّئِيمُ الأَثِيمُ ... كأَنَّك قُنْفُذَةٌ في ضَعَه
سَمِعْنا له إذ نَزَلْنا به ... كَلَاماً كما تَنْطُقُ الضِّفْدَعَه

فـأيُّ اللَّئِيمَيْنِ أَشْبَهْتَـهُ ... أَطُعْمَةَ أمْ أُمَّـكَ الكَوْتَعَه
عَدَدْنــا عَدِيًّــا وآباءَهُمْ ... فشَرٌّ عَــدِيٌّ بنو بَيْدَعَــه
فما أَعْطَشَ الضَّيْفَ لَمَّا غَدَا ... مِنَ البَيْدَعـاتِ وما أَجْوَعَه

وقال بلال: في قوم من بني فُقَيم يقال لهم بنو ناشِرَة:

عَدَدْنــــا فُقَيْماً وآباءَهُمْ ... فشَرٌّ فُقَـيْمٍ بَنُـو ناشِـرَه
قِصارَ الفِعالِ طِوَالَ الخُطَى ... مَنَاتِــينَ لَيْسَتْ لهم بـادِرَه
يَعُــدُّونَ غُرْمـاً قِرَى ضَيْفِهِمْ ... فـلا عَدِمُوا صَفْقَــةً خاسِرَه
إذا ضِفْتَهُمْ ثُمَّ سَاءَلْتَهُمْ ... وَجَــدْتَ بِهِمْ عِلَّــةً حاضِرَه
ولَيْسُوا إذا قُلْـتَ مـاذا هُمُ ... بأَصْحـابِ دُنْيَـا ولا آخِرَه

وقال في حَمَّاد المِنْقَرِيّ:

نَزَلْنـا بحَمَّـادٍ فخَلَّى كِلاَبَهُ ... عَلَيْنـا فكِدْنا بين بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ
وقـد قال قَبْلِي قائِلٌ ظَلَّ فِيهِم ... اذا اليَوْمُ أو يَوْمُ القِيَامَةِ أَطْوَلُ

ومن ولد جرير عِكْرِمَة بن جرير وكان شاعراً ونوح بن جرير وكان شاعراً ، وكان جرير من فحول شعراء الإسلام ويشبَّه من شعراءِ الجاهليَّة بالأعْشَى وكان أبو عمرو بن العلاء يقول هما بازيانِ يصيدان ما بين العَنْدَلِيب إلى الكُرْكَي ، وكان مـن أحسن الناس تشبيباً . حدثني سَهْل بن محمَّد عن الأَصْمعيّ قال سمعتُ الحيَّ يتحدَّثون أنَّ جريراً قال لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشَبَّبْتُ تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها كما تحنُّ الناب إلى سَقْبها ، وكان من أشدّ الناس هجاءً . وحدثني عبد الرحمان عن الأَصْمعيّ قال أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال مرَّ

رَاعِي الإِبِلِ في سَفَرٍ فسمع إنساناً يتغنَّى ،على قعود له ، بشعر جرير وهو قوله :

وعاوٍ عَوَى من غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ　　بقافِيَـةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمـا
خَرُوجٍ بأَفْواهِ الرُّواةِ كأَنَّهـا　　قِرَى هُنْدُوانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما

فقـال لَمَنْ هذا ؟ قيل لجرير ، فقال الراعي لعنةُ الله على مَن يلومني أن يغلبني مثلُ هذا وكان مع حسن تشبيبه عفيفاً ،وكان الفرزدق فاسقاً وكان يقول ما أحوجه مع عفَّته إلى صلابة شعري وما أحوجني إلى رقَّة شعره لما ترون . وأخبرنا عبد الرحمان قال آنا الأصمعيُّ قال آنا أبو عمرو بن العلاء ،قال كنتُ قاعداً عند جرير وهو يُملي :

وَدِّعْ أُمامَـةَ حان مِنْكَ رَحِيلُ　　إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِـبُّ قَلِيلُ

فمرَّت به جنازة فترك الإنشاد وقال شَيَّبَتْني هذه الجنائز قلتُ فلأيِّ شيءٍ تشتم الناس قال يبدءُونـني ثم لا أعفو . قـال وكان يقول أنا لا أبتدي ولكن أعتدي ، وبلغه عن بعض شعراء بني كُلَيب شيءٌ ساءَه فدعاه إلى مهاجاته فقال الكُلَيْبيُّ إنَّ نسائي بإِمَّتهنّ ولم تَدَع الشعراءُ في نسائك مترقَّعاً ، وكان جرير يقول النصرانيُّ أنعتنا للخمر والحُمْر وأمدحنا للملوك وأنا مدينة الشعر ،وقال أبو عمرو سُئل الأخطل أيُّكم أشعر قال أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحُمْر يعني النساءَ ،وأمّا جرير فأنسبنا وأشبهنا ،وأمّا الفرزدق فأفخرنا ،وقال مروان بن أبي حفصة :

ذَهَـبَ الفَرَزْدَقُ بالفِخَارِ وإنَّما　　حُلْوُ القَرِيـضِ ومُرُّهُ لِجَرِيرِ

وكان جرير مقيماً بالمَرُّوت من البادية والفرزدق بالعراق وهما

يتهاجيان فأرسلت بنو يربوع إلى جرير أنّك مقيم بالمرُّوت ليس عندك أحد يروي عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع حجج فانحدر إلى العراق فأقام بالبصرة، ولذلك يقول:

وإذا شَهِدْتُ لِثَغْرِ قوْمي مَشْهَداً آثَرْتُ ذاك على بَنِيَّ ومالي

ومدح الحجَّاج فأكرمه وأدناه وأوفده إلى عبد الملك بن مروان فاستنشده فأنشده في الحجّاج:

صَبَرْتَ النَّفْسَ يآبْنَ أبي عَقِيلٍ مُجاهَدَةً، فكَيْفَ تَرَى الثَّوَابا

إذا سَعَرَ الخَلِيفَةُ نارَ حَرْبٍ رَأى الحَجَّاجَ أثْقَبَها شِهَابا

وأنشده مدحته الّتي يقول فيها:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب فقال له جرير يا أمير المؤمنين نحن أشياخ وليس في واحد منّا فضل عن راحلته والإبل أبّاق، قال فنجعل أثمانها لك رِقَةً، قال لا ولكنَّ الرعاء، فأمر له بثمانية أعبد وكان بين يدي عبد الملك صِحاف من فضّة وهو يقرعهنَّ بخيزرانة، فقال جرير والحلب يا أمير المؤمنين، فنبذ إليه إحداهنَّ بالخيزرانة وقال خذها لا نفعتك، ففي ذلك يقول جرير:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ما في عَطَائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

قال أبو عُبَيدة كان الفرزدق بالمِرْبَد فمرَّ به رجل قدم من اليمامة فقال له من أين وجهُك؟ قال من اليمامة، قال فهل علقتَ من جرير شيئاً فأنشده:

هاج الهَوَى بفُؤَادِكَ المُهْتاج

فقال الفرزدق:

فَٱنْظُرْ بتُوضحَ باكِرَ الأَحْداج

فقال:

هذا هَوًى شَغَفَ الفُؤَادَ مُبَرِّحٌ

فقال الفرزدق:

ونَوًى تَقاذَفُ غَيْرُ ذاتِ خِلاج

فقال:

لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعب دائباً

فقال الفرزدق:

كان الغُرابُ مُقَطَّعَ الأَوْداج

فما زال الرجل ينشده صدراً صدراً من قول جرير وينشده الفرزدق عجزاً عجزاً حتّى ظنَّ الرجل أنَّ الفرزدق قالها وأنَّ جريراً سرقها. ثم قال له هل ذكر فيها الحجّاج؟ قال نعم، قال إيّاه أراد

ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق:

لَقَدْ وَلَدتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ مُقْرِفاً... الأبيات

ومن جيّد شعره قوله:

تَعالَوْا نُحاكِمْكُمْ وفي الحَقِّ مقْنَعٌ ... إلى الغُرِّ من أَهْلِ البطاحِ الأكارِمِ

فإنَّ قُرَيْشَ الحقّ لم تَتْبَع الهَوَى ... ولم يَرْهَبُوا في الله لَوْمَةَ لائِمِ

فانّي لَراض عَبْدَ شَمْس وما قضتْ ... وأَرضى بحُكْم الصِّيد من آل هاشم

أُذَكِّرُكُمْ باللهِ منْ يُنْهِلُ القنا ... ويضْرِبُ كَبْشَ الجَحْفَلِ المُتَراكِمِ

وكُنْتُمْ لَنَا الأَتْباعَ في كُلّ مَوْقفٍ ورِيشُ الذُّنَابَى تابعٌ للقَوَادِمِ
إذا عُدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْتَ دارِماً وتُخْزِيكَ يَابْنَ القَيْنِ أَيَّامُ دارِمِ
وما زادني بُعْدُ المَدَى نَقْضَ مِرَّةٍ ولا رَقَّ عَظْمِي للضُّرُوسِ العَواجِمِ

ويستجاد له قوله:

فأَنْتَ أَبي ما لم تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ... الأبيات

وقوله يرثي امرأته:

لَوْلَا الحَيَاءُ لَعادَنِي آسْتِعْبارُ... الأبيات

وممّا أُخذ عليه قوله في بني الفَدَوْكَس رهط الأَخْطَلِ:

هـذا ابنُ عَمّي في دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ لَوْ شِئْـتُ ساقَكُمُ إلى قَطِينـا

القطين في هذا الموضع العَبِيد والإماءُ، وقيل له يا أبا حَزْرة ما وجدتَ في بني تميم فخراً تفخر به عليهم حتّى فخرتَ بالخلافة، لا والله إنْ صنعتَ في هجائهم شيئاً.

الفَرَزْدقُ

هو هَمَّام بن غالب بن صَعْصَعَة بن ناجِيَة بن عِقَال بن محمَّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وكان جدُّه صعصعة بن ناجية عظيم القدر في الجاهليَّة واشترى ثلاثين مَوْؤُودة إلى أن جاء الله عزَّ وجلَّ بالإسلام منهنَّ بنت لقَيْس بن عاصم المِنْقَريّ ثم أتى النبيَّ ﷺ وأسلم. وأمُّ صَعْصَعَة قُفَيْرة بنت سُكَين من عبد الله بن دارم، وكانت أمُّها أَمَةً وهبها كِسْرَى لزُرَارة فرهنها زُرَارة لهِنْد بنت يَثْرِبيّ بن عُدَس فوثب أخو زوجها واسمه سُكَين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم على الأمة فأحبلها فولدت له قُفَيْرة أمَّ صعصعة فكان جرير يعيب الفرزدق بها، وكان لصَعْصَعَة قُيُون منهم جُبَير ووَقْبان ودَيْسَم فلذلك جعل جرير مُجَاشِعاً قيوناً، وقال جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جُبَير:

وَجَدْنا جُبَيْراً أبا غالبٍ بَعِيدَ القَرَابَةِ من مَعْبَدِ

يعني مَعْبَد بن زُرَارة وكان يعيبهم بالخَزيرة وذلك أنَّ ركباً من مجاشع مرُّوا في الجاهليَّة وهم عجال على شهاب التغلبيّ فسألهم أن ينزلوا فقالوا نحن مستعجلون فقال لا تجوزوني حتَّى تصيبوا القرى فحمل إليهم خزيرة فجعلوا يأكلونها وهم على إبلهم ويعظّمون اللُّقم وذلك

يسيل على لحاهم، وأمّا غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل وكان سيّد بادية تميم وكان أعور وأُمُّه ليلى بنت حابس أخت الأقرع ابن حابس واستُجير بقبره وهو بكاظمة في حمالة فاحتملها عنه الفرزدق وكان له إخوة منهم هُمَيْم بن غالب وسُمّي الفرزدق باسمه وهو القائل:

لَعَمْرُ أَبِيكَ فلا تَكْذِبَنْ ... لَقَدْ ذَهَبَ الخَيْرُ إلّا قَلِيلا
وقَدْ فُتِّنَ النّاسُ في دِينِهِمْ ... وخَلَّى ٱبْنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلا

وإنَّما لقّب بالفرزدق لِغلَظه وقصره شبّه بالفَتِيتة التي تشربها النساءُ وهي الفرزدقة وكنيته أبو فِرَاس، وكان للفرزدق أخ يقال له الأخطل أسنُّ منه وابنه محمَّد بن الأخطل كان توجَّه مع الفرزدق إلى الشأم فمات بها ولا عقب له ورثاه الفرزدق، وأخته يقال لها جِعْثِنٌ، وكانت امرأة صِدْق ونزل الفرزدق في بني مِنْقَر والحيُّ خُلُوف فجاءت أفعى إلى جارية من بني مِنْقَر يقال لها ظَمْياء فدخلت معها في شعارها فصرخت، أمُّها وجاءَ الفرزدق فسكَّنها واحتال للأفعى حتَّى انسابت والتزم الجارية فانتهرته فقال:

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّة أَنَّها ... شَدِيدٌ ببَطْنِ الحَنْظَلِيّ لُصُوقُها

فلمَّا بلغ بني منقر قوله أرسلوا رجلاً يقال له عِمْران بن مُرَّة وأمروه أن يعرض لجِعْثِن أخت الفرزدق فلمَّا خرجت وثب فضرب بيده على نحرها فصاحت ومضى فعُيّر الفرزدق بذلك، ومكث الفرزدق زماناً لا يُولَدُ له فعيَّرته امرأته النَّوَارُ بذلك فقال:

قالَتْ أَراهُ واحِداً لا أَخَا لَهُ ... يُؤَمِّلُهُ في الوارثين الأَباعِدُ

لَعَلَّكِ يَوْماً أَنْ تَرَيْنِي كأنَّما بَنِيَّ حَوَالَيَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ
فإنَّ تَميماً قَبْلَ أن يَلِدَ الحَصَى أقامَ زماناً وهو في النَّاسِ واحِدُ

فولد له بعد ذلك لَبَطَة وسَبَطَه وخَبَطَة وركَضَة من النَّوار وزَمْعة وليس لواحد من ولده عقب إلّا من النساء ، وأجاد في قوله :

قالَتْ وكَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ للصِّبَا ... البيتين

وكان الفرزدق مِعَنًّا مِفَنًّا يقول في كلّ شيءٍ وسريع الجواب فمرَّ بقوم ولهم جنازة فقال ما هذا فقالوا مات أبو الخَنْساء صاحبُ البغال فقال :

لِيَبْكِ أَبا الخَنْساءِ بَغْلٌ وبَغْلَةٌ ومِخْلاةُ سَوْءٍ قد أُضِيعَ شَعِيرُها
ومِجْرَفَةٌ مَطْروحَةٌ ، ومِحَسَّةٌ ومِقْرَعَةٌ صَفْراءُ بالٍ سُيُورُها

ومن إفراطه قوله :

وبَوَّأْتُ قِدْرِي ... البيتين

وكان خَلَف بن خَلِيفَةَ ظريفاً شاعراً راوية وكان أقطع له أصابع من جُلُود فمرَّ بالفرزدق يوماً فقال له يا أبا فِراس مَن الذي يقول :

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِي أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ

قال الفرزدق يقوله الذي يقول :

هو اللِّصُّ وآبْنُ اللِّص لا لِصَّ مِثْلُهُ لنَقْبِ جِدارٍ أو لطَرِّ الدَّرَاهِمِ

وأتى حفصاً السرَّاج يشتري منه سَرْجاً فمرَّتْ به امرأة جميلة وفي يده سرج ينظر إليه فألقى السرج من يده وقال :

مَنَعَ الحَيَاةَ منَ الرِّجالِ ونَفْعَها حَدَقٌ تُقَلِّبُها النِّساءُ مِراضُ

خَرَجَتْ إِلَيْكَ ولم تَكُنْ خَرَّاجَةً فأُصِيبَ صَدْعُ فُؤَادِكَ المُنْهاضُ
وكأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجالِ إذا رَأَوْا حَدَقَ النِّساءِ لِنَبْلِها الأَغْراضُ

ورآه خالد بن صَفْوان يوماً وكان يمازحه فقال يا أبا فراس ما أنت بالَّذي لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟ قال ولا أنت يا أبا صَفْوان بالَّذي قالت الفتاة فيه لأبيها يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ، وجاءَ عَنْبَسَة بن مَعْدان إلى باب بِلَال فرأى الفرزدق وقد نعس فحركه برجله وقال بلغتَ النار يا أبا فراس، قال نعم ورأيتُ أباك ينتظرك، ومَرَّ بيحيى بن الحُضَين بن المنذر الرقاشيّ فقال له يا أبا فراس هل لك في جدي سمين ونبيذ زبيب جيّد فقال وهل يأبى هذا إلّا ابن المَرَاغة فانطلق به يحيى وبابن عمّ له فأكلوا ثم دعا بالشراب فقال الفرزدق اسْقِني صِرْفاً يا غلام فقال يحيى أمّا أنا فلا أشرب صرفاً ولا غيره، فقال الفرزدق:

اِسْقِني خَمْساً وخَمْساً وثَلاثاً واثْنَتَيْنِ
من عُقَارٍ كدَمِ الجَوْفِ يُحِرُّ الكُلْيَتَيْنِ
واصْرِف الكأسَ عَنِ المَحْرُومِ يَحْيَى بْنِ حُضَيْنِ
واسْقِ هذَيْنِ ثَلَاثِينَ يَرُوحَا مَرِحَيْنِ

وأصابته الدُّبَيْلَة فقُدم به البصرة وأُتي بطبيب فسقاه قاراً أبيض فجعل يقول أتعجّلون لي القار في الدنيا ومات وقد قارب المائة وقيل له في مرضه الذي مات فيه اذكر الله فسكت طويلاً ثم قال:

إلى مَنْ تَفْزَعُونَ إذا حَثَوْتُمْ بأَيْدِيكُمْ عليَّ منَ التُّرابِ

ومَنْ هـذا يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إذا ما الرِّيقُ غَصَّ بذي الشَّرَاب

فقالت له مولاة له نفزع إلى الله فقال أخرجوا هذه من الوصيَّة وكان قد أوصى لها بمائة درهم، قال أبو عمرو بن العَلاءِ كان الفرزدق يشبَّه، من شعراءِ الجاهليَّة، بزُهَيْر، وأمّا النَّوار امرأة الفرزدق فهي ابنة أَعْيَن بن ضُبَيعة المجاشعيّ وكان عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجَّه أباها إلى البصرة أيّام الحَكَمَيْن فقتله الخوارج غيلة فخطب النوارَ رجل من قريش وأهلها بالشأم، فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليَّها إذ كان ابن عمّها وكان أقرب مَن هناك إليها، فقال إن بالشأم مَن هو أقرب إليك منّي ولا آمَنُ أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك عليَّ فأشهدي أنَّك قد جعلت أمرك إليَّ ففعلت فخرج بالشهود وقال لهم قد أشْهَدَتْكُم أنَّها قد جعلت أمرها إليَّ وإنّي أُشهدكم أنّي قد تزوَّجتها على مائة ناقة حمراءَ سوداء الحدق فذئرت من ذلك واستعدت عليه وخرجت إلى عبد الله بن الزبير والحجازُ والعراق يومئذ إليه وخرج الفرزدق، فأمَّا النَّوَار فنزلت على خَوْلة ابنة مَنْظُور بن زَبَّان الفَزَاري امرأة عبد الله بن الزبير فرقَّقتْها وسألتها الشفاعة لها، وأمّا الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير وهو لخولة ومدحه فوعده الشفاعة له فتكلّمت خولة في النوار وتكلّم حمزة في الفرزدق فأنجحت خولة وخاب حمزة، وأمر عبد الله بن الزبير ألَّا يقربها حتّى يصيرا إلى البصرة فيحتكما إلى عامله فخرج الفرزدق فقال:

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُنْجِحْ شفاعتُهم وشُفِّعتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانا
لَيْسَ الشَّفيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِراً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

وماتت النوار بالبصرة مطلقةً منه وصلّى عليها الحسن البصريُّ رحمه الله، قال أبو محمّد ولمّا هجا الفرزدق بني مِنْقَر اسب ظَمْياءَ وهي عمّة اللّعِين الشاعر المِنْقَريّ فقال:

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّةِ أَنَّها ... شَدِيدٌ ببَطْنِ الحَنْظَلِيّ لُصُوقُها
رأَتْ مِنقَراً سُوداً قِصاراً وأَبْصَرَتْ ... فَتًى دارِمِيًّا كالهِلَالِ يَرُوقُها
فما أنا هِجْتُ المِنْقَرِيَّةَ للصِّبَا ... ولكنَّها استَعْصَتْ عليها عُرُوقُها

استَعْدوا عليه زياداً فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاص فأمَّنه وأجاره وأظهر زياد أنّه لم يُرد به سوءًا وأنّه لو أتاه لحباه وأكرمه فبلغ ذلك الفرزدق فقال:

دَعَاني زِيادٌ للعَطاءِ ولم أَكُنْ ... لِأَقْرَبَهُ ما ساق ذو حَسَبٍ وَفْرا
وعِنْدَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطاءَهُمْ ... رِجالٌ كَثِيرٌ قد يَرَى بِهِمُ فَقْرا
وإنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ عَطاؤُهُ ... أَدَاهِمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا

وخال الفرزدق هو العَلاءُ بن قَرَظَة الضَّبِّيُّ وكان شاعراً وكان الفرزدق يقول إنّما أتاني الشعر من قبل خالي وخالي الذي يقول:

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أُناسٍ ... حَوَادِثَـهُ أَنَـاخَ بآخَرِينـا
فقُـلْ للشامِتِيـنَ بِنـا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَـى الشامِتُونَ كَمَا لَقِينا

وله يقول جرير:

كَأَنِ ٱلفَرَزْدَقُ إذ يَعُوذُ بخالِهِ ... مِثْلُ الذَّلِيلِ يَعُوذُ تَحْتَ القَرْمَلِ

والقَرْمَل شجر ضعيف تقول العرب ذَلِيلٌ عاذ بقَرْمَلَةٍ، ولقي

الفرزدق أبا هُرَيْرة وقال له يا فرزدق أراك صغير القدمَيْن فإن استطعتَ أن يكون لهما غداً مقام على الحوض فافعلْ وقال الفرزدق سمعتُ أبا هريرة يقول على منبر المدينة الذبيح إسماعيل، وأنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثَـلاثٌ وٱثْنَتَـانِ فهُنَّ خَمْسٌ ... وسادِسَةٌ تَميـلُ إلى شِمَامِي

فبِتْنَ جَنَابَتَيَّ مُطَرَّحَـاتٍ ... وبِتُّ أُفُضُّ أَغْلاقَ الخِتَامِ

كـأَنَّ مَفالِـقَ الرُّمَّانِ فيه ... وجَمْرَ غَضًى قَعَدْنَ عَلَيْه حامِ

فقال له سليمان أخللتَ بنفسك أقررتَ عليها عندي بالزنا وأنا إمامٌ فلا بُدَّ لي من إقامة الحدّ عليك، قال ومن أين أوجبتَه عليَّ؟ قال لقول الله عزَّ وجلَّ: ٱلزَّانيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جِلْدَةٍ قال الفرزدق فإنَّ كتاب الله يدرؤه عنّي بقول الله تبارك وتعالى: وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فأنا قلتُ ما لم أفعل، وأتى سليمان بأسرى من الروم وعنده الفرزدق فقال له قم فاضربْ أعناق هؤلاء فاستعفاه من ذلك فلم يعفه ودفع إليه سيفاً كليلاً فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق:

ما يُعْجِبُ الناسَ أَضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ ... خَلِيفَةَ اللهِ يُسْتَسْقَى به المَطَرُ

لم يَنْبُ سَيْفِيَ من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عَنِ الأَسِيرِ ولكِنْ أُخِّرَ القَدَرُ

ولَنْ يُقَدِّمَ نَفْساً قَبْلَ مِيتَتِها ... جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصامَةُ الذَّكَرُ

وفي ذلك يقول جرير:

بسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ قَيْنِ مُجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظالِمِ

ضَرَبْتَ به عِندَ الإمامِ فأُرْعِشَتْ يَدَاك وقالوا مُحْدَثٌ غَيْرُ صارِمِ

فأجابه الفرزدق:

ولا نَقْتُـلُ الأَسْرَى ولكِنْ نَفُكُّهُمْ إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغَارِمِ
وهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جاعِلَةٌ لَكُمْ أَباً عن كُلَيْبٍ أو أَخاً مِثْلَ دارِمِ

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلَّب في الحبس فقال:

أَصْبَحَ في قَيْـدِكَ السَّمَاحَـةُ وَالْجُودُ وحَمْلُ الدِّيات والإفْضالُ

فقال له أتمدحني وأنا على هذه الحال قال أصبتُك رخيصاً فأسلفتُك، وممّا سبق إليه فأُخذ منه أو سُبق إليه فأخذه قوله:

ومُنْتَكِثٍ عالَلْتُ بالسَّوْطِ رَأْسَه وقد كَفَرَ اللَّيْلُ الخُرُوقَ الخَوافِيَا

يعني بالمنتكث بعيراً انتكث أي هُزِلَ، وقال الآخر في وصف سوط:

ومُنْتَكِثٍ عالَلْتُ مُلْتاثَةً بـه وقد حَدَرَ اللَّيْلُ النُّسُورَ العَوالِيا

وأُخذ عليه قوله:

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ مِنَ المال إلَّا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

وقد أكثر النحويُّون في الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيء يُرتضى ،وقوله:

وعِنْدِي حُسامَا سَيْفِهِ وحمائِلُهْ

أراد حسامَ سيفه فثنّى ومثله لقيس بن الخَطيم يصف الدرع:

كأَنَّ قَتِيرَيْها عُيُونُ الجَنادبِ

أراد قتيرها والقتير مسامير الدرع ومثله قول جرير:

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أَرَّقَنِي   صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّوَاقِيسِ

أراد دير الوليد فثنّى وهو دير مشهور بالشأمَ وعابه الأخطل بقوله:

أَبَنِي غُدانَـةَ إِنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ   فوَهَبْتُكُمْ لعَطِيَّةَ بنِ جِعَالِ
لَوْلاَ عَطِيَّـةُ لاَجْتَدَعْتُ أُنوفَكُمْ   من بَيْنِ أَلْأَمِ آنُفٍ وسِبَالِ

وقال كيف يهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء؛ وقال عطيّة بن جعال حين سمع هذا ما أسرع ما رجع أخي في عطيّته، ومن جيّد الشعر قوله لجرير:

فإِنْ تَكُ كَلْباً من كُلَيْبٍ فإِنَّني   مِنَ الدارِمِيِّينَ الطِّوالِ الشَّقَاشِقِ
هُمُ الداخِلُونَ البَيْتَ لا تَدْخُلُونَهُ   عَلَى المَلْكِ والحامُونَ عِنْدَ الحَقائِقِ
ونَحْنُ إذا عَـدَّتْ مَعَدٌّ قَدِيمَها   مَكانَ النَّواصِي من وُجُوهِ السَّوابِقِ

وقوله يهجوه:

ولَوْ يُرْمَى بلُؤْمِ بَنِي كُلَيْبٍ .... الأبيات

ومات الفرزدق قبل جرير فلمّا بلغ جريراً موته قال:

هَلَكَ الفرزدق بَعْدَ ما جَدَّعْتُهُ   لَيْتَ الفَرَزْدَقَ كان عاشَ قَلِيلا

ثم أطرق طويلاً وبكى فقيل له يا أبا حَزْرة ما أبكاك قال بكيتُ لنفسي إنّه والله قلّ ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلّا كان أمد ما بينهما قريباً ثم أنشأ يقول مرثياً له:

فُجِعْنا بحَمَّالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غالِبٍ وحامِي تَمِيمٍ عِرْضَها والبَرَاجِمِ
بَكَيْنـاك حِدْثانَ الفِراقِ وإنَّما بَكَيْناك إذ نابَتْ أُمُورُ العَظائِمِ
فـلا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مُهيرَةٌ ولا شُدَّ أَنْساعُ المَطِيِّ الرَّواسِمِ

الأَخْطَلُ

هو غِيَاث بن غَوْث من بني تَغْلِب من فَدَوْكَس ويكنى أبا مالك وقال مسلمة بن عبد الملك ثلاثة لا أَسْأَلُ عنهم أنا أعلم العرب بهم الأخطل والفرزدق وجرير فأمّا الأخطل فيجيءُ سابقاً أبداً ، وأمّا الفرزدق فيجيءُ مرَّةً سابقاً ومرَّةً ثانياً ، وأمّا جرير فيجيءُ سابقاً مرّة وثانياً مرَّة وسُكَّيْتاً مرّة ، وكان الأخطل يشبَّه من شعراء الجاهليَّة بالنابغة الذُّبْيانيّ ، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فقال إن كنت تشبّهني بالحيَّة والأسد فلا حاجة لي بشعرك وإن كنت قلتَ مثل ما قالت أخت بني الشريد يعني الخَنْساء فهاتِ فقال:

وما بَلَغَتْ كَعْبُ آمْرِىءٍ مُتَطاوِلٍ ... به المَجْدَ إلّا حَيْثُ ما نِلْتَ أَطْوَلُ
وما بلَغَ المُهْدُونَ في القَوْلِ مِدْحَةً ... ولَوْ أَكْثَرُوا إلّا الّذي فيك أَفْضَلُ

وكان الأخطل يمدح بني أميَّة . مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم من خلفاءِ بني مروان حتَّى هلك ،وقال أبو عبيدة حدَّثني أبو حَيَّة النُّميريُّ قال حدَّثني الفرزدق قال كنّا في ضيافة معاوية ومعنا كعب بن جُعَيْل التغلبيّ الشاعر فقال له يزيد بن معاوية إنَّ عبد الرحمان بن حسَّان قد فضح عبد الرحمان بن الحكم وغلبه وفَضَحَنا فاَهجُ الأنصار ، فقال له كعب أرادِّي أنت إلى الشرك أَهْجُو قوماً نصروا رسول الله ﷺ

وآووه،ولكنّي أدلُّك على غلام منّا نصرانيّ ما يبالي أن يهجوهم كافر شاعر كأَنَّ لسانه لسان ثور،قال ومن هو؟قال الأخطل.فدعاه وأمره بهجائهم فقال على أن تمنعني منهم،قال نعم،فقال شعراً فيه:

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالسَّماحَةِ والنَّدَى والُّلؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنْصارِ
فَذَرُوا المَعالِيَ لَسْتُمْ من أَهْلِها وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَنِي النَّجَّارِ

فغضب النعمان بن بَشير ودخل على معاوية فوضع عمامته بين يديه وقال هل ترى لؤماً؟ قال بل أرى كَرَماً وحَسَباً فما ذلك؟ فأنشده قول الأخطل واستوهبه لسانه فوهبه له فبلغ ذلك الأخطل فعاذ بيزيد فمنعه وصار إلى أبيه فقال يا أمير المؤمنين أتهب لسانَ من ردَّ عنك وغضب لك؟قال ومَن هجانا؟قال عبد الرحمان بن حسّان وأنشده قوله في رَمْلَة بنت معاوية:

وَهْيَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوّاصِ مِيزَتْ من جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال ماكذب يا بنيّ فأنشده:

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها في سَناءٍ مِنَ المَكارِمِ دُونِ

قال قد صدق يا بنيّ فأنشده:

ثُمَّ خاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْراء تَمْشِي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

فقال أمّا في هذا فقد أبطل، ولمّا قتلت بنو تغلب عُمَيْرَ بن الحُبَاب السُّلَميَّ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان والجَحّاف السُّلميُّ عنده في شعره له:

أَلَا سَائِلِ الجَحَّافَ هَلْ هو ثائِرٌ بقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنِ سُلَيْمٍ وعامِرِ

فخرج الجحّاف (من فَوْره ذلك) مغضباً حتّى أغار على البِشْر وهو ماءٌ لبني تغلب وقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلاً وقال:

أبا مالكٍ هل لُمْتَنِي مُذْ حَضَضْتَنِي ... عَلَى القَتْلِ أم هَلْ لامَنِي لَكَ لائِمُ
مَتَى تَدْعُني أُخرَى أُجِبْكَ بِمِثْلِها ... وأَنْتَ امْرُؤٌ بالحَقِّ لَيسَ بعالِمِ

فخرج الأخطل حتّى أتى عبد الملك بن مروان وقد قال:

لَقَدْ أَوْقَعَ الجَحّافُ بالبِشْرِ وَقْعَةً ... إلى اللهِ منها المُشْتَكَى والمُعَوَّلُ
فإلَّا تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بمُلْكِها ... يَكُنْ عن قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَزْحَلُ

فقال له عبد الملك إلى أين يا ابن اللخناء؟قال إلى النار يا أمير المؤمنين. قال أما والله لو غيرها قلتَ لضربتُ عنقك، ونزل الأخطل على سعيد بن بَيَان التغلبيّ، وكان سعيد رجلًا دمياً أعور ذا مال كثير وكان سيّد بني تغلب بالكوفة وكانت تحته بَرَّة بنت أبي هانىء التغلبيّ وكانت من أجمل النساءِ فاحتفل له سعيد وأحسن صلته وأكرمه، فلمّا أخذت الكأس من الأخطل جعل ينظر إلى وجه برّة وجمالها وإلى دمامة زوجها وعوره ،فتعجّب منها ومن صبرها عليه؟فقال له سعيد يا أبا مالك أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك وتنظر إلى هيئتهم وتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم فأين ترى هيئتنا من هيئتهم وهل ترى عيباً تنبّهنا عليه، فقال له الأخطل ما لبيتك عيب غيرك فقال له سعيد أنا والله أحمق منك يا نصرانيٌّ حين أدخلتُك منزلي وطرده فقال:

وكَيْفَ يُدَاوِيني الطَّبيبُ منَ الجوَى
وبَرَّةُ عِنْدَ الأَعْوَرِ ابنِ بَيَانِ

ويُلصِقُ بَطْناً مُنْتِنَ الرِّيحِ مُجْرِزاً إلى بَطْنِ خَوْدٍ دائِمِ الخَفَقانِ
يُنَهْنِهُني الأَحْراسُ عنها ولَيْتَني قَطَعْتُ إلَيْها اللَّيْلَ بالرَّسَفَانِ
فَهَلاَّ زَجَرْتِ الطَّيْرَ إذ جاءَ خاطِباً بضَيْقَةَ بَيْنَ النَّجْمِ والدَّبَرانِ

وممّا سبق إليه الأخطل فأُخذ منه قوله:

قَرْمٍ تُعَلَّقُ أَشْناقُ الدِّياتِ به إذا المِئُونَ أُمِرَّتْ فَوْقَهُ حَمَلا

أخذه الكُمَيْت فقال:

كَأَنَّ الدِّيَاتِ إذا عُلِّقَتْ مِئُوها بِهِ الشَّنَقُ الأَسْفَلُ

وأشناق الديات أصنافها من الحِقاق والجِذاع وأشباهها، وقال الأخطل:

أَجَرِيرُ إنَّكَ والَّذي تَسْمُو له كأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ

أخذه الطِّرِمَّاح فقال:

كفَخْرِ الإماءِ الرَّائِحاتِ عَشِيَّةً برَقْمِ حُدُوجِ الحَيِّ لَمَّا استَقَلَّتِ

وممّا أُخذ عليه قوله في عبد الملك بن مروان:

وقد جَعَلَ اللهُ الخِلافَةَ مِنْهُمُ لِأَبْيَضَ لا عارِي الخِوانِ ولا جَدْبِ

وهذا مما لا يجوز أن يمدح به خليفة ويجوز أن يمدح به غيره كقول الآخر:

إلى آمْرِئٍ لا تَخَطَّاه الرِّفاقُ ولا
جَدْبِ الخِوَانِ إذا ما آستُنْشِيءَ المَرَقُ

وأُخذ عليه قوله في رجل من بني أَسَد أجاره:

نِعْمَ المُجِيرُ سِمَاكٌ من بني أَسَدٍ ... بالطَّفِّ إذ قَتَلَتْ جيرانَها مُضَرُ
قد كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْناً وأُنْبَؤُهُ ... فاليَوْمَ طُيِّرَ عن أَثْوابِهِ الشَّرَرُ

وكان يقال لرهطه القيون، وقال الأخطل فلمّا أجارني وأحسن إليَّ طار الشرر عن أثوابه أي بطل هذا اللقب وهذا مدح كالهجاء، وقوله لسُوَيدِ بن منجوف يهجوه:

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وَسْطَهُ ... لِمَا حَمَّلْتَهُ وائِلٌ بمُطِيقِ

فقال سُوَيد هجوتَني بزعمك فمدحتَني لأنّك جعلتَ وائلاً حَمَّلَتْني أمرها وما طمعتُ في بني تغلب منها، وممّا يستجاد من شعر جرير والفرزدق والأخطل قول جرير لأبيه أو جدّه:

فأَنْتَ أَبِي ما لم تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ ... فإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أَبَا لِيَا
وإنّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى ... لَيالِيَ أَرْجُو أَنَّ مالَكَ مالِيَا
بأَيِّ نِجادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَ ما ... قَطَعْتَ قُوًى من مِحْمَلٍ كان باقِيَا
بأَيِّ سِنانٍ تَطْعُنُ القَوْمَ بعد ما ... نَزَعْتَ سِنَاناً من قَنَاتِكَ ماضِيَا
أَلم أَكُ ناراً يَصْطَلِيها عَدُوُّكُمْ ... وحِرْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمُ مِنْ وَرَائِيَا
وباسِطَ خَيْرٍ فِيكُمُ بيَمِينِهِ ... وقابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بشِمالِيَا
أَلَا لا تَخَافَا نَبْوَتِي في مُلِمَّةٍ ... وخافا المَنَايا أَنْ تَفُوتَكُما بِيَا

وقوله:

يا أُخْتَ ناجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ الرَّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ العُذَّلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ
أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ ... لَقَنِعْتُ أو لَسَأَلْتُ ما لم أَسْأَلِ

وقدم جرير المدينة فأتاه الشعراءُ وغيرهم وأتاه أَشْعَب فيهم فسلَّموا عليه وحادثوه ساعة ثم خرجوا وبقي أشعب، فقال جرير له أراك قبيح الوجه وأراك لئيم الحسب ففِيمَ قعودك وقد خرج الناس فقال له أشعب إنه لم يدخل عليك أحد هو أنفع لك منّي، قال وكيف ذلك قال لأنّي آخذُ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي، فقال له جرير فقل فاندفع أشعب يتغنّى:

يا أخت ناجية السلام عليكم

فاستخفَّ جريراً الطرب لغنائه بشعره حتّى زحف إليه فاعتنقه وسأله عن حوائجه فأخبره فقضاها، وقوله في الفرزدق:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فاجِراً ... فجاءَتْ بوَزْوَازٍ قَصِيرِ القَوَائِمِ
وما كان جَارٌ للفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ ... لِيأْمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نائِمِ
يُوَصِّلُ حَبْلَيْه إذا جَنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَى إلى جاراته بالسَّلالِمِ
أَتَيْتَ حُدُودَ اللهِ مُذْ أَنْتَ يافِعٌ ... وشِبْتَ فما يَنْهاك شَيْبُ اللَّهازِمِ
تَتَبَّعُ في الماخُورِ كُلَّ مُرِيبَة ... ولَسْتَ بأَهْلِ المُحْصَناتِ الكَرائِمِ
هوالرِجْسُ يا أَهْلَ المَدِينَةِ فاحْذَرُوا ... مَدَاخِلَ رِجْسٍ بالخَبِيثاتِ عالِمِ
لَقَدْ كان إِخْراجُ الفَرَزْدَقِ عَنْكُمُ ... طَهُوراً لما بَيْنَ المُصَلَّى وواقِمِ

وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله حين بلغه فجور الفرزدق نفاه عن المدينة.

تَدَلَّيْتَ تَزْنِي من ثَمانِينَ قامَةً ... وقَصَّرْتَ عن باعِ العُلَى والمُكارِمِ

أراد قول الفرزدق:

هُمَا دَلَّتاني من ثمانِينَ قامَةً ... كَمَا ٱنْقَضَّ أَقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهْ
فلمّا ٱسْتَوَتْ رِجْلايَ قالَتَا ... أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قتِيلٌ نُحاذِرُهْ
فقُلْتُ ٱرْفَعَا الأَسْبابَ لا يَشْعُرُوا بنا ... وأَقْبَلْتُ في أَعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ
أُبادِرُ بَوَّابَيْنِ قد وُكِّلَا بنا ... وأَحْمَرَ من ساجٍ تَبِصُّ مَسامِرُهْ

ومن جيّد شعر جرير مرثيته أمّ حَزْرَة امرأته وكان جرير يسمّيها الجَوْسَاءَ لذهابها في البلاد، وأولها:

لَوْلَا الحَيَاءُ لَعادَني استِعْبارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ والحَبِيبُ يُزارُ
وَلَّهْتِ قَلْبِي إِذْ عَلَتْني كَبْرَةٌ ... وذوُو التَّمائِمِ من بَنِيكِ صِغارُ
لا يُلْبِثُ الأَحْبابَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... لَيْلٌ يُكَرُّ عليهِمُ ونَهارُ
صَلَّى المَلائِكَةُ الَّذِينَ تُخُيِّرُوا ... والطَّيِّبُونَ عليْكِ والأَبْرارُ
فلَقَدْ أَراكِ كُسِيتِ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ ... ومَعَ الجَمَالِ سَكِينَةٌ ووَقارُ
كانَتْ إذا هَجَرَ الحَبِيبُ فِراشَها ... خُزِنَ الحَدِيثُ وعَفَّتِ الأَسْرارُ

وقوله:

كَيْفَ العَزاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ ... قَلْباً يَقِرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ
ولَقَدْ صَدَقْتُكِ في الهَوَى وكَذَبْتِني ... وخَلَفْتِني بمَواعِدٍ لا تَنْفَعُ
حَيُّوا الدِّيارَ وسائِلُوا أَطْلالَها ... هَلْ يَرْجِعُ الخَبَرَ الدِّيارُ البَلْقَعُ
ولَقَدْ حَبَسْتُ لَكِ المَطِيَّ فلم يَكُنْ ... إِلَّا السَّلامُ ووكْفُ عَيْنٍ تَدْمَعُ
بانَ الشَّبابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ ... لَوْ أَنَّ ذلِكَ يُشْتَرَى أو يُرْجَعُ
رَجَفَ العِظَامُ منَ البِلَى وتَقادَمَتْ ... سِنِّي وفِيَّ لُمصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ

وفيها يقول:

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أن سَيَقْتُـلُ مِرْبعاً أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَـةٍ يا مِرْبَعُ

ومِمّا يختار للفرزدق قوله يهجو بني كُلَيْب:

ولَوْ تُرْمَى بلُؤْمِ بني كُلَيْبٍ نُجُومُ اللَّيْلِ ما وَضَحَتْ لِسارِي
ولو لَبِسَ النَّهـارَ بَنُو كُلَيْـبٍ لدَنَّسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهـارِ
وما يَغْـدُو عَزِيزُ بني كُلَيْبٍ لِيَطْلُـبَ حاجَـةً إلَّا بجـارِ

ومن إفراط الفرزدق قوله في العُذَافِر بن زيد:

لَعَمْرُكَ ما الأَرْزاقُ حِينَ اكْتِيالِها بأَكْثَرَ خَيْراً من خِوانِ العُذافِرِ
ولَوْ ضافَهُ الدَّجَّالُ يَلْتَمِسُ القِرَى وحَـلَّ عـلى خَبَّـازِهِ بالعَساكِرِ
بِعِـدَّةِ ياجُوجٍ وماجُوجٍ كُلِّهِمْ لأَشْبَعَهُمْ يَوْماً غَـداءُ العُذافِرِ

وقال بعض أهل الأدب هذا الطعام اتُّخذ في قِدْرِ القائل:

بَوَّأْتُ قِـدْري مَوْضِعاً فوَضَعْتُها برابِيَةٍ من بَيْنِ مِيثٍ وأَجْرَعِ
جَعَلْتُ لها هَضْبَ الرِّجامِ وطِخْفَـةً وغَوْلًا أَثافِي قِدْرِنـا لم تُنَزَّعِ
بقِـدْرٍ كأَنَّ اللَّيْلَ شِحْنَةُ قَعْرِها تَرَى الفِيلَ فيها طافِياً لم يُقَطَّعِ

ويختار للفرزدق قوله:

وتَقُولُ كيـف يَمِيلُ مِثْلُكَ للصِّبَا وعَلَيْكَ من سِمَةِ الكَبِيرِ عِذارُ
والشَّيْـبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كأَنَّهُ لَيْـلٌ يَصِيـحُ بجانِبَيْـهِ نَهـارُ

وقوله:

تَبارِيقُ شَيْبٍ في السَّوادِ لَوامِعُ وما خَيْرُ لَيْلٍ لَيْسَ فيه نُجُومُ

ويختار للأخطل قوله في سكران:

صَرِيعُ مُدامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ ... لِيَحْيا وقد ماتَتْ عِظامٌ ومَفْصِلُ
نُهادِيهِ أَحْيَاناً وحِيناً نَجُرُّه ... وما كاد إلّا بالحُشَاشَةِ يَعْقِلُ
إذا رَفَعُوا صَدْراً تَحامَلَ صَدْرُهُ ... وآخَرُ مِمَّا نالَ منها مُحَمَّلُ

وقوله في الزقاق:

أَناخُوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأَنَّها ... رِجالٌ منَ السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقُلْتُ آصْبَحُونِي لا أَبَا لِأَبِيكُمُ ... وما وَضَعُوا الأَثْقالَ إلّا لِيَفْعَلُوا
يَدِبُّ دَبِيباً في العِظامِ كأَنَّه ... دَبِيبُ نِمالٍ في نَقاً يَتَهَيَّلُ

ويختار له قوله أيضاً:

يا قَلَّ خَيْرُ الغَوَانِي كَيْفَ رُغْنَ بِهِ ... فشُرْبُهُ وَشَلٌ فِيهِنَّ تَصْرِيدُ
أَعْرَضْنَ مِن شَمَطٍ بالرأسِ لاحَ به ... فهُنَّ مِنِّي إذا أَبْصَرْنَنِي حِيدُ
قد كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنِّي مَضْحَكاً حَسَناً ... ومَفرِقاً حَسَرَتْ عَنْهُ العَنَاقِيدُ
فهُنَّ يَشْدُونَ مِنِّي بَعْضَ مَعْرِفَةٍ ... وهُنَّ بالوَصْلِ لا بُخْلٌ ولا جُودُ
هَلِ الشَّبَابُ الَّذِي قد فات مَرْدُودُ ... أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ
لَنْ يَرْجِعَ الشِّيبُ شُبَّاناً ولَنْ يَجِدُوا ... عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ ما أَوْرَقَ العُودُ

وقوله:

لَقَدْ لَبِسْتُ لِهذا الدَّهْرِ أَعْصُرَهُ ... حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وآشْتَعَلا
فبانَ مِنِّي شَبَابِي بَعْدَ لَذَّتِهِ ... كأَنَّما كان ضَيْفاً نازِلاً رَحَلا

وقوله في بني أميّة:

حُشْدٌ على الحَقِّ عَيَّافُو الخَنَا أُنُفٌ ... إذا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا

شُمْسُ العَدَاوةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ   وأَعْظَمُ الناسِ أَحْلاماً إذا قَدَروا

ويستجاد له قوله:

ولَقَدْ غَدَوْتُ على التِّجارِ بِمُسْمَحٍ   هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الأَكْلُبِ
لَـــذٌّ يُقَبِّلُـــهُ النَّعِـــيمُ كأَنَّما   مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بماءٍ مُذْهَبِ
لبَّاسِ أَرْدِيَـةِ المُلُوكِ تَرُوقُـهُ   من كُلِّ مُرْتَقَبٍ عُيُونُ الرَّبْرَبِ
يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ إذا بَدَا   نَظَرَ الهِجانِ إلى الفَنِيقِ المُصْعَبِ
خَضِلِ الكِيَاسِ إذا تَثَنَّى لم يَكُنْ   خُلُفـاً مَوَاعِـدُهُ كبَرْقِ خُلَّبِ
وإذا تُعُوِّرَتِ الزُّجَاجَةُ لم يَكُنْ   عِنْدَ الشُّرُوبِ بعابِسٍ مُتَقَطِّبِ

ومِمَّا سبق إليه الأخطل قوله:

وإذا دَعَوْنَـــكَ عَمَّهُنَّ فإنَّـــه   نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالا

وقال القُطاميُّ:

وإذا دَعَوْنَـكَ عَمَّهُنَّ فلا تُجِبْ   فهُنَـاكَ لا يَجِدُ الصَّفاءُ مَكَانا
نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَقَارَةً   وعلَـى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانـا

وقوله لزُفَر بن عمرو من هوازن:

لَعَمْرُ أَبِيـكَ يا زُفَرُ بنَ عمْروٍ   لَقَـدْ نَجَّاكَ جَـدٌّ بَنِي مُعـازِ
ورَكْضُـكَ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَيْها   كأَنَّـكَ مُمْسِكٌ بجَنَاحِ بازِي
لعمر أَبِي هَوَازِنَ مـا جَزِعْنا   ولا هَمَّ الظَّعائِنُ بأَنْحِيـــازِ
ظَعائِنُنـا غَـدَاةَ غَـدَتْ عَلَيْنـا   ونِعْمَتْ ساعَةُ السَّيْفِ الجُرازِ
ولاقَى ابنُ الحُبَابِ لَنَا حُمَيّاً   كَفَتْـــه كُـلَّ راقِيَـةٍ وحـازِ

وكان بنا يَحُلُّ ولا يُعَانَى ... ويَرْعَى كُلَّ رَمْلٍ أو عزازِ
فلمّا أَنْ سَمِنْتَ وكُنْتَ عَبْداً ... نَزَتْ بك يآبْنَ صَمْعاءَ النّوازِي
عَمَدْتَ إلى رَبِيعَةَ تَغْتَرِيها ... بِمِثْلِ القَمْلِ من أَهْلِ الحِجازِ
فنِعْمَ ذَوُو الجِنَايَةِ كان قَوْمِي ... لِقَوْمِكَ لَوْ جَزَى بالخَيْرِ جازِي

البَعيثُ

هو خِدَاش بن بشر من بني مجاشع من ولد خالد بن بَيْبَة وأُمُّه أصبهانيَّة يقال لها مَرْدَه أو وَرْده وإنَّما لُقّب بالبعيث بقوله:

تَبَعَّثَ مِنِّي ما تَبَعَّثَ بَعْدَ ما ... أُمِرَّتْ قُوَايَ واسْتَمَرَّ عَزِيمِي

أراد أنَّه قال الشعر بعد ما أسنَّ وكبر ويكنى أبا مالك وكان البَعيث أخطب بني تميم إذا أخذ القناة ،وله عقب بالبادية وكان يهاجي جريراً ، وقال أبو عُبيدة سألتُ بعض بني كُلَيب فقلتُ ما أشدُّ ما هُجيتم به؟ قال قول البعيث:

أَلَسْتَ كُلَيْبِيًّا إذا سِيمَ خُطَّةً ... أَقَرَّ كإِقْرارِ الحَلِيلَـةِ للبَعْـلِ
وكُـلُّ كُلَيْبِيٍّ صَحِيفَـةُ وَجْهِهِ ... أَذَلُّ لأَقْـدامِ الرِّجالِ مِنَ النَّعْلِ
وكُـلُّ كُلَيْبِيٍّ يَسُوقُ أَتانَـهُ ... له حاجَةٌ من حَيْثُ تُثْفَرُ بالحَبْلِ
سَوَاسِيَـةٌ سُودُ الوُجُوهِ كأَنَّهم ... ظَرَابِيُّ غِرْبانٍ بمَجْرُودَةٍ مَحْلِ

وكان للبعيث أولاد منهم مالك وبكر وخرجا مع أبيهما إلى المدينة فأرسلهما يرعيان عليه الإبل فمرض مالك فأرسل بكراً إلى أبيه ليقدم عليه فقدم فوجده قد مات فقال:

أَرْسَلَ بَكْراً مالِـكٌ يَسْتَحِثُّنا ... يُحاذِرُ من رَيْبِ المَنُونِ فلم يَئِلْ
أَمالِـكُ مَهْمَا يَقْضِهِ اللهُ تَلْقَهُ ... وإنْ حانَ رَيْثٌ من رَفِيقِكَ أو عَجِلْ

اللَّعِينُ (المِنْقَرِيُّ)

هو مُنَازِل بن رَبيعة من بني مِنْقَر ويكنى أبا أُكَيْدِر وعمّته ظَمْياءُ التي ذكرها الفرزدق فاستَعْدت عليه بنو مِنْقَر فهرب من زياد إلى المدينة وقيل له اقضِ بين الفرزدق وجرير فقال:

سأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بني كُلَيْبٍ ... وبَيْنَ القَيْنِ قَيْنِ بني عِقَالِ

فإنَّ الكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَبيثٌ ... وإنَّ القَيْنَ يَعْمَلُ في سَفَالِ

فلا بُقْيَا عَلَيَّ تَركْتُماني ... ولكِنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبَالِ

يقال صَرِدَ السهمُ إذا نفذ، وكان اللعينُ هَجَّاءً للأضياف، وهو القائل في ضيف نزل به:

وأَبْغَضُ الضَّيْفِ ما بي جُلُّ مأْكِلِهِ ... إلَّا تَنَفُّجُهُ حَوْلِي إذا قَعَدا

ما زال يَنْفُجُ كِتْفَيْهِ وحُبْوَتَه ... حَتَّى أَقُولُ لَعَلَّ الضَّيْفَ قد وَلَدا

الصَّلَتَانُ العَبْديُّ

هو قُثَم بن خَبِيئة من عَبْد القَيْس واجتمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير فقال:

أَنا الصَّلَتانيُّ الَّذي قد عَلِمْتُمُ ... مَتَى ما يُحَكَّمْ فَهْوَ بالحَقِّ صادِعُ
أَتَتْني تَمِيمٌ حينَ هابَتْ قُضاتُها ... وإِنِّي لَبالفَصْلِ المُبَيَّنِ قاطِعُ
كما أَنفَذَ الأَعْشَى قَضِيَّةَ عامِرٍ ... وما لِتَمِيمٍ في قَضَائي رَوَاجِعُ
ولم يَرْجِعِ الأَعْشَى قَضِيَّةَ جَعْفَرٍ ... ولَيْسَ لِحُكْمِي آخِرَ الدَّهْرِ راجِعُ
سأَقْضِي قَضَاءً بَيْنَهُمْ غَيْرَ جائِرٍ ... فهَلْ أَنْتَ للحُكْمِ المُبَيَّنِ سامِعُ
قَضاءَ امْرِئٍ لا يَتَّقِي الشَّتْمَ مِنْهُمُ ... ولَيْسَ له في المَدْحِ مِنْهُمْ مَنافِعُ
فإِنْ كُنْتُما حَكَّمْتُماني فأَنْصِتَا ... ولا تَجْزَعَا ولِيَرْضَ بالحَقِّ قانِعُ
فإِنْ تَرْضَيَا أَو تَجزَعا لا أُقِلْكُما ... وللحَقِّ بَيْنَ الناسِ راضٍ وجازِعُ
فأُقْسِمُ لا آلُو عنِ الحَقِّ بَيْنَهُمْ ... فإِنْ أَنا لم أَعْدِلْ فقُلْ أَنْتَ ضالِعُ
فإِنْ يَكُ بَحْرُ الحَنْظَلِيَّيْنِ واحِداً ... فما تَسْتَوِي حِيتَانُهُ والضَّفادِعُ
وما يَسْتَوِي صَدْرُ القَنَاةِ وزُجُّها ... وما يَسْتَوِي شُمُّ الذُّرَى والأَكارِعُ
ولَيْسَ الذُّنَابَى كالقُدامَى ورِيشِهِ ... وما تَسْتَوِي في الكَفِّ مِنْكَ الأَصابِعُ
أَلا إِنَّما تَحْظَى كُلَيْبٌ بِشِعْرِها ... وبالمَجْدِ تَحْظَى دارِمٌ والأَقارِعُ
أَرَى الخَطَفَى بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ... ولكِنَّ خَيْراً من كُلَيْبٍ مُجاشِعُ
فيا شاعِراً لا شاعِرَ اليَوْمَ مِثْلُهُ ... جَرِيرٌ ولكِنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

جَرِيرٌ أَشَدُّ الشاعِرَيْنِ شَكِيمَـةً ... ولكِنْ عَلَتْهُ الباذِخاتُ الفَوارِعُ
ويَرْفَـعُ مِنْ شِعْرِ الفَرَزْدَقِ أَنَّهُ ... لـه باذِخٌ لِذِي الخَسِيسَةِ رافِعُ
وقَدْ يُحْمَدُ السَّيْفُ الدَّدَانُ بجَفْنِهِ ... وتَلْقاهُ رَثًّا غِمْدُهُ وهو قاطِعُ
يُنَاشِدُني النَّصْرَ الفَرَزْدَقُ بعدما ... أَلَحَّتْ عليه من جَرِيرٍ صَواقِعُ
فقُلْتُ له إِنِّي ونَصْرَكَ كالَّذِي ... يُثَبِّـتُ أَنفاً كَشَّمَتْـهُ الجَوادِعُ
وقالَتْ كُلَيْبٌ قَدْ شَرُفْنا عَلَيْكم ... فقُلْتُ لها سُدَّتْ عَلَيْكِ المَطالِعُ

وقال جَرِيرٌ للصَّلَتان:

أَقُولُ ولم أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ ... مَتَى كان حُكْمُ اللهِ في كَرَبِ النَّخْلِ

والصَّلَتَان هو القائل:

أَشابَ الصَّغِـيرَ وأَفْنَـى الكَبِـيرَ كَرُّ اللَّيالِي ومَرُّ العَشِي
إذا هَرِّمَـتْ لَيْلَـةٌ يَوْمَهـا ... أَتَـى بَعْـدَ ذلِـكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ ونَغْـدُو لِحاجاتِنـا ... وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضِي
تَمُوتُ مَـعَ المَرْءِ حاجاتُـهُ ... وتَبْقَـى لـه حاجَـةٌ ما بَقِي
إذا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قد تَرَى ... أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغَنِي
وسِرُّكَ ما كان عِنْدَ آمْرِئٍ ... وسِرُّ الثَّلَاثَـةِ غَيْرُ الخَفِي

كُثَيِّر

هو كثيّر بن عبد الرحمان بن أبي جُمْعَة من خُزَاعة وكان رافضيًّا وقال لمّا حضرته الوفاة:

بَرِئْتُ إلى الإلَهِ مِنَ ٱبْنِ أَرْوَى   ومِنْ دِينِ الخَوَارِجِ أَجْمَعِينا
ومِنْ عُمَرٍ بَرِئْتُ ومِنْ عَتِيقٍ   غَداةَ دُعِي أَمِيرَ المُؤْمِنِينا

ثم خرجت نفسه كأنَّها حصاة وقعت في ماءٍ وكانت وفاته ووفاة عِكْرِمَة مولى ابن عبّاس في يوم واحد، ويكنى أبا صَخْر، وكان محمَّقاً ودخل يوماً على يزيد بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ما يعني الشمّاخ بقوله:

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ   خُدُودَ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِينِ

فقال يزيد وما يضرُّني أَلَّا أعرف ما عنى هذا الأعرابيُّ الجلف واستحمقه وأمر بإخْراجه، قال حمّاد الراوية قال لي كثيّر ألا أخبرك عمّا دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت تُخبرني، قال شخصت أنا والأَحْوَص ونُصَيب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكُلٌّ واحد منّا يُدِلُّ عليه بسابقة له وإخاءٍ ونحن لا نشكُّ أنه يشركنا في خلافته، فلمّا رُفعت لنا أعلام خُنَاصِرَةَ لَقِيَنا مَسْلَمَةَ بن عبد الملك جائياً من عنده وهو يومئذ فتى العرب فسلَّمنا عليه فردَّ علينا ثم قال أما بلغكم أنَّ

إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا ما وضح لنا خبر حتَّى انتهينا إليك ووَجَمْنا وَجْمَةً عرف ذلك فينا، فقال إن يك ذو دينِ بني مروان وَلِيَ وخَشيتم حِرْمانه فإنَّ ذا دنياها قد بقي ولكم عندي ما تحبُّون، وما ألبث حتَّى أرجع إليكم فأمنحكم ما أنتم أهله، فلمّا قدم كانت رحالنا عنده فأكرم منزل وأفضل منزول به، فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذنَ هو وغيره فلم يؤذن لنا إلى أنَ قلتُ في جُمْعَة من تلك الجُمَع لو أنّي دنوتُ من عمر فسمعتُ كلامه فتحفَّظتُه كان ذلك رأياً، ففعلتُ فكان ما حفظتُ من قوله يومئذ لكلّ سفر زاد لا محالة فتزوَّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمَنْ عاين ما أعدَّ الله له من ثوابه وعقابه فترغَّبوا وترهَّبوا ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم في كلام كثير، ثم قال أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدوَ مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلّا الحقُّ والصدق، ثم بكى حتَّى ظننّا أنّه قاض نحبه وارتجَّ المسجد وما حوله بالبكاء والعويل وانصرفتُ إلى صاحبيَّ فقلتُ لهما خذا في شرج من الشعر غير ما كنّا نقوله لعمر وآبائه فإنَّ الرجل أخرويٌّ ليس بدنيويّ إلى أن استأذن لنا مَسْلَمَة في يوم جمعة فأذن لنا بعد ما أذن للعامَّة فلمّا دخلتُ عليه سلَّمتُ ثم قلت يا أمير المؤمنين طال الثواءُ وقلَّت الفائدة وتحدَّثت بجفائك إيّانا وفود العرب فقال يا كثيّر إنَّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، أفي واحد من هؤلاء أنت، فقلتُ ابن السبيل منقطع به وأنا ضاحك، قال أوَلست ضيف أبي سعيد؟ قلتُ بلى، قال ما أرى من كان ضيفه منقطعاً به، ثم قلت يا أمير المؤمنين

أتأذن لي في الإنشاد قال نعم ولا تقل إلّا حقًّا فأنشدتُ:

وَلِيتَ فلم تَشْتِمْ عَلِيًّا ولم تُخِفْ بَرِيًّا ولم تَقْبَلْ إشارَةَ مُجْرِمِ
وصَدَّقْتَ بالفِعْلِ المَقالَ مع الَّذِي أَتَيْتَ فَأَمْسَى راضِياً كُلُّ مُسْلِمِ
أَلَا إِنَّما يَكْفِي الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ مِنَ الأَودِ البادِي ثِقَافُ المُقَوِّمِ
وقَدْ لَبِسَتْ لِبْسَ الهَلُوكِ ثِيابَها تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيا بكَفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِضُ أَحْياناً بعَيْنٍ مَرِيضَةٍ وتَبْسِمُ عن مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ
فأَعْرَضْتَ عنها مُشْمَئِزًّا كأَنَّما سَقَتْكَ مَدُوفاً من سَمَامٍ وعَلْقَمِ
وقَدْ كُنْتَ من أَجْبالِها في مُمَنَّعٍ ومن بَحْرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
وما زِلْتَ تَوَّاقاً إلى كُلِّ غايَةٍ بَلَغْتَ بها أَعْلَى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمّا أتاك المُلْكُ عَفْواً ولم يَكُنْ لِطالِبِ دُنْيا بَعْدَهُ من تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذي يَفْنَى وإِنْ كانَ مُونِقاً وآثَرْتَ ما يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
وأَضْرَرْتَ بالفاني وشَمَّرْتَ لِلَّذي أَمامَكَ في يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمِ
سَمَا لكَ هَمٌّ في الفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ بَلَغْتَ به أَعْلَى المَعَالِي بِسُلَّمِ
فما بَيْنَ شَرْقِ الأَرْضِ والغَرْبِ كُلِّها مُنادٍ يُنادِي من فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
يَقُولُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي بِأَخْذٍ لدِينارٍ ولا أَخْذِ دِرْهَمِ
ولا بَسْطِ كَفٍّ لامْرِىءٍ غَيْرِ مُجْرِمٍ ولا السَّفْكِ منه ظالِماً مِلْءَ مِحْجَمِ
ولَوْ يَسْتَطِيعُ المُسْلِمُونَ لَقَسَّمُوا لك الشَّطْرَ من أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ
فأَرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لِمُبايِعٍ وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثُمَّ أَعْظِمِ

فأقبل عليَّ ثم قال يا كثيّر إنَّك تُسأل عمّا قلتَ، ثم تقدَّم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد فقال قُلْ ولا تقل إلّا حقًّا، فأنشده:

وما الشِّعْرُ إلّا خُطْبَةٌ من مُؤَلِّفٍ لِمَنْطِقِ حَقٍّ أو لِمَنْطِقِ باطِلِ

فلا تَقْبَلَنْ إلّا الّذي وافَقَ الرِّضَا ... ولا تَرْجِعَنَّا كالنِّساءِ الأَرامِلِ

رَأَيْنَاكَ لم تَعْدِلْ عَنِ الحَقِّ يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلُومِ المُخاتِلِ

ولكِنْ أَخَذْتَ القَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... تَقُدُّ مِثَالَ الصالحِينَ الأَوائِلِ

فقُلْنا ولم نَكْذِبْ بما قد بدا لنا ... ومَنْ ذا يَرُدُّ الحَقَّ من قَوْلِ قائِلِ

ومَنْ ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائِهِ ... على فُوقِهِ إذ عار من نَزْعِ نابِلِ

ولَوْلا الّذي قد عَوَّدَتْنا خَلَائِفٌ ... غَطَارِيفُ كانوا كاللُّيُوثِ البَواسِلِ

لَمَا وَخَدَتْ شَهْراً برَحْلِيَ رَسْلَةٌ ... تَقُدُّ مِتَانَ البِيدِ بَيْنَ الرَّواحِلِ

ولكِنْ رَجَوْنا مِنْكَ مِثْلَ الّذي به ... صُرِفْنا قَدِيماً من ذَوِيكَ الأَوائِلِ

فإنْ لم يَكُنْ للشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وإنْ كان مِثْلَ الدُّرِّ في فَتْلِ فاتِلِ

فإنَّ لنا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ ... ومِيرَاثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصِلِ

وذادُوا عَدُوَّ السِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دارِهِمْ ... وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بعد التَّمايُلِ

وقَبْلَكَ ما أَعْطَى هُنَيْدَةَ جِلَّةً ... على الشِّعْرِ كَعْباً من سَدِيسٍ وبازِلِ

رَسُولُ الإِلَهِ المُسْتَضاءُ بنوره ... عَلَيْهِ سَلَامٌ بالضُّحَى والأَصائِلِ

فكُلُّ الّذي عَدَدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ... وقُلُّكَ خَيْرٌ من بُحُورٍ سَوائِلِ

فقال له عمر إنَّك يـا أحوص تُسْأل عمّا قلتَ، وتقدَّم نُصَيْب فاستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له وأمره بالغزو إلى دابِقَ فخرج وهو محموم وأمر لي بثلثمائة درهم وللأحوص بمثلها وأمر لنُصَيب بمائة وخمسين درهماً، وكان كثيّر أحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته عَزَّة وإليها ينسب وهي من ضَمْرة، ولقيته امرأة في بعض الطريق فقالت أأنت كثيّر؟ قال نعم، قالت والله لقد رأيتُك فما أخذَتْك عيني، قال وأنا والله لقد رأيتُك فأقْذيْتِ عيني، قالت والله لقد سفَّل الله بك إذ

جعلك لا تعرف إلّا بامرأة، قال ما سفّل الله بي ولكن رفع بها ذكري واستنار بها أمري واستحكم بها شعري وهي كما قلتُ:

وإنّي لأسْمُو بالوِصالِ إلَى الّتِي ... يَكُونُ شِفاءً ذِكْرُها وآزْدِيارُها
إذا أُخفِيَتْ كانَتْ لعَيْنِكَ قُرّةً ... وإنَّ بُحْتَ يَوْماً لم يَعُمّك عارُها

فقالت مُرَّ في قصيدتك فمرَّ فيها فلمّا بلغ:

وما رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرَارُها
بأَطْيَبَ من أَرْدانِ عَزَّةَ مَوْهِناً ... إذا أُوقِدَتْ بالمِجْمَرِ اللَّدْنِ نارُها

قالت كان امرؤ القيس أحسن نعتاً لصاحبته حيث يقول:

ألم تَرَيَاني كُلَّما جِئْتُ طارِقاً ... وَجَدْتُ بها طِيباً وإنْ لم تَطَيَّبِ

وبعثت عائشة بنت طَلْحة بن عبيد الله إلى كثيّر فقالت له يا ابن جُمْعَة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزّة وليست على ما تصف من الحسن والجمال لو شئتَ صرفتَ ذاك إلى غيرها ممّن هو أولى به منهـا أنا أو مثلي، فأنا أشرف وأوصل من عزّة وإنّما جرّبته بذلك فقال:

إذا ما أرادَتْ خُلّةٌ أنْ تَزِيلَنا ... أَبَيْنـا وقُلْنـا الحاجِبِيّـةُ أَوَّلُ
سنُولِيكِ عُرْفاً إنْ أَرَدْتِ وِصالَنا ... ونَحْنُ لتِلْـكِ الحاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ
لها مَهَلٌ لا يُسْتَطاعُ دِرَاكُهُ ... وسابِقَـةٌ في الحُـبِّ ما تَتَحَوَّلُ

فقالت عائشة والله لقد سمَّيْتَنِي لك خُلَّةً وما أنا لك بخُلَّة وعرضت عليَّ وَصْلَك وما أريد ذلك وإنْ أردتَ أَلَا قلتَ كما قال جَميل:

ويَقُلْن إنّـك قد رَضِيتَ بباطِلٍ ... منها فهَلْ لك في اعْتزالِ الباطِلِ

وَلَبَاطِلٌ مِمَّنْ أُحِبُّ حَدِيثَهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ البَغِيضِ الباذِلِ
وَلَرُبَّ عارِضَةٍ عَلَيْنا وَصْلَها بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الهازِلِ
فَأَجَبْتُها في الحُبِّ بعد تَسَتُّرٍ حُبِّي بُثَيْنَةَ عن وِصالِكِ شاغِلِي
لو كان في قَلْبِي كقَدْرِ قُلَامَةٍ حُبٌّ وَصَلْتُكِ أو أَتَتْكِ رَسائِلِي

ودخل كثيّر على عبد الملك بن مروان فقال له نشدتُك بحقّ عليّ ابن أبي طالب هل رأيتَ قطُّ أحداً أعشق منك؟ قال يا أمير المؤمنين لو نشدتَني بحقّك أخبرتُك؟ فقال نشدتُك بحقّي إلّا أخبرتني، قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا أسير في بعض الفلوات فإذا أنا برجل قد نصب حبالة فقلت له ما أجلسك ههنا قال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم ولنفسي ما يكفينا ويعصمنا يومنا هذا، قلتُ أرأيتَ إن أقمتُ معك فأصبت صيداً أتجعل لي منه جزءاً؟ قال نعم فبينَا نحن كذلك وقعت فيها ظبية فخرجنا نبتدر فبدرني إليها فحلّها وأطلقها فقلتُ ما حملك على هذا؟ قال دخلتني لها رقّة لشبهها بلَيْلَى وأنشأ يقول:

أيا شِبْهَ لَيْلَى لا تُراعِي فإنَّنِي لَكِ اليَوْمَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أَقُولُ وقَدْ أَطْلَقْتُها من وِثاقِها فأنتِ لِلَيْلَى إنْ شَكَرْتِ عَتِيقُ

وقال ابن الكَلْبيّ وابن دأب لمّا حلَّها قال:

اِذْهَبِي في كِلَاءَةِ الرَّحْمانِ أَنْتِ مِنِّي في ذِمَّةٍ وأَمانِ
لا تَخافِي بأَنْ تُهاجِي بسَوْءٍ ما تَغَنَّى الحَمَامُ في الأَغْصانِ
تَرْهَبِينِي والجِيدُ مِنْكِ لِلَيْلَى والحَشَا والبُغامُ والعَيْنانِ

ودخلت عزَّة على أُمّ البَنِين فقالت لها أمُّ البنين أرأيت قول كثيّر:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فوَفَّى غَرِيمَهُ ... وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّـى غَرِيمُها

ما كان ذلك الدَّيْن؟ قالت وعدتُه بقُبْلة فتحرَّجتُ منها فقالت أمّ البنين أَنْجزيها وعليَّ إثمها، قال السائب راوية كثيّر خرجتُ مع كثيّر وهو يريد عبد العزيز بن مروان فمررنا بالماءِ الذي عليه عزَّة فسلَّمنا جميعاً على أهل الخباءِ فقالت عزَّة عليك يا سائبُ السلام ثم أقبلت على كثيّر فقالت ألا تتَّقي الله أرأيتَ قولك:

بآيَـةِ مـا أَتَيْتُـكِ أُمَّ عَمْرٍو ... فقُمْتِ بحاجتي والبيت خالِي

ويحك خلوتُ معك في بيت قطُّ، فقال لم أقلْه ولكنّي الذي يقول:

فأُقْسِمُ لَوْ أَتَيْتُ البَحْرَ يوماً ... لأَشْرَبُ ما سَقَتْني من بُلالِ

وأُقْسِمُ أَنَّ حُبَّـكِ أُمَّ عَمْرٍو ... لَـدَى جَنْبِي ومُنْقَطَعِ السُّعالِ

قالت أمّا هذا فعسى، قال السائب فأتينا عبد العزيز بن مروان فانصرفنا ومررنا بهم فقال كثيّر السلام عليك يا عزَّة، فقالت عليك السلام يا جَمَلُ، فقال كثيّر:

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الوَصْلِ وانْصرَفَتْ ... فحَيِّ وَيْحَكَ مَنْ حَيَّاكَ يا جَمَلُ

لَوْ كُنْتَ حَيَّيْتَها ما زِلْتَ ذا مِقَةٍ ... عِنْدِي وما مَسَّكَ الإِدْلَاجُ والعَمَلُ

لَيْتَ التَّحِيَّةَ كانَتْ لي فأَجْعَلَها ... مكانَ يا جَمَلًا حُيِّيتَ يا رَجُلُ

وخرج كثيّر إلى مِصْرَ وعزَّة بالمدينة فاشتاق إليها فقام إلى بغلة له فأسرجها وتوجَّه نحو المدينة لم يعلم به أحد، فبينا هو يسير في التيه بمكان يقال له فَيْفاءُ خُرَيم إذا هو بِعير قد أقبلت من ناحية المدينة

في أوائلها محامل فيها نسوة وكثيّر متلثّم بعمامة له وفي النسوة عزَّة فلمّا نظرت إليه عرفته وأنكرها، فقالت لقائد قُطارها إذا دنا منك الراكب فاحبسْ فلمّا دنا كثيّر حبس القائد القطار فابتدرته عزَّة فقالت مَنْ الرجل؟ قال من الناس، قالت أقسمتُ، قال كثيّر، قالت فأين تريد في هذه المفازة؟قال ذكرت عزَّة وأنا بمصر فلم أصبر أن خرجتُ نحوها على الحال التي ترين،قالت فلو أنَّ عزَّة لقيتك فأمرتك بالبكاء أكنتَ تبكي،قال نعم،فنزعت عزَّة اللثام عن وجهها وقالت أنا عزَّة فإن كنت صادقاً فافعلْ ما قلت، فأفحم، فقالت للقائد قُدْ قطارك، فقاده وبقي كثيّر مكانه لا يُحير ولا ينطق حتّى توارت،فلمّا فقدها سالت دموعه وأنشأ يقول:

وقَضَّيْنَ ما قَضَّيْنَ ثُمَّ تَركْنَني ... بفَيْفا خُرَيْمٍ قائماً أَتَلَدَّدُ

تَأَطَّرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوارِحاً ... وذُبْنَ كما ذابَ السديفُ المُسَرْهَدُ

أَقُولُ لِماءِ العَيْنِ أَمْعِنْ لَعَلَّهُ ... لِمَا لا يُرى من غائِبِ الوَجْدِ يَشْهَدُ

فلم أرَ مِثْلَ العَيْنِ ضَنَّتْ بمائِها ... عَلَيَّ ولا مِثْلِي على الدَّمْعِ يَحْسُدُ

وبَيْنَ التَّراقِي واللَّهاةِ حَرارَةٌ ... مَكانَ الشَّجَى ما إنْ تَبُوحُ فتَبْرُدُ

وعادت عزَّة إلى مصر وخرج كثيّر يريد مصر فوافاها والناس ينصرفون عن جنازتها، وممّا يستجاد من شعره قوله:

أَغاضِرَ لَوْ شَهِدْتِ غَدَاةَ بِنْتُمْ ... حُنُوَّ العائِدَاتِ على وِسَادِي

أَوِيتِ لِوامِقٍ لم تَشْكُمِيهِ ... نَوَافِذُهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ

وغاضِرَةُ أُم ولد بشر بن مروان، ويتمثّل من شعره بقوله:

ومَنْ يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ من سُوسِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُها

وقوله:

ومَنْ لا يُغمِّضْ عَيْنَهُ عن صَدِيقِهِ وعَنْ بَعْضِ ما فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عاتِبُ
ومَنْ يتَتَبَّعْ جاهِداً كُلَّ عَثْرةٍ يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحِبُ

ويختار من قوله:

وأُجمِعُ هِجْرَاناً لأَسْماءَ إنْ دَنَتْ بها الدارُ لا من زهْدَةٍ في وِصالِها
فإنْ شَحَطَتْ يَوْماً بَكَيْتُ وإنْ دَنَتْ تَذَلَّلتُ واسْتَكْثَرْتُها بأعْتِزالِها

وقوله في سياسة النساء:

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أَجْلَلْنَ مَجْلِسِي وأَبْدَيْنَ مِنِّي هَيْبَةً لا تَجَهُّما
يُحاذِرْنَ مِنِّي غَيْرَةً قد عَلِمْنَها قَدِيماً فما يَضْحَكْنَ إلّا تَبَسُّما
تَرَاهُنَّ إلَّا أَنْ يُؤَدِّينَ نَظْرَةً بمُؤْخَرِ عَيْنٍ أو يُقَلِّبْنَ مِعْصَما
كَوَاظِمَ ما يَنْطِقْن إلَّا مَحُورَةً رَجِيعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أنْ يَتَفَهَّما
وكُنَّ إذا ما قُلْنَ شَيْئاً يَسُرُّهُ أَسَرَّ الرِّضَا في نَفْسِهِ وتَجَرَّما

وقوله لعزَّة قال أبو عليّ في النَّوَادِرِ قرأتُ هذه القصيدة على أبي بكر بن دُرَيد في شعر كثيِّر وهي من منتخبات كثيِّر وأوَّلها:

خَلِيلَيَّ هـذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا قَلُوصَيْكُما ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
وما كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكا ولا مُوجِعاتِ الحُزْنِ حَتَّى تَوَلَّتِ
وكانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنِي وبَيْنَها لنـاذِرَةً نَـذْراً وَفَـتْ فأَحَلَّتِ
فقُلْتُ لها يا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ
ولم يَلْقَ إنْسانٌ مِنَ الحُبِّ مَيْعَةً تَعُمُّ ولا عَمْيـاءَ إلّا تَجَلَّتِ
كأَنِّي أُنادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بها العِيسُ زَلَّتِ

صَفُوحاً فما تَلْقاكَ إلاّ بَخيلَةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلكَ الوَصْلَ ملَّتِ

أَباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَها ... وحَلَّتْ تِلاعاً لم تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ

أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَها وأَظُنُّها ... إذا ما أَطَلْنا المَكْثَ عِنْدَها مَلَّتِ

يُكَلِّفُها الغَيْرَانُ شَتْمِي وما بها ... هَوَاني ولكِنْ للْمَلِيكِ اسْتَذَلَّتِ

هَنيئاً مَريئاً غَيْرُ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أَعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

فإنْ تَكُنِ العُتْبى فأهلاً ومرحباً ... وحَقَّتْ لها العُتْبى لَدَيْنا وقَلَّتِ

وإنْ تَكُنِ الأُخْرَى فإنَّ وَرَاءَنا ... مَناوِيحَ لو سارَتْ بها الرِّيُمُ كَلَّتِ

أَسِيئِي بنا أوأَحْسِنِي لا مَلُومَةً ... لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ

وواللهِ ما قارَبْتُ إلاَّ تَباعَدَتْ ... بِصُرْمٍ ولا استَكْثَرْتُ إلاَّ أَقَلَّتِ

وواللهِ ثُمَّ اللهِ ما حَلَّ قَبْلَها ... ولا بَعْدَها من خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتِ

وما مَرَّ من يَوْمٍ عَلَيَّ كيَوْمِها ... وإنْ كَثُرَتْ أَيَّامٌ أُخْرَى وجَلَّتِ

فَوَا عَجَباً للقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرَافُهُ ... وللنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيْفَ ذَلَّتِ

وإنِّي وتَهْيَامِي بعَزَّةَ بَعْدَما ... تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنا وتَخَلَّتِ

لكالمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّما ... تَبَوَّأَ منها للمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

ومن الإفراط قوله:

ومَشَى إليَّ بعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ ... جَعَلَ الإلَهُ خُدُودَهُنَّ نِعالَها

ولَوَأَنَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى ... في الحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لها

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو مريض وأهله يتمنَّون أن يضحك فلمّا وقف عليه قال لـه والله أيُّها الأمير لولا أنَّ سرورك لا يتمُّ بأَنْ تَسْلَم وأَسْقُم لدعوتُ ربّي أن يصرف ما بك إليَّ ولكني أسأل

الله لك أيها الأمير العافية ولي في كنفك النعمة، فضحك وأمر له بمال، وهو القائل له:

ونَعُودُ سَيِّدَنا وسَيِّدَ غَيْرِنا   لَيْتَ التَشَكِّيَ كان بالعُوّادِ

لو كان يَقْبَلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ   بالمصطفى من طارِفِي وتِلاَدِي

ولعبد العزيز يقول كثيّر:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ   صَنِيعَةُ تَقْوَى أو خَلِيلٌ تُخالِقُهْ

مَنَعْتَ وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ   فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلّا حَقائِقُهْ

فبُورِكَ ما أعْطَى ابنُ لَيْلَى بنيّةٍ   وصامِتُ ما أعْطَى ابنُ لَيْلَى وناطِقُهْ

وكان كثير يقول بالرجعة، وفي ذلك يقول:

أَلَا إنَّ الأَيِمَّةَ من قُرَيْشٍ   وُلاةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ

عَلِيٌّ والثلاثَةُ من بنيهِ   هُمُ الأَسْباطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ   وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ

وسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى   يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُها اللِّواءُ

تَغَيَّبَ لا يُرَى عنهم زَماناً   برَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

كأنَّه يعني ابن الحَنَفيَّة، ويذكرون أنه دخل شعب اليمن في أربعين من أصحابه فما رِيءَ لهم أثر.

الأَحْوَصُ

هو الأحوص بن محمَّد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وعاصم بن ثابت من الأنصار وهو حَمِيُّ الدَّبْر، وكان الأحوص يرمي بالابنة والزنا، وشُكي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر فدخل إليه عدَّة من الأنصار فكلَّموه فيه وسألوه أن يردَّه إلى المدينة فقال لهم عمر من القائل:

أَدُورُ ولَوْلا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ   بأَبْياتِكُمْ ما دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ

قالوا الأحوص، قال فمن الذي يقول:

ستُبْلَى لكم في مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا   سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ

قالوا الأحوص، قال فمن الذي يقول:

اللهُ بَيْني وبَيْنَ قَيِّمِها   يَفِرُّ مِنّي بها وأَتَّبِعُ

قالوا الأحوص، قال لا جَرَمَ رددتُه إلى المدينة ما كان لي سلطان، وقال الأحوص يعاتب عمر بن عبد العزيز:

أَلَسْتَ أَبا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّري   أَفي اللهِ أَنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابن أَسْلَما

وكُنّا ذَوِي قُرْبى إليك فأَصْبَحَتْ   قَرابَتُنا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّما

وكُنْتَ وما أَمَّلْتُ منك كبارِقٍ   لَوَى قَطْرَهُ من بَعْدِ ما كان غَيَّما

وقد كُنتَ أرْجَى الناس عِندي مَوَدَّةً
لَيالِيَ كان العِلْمُ ظنًّا مُرَجَّما

أَعُدُّكَ حِرْزاً إنْ خَشِيتُ ظُلامَةً ... ومالاً ثَرِيًّا حِينَ أَحْمِلُ مَغرَما
تَدارَكْ بِعُتْبَى عاتِباً ذا قَرابَةٍ ... طَوَى الغَيْظَ لم يَفْتَحْ بِسُخْطٍ لكم فَمَا

ويُسْتَحْسَن من شعره قوله:

أَلَا لا تَلُمْهُ اليَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدا ... فقَدْ غُلِبَ المَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدا
وما العَيْشُ إلَّا ما تَلَذُّ وتَشْتَهِي ... وإنْ لام فيه ذو الشَّنَانِ وفَنَّدا
بَكَيْتُ الصِّبا جَهْداً فمَنْ شاءَ لامَني ... ومن شاءَ واسَى في البُكاءِ وأَسْعَدا
وإنّي وإنْ عُيِّرْتُ في طَلَبِ الصِّبا ... لأَعْلَمُ أنّي لَسْتُ في الحُبِّ أَوْحَدا
إذا كُنْتَ عِزْهاةً عن اللَّهْوِ والصِّبا ... فكُنْ حَجَراً يابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب حَبَابة وسَلَّامة قد ترك لشغله باللهو الظهورَ للعامَّة وشهادة الجمعة، فقال له مَسْلَمة أخوه يا أمير المؤمنين قد تركتَ الأمور وأضعتَ المسلمين وقعدت في منزلك مع هاتَيْن الأمتين فآرعوى قليلاً وظهر للناس فقالت حَبَابة للاحوص قل شعراً أغنّي به أمير المؤمنين فقال:

وما العَيْش إلّا ما تَلَذُّ وتَشْتَهِي... الأبيات

ثم غنّتا يزيد به فضرب بخيزرانته الأرض وقال صدقتِ صدقتِ على مَسْلَمة لعنة الله وعلى ما جاءَ به وعاد لحالته الأولى إلى أن ماتت حبابة ثم مات بعدها بأيّام حزناً عليها ووجداً، ومن هذا الشعر:

وأَشْرَفْتُ في نَشْزٍ من الأَرْضِ يافِعٍ ... وقد تَشْعَفُ الأَيْفاعُ مَن كان مُقْصَدا
فقُلْتُ أَلَا يا لَيْتَ أَسْماءَ أَصْقَبَتْ ... وهَلْ قَوْلُ لَيْتَ جامِعٌ ما تَبَدَّدا

وإنّي لأَهْواها وأَهْوَى لِقاءَها كما يَشْتَهِي الصادِي الشَّرابَ المُبَرَّدا
عَلاَقَةَ حُبٍّ لَجَّ في سَنَنِ الصِّبا فأَبْلَى وما يَزْدادُ إلّا تَجَدُّدا

ويختار له قوله:

ما من مُصيبَةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها إلّا تُشَرِّفُني وتُعْظِمُ شانِي
إنِّي إذا خَفِيَ اللِّئامُ وَجَدْتَني كالشَّمْسِ لا تَخْفَى بكُلِّ مكانِ

أَرْطاةُ بن سُهَيَّه

هو من بني مُرَّة بن عوف بن سعد ويكنى أبا الوليد، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال هل تقول اليوم شعراً فقال كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب وإنَّما يكون الشعر على هذا وأنا الذي أقول:

رَأَيْتُ المَرْءَ تأْكُلُهُ اللَّيَالِي ... كأَهْلِ الأَرْضِ ساقِطَةَ الحَدِيدِ

وما تُبْقِي المَنِيَّةُ حِينَ تأْتِي ... عَلَى نَفْسِ ٱبْنِ آدَمَ من مَزِيدِ

وأَعْلَمُ أَنَّها سَتَكُرُّ حَتَّى ... تُوَفِّيَ نَذْرَها بأَبِي الوَلِيدِ

ففزع عبد الملك وكانت كنيته، فقال لم أَعْنِك إنَّما عنيتُ نفسي فقال عبد الملك وأنا أيضاً وهو القائل:

وما دُونَ ضَيْفِي من تِلادٍ تَحُوزُهُ ... لِيَ النَّفْسُ إلَّا أَنْ تُصانَ الحَلائِلُ

وهو القائل:

لَقَدْ رَأَيْتُكَ عُرْيَاناً ومُؤْتَزِرا ... فما دَرَيْتُ أَأُنْثَى كُنْتَ أَمْ ذَكَرا

وممّا سبق إليه وأُخذ منه قوله يَصِفُ الخيل:

كأَنَّ أَعْيُنَها من طُولِ ما جَشِمَتْ ... سَيْرَ الهَواجِرِ زَيْتٌ في قَوارِيرِ

قال غيره:

إذِ الرَّكائِبُ مَخْسُوفٌ نَواظِرُها ... كما تَضَمَّنَتِ الدُّهْنَ القَوارِيرُ

وفي هذه يقول أرطاة بن سهيَّة:

إذا وَنَتْ ذاتُ أَذْيالٍ تُذِيعُ به
قالَتْ لأُخْرَى كغَيْري أُغْضِبَتْ دُورِي

كأنَّ مُخْتَلِفَ الأَرْواحِ بيْنَهما فيها مَلاعِبُ أَبْكارٍ مَعاصيرِ

ذُو الرُّمَّةِ

هو غَيْلان بن عُقْبة بن بُهَيش ويكنى أبا الحارث وهو من بني صَعْب بن مِلْكان بن عَديّ بن عبد مَنَاة، وسُئل جرير عن شعره فقال أَبْعارُ غِزْلان ونُقط عَرُوس وكان يوماً ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه:

عَذَبَتْهُنَّ صَيْدَحُ

وصيدح ناقته، فجاءَ الفرزدق فوقف عليه فقال له كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال ما أحسن ما تقول، فقال فما بالي لا أُذْكَرُ مع الفحول؟ قال قصَّر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للأبعار والعطن وأنشأ يقول:

وَدَوِّيَّـةٍ لو ذُو الرُّمَيْمِ يَرُومُها بصَيْدَحَ أَوْدَى ذوالرُّمَيْمِ وصَيْدَحُ
قَطَعْـتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْكَراتِها إذا خَـبَّ آلُ الأَمْعَزِ الْمُتَوَضِّحُ

وقال عيسى بن عمر قال لي ذو الرمَّة ارفع هذا الحرف فقلت له أتـكتب؟ فقال بيده على فيه، أي اكتمْ عليَّ فإنَّه عندنا عيب، قال وقدمتُ من سفر فأتاني ذو الرمَّة فعرضتُ له بأن أعطيه شيئاً فقال لي أنا وأنت واحـد نأخذ ولا نُعطي، ولَّما حضرته الوفاة بالبادية قال أنا ابن نصف الهرم أي أنا ابن أربعين وقال:

يا قابِضَ الرُّوحِ نَفْسِي إذا ٱحْتُضِرَتْ

وغافِرَ الذَّنْبِ زَحْزِحْنِي عَنِ النارِ

وإنّما سُمّي ذا الرُّمَّة بقوله في الوتد:

لم يَبْقَ منها أَبَدَ الأَبِيدِ غَبْرُ ثَلاَثٍ ما ثِلاتٍ سُودِ
وغَيْرُ مَرْضُوخ القَفَا مَوْتُودِ أَشْعَثَ باقِي رُمَّةِ التَّقْلِيدِ

وكان ذو الرمّة أحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مَيَّة بنت فلان بن طَلَبَة بن قَيْس بن عاصم بن سِنَان، قال أبو سَوَّار الغَنَويُّ رأيتُ ميَّة وإذا معها بنون لها صغار فقلتُ صفها لي ففال مسنونة الوجه طويلة الخدّ شَمّاءُ الأنف عليها وسم جَمال، فقالت ما تلقَّيْتُ بأحد من بنيَّ هؤلاءِ إلّا في الإبل، قلتُ أفكانت تنشدك شيئاً ممّا قال فيها ذو الرمّة؟ قال نعم كانت تسحُّ سحًّا ما رأى أبوك مثله، ومكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرمَّة وتسمع شعره فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه فلمّا رأته رأت رجلاً دمياً أسود وكانت من أجمل النساء، فقالت واسوأتاه وابؤساه فقال ذو الرمَّة:

عـلى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلاَحَةٍ وتَحْتَ الثِّيَابِ الشَّيْنُ لَوْ كان بادِيَا
ألم تَرَ أَنَّ الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ وإنْ كان لَوْنُ الماءِ أَبْيَضَ صافِيَا
فيا ضَيْعَةَ الشِّعْرِ الَّذي لَجَّ فَٱنْقَضَى بِمَيٍّ ولم أَمْلِكْ ضَلاَلَ فُؤَادِيَا

وكان يشبّب أيضاً بخَرْقاءَ وهي من بني البكّاءِ بن عامر بن صَعْصَعَة، وسبب تشبيبه بها أنّه مرَّ في سفر ببعض البوادي فإذا خرقاءُ خارجة من خباءٍ لها فنظر إليها فوقعت في قلبه فخرَّق إدواته ودنا منها يستطعم كلامها، فقال إنّي رَجُلٌ على ظهر سَفَر وقد تخرَّقت

إدواتي فأصلحيها لي، فقالت والله إنّي ما أُحْسِنُ العَمَل وإنّي لخرقاءُ والخرقاءُ التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها فشبّب بها وسمّاها خرقاءَ، وقال المفضَّل الضبّيُّ كنتُ أنزل على بعض الأعراب إذا حججتُ، فقال لي يوماً هل لك إلى أن أُريك خرقاءَ صاحبة ذي الرمَّة فقلت إن فعلت فقد بررتَني فتوجَّهنا جميعاً نريدها فعدل بي عن الطَّريق بقدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بها فَوَهٌ فسلَّمت وجلست فتحادثنا ساعةً ثم قالت لي هل حججتَ قطُّ؟ قلت غير مرَّة، قالت فما منعك من زيارتي أما علمتَ أنّي منسك من مناسك الحجّ؟ قلت وكيف ذاك؟ قالت أما سمعتَ قول عمّك ذي الرمَّة:

تَمَامُ الحَجِّ أنْ تَقِفَ المطايا ... على خَرْقاءَ واضِعَةِ اللِّثام

وكان لذي الرمَّة إخوة: هشام وأَوْفَى ومسعود فمات أوفى ثم مات بعده ذو الرمَّة فقال مسعود:

تَعَزَّيتُ عن أَوْفَى بغَيْلاَنَ بَعْدَهُ ... عَزَاءً وجَفْنُ العَيْنِ ريَّانُ مُتْرَعُ
ولم تُنْسِنِي أَوْفَى المُصِيباتُ بَعْدَهُ ... ولكِنَّ نَكأَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

هشام الذي يقول:

حَتَّى إذا أَمْعَرُوا صَفْقَيْ مَباءَتِهِمْ ... وجَرَّدَ الخُطَبَ أَثْباجَ الجَراثِيمِ
وآبَ ذو المَحْضَرِ البادِي إيابَتَهُ ... وقُوِّضَتْ نِيَّةٌ أَطْنابُ تَخْيِيمِ
أَلْوَى الجِمالُ هَرَامِيلَ العِفَاءِ بها ... وبالمَناكِبِ رَيْعٌ غَيْرُ مَجْلُومِ
تَصْطَكُّ أَعْناقُها والبَقُّ تَقْدَعُها ... حَتَّى أَناخُوا فزَمُّوا كُلَّ مَزْمُومِ
من كُلِّ أَكْلَفَ أو أَجْأَي تَئِطُّ له ... أَنْساعُ تابُوتِ جَوْفٍ غَيْرِ مَهْضُومِ

عَرَكْرَكٍ مُهْجِرِ الصُّؤْبانِ أَوَّمَهُ   رَوْضُ القِذافِ رَبِيعاً أَيَّ تَأْوِيمِ

الصُّؤْبان وسطه والمهجر الواسع يقال ناقة ذات سنام مُهْجِرٍ إذا كان مشرفاً.

ما مَسَّ مُذْلُهِنَّ البُهْمَى تَبَقَّلَها   قَيْنَيْـهِ في مَرْتَعٍ أَرْماثُ تَزْمِيمِ
حَتَّى رَمَى أُمَّهاتِ القَرْدِ خابِطُها   بالناصِـلاتِ أَنابِيشاً بِتَسْهِـيمِ
واَسْتَنَّ فَوْقَ الحَذارَى القُلْقُلانَ كما   شَكْلُ الشُّنُوف يُحاكَى بالهَيانِيمِ

الحذارى جمع حِذْرِيَة وهي الأرض الصلبة والقلقلان النبت.

بعـد المَصِيفِ إلى خَبْرَاءَ مَعْقِلُهُ   حَتَّى يَمُوتَ سِمالُ الصَّيْفِ بالعُومِ
منَ الفَرَاشِ المُقَضِّي عاش في رَنَقٍ   رَخْفِ السَّحاياتِ وَلَّى غَيْرَ مَطْعُومِ

السحايات بقيَّة الماء واحدتها سحاية

كَأَنَّ أَجْسادَها الأَظْفارُ جامِدَةً   في قِنَّفِ الصَّقْرِ الآني الشَّراذِيم

القِنَّفُ طين القاع إذا تشقَّق والصَّقْرِ الذي قد صقرته الشمس والآني الذي قد بلغ أناه. قال أبو محمَّد ولم أذكر هذا الشعر لأنَّه عندي مختار ولكن ذكرتُه لأنّي لم أسمع لهشام بشعر غيره، قال ابن أبي فرْوة قلتُ لذي الرمَّة في قوله:

إذا انْجَابَتِ الظَّلْماءُ أَضْحَتْ رُؤُسُها
عَلَيْهِنَّ من جَهْـد الكَرَى وَهْيَ ظُلَّعُ

ما علمتُ أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك، قال أَجَلْ، وكان ذو الرمَّة كثير الأخذ من غيره، وممّا أخذه من غيره قوله في الحرباء:

يَظَلُّ بها الحِرْباءُ للشَّمْسِ ماثِلاً لَدَى الجِذْلِ إلَّا أَنَّهُ لا يُكَبِّرُ
إذا حَوَّلَ الظِّلَّ العَشِيُّ رَأَيْتَهُ حَنِيفاً وفِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ

وقال ظالِمُ بن البَرَاءِ الفُقَيْميُّ:

ويَوْمٍ من الجَوْزاءِ أَمَّا سُكُونه فضِيحٌ وأَمَّا رِيحُهُ فسَمُومُ
إذا جَعَلَ الحِرْباءُ والشَّمْسُ تَلْتَظِي عَلَى الجِذْلِ من حَرِّ النَّهارِ يَقُومُ
يَكُونُ حَنِيفاً بالعَشِيِّ وبالضُّحَى يُصَلِّي لِنَصْرانِيَّةٍ ويَصُومُ

حدثني عبد الرحمان عن الأَصْمعي عن رُؤْبَة قال دخل عليَّ ذو الرمَّة فسمع قولي:

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّةِ الأَمْلاسْ لِكُلِّ ذِئْبٍ قَفْرَةٍ ولَأَّسْ
مَوْتَى العِظامِ حَيَّةَ الأَنْفاسْ أَجِنَّةً في قُمُصِ الأَغْراسْ

فخرج من عندي فبلغني بعد ذلك أنَّه يقول:

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّةِ الأَغْفالْ كُلَّ جَنِينٍ لَثِقِ السِّرْبالْ
حَيِّ الشَّهِيقِ مَيِّتِ الأَوْصالْ فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقُ الأَقْفالْ
مِنَ السُّرى وجِرْيَةِ الجِبالْ ونَغَضَانِ الرَّحْلِ من مُعالْ

قال الأصمعيُّ فإذا رؤبة يرى أنَّ ذا الرمَّة يسرق منه، وقال أيضاً في قول ذي الرمَّة:

يَطْفُو إذا ما تَلَقَّتْهُ الجَرَاثِيمُ

أخذه من قول العجّاج:

إذا تَلَقَّتْهُ الجَرَاثِيمُ طفَا

قال وأخذ قوله:

إذا اسْتَهَلَّتْ عَلَيْه عَيْبَةٌ أَرِجَتْ   مَرَابِضُ العِينِ حَتَّى يأْرَجَ الخَشَبُ

من معنى قول العجّاج:

مَثْوَاهُ عَطّارِينَ بالعُطُورِ

وأخذ قوله:

كأَنَّها فِضَّةٌ قد مَسّها ذَهَبُ

من معنى امرىء القيس:

كبِكْرِ مُقَاناةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ   غَذَاها نَمِيرُ الماء غَيْرَ مُحَلَّلِ

وكذلك كان يرويه، وأخذ من كعب بن زُهير في صفة الآثار ما قد ذكرتُه في أخبار زُهَير، وقال ذو الرمَّة وهو من حسن شعره:

وأَرْمِي إلى الأَرْضِ الَّتي من وَرَائِكُمْ

لتَرْجِعَنِي يوْماً عَلَيْكَ الرَّوَاجِعُ

وقال آخر في معناه:

وأَذْهَبُ في الأَرْضِ الَّتي من وَرَائِكُمْ

لأُعْذَرَ في إتْيانِكُمْ حِينَ أَرْجع

وسمع أعرابيٌّ ذا الرمَّة وهو ينشد:

تُصْغِي إذا شَدَّها بالكُورِ جانِحَةً   حَتَّى إذا ما اسْتَوَى في غَرْزِها تَثِبُ

فقال الأعرابيُّ صُرِعَ والله الرجل ألا قلتَ كما قال عمُّك الراعي:

وواضِعَةٍ خَدَّها للزِّمَا   مِ فالخَدُّ منها له أصْعَرُ

ولا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ البُرُو ... كِ وَهْيَ بِرِكْبَتِهـا أَبْصَرُ
وهِيَ إذا قـام في غَرْزِهـا ... كمِثْـلِ السَّفِينَـةِ أو أَوْقَرُ

وأخذ عليه قوله يصف الكلاب:

حتَّى إذا دَوَّمَتْ في الأَرْض راجَعَه ... كِبْرٌ ولو شاءَ نجَّى نَفْسَهُ الهَرَبُ

قالوا والتدويم إنَّما هو في الجوّ يقال دوَّم الطائر في السماءِ إذا حلَّق واستدار في طيرانه ودوَّى في الأرض أي ذهب، وقالوا ذو الرمَّة أحسن الناس تشبيهاً وانَّما وضعه عندهم أنَّه كان لا يجيد المدح ولا الهجاءَ، ولمّا أنشد بلال بن أبي بُرْدة قوله:

رَأَيْتُ النـاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً ... فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلاَلا

قال بلال يا غلام أعطه حبل قَتٍّ لصَيْدَح، قالوا وغلط في قوله في النساء:

وما الفَقْرُ أَزْرَى عِنْدَهُنَّ بوَصْلِنا ... ولكِنْ جَرَتْ أَخْلاقُهُنّ على البُخْلِ

قالوا والجيّد قول عَلْقَمَة:

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

وقول امرىء القيس:

أَراهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ... ولا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقوَّسَا

وأشدُّ هجائه قوله:

وأَمْثَلُ أَخْلاقِ آمْرِىءِ القَيْسِ أَنَّها ... صِلاَبٌ عَلَى طُولِ الهَوَانِ جُلُودُها
ومـا انْتُظِرَتْ غُيَّابُهـا لعَظِيمَةٍ ... ولا استُعْمِرَتْ في جُلِّ أَمْرٍ شُهُودُها

إذا مَرَئِيَّـــاتٌ حَلَلْنَ ببَلْـــدَةٍ   مِنَ الأَرْضِ يَصْلُحْ طَهُوراً صَعِيدُها

ويستحسَن له قوله في الظبية وولدها:

إذا استَوْدَعَتْه صَفْصَفاً أو صَرِيمَةً   تَنَحَّتْ ونَصَّتْ جِيدَها للمناظِرِ

حِذاراً على وَسْنانَ يَصْرَعُهُ الكَرَى   بكُلِّ مَقِيلٍ من ضِعافٍ فَوَاتِرِ

وتَهْجُرُهُ إلّا اخْتِلاَساً بطَرْفِها   وكَمْ من مُحِبٍّ رَهْبَةَ العَيْنِ هاجِرِ

وممَّا صحف فيه من شعره قوله:

بَراهُنَّ تَفْوِيزِي إذا الآلُ أَرْقَلَتْ   به الشمسُ إِزْرَ الحَزْوَرَاتِ الفَوالِكِ

رواه أبو عمرو أرقلت وقال الأصمعيُّ إنَّما هو أرفلت ومعناه أسبغت وغطَّت، يريد أَسبغت إِزْرَ الحَزْوَرات من الآل.

نَهارُ بن تَوْسِعَةَ

هو نَهارُ بن تَوْسِعَة بن أبي عِتْبان من بكر بن وائل من بني حَنْتَم وكان أشعر بكر بن وائل بخراسان وهو القائل:

أَبِي الإسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إذَا هَتَفُوا بِبَكْرٍ أو تَمِيمِ
دَعِيٌّ القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... فَيُلْحِقَهُ بذي النَّسَبِ الصَّمِيمِ
وما كَرَمٌ ولو شَرُفَتْ جُدُودٌ ... ولكِنَّ التَّقِيَّ هو الكَرِيمُ

وكان هجا قُتَيبة بن مسلم فقال:

أَقُتَيْبَ قد قُلْنا غَدَاةَ لَقِيتَنا ... بَدَلٌ لَعَمْرُكَ من يَزِيدٍ أَعْوَرُ

وقال أيضاً:

كانَتْ خُرَاسانُ أَرْضاً إذ يَزِيدُ بها ... وكُلُّ بابٍ منَ الخَيْرَاتِ مَفْتُوحُ
فَبُدِّلَتْ بَعْدَهُ قِرْداً نُطِيفُ به ... كأَنَّما وَجْهُهُ بالخَلِّ مَنْضُوحُ

فبلغ ذلك وغيره من هجائه قُتَيبة فطلبه فهرب وأتى أمَّ قتيبة فأخذ منها كتاباً إليه في الرضا عنه وترك مؤاخذته بما كان منه فرضي عنه فقال له نهار إنَّ نفسي لا تسكن ولا تطيب حتّى تأمر لي بشيءٍ فإنّي أعلم أنَّك إذا اتَّخذتَ عندي معروفاً لم تكدّره، فأعطاه فقال:

ما كان فيمَنْ كان في الناس قَبْلَنا ... ولا هو فيمَنْ بَعْدَنا كابْنِ مُسْلِمِ

أَشَدَّ على الكُفَّارِ قَتْلاً بسَيْفِهِ   وأَكْثَرَ فينا مَقْسِماً بَعْدَ مَقْسِمِ

فقال له قُتَيبة ألستَ القائل:

أَلَا ذَهَبَ الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنَى   ومات النَّدَى والغَزْوُ بَعْدَ المُهَلَّبِ

فقال له إنَّ الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنَّه الحَشْر وأمر له قتيبة بصلة فأبطأت عنه ولقيه فقال:

ولقَدْ عَلِمْتُ وأَنْتَ تَعْلَمُهُ   أَنَّ العَطاءَ يَشِينُهُ الحَبْسُ

فقال عجِّلوا له الجائزة.

ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتُ

هو عبيد الله بن قيس أحد بني عامر بن لُؤَيّ وإنَّما سُمّي الرقيّات لأنَّه كان يشبّب بثلاث نسوة يقال لهنَّ جميعاً رُقَيّة وهو القائل في مُصْعَب بن الزُّبَير:

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ من اللهِ تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَبَرُوتٌ يُخْشَى ولا كِبْرِياءُ
يَتَّقِي اللهَ في الأُمورِ وقَدْ أفْلَحَ مَنْ كان همَّه الاتِّقاءُ
كَيْفَ نَوْمِي على الفِرَاشِ ولَمَّا تَشْمَلِ الشَّأم غارَةٌ شَعْواءُ

ولَمَّا قُتل مُصْعَب وصار الأمر إلى عبد الملك بن مروان أتى عبيدُ الله بن قيس عبدَالله بن جعفر يستشفع به إليه فقال له عبدالله بن جعفر إذا دخلت معي على عبد الملك فكُلْ أكلاً يستبشعه عبد الملك بن مروان ففعل فقال له من هذا يا ابن جعفر؟ قال هذا أكذب الناس إن قُتل، قال ومن هو؟ قال الذي يقول:

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأَنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلُوكِ فلا تَصْلُحُ إلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ

فقال عبد الملك قد عفونا عنه ولا يأخذ مع المسلمين عطاءً، فكان عبدالله بن جعفر إذا خرج عطاؤُه أعطاه، وكان يمدحه بعد ذلك وهو

القائل فيه:

تَقَدَّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نَحْوَ ابن جَعْفرٍ سَوَاءٌ عَلَيهـا لَيْلُهـا ونَهارُها
ووالله لولا أَنْ تَزُورَ ابنَ جَعْفَرٍ لكـان قَلِيلاً في دِمَشْقَ قَرَارُها
أَتيْنـاكَ نُثْني بالَّـذي أَنـتَ أَهْلُهُ
عَلَيْكَ كما أُثْنَى عَلَى الرَّوْضِ جارُها

وأنشد عبد الملك:

إنَّ الحَوَادِثَ بالَمدِينَـةِ قَـدْ أَوْجَعْنَـني وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَـهْ
وجَبَبْنَني جَـبَّ السَّنـامِ ولم يَتْرُكْنَ رِيشاً في مَناكِبِيَـهْ

فقال له أحسنتَ لولا أنَّك خَنَّثْتَ في قوافيه فقال ما عدوتُ كتاب الله: مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَة. وإنَّما أخذ قوله وقرعن مروتيه من قول أبي ذُؤَيْب:

حتّـى كأنّي للحَواحِـثِ مَرْوَةٌ بصَفَا المُشَرَّقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرعُ

أَيْمَنُ بن خُرَيْم

هو أَيْمَن بن خُرَيم بن فاتك من بني أَسَد وكان أبوه قد صحب النبيَّ ﷺ وروى عنه أحاديث وكان به برصٌ وكان أثيراً عند عبد العزيز بن مروان فعتب عليه أيمنُ يوماً فقال له أنت طَرفٌ مَلُولة، فقال له أنا ملولة وأنا أؤاكلك فلحق ببشر بن مروان فأكرمه واختصَّه ولم يكن يؤاكله فدخل عليه يوماً وبين يديه لبن قد وضع فقال له إنّي حدَّثتُ البارحة نفسي بالصوم، فلمّا أصبحوا أتوني بهذا وهم لا يعلمون ولا أرى أحداً أحقّ به منك فدونكه، وهو القائل:

إنَّ للفِتْنَـــةِ مَيْطـــاً بَيِّنـــاً   فرُوَيْـدَ المَيْطَ منها تَعْتَـدِلْ
فـإذا كــان عَطـاءٌ فأْتِهِمْ   وإذا كــان قِتَــالٌ فاَعْتَزِلْ
إنَّما يَسْعَرُهـــا جُهّالُهـــا   حَطَبَ النّـارِ فدَعْها تَشْتَعِلْ

وقال عبد الملك بن مروان لأَيْمَن بن خُرَيم أنَّ أباك كانت له صحبة ولعمّك فخُذْ هذا المال وانطلقْ فقاتِلِ ابن الزُّبير فأبى وقال:

ولَسْتُ بقاتِـلٍ رَجُـلاً يُصَلِّي   عَلَى سُلْطانِ آخَرَ من قُرَيْشِ
لــه سُلْطانُــهُ وعَلَيَّ وِزْري   مَعـاذَ اللهِ من سَفَهٍ وطَيْشِ
أَأَقْتُــلُ مُسْلِماً وأَعِيشُ حَيّـا   فلَيْسَ بنافِعِي ما عِشْتُ عَيْشِي

وكان غزا مع يحيى بن الحكم فأصاب يحيى جارية برصاءَ

فأهداها له فغضب وقال:

تَرَكْتُ بَنِي مَرْوانَ تَنْدَى أكُفُّهُمْ وصاحَبْتُ يَحْيَى ضِلَّةً من ضَلاَلِيَا
خَلِيلاً إذا ما جِئْتُهُ أو لقيتُهُ يَهِمُّ بشَتْمِي أو يريـدُ قِتَاليـا
فإنَّـكَ لو أَشْبَهْتَ مَرْوانَ لم تَقُلْ لقَوْميَ هُجْراً إذ أتَوْك ولا لِيَـا

وهو القائل:

لَقِيـتُ منَ الغانِيَـاتِ العُجابـا لَوَ ٱدْرَكَ مِنِّي العَذَارَى الشَّبابا
ولكِنَّ جَمْعَ العَذَارَى الحِسانِ عَنـاءٌ شَديـدٌ إذا المَرْءُ شابا
يُرَضْنَ بكُـلِّ عَصَا رائِـضٍ ويُصْبِحْنَ كُـلَّ غَـدَاةٍ صِعابـا
عَـلامَ يُكَحِّلْنَ نُجْـلَ العُيُونِ ويُحْدِثْنَ بَعْدَ الخِضابِ الخِضابا
ويُبْرِقْــنَ إلَّا لِما تَعْلَمُــونَ فلا تَحْرِمُوا الغانِيَاتِ الضِّرابا
يُمِيـتُ العِتـابَ خِلاطُ النِّساءِ ويُحْيِي ٱجْتِنابُ الخِلاطِ العِتابا

وقال له عبد الملك بن مروان حين أنشده هذه الأبيات ما عرف النساءَ أحدٌ معرفتَك.

مِسْكِينٌ الدارميُّ

هو ربيعة بن عامر بن أُنَيف من بني دارم ومِسْكِين لقب وقال:

وسُمِّيتُ مِسْكِيناً وكانَتْ لَجاجَةً ... وإنّي لَمِسْكِينٌ إلى اللهِ راغِبُ

وهو القائل في معاوية:

إِلَيْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَحَلْتُها ... تُثِيرُ القَطَا لَيْلاً وهُنَّ هُجُودُ

عَلَى الطائِرِ المَيْمُونِ والجَدُّ صاعِدٌ ... لِكُلِّ أُناسٍ طائِرٌ وجُدُودُ

إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ خَلَّى مكانَه ... فإنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَزِيدُ

وهو القائل:

وإذا الفاحِشُ لاقَى فاحِشاً ... فهُنَاكُمْ وافَقَ الشَّنُّ الطَّبَقْ

إنَّما الفُحْشُ ومَنْ يَعْتادُهُ ... كَغُرَابِ السَّوْءِ ما شاءَ نَعَقْ

أو حِمارِ السَّوْءِ إنْ أَشْبَعْتَهُ ... رَمَحَ الناسَ وإنْ جاع نَهَقْ

أو غُلامِ السَّوْءِ إن جَوَّعْتَهُ ... سَرَقَ الجارَ وإنْ يُشْبَعْ فَسَقْ

أو كغيْرى رفَعَتْ من ذَيْلِها ... ثُمَّ أَرْخَتْهُ ضِراراً فَانْمَزَقْ

أَيُّها السائلُ عن مَنْ قد مَضَى ... هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسٍ خَلَقْ

ولا عقب لمسكين وهو القائل:

نارِي ونارُ الجارِ واحِدَةٌ ... وإلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جاراً لي أُجاوِرُهُ ... أَلَّا يَكُونَ لِبابِهِ سِتْرُ

أَعْمَى إذا ما جارَتِي بَرَزَتْ ... حَتَّى يُغَيِّبَ جارَتِي الخِدْرُ

عُمَرُ بن أبي رَبِيعَةَ

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ من عمر بن مخزوم ويكنى أبا الخَطَّاب وأبو جَهْل بن هشام بن المغيرة ابن عمّ أبيه وأمُّ عمر بن الخطَّاب حَنْتَمَة بنت هاشم بن المغيرة ابنة عمّ أبيه وكان أبوه عبد الله يلقَّب بَجيراً وأخوه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يلقَّب القُبَاعَ، وذلك أنَّه أحدث مكيالاً يلقَّب القُبَاع في ولايته بالبصرة فلقّب به وفيه يقول الفَرَزْدَقُ:

أحارِثُ داري مَرَّتَيْنِ هَدَمْتَها ... وأَنْتَ ابنُ أُختٍ لا تُخافُ غَوَائِلُهْ

وله أخ آخر يقال له عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي ربيعة كان أحول وتزوَّج أمَّ كُلْثُوم بنت أبي بكر بعد موت طلْحة فولدت له وللحارث عَقِبٌ ولا عقِب لعمر، وكانت أمُّه نصرانية وهي أمُّ إخوته وكان عمر فاسقاً يتعرَّض للنساءِ الحواجّ في الطواف وغيره من مشاعر الحجّ ويشبّب بهنَّ فسيَّره عمر بن عبد العزيز إلى الدَّهْلَك ثم خُتِم له بالشهادة؛ قال عبد الله بن عمر فاز عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة غزا في البحر فأحرقوا سفينته فاحترق وكان يشبّب بسُكَيْنة وفيها يقول كذباً عليها:

قالَتْ سُكَيْنَةُ والدُّمُوعُ ذَوَارِفٌ ... مِنْها على الخَدَّيْنِ والجِلْبابِ

لَيْتَ المُغِيرِيَّ الَّذي لم نَجْزِهِ ... فيما أطالَ تَصَيُّدِي وطِلَابِي

كانَتْ تَرُدُّ لنا المُنَى أيَّامَهُ ... إذْ لا يُلامُ على هَوًى وتَصابِي

خُبِّرْتُ ما قالَتْ فبِتُّ كأنَّما يُرْمَى الحَشَا بنوَافِذِ النُّشَّابِ
أسُكَيْنَ ما ماءُ الفُرَاتِ وطِيبُهُ مِنَّا على ظَمَأٍ وحُبِّ شَرَابِ
بألَذَّ مِنْكِ وإنْ نَأَيْتِ وقَلَّما تَرْعَى النِّساءُ أمانَةَ الغُيَّابِ

وشبَّب بابنة لعبد الملك بن مروان وهي حاجَّة ولها يقول:

اِفْعَلِي بالأسِيرِ إحْدَى ثَلاثٍ وآفْهَمِيهِنَّ ثُمَّ رُدِّي جَوَابِي
اقْتُلِيهِ قَتْلاً سَرِيحاً مُرِيحاً لا تَكُونِي عَلَيْهِ سَوْطَ عَذابِ
أو أقِيدِي فإنَّما النَّفْسُ بالنَّفْسِ قَضاءً مُفَصَّلاً في الكتابِ
أو صِلِيهِ وَصْلاً يَقِرُّ عليه إنَّ شَرَّ الوِصَالِ وَصْلُ الكِذابِ

في أبيات كثيرة، فأعطت الَّذي أتاها بالشعر لكلّ بيت عشرة دنانير، والتقى عمر بن أبي ربيعة وجَمِيل فتناشدا فأنشده عمر بن أبي ربيعة:

ولَمّا تَوَافَيْنا عَلِمْتُ الَّذي بها كمِثْلِ الَّذي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فقالَتْ وأَرْخَتْ جانِبَ السِّتْرِ إنَّما مَعِي فتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فقُلْتُ لها ما بي لَهُمْ من تَرَقُّبٍ ولكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

يقول لا يصلح أن يحمله غيري، ومثله في الكلام هذا الأمر لا يحمله حامل مثلي، فاستخذى جميل وصاح هذا والله ما أرادته الشعراءُ، فأخطأته وتعلَّلت بوصف الديار، ويُستحسَن له قوله في المساعدة:

وخِلٍّ كُنْتُ عَيْنَ النُّصحِ منه إذا نَظَرَتْ ومُسْتَمِعاً سَمِيعا
أَطافَ بَغيَّةٍ فنَهَيْتُ عنها وقُلْتُ له أَرَى أَمْراً شَنِيعا

أَرَدْتُ رَشَادَهُ جُهْدِي فلمَّا أَبَى وعَصَى أَتَيْناها جَمِيعا

ويُستحسَن له قوله في نحول البَدَن:

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

قَلِيلاً عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ شَخْصُهُ خَلا ما نَبَا عنه الرِّداءُ المُحَبَّرُ

وأحسن منه قول المجنون في نحول البدن:

أَلَا إنَّما غادَرْتِ يا أُمَّ مالِكٍ صَدًى أَيْنَما تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ

وممّن أفرط في هذا المعنى رجل من الأعراب قال:

ولَوْ أَنَّ ما أَبْقَيْتِ مِنّي مُعَلَّقٌ بعُودِ ثُمَامٍ ما تَأَوَّدَ عُودُها

ونحوه قول عُبَيد بن أَيُّوب العَنْبَريّ وذكر ناقته:

حَمَلْتُ عَلَيْها ما لَوَ انَّ حَمَامَةً تُحَمَّلُهُ طارَتْ به في الجَفَاجِفِ

رُحَيْلاً وأَقْطاعاً وأَعْظُمَ وامِقٍ بَرَى جِسْمَهُ طُولُ السُّرَى والمَخَاوِفِ

ويُستحسنَ لعمر قوله:

إنَّ لي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةِ رَيْحا نِ منَ الجُلِّ أو منَ الياسَمِينا

اِلْتِفاتاً ورَوْعَةً لَكِ أَرْجُو أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ فيما يَلِينا

وحجّ عبد الملك بن مروان فلقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة فقال له عبد الملك يا فاسق، قال بئسَتْ تحيَّة ابن العمّ على طول الشحط، قال يا فاسق أَمَا إنَّ قُريشاً لتعلم أنَّك أطولُها صَبْوة وأبطأها تَوْبة ألستَ القائل:

ولَوْلا أَنْ تُعَنِّفَنِي قُرَيْشٌ مَقَالَ الناصِحِ الأَدْنَى الشَّفِيقِ

لَقُلْتُ إذا الْتَقَيْنا قَبِّلِينِي ولَوْ كُنَّا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

وكان أخوه الحارث خيّراً عفيفاً فعاتبه يوماً من الأيّام قال عمر وكنتُ يومئذ على ميعاد من الثُّرَيَّا قال فرحتُ إلى المسجد مع المغرب وجاءت الثريّا للمبعاد فتجدُ الحارث مستلقياً على فراشه فألقت بنفسها عليه وهي لا تشكُّ أنّي هو فوثب وقال من أنت فقيل له الثريّا فقال ما أرى عمر انتفع بعظتنا قال وجئتُ للميعاد ولا أعلمُ بما كان فأقبل عليَّ وقال ويلك كِدْنا والله نُفْتَن بعدك لا والله إن شعرت إلّا وصاحبتك واقعة عليَّ فقلت لا تمسُّك النار بعدها أبداً فقال عليك لعنة الله وعليها ، فلمّا تزوَّج سُهَيل بن عبد الرحمان بن عوف الثريّا قال عمر:

أَيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَجْتَمِعانِ
هِيَ شَأْمِيَّةٌ إذا ما استَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا استَقَلَّ يَمان

الأُقَيْشِرُ

هو المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْركة ابن الياس بن مضر وكان يغضب إذا قيل له الأُقَيْشِر، فمَّر ذات يوم بقوم من بني عَبْس فقال له بعضهم يا أقيشر، فنظر إليه ساعة وهو مغضب ثم قال:

أَتَدْعُونِي الأُقَيْشِرَ ذلك آسْمِي ... وأَدْعُوكَ ابنَ مُطْفِئَةِ السِّرَاج

تُنَاجِي خِدْنَهَا باللَّيْلِ سِرًّا ... وربُّ الناسِ يَعْلَمُ ما تُنَاجِي

فسمّى الرجل ابن مُطْفِئَةِ السِّرَاجِ وولده يُنْسَبُون إلى ذلك إلى اليوم، ومرَّ بَمطَر بن ناجية اليَرْبُوعي حين غلب على الكوفة أيّام الضحّاك بن قيس الشاري ومطرٌ على المنبر يخطب الناس فقال:

أَبَني تَمِيمٍ ما لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ ... لا يَسْتَقِرُّ قُعُودُهُ يَتَمَرْمَرُ

إنَّ المَنَابِرَ أَنْكَرَتْ أَسْتَاهَكُمْ ... فَادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرَّ المِنْبَرُ

خَلَعُوا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وبايَعُوا ... مَطَراً لَعَمْرُكَ بَيْعَةً لا تَظْهَرُ

وآسْتَخْلَفُوا مَطَراً فكان كَقَائِلٍ ... بَدَلٌ لَعَمْرُكَ من يَزِيدٍ أَعْوَرُ

فبلغ ذلك جَرير بن الخَطَفَى فأَتى بني أَسَد فقال أما والله لولا الرحم ما اجترأ خليعُكم عليَّ فاستكفُّوه، فأخذوا الأُقيشر فضربوه فانصرف عنهم جرير ودسَّ إلى الاقيشر رجلاً فقال له إنّي جئتُ لأَهجو قومك وتهجو قومي، قال وممَّن أنت قال من تميم، فقال الأُقيشر:

لا أَسَداً أَسُبُّ ولا تَمِيماً　　وكَيفَ يَحِلُّ سَبُّ الأَكْرَمِينا
ولكِنَّ التَّقارضَ حَلَّ بَيْني　　وبَيْنَكَ يآبنَ مُضْرِطَةِ العَجِينا

فسُمي ذلك الرجل ابن مُضْرِطة العجين، وكان الأقيشر صاحب شراب فأخذه الأعوان بالكوفة وقالوا شارب خمر، فقال لست شارب خمر ولكنّي أكلت سفرجلاً وأنشأ يقول:

يَقُولُونَ لي إنْكَهْ شَرِبْتَ مُدَامَةً　　فقُلْتُ لهم لا بَلْ أَكَلْتُ سَفَرْجَلا

وهو القائل:

أَفْنَى تِلاَدِي وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ　　قَرْعُ القَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ الأَبارِيقِ
كأَنَّهُنَّ وأَيْدِي القَوْمِ مُعْمَلَةٌ　　إذا تَلأْلأْنَ في أَيْدي الغَرَانِيقِ
بَنَاتُ ماءٍ مَعاً بِيضٌ جَنَاجِنُها　　حُمْرٌ مَنَاقِيرُها صُفْرُ الحَمَالِيقِ
هِيَ اللَّذَاذَةُ ما لم تأْتِ مَنْقَصَةً　　أو تَرْمِ فيها بسَهْمٍ ساقِطِ الفُوقِ

وهو القائل:

وصَهْباءَ جُرْجانِيَّةٍ لم يَطُفْ بها　　حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعَةً قِدْرُ
أَتاني بها يَحْيَى وقد نِمْتُ نَوْمَةً　　وقد غارَتِ الشِّعْرى وقد خَفَقَ النَّسْرُ
فقُلْتُ آغْتَبِقْها أو لغَيْرِي فأَهْدِها　　فما أنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْبَكَ والخَمْرُ
إذا المَرْءُ وَفَّى الأربعين ولم يَكُنْ　　له دُونَ ما يأْتِي حَيَاءٌ ولا سِتْرُ
فدَعْهُ ولا تَنْفَسْ عليه الذي أَتَى　　وإنْ جَرَّ أَرْسَانَ الحَيَاةِ له الدَّهْرُ

وكان له جار صالح يقال له يحيى فقال له يا فاسِقُ وأنا جئتُك بها فقال يرحمك الله ما أكثر يحيى في الناس.

المَجْنُونُ

هو قَيْس بن مُعاذ ويقال قيس بن الملوَّح أحد بني جَعْدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة. ويقال بل هو من بني عُقَيل بن كعب بن ربيعة ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدَّة عشقه، وكان الأصمعيُّ يقول لم يكن مجنوناً ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حَيَّة وهو من أشعر الناس على أنَّهم قد نحلوه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره كقول أبي صخر الهُذَلي:

أَمَا والَّذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والَّذي ... أَماتَ وأَحْيَا والَّذي أَمْرُهُ الأَمْرُ
لقَدْ تَرَكَتْني أَحْسِدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَليفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُما النَّفْرُ
فيا هَجْرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي المَدَى ... وزِدْتَ على ما لم يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ
ويا حُبَّها زِدْني جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
وَصَلْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لا يَعْرِفُ القِلى ... وزُرْتُكِ حَتَّى قُلْتِ لَيْسَ له صَبْرُ
إذا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِها ... كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ
عَجِبْتُ لسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْني وبَيْنَها ... فلَمَّا انقَضَى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ

وكقول أبي بكر بن عبد الرحمان بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة:

بَيْنَما نَحْنُ من بَلَاكِثَ بالقا ... عِ سِراعاً والعِيسُ تَهْوِي هُوِيّا
خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القلبِ من ذِكْراك وَهْناً فما استَطَعْتُ مُضِيّا

قُلْتُ لَبَّيْكِ إذ دَعَاني لَكِ الشَّوْ ... قُ وللحادِيَيْن كُرَّا المَطِيَّـــا

وكان المجنون ولَيْلَى صاحبته يرعيان البُهْم وهما صبيّانِ فعَلِقَها علاقة الصِّبا وفي ذلك يقول:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهْيَ غِرٌّ صَغِيرَةٌ ... ولم يَبْدُ للأَتْراب من ثَدْيِهاحَجْمُ

صَبِيَّـانِ نَرْعَى البُهْمَ يا لَيْتَ أَنَّنا ... إلى اليَوْمِ لم نَكْبَرْ ولم يَكْبَرِ البُهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدَّث في ناس من قومه وكان جميلاً ظريفاً راوية للأشعار حلو الحديث، فكانت تعرض عنه وتُقبل على غيره بالحديث حتّى شقَّ ذلك عليه وعرفته منه فأقبلت عليه فقالت:

كِلَانـا مُظْهِرٌ للنـاس بُغْضاً ... وكُـلٌّ عنـد صاحِبِهِ مَكِينُ

ثم تمادى به الأمر حتّى ذهب عقله وهام مع الوحش فكان لا يلبس ثوباً إلّا خرَّقه ولا يعقل شيئاً إلّا أن تُذكر له لَيْلَى فإذا ذُكرت ثاب وتحدَّث عنها لا يسقط حرفاً فسعى عليهم نَوْفَل بن مساحِق فنزل مجمعاً من تلك المجامع فرآه عرياناً يلعب بالتراب فكساه ثوباً فقال له قائل وهل تدري مَن هذا أصلحك الله، قال لا، قال هذا المجنون قيس ابن الملوَّح ما يلبس الثياب ولا يريدها، فدعا به فكلّمه فجعل يجيبه عن غير ما يكلّمه به فقالوا له إن أردتَ أن يكلّمك كلاماً صحيحاً فاذكرْ له ليلى وسَلْه عن حبّه لها؛ ففعل فأقبل عليه المجنون يحدّثه بحديثها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل الحبُّ صيَّرك إلى ما أرى، قال نعم وسينتهي بي إلى أشدَّ ممَّا ترى قال أتحبُّ أن أزوّجكها؟ قال نعم، وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال انطلق معي حتّى أقدم بك عليها فأخطبها لك وأُرغب لك في المهر. قال أفتراك فاعلاً؟ قال نعم، قال انظر ما

تقول، قال عليَّ أن أفعل بك ذلك فارتحل معه، ودعا له بثياب فلبسها المجنون وراح معه كأصحّ أصحابه يحدّثه وينشده، فبلغ ذلك قومها فتلقَّوه بالسلاح، وقالوا له والله يا ابن مساحق لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت وقد هَدَرَ السلطان دمَه فأقبل بهم وأدبر فأبوا فلمّا رأى ذلك قال للمجنون انصرِفْ، قال المجنون والله ما وفيتَ بالعهد، قال انصرافك أيسر عليَّ من سفك الدماءِ فانصرف، وفي ذلك يقول:

يـا صاحِبَيَّ أَلِمَّا بي بمَنْزِلَـةٍ ... قـد مَرَّ حِينٌ عَلَيْها أَيَّما حين

في كُـلِّ مَنْزِلَـةٍ دِيوَانُ مَعْرِفَةٍ ... لم يُبْـقِ باقِيَةً ذِكْرُ الدَّوَاوينِ

إنِّي أَرَى رَجَعاتِ الحُبِّ تَقْتُلُني ... وكان في بَدْئِها ما كان يَكْفِيني

أَلْقَى منَ اليأْسِ تاراتٍ فتَقْتُلُني ... وللرَّجـــاءِ بَشاشاتٍ فتُحْيِيني

وفي رجوع عقله عند ذكرها يقول:

يا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخُلِّسَ عَقْلُهُ ... فأَصْبَحَ مَذْهُوباً به كُلَّ مَذْهَبِ

خَلِيعاً منَ الإِخْوان إلَّا مُعَذِّراً ... يُضاحِكُني مَنْ كان يَهْوَى تَجَنُّبي

إذا ذُكِرَت لَيْلَى عَقَلْتُ وراجَعَتْ ... رَوائِعُ عَقْلي مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبِ

وقالوا صَحِيحٌ ما به طَيْفُ جِنَّةٍ ... ولا لَمَمٍ إلَّا افـتراءُ التَّكَذُّبِ

وخرج رجل من بني مُرَّة إلى ناحية الشأم والحجاز ممّا يلي تَيْماءَ والسَّرَاة بأرض نجد في بغية له فإذا هو بخيمة قد رُفعت له عظيمـة وقد أصابه المطر فعدل إليها فتنحنح فإذا امرأة قد كلَّمته فقالت انزلْ،قال فنزلتُ وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم كثرة ورعاة فقالت سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل، فقلت من ناحية تهامة ونجد فقالت يا عبد الله أيَّ بلاد نجد وطئتَ؟ فقلتُ كلَّها قالت بمَنْ نزلتَ

هناك فقلت ببني عامر فتنفَّست الصعداءَ ثم قالت بأيّ بني عامر فقلت ببني الحَرِيش فاستعبرت ثم قالت هل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له قيس يلقَّب بالمجنون فقلتُ أي والله نزلتُ بأبيه وأتيته ونظرت إليه قالت فما حاله؟ قلتُ يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلّا أن تُذكر له ليلى فيبكي وينشد أشعاراً يقولها فيها قال فرفعت الستر بيني وبينها فإذا شقَّة قمر لم تر عيني مثلها قطُّ فبكت وانتحبت حتَّى ظننتُ والله أن قلبها قد انصدع فقلتُ أيَّتُها المرأة أما تتَّقين الله فوالله ما قلتُ بأساً فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاءِ والنحيب ثم قالت:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي والخُطُوبُ كَثِيرةٌ ... مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌ فراجعُ
بِنَفْسِيَ مَنْ لا يَسْتَقِلُّ برَحْلِهِ ... ومَنْ هُوَ إِنْ لم يَحْفَظِ اللهُ ضائِعُ

ثم بكت حتَّى غُشِي عليها، فلّما أفاقت قلتُ ومَن أنتِ يا أَمَةَ الله؟ قالت أنا لَيْلَى المشؤومة عليه غير المؤاسية له فما رأيتُ مثل حزنها عليه وجزعها ولا مثل وجدها، وكان أبو المجنون ورهطه أتوا أبا ليلى وأهلها وسألوهم بالرحم وعطفوا عليهم وأخبروهم بما ابتُلِي به فأَبَى أبو ليلى وحلف أَلَّا يزوّجها إيّاه أبداً فقال الناس لأبي المجنون لو خرجتَ به إلى مكَّة فعاذ بالبيت ودعا الله رجونا أن ينساها أو يعافيه الله ممّا ابتُلِي به فحجَّ فبينما هو يمشي بمِنًى وأبوه معه قد أخذ بيده يريد الجمار نادى منادٍ من تلك الخيام يا ليلى فخرَّ مغشيًّا عليه واجتمع عليه الناس وضجُّوا ونضحوا عليه من الماءِ وأبوه يبكي عند رأسه ثم أفاق وهو مصفرٌّ لونه متغيّرٌ حاله فأنشأ يقول:

وداعٍ دَعَا إذ نَحْنُ بالخَيْفِ من مِنًى ... فهَيَّجَ أَحْزانَ الفُؤَادِ وما يَدْرِي

دعا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرِها فكأَنَّما أَطارَ بلَيْلَى طائِراً كان في صَدْرِي

حكى الهَيْثَم بن عَدِيّ عن أبي مِسْكين قال خرج منّا فتًى حتَّى إذا كان ببئر مَيْمُون إذا جماعة على جبل من تلك الجبال وإذا بينهم فتى قد تعلَّقوا به مديد القامة طوال أبيض جعد الشعر أعين أحسن مَن رأيتُ من الرجال وإذا هو مصفرٌّ مهزول شاحب اللون، قال فسألتُ عنه فقالوا هذا قيس الذي يقال له المجنون خرج به أبوه الملوَّح حين ابتُلى بما ابتُلي به إلى الحرم مستجيراً بالبيت لعلَّ الله أن يفرج عنه ومن رأيه أن يستجير بقبر النبيّ ﷺ فقلتُ ما يصنع هاهنا وما لكم تمسكونه قالوا لما يصنع بنفسه فإنَّه يصنع بها صنيعاً يرحمه منه عدوّه ويقول أخرجوني أتنسَّم صبا نجد فنخرجه إلى هاهنا فيستقبل بلاد نجد عسى أن تهبَّ له الصبا ونكره أن نخلّي سبيله فيرمي بنفسه من الجبل فلو شئتَ دنوتَ منه فأعلمتَه أنَّك قدمتَ من نجد فيسألك عنها وعن بلاده فتخبره، فقلتُ افعل، فقالوا يا أبا المهديّ هذا رجل قدم من بلاد نجد فتنفَّس تنفُّساً ظننتُ أنَّ كبده قد انصدعت ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضع موضع وأنا أصف (ذلك) له وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ وأوجعه للقلب ثم قال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عن عُوارِضَتَيْ قَنَى لِطُولِ اللَّيالِي هَلْ تَغَيَّرَتا بعْدِي

ومن عُلْوِيَّاتِ الرِّياحِ إذا جَرَتْ بريحِ الخُزَامَى هَلْ تَهُبُّ عَلَى نَجْدِ

وعن أُقْحُوَانِ الرَّمْلِ ما هُوَ فاعِلٌ إذا هُوَ أَسْرَى لَيْلَةٍ بِثَرَى جَعْدِ

وهَلْ تَنْفُضَنَّ الرِّيحُ أَفْنانَ لُمَّتِي على لاحِقِ الرِّجْلَيْنِ مُنْدَلِقِ الوَخْدِ

وهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ تُطالِعُ من وَهْدٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ

وفي وجهه هذا يقول:

دَعَا الْمُحْرِمُونَ اللهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ   بِمَكَّةَ لَيْلًا أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُها
ونادَيْتُ يا رَبَّاهُ أَوَّلُ سالَتِي   لنَفْسِي للَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُها
فإنْ أُعْطَ لَيْلَى في حَيَاتِيَ لا يَتُبْ   إلى اللهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لا أَتُوبُها

وخرج شيخ من بني مُرَّة إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون قال فدُللتُ على خيمة فأتيتُها فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال وإذا نِعَمٌ ظاهرة وخير كثير فسألتُهم عن المجنون فاستعبروا جميعاً وبكوا وقال الشيخ والله لهو كان آثر هؤلاء عندي وإنّه عشق امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله فلمّا أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوّجه إيّاها بعد ظهور الخبر فزوَّجها من رجل آخر فجُنَّ ابني وجداً عليها وصبابة بها فحبسناه وقيَّدناه فكان يعضُّ لسانه وشفتيه حتَّى خشينا أن يقطعها فلمّا رأينا ذلك خلَّينا سبيله فهو في هذه الفيافي مع الوحش يُذْهَبُ في كلّ يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه فإذا تنحَّوا عنه جاءَ فأكل وإذا أخلقت ثيابه أتوه بثياب فيلقونها حيث يراها وينتحَّون عنه فإذا رآها أتاها فألقى ما عليه ثم لبسها،قال فسألتُهم أن يدلُّوني عليه لآتيه فدلُّوني على فتى من الحيّ وقالوا لم يزل صديقه وليس يأنس بأحد إلّا به فهو يأخذ أشعاره فيأتينا بها فأتيتُه فسألتُه أن يدلَّني على ما أَحتالُ به للدنوّ منه فقال إن كنت تريد شعره فكلُّ شعر قاله إلى أمس فهو عندي وأنا أذهب غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُك به قال فقلت له لا بل تدلُّني عليه فآتيه فقال إن نفر منك تخوَّفتُ أن ينفر منّي فيذهب شعره،قال فأبيتُ إلّا أن يدلَّني عليه فقال نعم اطلْبه فى هذه الصحارى فإذا رأيتَه فادنُ منه متسأنساً ولا تظهر النفار منه

فإنَّه يتهدَّدك ويتوعَّدك وبالحري أن يرميك بشيءٍ إن كان بيده واجلس كأنَّك لا تنظر إليه والحظْه ببصرك فإذا رأيتَه قد سكن أو عبث بيده فأنشدْه شعراً إن كنتَ تروي لقيس بن ذَرِيح شيئاً فإنَّه يُعجب به، قال فخرجتُ أدور يومي فما رأيتُه إلّا بعد العصر جالساً على قَوْز من رمل قد خطَّ بإصبعه فيه خطوطاً فدنوتُ منه غير منقبض منه فنفر والله منّي كما تنفر الوحش إذا نظرت إلى الأنس وإلى جانبه أحجار ململمة فتناول واحداً منها فأقبلتُ حتّى جلست إليه ومكث ساعة وكأنَّه الشيءُ النافر المتهيّىء للقيام فلمّا طال جلوسي سكن وأقبل يعبث بأصابعه فنظرتُ إليه فقلتُ أحسن والله قيس بن ذَريح حيث يقول:

وإنّي لَمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنَيَّ بالبُكا ... حِذارَ الَّذي لَمَّا يَكُنْ وَهْوَ كائِنُ
وقالوا غَـدًا أو بَعْدَ ذاكَ بلَيْلَةٍ ... فِراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وَهْوَ بائِنُ
وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي ... بكَفَّيَّ إلاَّ أَنَّ مَنْ حان حائِنُ

فبكى طويلاً ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول:

وأَدْنَيْتِنِي إذا مـــا سَبَيْتِني ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَباطِحِ
تجافَيْتِ عَنّي حِينَ لالِيَ حِيلَةٌ ... وخَلَّيْتِ ما خَلَّيْتِ بَيْنَ الجَوانِحِ

ثم عنَّت له ظباءٌ فوثب في طلبها فانصرفتُ ثم عُدتُ من الغد فلم أصبه فرجعتُ فأخبرتُهم فوجَّهوا الذي كان يذهب بطعامه فأخبرهم أنَّه على حاله لم يأكل منه شيئاً ثم عدتُ اليوم الثالث فلم أصبه ونظرتُ إلى طعامه فإذا هو على حاله ثم غدوت بعد ذلك وغدا إخوته وأهل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فما أصبناه فلمّا أصبحنا أشرفنا على وادٍ كثير

الحجارة فإذا هو ميّت بينها فاحتملوه ودفنوه، وللمجنون عقب بنجد ولم يقل أحد من الشعراء في معنى قوله:

وأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إذا ما سَبَيْتِنِي

شيئاً هو أحسن منه ونحوه قول ابن الأحنف:

أَشْكُو الَّـذِينَ أَذاقُونِي مَحَبَّتَهُمْ   حتَّى إذا أَيْقظُونِي بالهوى رَقَدُوا

ومن (جيّد) شعره ويقال إنه منحول:

إنَّ التي زَعَمَتْ فُؤَادُكَ مَلَّها   خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوًى لَّها
فَإذا وَجَدْتَ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ   شَفَعَ الضَّمِيرُ إلى الفُؤَادِ فسَلَّها
بَيْضاءُ باكَرَها النَّعِيم فصاغَهَا   بلَبَاقَــةٍ فأَدَقَّهــا وأَجلَّهــا
إنِّي لأَكْتُمُ في الحَشَا من حُبِّها   وَجْداً لَوْ أَصْبَحَ فَوْقَها لأَظَلَّها
ويَبِيتُ تَحْتَ جَوانِحِي حُبٌّ لها   لو كـان تَحْتَ فِرَاشِها لأَقَـلَّها
ضَنَّـتْ بنائِلِها فقُلْتُ لِصاحِبِي   مـا كـان أَكْثَرَهـا لَنـا وأَقَلَّها

ومن شعره الجَيِّد قوله:

وخَبَّرْتُماني أَنَّ تَيْمَــاءَ مَنْزِلٌ   لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَاسِيَا
فهذي شُهُورُ الصَّيْفِ أَمْسَتْ قد انْقَضَتْ   فما للنَّوَى تَرْمِي بلَيْـلى المَرَامِيَـا
ولَوْ كَـان واشٍ باليَمَامَـةِ دارُهُ   وداري بأَعْلَى حَضْرَ مَوْتِ اهْتَدَى لِيا
إذا ما جَلَسْنا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّهُ   تَوَاصَوْا بنـا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِيَا
ومـاذا لهم لا أَكْثَرَ اللهُ حَظَّهُمْ   من الحَظِّ في تَصْرِيمِ لَيْلَى حِبالِيَا

وفيها يقول:

وإنّي لأَستَنْشِي وما بِيَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ خيَالاً مِنْكِ يَلْقى خيَالِيَا
وأَخْرُجُ من بَيْنِ الجُلُوسِ لَعَلَّني أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ في السِّرِّ خَالِيَا

هذا مثل قول ذي الرُّمة:

أُحِبُّ المَكَانَ القَفْرَ من أَجْلِ أَنَّني بـه أَتَغَنَّى بِاَسْمِها غَيْرَ مُعْجَمِ

ومّا نُحل:

يا حبَّذَا عمَلُ الشَّيْطانِ من عَمَلٍ إنْ كان من عَمَلِ الشَّيْطانِ حُبِّيهَا

العَرْجِيُّ

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكان ينزل بموضع قِبَلَ الطائف يقال له العَرْج فنُسب إليه وهو أشعر بني أميَّة وكان يهجو إبراهيم بن هشام المخزوميَّ فأخذه فحبسه، وهو القائل في السجن:

كأنّي لم أكُنْ فِيهِمْ وَسِيطـاً ... ولم تَـكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرو

أَضَاعُونِي وأَيَّ فَتًـى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَــةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ

ومرَّ رجلان من قُريش بعَرْج الطائف وبه العَرْجيُّ فاستتر منهما وأمر غلمانه فأقروهما بشيء من لبن وأقراص وألقوا لبعيريهما حمضاً فلم يلبثا إلاّ يسيراً حتّى أتى ابن لَوْذان مولى معاوية وغيره على حمير فلمّا علم بهم العرجيُّ ظهر ودعا لهم بالقسب والجلجلان فقال أحد القُرشيّين:

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثم عَرَّجَتْ ... على رَجُلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ من كَلْبِ

جَلَسْنا طَوِيلاً ثم جاءَ بصَرْبَةٍ ... على قُرْصِ دُخْنٍ مِثْلِ كِرْكِرَةِ السَّقْبِ

فأمّا بَعِيرَانا فبالحَمْضِ غُذِّيَا ... وأُوثِرَ أَعْيارُ ابن لَوْذانَ بالقَضْبِ

جَعَلْتَ خِيَارَ الناسِ دُونَ شِرَارِهِم ... وآثَرْتَهُمْ بالجُلْجُلَانِ وبالقَسْبِ

وممّا يُستجاد له قوله:

سَمَّيْتَنِي خَلَقـاً لخُلَّـةٍ قَدُمَـتْ ... ولا جَدِيـدَ إذا لم يُلْبَسِ الخَلَقُ

يا أَيُّها المَتَحَلِّي غَيْرَ شيمَته ومن سَجيَّته الإكْثارُ والمَلَقُ
اِرْجَعْ إلى خُلْقِكَ المَعْرُوفِ دَيْدَنُـهُ إنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

وهو القائل:

هَلْ في آدِّكارِ الحَبِيبِ مِن حَرَجِ أَمْ هَلْ لِهَمِّ الفُؤَادِ من فَرجِ
أَمْ كَيْفَ أَنْسَى مَسِيرَنا حُرُماً يَوْمَ حَلَلْنا بالنَّخْلِ من أَمَجِ
يَوْمَ يَقُولُ الرَّسُولُ قد أَذِنَتْ فأْتِ على غَيْرِ رِقْبَةٍ فلِجِ
أَقْبَلْتُ أَهْوِي إلَى رِحالِهِمُ أُهْدَى إليها برِيحِها الأَرِجِ

ويقال هو لجعفر بن الزُّبير.

مُوسَى شَهَوَاتٍ

هو موسى وكان يلقَّب شَهَواتٍ لأَنَّ عبد الله بن جعفر كان يتشهّى عليه الأشياءَ فيشتريها له موسى ويتربّح عليه وهو مولى بني سَهْم وأصله من آذربيجان، وذكر أبو اليَقَظَان عن جُوَيرية قال ليس بالمدينة شاعر من الموالي إلّا وأصلُه من آذربيجان ثم عدَّ إسماعيل بن يَسَار وأخاه وموسى شهوات وأبا العبّاس وكان فيه تخنيث. وهوى أمة من إماء المدينة فأتى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان فشكا إليه حبَّها وسأله شراءها له فاعتلَّ عليه فأتى سعيد بن خالد بن أُسيد فشكا إليه فأمر له بثمنها وزاده مائة دينار لجهازها وكسوتها فقال فيه شعراً:

سَعِيدَ النَّدى أَعْنِي سَعِيدَ بن خالدِ ... أَخَا العُرْفِ لا أَعْني ابنَ بِنْتِ سَعِيدِ
ولكِنَّني أَعْنِي ابنَ عائِشَةَ الَّذِي ... كِلَا أَبَوَيْهِ خالِدُ بنُ أُسِيدِ
عَقِيدَ النَّدَى ما عاش يَرْضَى به النَّدَى ... فَإِنْ ماتَ لم يَرْضَ النَّدَى بعَقِيدِ

وأُمُّ خالد هذا عائشة بنت خَلَف الخُزاعيَّة أخت طَلْحَة الطَّلَحات لأُمه وهو القائل:

لَيْسَ فيما بَدَا لنا مِنْكَ عَيْبٌ ... عابَهُ الناسُ غَيْرَ أَنَّكَ فانِي
أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لا بَقَاءَ للإِنْسَان

عُرْوَةُ بن أُذَيْنَةَ

هو من بني لَيْث وكان شَريفاً ثَبْتاً يُحْمَل عنه الحديثُ، ووفدِ على هشام بن عبد الملك فقال له ألستَ القائل:

لَقَدْ عَلِمْتُ فما الإسْرافُ في طَمَعِي أَنَّ الَّذي هو رِزْقِي سَوْفَ يأْتِينِي
أَسْعَى لـه فيُعَنِّينِي تَطَلُّبُـهُ ولو قَعَدْتُ أَتَاني لا يُعَنِّينِي

قال نعم قال فما أقدمك علينا، قال سأنظر في أمري وخرج من فوره ذلك فانصرف فأُخبر بذلك هشام فأتبعه جائزته، وهو القائل:

قالَتْ وأَبْثَثْتُها وَجْدِي فبُحْتُ به قد كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فاسْتَتِرِ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فقُلْتُ لها غَطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي

ووقفت عليه امرأة فقالت أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول:

إذا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ في كَبِدِي عَمَدْتُ نَحْوَ سِقاءِ القَوْمِ أَبْتَرِدُ
هـذا بَرَدْتُ بَبْرْدِ الماء ظاهِرَهُ فمَنْ لنار على الأَحْشاء تَتَّقِدُ

لا والله ما قال هذا رجل صالح قطُّ، وحدثني سَهْل بن محمَّد عن الأصمعيّ قال كان عروة بن أذينة ثقة ثبتاً يروي عنه مالك بن أنس الفقه، قال قَلُّوص وعروة هو القائل:

يـا دِيَـارَ الحَيِّ بالأَجَمَـهْ لم تُبَيِّنْ دارُهـا كَلِمَـهْ

الشعر له وهو وضع لحنه.

الكُمَيْتُ

هو الكميت بن زيد من بني أسد ويكنى أبا المُسْتَهِلّ وكان معلّماً وحدثنا سهل عن الأصمعي عن خَلَف الأحمر قال رأيتُ الكميت بالكوفة في مسجد يعلّم الصبيان وكان أصمَّ أَصْلَخَ (أصلع) لا يسمع شيئاً، وكان بينه وبين الطِّرِمّاح من المودَّة والمخالطة ما لم يَكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي، لأَنَّ الكميت كان رافضيًّا وكان الطرمّاح خارجيًّا صُفْريًّا، وكان الكميت عَدْنانيًّا عَصَبيًّا، وكان الطرمّاح قحطانيًّا عصبيًّا، وكان الكميت متعصباً لأهل الكوفة، وكان الطرمّاح يتعصَّب لأهل الشأم، وكان الكميت شديد التكلُّف في الشعر كثير السرقة، قال امرؤ القيس بن عابس الكنديُّ وكانت له صحبة:

قِفْ بالدِّيارِ وُقُوفَ حابِسْ ... وتَأَيَّ إنَّكَ غَيْرُ آيِسْ
ماذا عَلَيْكَ مِنَ الوُقُو ... فِ بهامِدِ الطَّلَلَيْنِ دارِسْ
لَعِبَتْ بِهِنَّ العاصِفَا ... تُ الرائِحاتُ مِنَ الرَّوَامِس

أخذه الكُمَيْت كلَّه غير القافية فقال:

قِفْ بالدِّيارِ وُقُوفَ زائِرْ ... وتَأَيَّ إنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ
ماذا عليك مِنَ الوُقُو ... فِ بهامِدِ الطَّلَلَيْنِ داثِرْ
دَرَجَتْ عَلَيْهِ الغادِيا ... تُ الرائِحاتُ مِنَ الأَعاصِرْ

وقد قدَّمتُ في أخبار الشعراء ما أخذه من أشعارهم. ووقف الكميت على الفرزدق وهو ينشد والكميت يومئذٍ صبيٌّ، فقال له الفرزدق يا غلام أيسرُّك أنّي أبوك؟فقال الكميت أمّا أبي فلا أريد به بدلاً ولكن يسرُّني أن تكون أمّي فحَصِرَ الفرزدق يومئذٍ وقال ما مرَّ بي مثلها قطُّ، ويستجاد قوله في ذكر النبيّ ﷺ:

يَقُولُونَ لم يُورثْ ولولا تُراثُهُ ... لَقَدْ شَرِكَتْ فِيهِ بَكِيلٌ وأَرْحَبُ
وَلاَنْتَشَلَتْ عِضْوَيْنِ منها يَحابِرٌ ... وكان لعَبْد القَيْسِ عِضْوٌ مُؤَرَّبُ
فإِنْ هِيَ لم تَصْلُحْ لِحَيٍّ سِوَاهُمُ ... إِذاً فَذَوُو القُرْبَى أَحَقُّ وأَقْرَبُ
فيا لَكَ أَمْراً قد أُشِتَّتْ وُجُوهُهُ ... وداراً تَرَى أَسْبابها تَتَقَضَّبُ
تَبَدَّلَتِ الأَشْرارَ بَعْدَ خِيارِها ... وجُدَّ بها من أُمَّةٍ وَهْيَ تَلْعَبُ

وقد قايس في هذا الشعر وذهب مذهباً لو لم يكن النبيُّ ﷺ جعل الأَئِمَّة من قريش، وقال يصف هشام بن عبد الملك:

مُصِيبٌ على الأَعْوادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ ... لِما قال فيها مُخْطِىءٌ حِينَ يَنْزِلُ

ومن جيّد شعره قوله:

أَلا لا أَرَى الأَيَّامَ يُقْضَى عَجِيبُها ... لِطُولٍ ولا الأَحْداثَ تَفْنَى خُطُوبُها
ولا عبرُ الأَيَّامِ يَعْرِفُ بَعْضَها ... بِبَعْضٍ مِنَ الأَقْوامِ إِلَّا لَبِيبُها
ولم أَرَ قَوْلَ المَرْءِ إِلَّا كَنَبْلِه ... لــه وبه مَحْرومُها ومُصِيبُها
وما غُيِّبَ الأَقْوامُ عن مِثْلِ خُطَّةٍ ... تُغَيَّبُ عَنْها يَوْمَ قِيلَتْ أَرِيبُها
وأَجْهَلُ جَهْلِ القَوْمِ ما في عَدُوِّهِمْ ... وأَرْدَأُ أَحْلامِ الرِّجالِ غَرِيبُها
وما غُبِنَ الأَقْوامُ مِثْلَ عُقُولِهِمْ ... ولا مِثْلَها كَسْباً أَفادَ كَسُوبُها
وهَلْ يَعْدُوَنْ بَيْنُ الحَبِيبِ فِراقَه ... نَعَمْ داءُ نَفْسٍ أن يَبِينَ حَبِيبُها

ولكِنَّ صَبْراً عن أَخٍ عَنْكَ صابِرٍ عَزَاءً إذا ما النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبُها
رَأَيْتُ عِذَابَ الماءِ إن حِيلَ دُونَها كَفَاكَ لِمَا لا بُدَّ منه شَرُوبُها
وإن لَمْ يَكُنْ إِلَّا الأَسِنَّةَ مَرْكَبٌ فلا رَأْيَ للمُضْطَرِّ إلَّا رُكُوبُها

وابنه المُسْتَهِلُّ هو القائل لبني العبّاس:

إذا نَحْنُ خِفْنا في زَمانِ عَدُوِّكُمْ وخِفْناكُمُ إنَّ البَلَاءَ لَرَاكِدُ

الطِّرِمَّاحُ

هو الطرمّاح بن حَكيم من طَيّىء ويكنى أبا نَفْر وكان جدُّه قَيْس ابن جَحْدر أسره ملك من ملوك جَفْنَةَ فدخل عليه حاتم طَيّىء فاستوهبه وقال:

فكَكْت عديًّا كلَّها من إسارِها ... فأفضِلْ وشَفِّعْني بقَيْس بن جَحْدرِ

أَبُوهُ أَبي والأُمُّ من أُمّهاتِنـا ... فأنعِمْ فدَتْكَ اليومَ نفسِي ومَعْشَرِي

فأطلقه ووفد قيس بن جحدر على رسول الله ﷺ وأسلم والطرمّاح هو ابن حَكيم بن نَفْر بن قيس بن جَحْدَر وكان الطرمّاح خطيباً قال محمَّد بن سَهْل راوية الكُمَيت أنشدتُ الكميت قول الطرمّاح:

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاحِ أَخْلَقَتْ ... عُرَى المَجْدِ واسْتَرْخَى عِنَانُ القَصائِدِ

فقال الكُمَيت أي والله وعنان الخطابة والرواية وكان نشأ بالسواد وقال رُؤْبة كان الكميت والطرمّاح يسألاني عن الغريب ثم أجده بعد ذلك في أشعارهما، وهو القائل:

وما أنا بالراضِي بما غَيْرُهُ الرِّضَا ... ولا المُظهِرِ الشَّكْوَى ببَعْضِ الأماكِنِ

ولا أَعْرِفُ النُّعْمَى عَلَيَّ ولم تَكُنْ ... وأَعْرِفُ فَضْلَ المَنْطِقِ المُتَغَابِنِ

وقال يهجو بني تميم:

أَفخراً تَميماً إذ فَتِيَّةٌ خبَّتِ ... ولُؤماً إذا ما المشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ

ولَوْ خرَجَ الدَّجَّالُ يَنْشُدُ دِينَهُ ... اوافَتْ تَمِيمٌ حَوْلَهُ واَحزَأَلَّتِ

فِـرَاشَ ضَلَالٍ بالعِراقِ ونَبْوَةٍ ... إذا مات مَيْتٌ من قُرَيْشٍ أَهَلَّتِ

فَخرْتَ بيَوْمِ العقْرِ شَرْقِيَّ بابِلٍ ... وقد جَبُنَتْ فيه تَمِيمٌ وفُلَّتِ

فَخرْتَ بيَوْمٍ لم يكُنْ لَكَ فَخْرُهُ ... وقد نَهِلَتْ مِنْكَ الرِّماحُ وعَلَّتِ

كفَخْرِ الإماءِ الرائحاتِ عَشِيَّةً ... برَقْمِ حُدُوجِ الحَيِّ لَمَّا اسْتَقَلَّتِ

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤمِ أَهْدَى من القطَا ... ولو سَلَكتْ سُبْلَ المَكَارِمِ ضَلَّتِ

ولَوْ أنَّ بُرْغُوثاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يكُرُّ عَلَى صَفَّيْ تَميمٍ لَوَلَّتِ

ولَوْ أَنَّ حُرْقُوصاً يُزَقِّقُ مَسْكَهُ ... إذاً نَهِلَتْ منه تَمِيمٌ وعَلَّتِ

ولَوْ جمَعَتْ يَوْماً تَمِيمٌ جُمُوعَها ... عَلَى ذَرَّةٍ مَعْقُولَةٍ لاسْتَقَلَّتِ

ولَوْ أَنْ أُمَّ العَنْكَبُوتِ بَنَتْ لها ... مَظَلَّتَهـا يَوْمَ النَّدَى لأَكَنَّتِ

وهذا من الإفراط. وقال أيضاً:

لا عَزَّ نَصرُ آمرِىءٍ أَمْسَى لَهُ فَرَسٌ ... عَلَى تَميمٍ يُريدُ النَّصْرَ مِنْ أَحَدِ

لوْ حـانَ وِرْدُ تَميمٍ ثم قِيلَ لها ... حَوْضُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الأَزْدُ لم تَرِدِ

أَوْ أَنْزَلَ اللهُ وَحْياً أَنْ يُعَذِّبَها ... إنْ لم تَعُـدْ لِقِتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ

وكُلُّ لَوُمٍ أَبادَ الدَّهْرُ أَثْلَتَهُ ... ولُؤْمُ ضَبَّةَ لم يَنْقُصْ ولم يَبِدِ

لوْ كان يَخْفَى على الرَّحْمانِ خافِيَةٌ ... من خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

قَوْمٌ أَقـامَ بـدارِ الذُّلِّ أَوَّلُهُمْ ... كما أَقامَتْ عَلَيْهِ جِذْمَةُ الوَتَدِ

فَآسْأَلْ قُفَيْرَةَ بالمَرُّوتِ هَلْ شَهِدَتْ ... عَسْبَ الحُطَيْئَةِ بَيْنَ الكَسْرِ والنَّضَدِ

أَمْ كـان في غالِبٍ شِعْرٌ فَيُشْبِهَهُ ... شِعْرُ آبْنِهِ فَيَنَالَ الشِّعْرَ من صَدَدِ

جاءَتْ به نُطْفَةٌ من شَرٍّ ماءِ صِرًى ... سِيقتْ إلى شَرِّ وادٍ شُقَّ في جَدَدِ
لا تَأْمَنَنَّ تميمِيًّا على جَسَدٍ ... قد مات ما لم تُزايلْ أَعْظُمُ الجَسَدِ

وقال أيضاً:

لَقَدْ زادَني حُبًّا لنَفْسِيَ أَنَّني ... بَغِيضٌ إلى كُلِّ آمْرِئٍ غَيْرِ طائِلِ
إذا ما رَآني قَطَّعَ الطَّرْفُ دُونَهُ ... ودُوني فِعْلَ العارِفِ الْمُتجاهِلِ
مَلأْتُ عَلَيْه الأَرْضَ حتَّى كأَنَّها ... مِنَ الضِّيقِ في عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حابِلِ
وإنّي شَقِيٌّ باللِّئامِ ولا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إلَّا كَرِيمَ الشَّمائِلِ

وقال:

فيا رَبِّ لا تَجْعَلْ وَفاتِيَ إنْ دَنَتْ ... عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بدُكْنِ المَطارِفِ
ولٰكِنْ أَحِنْ يَوْمِي شَهِيداً وعُصْبَةً ... يُصابُونَ في فَجٍّ منَ الأرض خائفِ
عَصائِبُ من شَتَّى يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ... هُدَى اللهِ نَزَّالونَ عِنْدَ المَوَاقِفِ
إذا فارَقُوا دُنْياهُمُ فارَقُوا الأَذَى ... وصارُوا إلى مَوْعُودِ ما في المَصَاحِفِ
فأُقْتَلَ قَعْصاً ثُمَّ يُرْمَى بأَعْظُمِي ... كضِغْثِ الخَلَا بَيْنَ الرِّياحِ العَوَاصِفِ
ويُصْبِحَ لَحْمِي بَطْنَ طَيْرٍ مَقِيلُهُ ... دُوَيْنَ السَّماءِ في نُسُورٍ عَوائِفِ

وكان يرى رأي الخوارج وقال:

لَقَدْ شَقِيتُ شَقَاءً لا آنْقِطاعَ له ... إنْ لم أَفُزْ فَوْزَةً تُنْجي مِنَ النّار
والنارُ لم يَنْجُ من رَوْعاتِها أَحَدٌ ... إلَّا المُنِيبُ بِقَلْبِ المُخلِصِ الشّاري
أَوِ الّذي سَبَقَتْ من قبْلِ مَوْلِدِهِ ... لَهُ السَّعادَةُ مِنْ خَلّاقِها البارِي

وكان الأَصْمَعِيُّ يستجيد قوله في صفة الظليم:

مُجْتـابُ شَمْلـةِ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِهِ   قَـدَراً وأَسْلَمَ ما سِوَاهُ البُرْجُدُ

ويستجيد قوله في صفة الثور:

يَبْــدُو وتُضْمِرُهُ البِلادُ كأَنَّـه   سَيْـفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

العَجَّاجُ الرَّاجِزُ

هو عبد الله بن رُؤْبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان يكنى أبا الشَّعثاء ،والشعثاءُ ابنته ،وكان لقي أبا هُرَيرة وسمع منه أحاديث. قال العجَّاج قال، لي أبو هريرة ممَّن أنت ،قلتُ من أهل العراق قال يوشك أن تأتيك بُقْعانُ الشأم فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقَّهم بها فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلِّ عنهم وعنها وإيّاك وأن تسبَّهم فإنَّك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة، وقال سليمان بن عبد الملك للعجّاج إنَّك لا تُحسن الهجاءَ ،فقال إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظلم وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم وهل رأيتَ بانياً لا يحسن أن يهدم وإنَّما سُمّي العجَّاجَ بقوله:

حَتَّى يَعِجَّ عِنْدَها مَنْ عَجْعَجا

قال وقلتُ هذه الأرجوزة في ليلة واحدة وانثالت عليَّ انثيالاً وسمعه رجل من بني الحِرْماز ينشد:

كَـأَنَّ تَحْتِي كُنْدُراً كُنَادِرَا   تَرَى بلِيَـتَيْ عُنْقِـهِ مَزَاوِرَا

مِنَ الكِرامِ جالِياً وجادِرَا

فقال تركتَه فرداً بلا أُتُن هَلَّا قلت:

في عانَـةٍ يَقْسِرُهـا المَقاسِرَا   بصُلْبِ رَهْبَى تَجْمَعُ الضَّرائِرَا

حَوْلاً وأُخْرَى تَحْمِلُ النَّعائِرَا

وممّا أخذ عليه قوله:

كَــأنَّ عَيْنَيْــه منَ الغُؤُورِ قلْتـانِ في لَحْدِ صَفاً مَنْقُورِ

أَذاك أو حَوْجَلَتَا قارُورِ

صَيَّرَتـا بالنَّضْـحِ والتَّصْبِـيرِ صَلَاصِلَ الزَّيْتِ إلى الشُّطُورِ

الحوْجَلتان القارورتان، وجعل الزجاج ينضح ويرشح وولد العجَّاجُ رُؤْبَةَ والقطاميّ.

رُؤْبَةُ بن العَجَّاج

حدثني الرِّياشيُّ عن محمَّد بن سَلَّام عن يُونُس قال أتيتُ رؤبة ومعي ابن نُوح وكنّا نفلِّسُ ابنه عبد الله أي نعطيه الفلوس فيخرجه إلينا فقال ابن نوح أصبحتَ كما قلتَ:

كالكُرَّزِ المَرْبُوطِ بَيْنَ الأَوْتادْ   ساقَطَ عَنْهُ الرِّيْشَ قَبْلُ الإِبْرادْ

فقال ما زلتُ لك ماقتاً، قال يونس فقلتُ بل أصبحتَ كما قال ابن أبي سُلْمَى:

فأَبْقَيْنَ منــه وأَبْقَــى الطِرا   دُ بَطْناً خَمِيصاً وصُلْباً سَمِينا

فقال سَلْ عمّا شئتَ، قال وقال ابن سلّام عن يونس قال لي رؤبة حتّى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأُزوّقها لك، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك، حدثني سهل بن محمَّد قال حدَّثني أبو عُبَيدة قال دخلتُ على رؤبة وهو يَمُلُّ جِرْذاناً في النار فقلت له أتأكلها؟ قال نعم إنَّها خير من دجاجكم إنَّها تأكل البُرَّ والتمر، وحدثني عن الأصمعيّ عن عُقْبَة بن رؤبة عن أبيه قال بينا أنا أصلح برذعة لي وأنا أقول:

حَتَّى ٱحْتَضَرْنا بَعْدَ سَيْرٍ حَدْسِ

إمامَ رغسٍ في نِصابِ رَغْسِ   خَلِيفَــةً ساسَ بغَيْرِ تَعْسِ

فقال لي أبي يا أحمق ألَّا قلتَ:

بَيْنَ ٱبْنِ مَرْوانَ قَرِيعِ الإِنْسِ

وبِنْـتِ عَبّاسٍ قَرِيعِ عَبْسِ أَنْجَبَ عِرْسٍ جُبِلَا وعِرْسِ

فذهب بها كلّها، لا والله ما له منها إلّا أربعة أبيات، وأنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة قوله في وصف قوائم الفرس:

يَهْوِينَ شَتّى ويَقَعْنَ وَفْقا

فقال له سَلْم أخطأتَ في هذا يا أبا الجحّاف جعلتَه مقيَّداً فقال له رؤبة أَدْنِني من ذنب البعير، قال الأصمعيُّ أخذ رؤبة من أبيه:

والسُدُّ ما دام شِدَاداً أَرْدِمُهْ

حَدِيـدُهُ وقِطْرُهُ ورَضَمُـهْ وعاد بَعْدَ النَّحْتِ جَوْناً حَنْتَمُهْ

وقال أبوه العجّاج:

بَلِيتَ والمِسْمارُ جَوْنٌ حَنْتَمُ تَمْضِي الدَّواهِي حَوْلَهُ ويَسْلَمُ

والمسمار جبل قال وقوله:

وبَلَدٍ يَغْتالُ خَطْوَ المُخْتَطِي

سرقه من أبيه، قال أبوه:

وبَلَدٍ يَغْتالُ خَطْوَ الخاطِي

قال وأخذ رؤبة قوله:

عـليَّ أَنْمارٌ منِ آغْتباطِي كالحَيَّـةِ المُجْتـابِ بالأَرْقـاطِ

أي جلود أنمار من أَوْس بن حجَر قال ولم يُحسن رؤبة تلخيصه قال أوس:

يَرَى الناسُ منّا جِلْدَ أَسْوَدَ سالِخٍ وَفَرْوَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيْغَمِ

قال وأخطأ رؤبة في قوله:

كُنْتُمْ كمَنْ أَدْخَلَ في حُجْرٍ يَدَا　　فأَخْطَأَ الأَفْعَى ولاقَى الأَسْوَدَا

جعل الأفعى دون الأسود وهي فوقه في المضرَّة، قال وأخطأ في قوله يصف الظليم:

وكُلُّ زَجَّاجٍ سُخامُ الخَمْلِ　　تَبْرِي له في زِعلاتٍ خُطْلِ

فجعل للظليم عدَّة إناث كما يكون للحمار وليس للظليم إلّا أنثى واحدة، قال وأخطأ في قوله في وصف الحُمُر:

وشَقَّها اللَّوْحُ بمأْزُولٍ ضَيَقْ

ففتح الياء، والصواب ضَيْق أو ضَيِّق، قال وكذلك قوله:

صَوَادِقَ العَقْبِ مَهاذِيبَ الوَلَقْ

ففتح اللام وإنّما هو الوَلْق وهو سَيْر سريع يقال ولق يلقُ وَلْقاً وقال آخر:

جاءَتْ به عَنْسٌ منَ الشَّأْمِ تَلِقْ

وقال رؤبة أيضاً:

تَهْوِي إذا هُنَّ وَلَقْنَ وَلْقَا

قال وقال يصف الرامي:

لا يَلْتَوِي من عاطِسٍ ولا نَغَقْ

إنّما هو النَّغِيق والنُّغاقُ وجاءَ بشيءٍ بينهما، وقال في وصف القوس:

نَبْعِيَّةً ساوَرَها بَيْنَ النِّيَقْ

قال والنِّيَقْ جمع نِيقَة ولا يقال نيقة إنّما هو النِّيق وهو رأس الجبل قال وقوله:

إذا دنا مِنهُنَّ أنْقاضُ النُّقَقْ

يعني الضفادع، وكان ينبغي أن يكون نُقُق جمع نَقُوق قال وأخطأ في قوله:

أقْفَرَتِ الوَعْساءُ والعَثَاعِـثُ ... مِنْ بَعْدِهِمْ والبُرَقُ البَرَارِثُ

قال إنّما هي البَرَاثُ جمع بَرْثٍ وهي الأرض الليّنة (والبُرْقة موضع حجارة سود وبيض ومنه يقال جبل أبرق) وقال في قوله:

أرْجُوكَ إذْ أغْبَطَ دَيْنٌ والِثُ ... فما تَني يَرْغَثُ منك الراغِثُ

لم يحسن في البيتين جميعاً لأنه ضعَّف أمر الدَّيْن بقوله والث، لأنَّ الوالث الشيءُ الضعيف غير المحكم، يقال ولث لي ولثاً من عهد إذا أعطاك عهداً غير محكم والوَلْث اليسير من المطر، ولأنَّه جعل ما ينال منه رَغْثاً وهو المصُّ، وقال في قوله:

لَيتَ المُنَى والدَّهْرَ جَرْيُ السُّمَّة

لم يحسن، إنّما يقال ذهب في السُّمَّهى أي في الباطل، وقال في قوله:

أو فِضَّةٌ أو ذَهَبٌ كِبْرِيتُ

سمع بالكبريت الأحمر فظنَّ أنَّه ذهب، وممّا يستقبح من تشبيهه قوله للمرأة.

يُكْسَيْنَ من لِينِ الشَّبابِ نِيمَا

والنِّيمُ الفَرْوُ،وقال في قوله:

كـأنَّ فَوْقَ الناصِعِ المُبَطَّنْ   من حِبَرَاتِ العَيْشِ ذِي التَّدَهْقُنْ

بانًا جَرَى في الرازِقيِّ البَهْمَنْ

والناصع الخالص يريد جلده، أراد بالبان الدهن، قال والرازقيّ البهمن لم يقل فيه شيئاً، وأخشى أن يكون كفرا، وقال عبد الله بن سالم لرؤبة مُتْ يا أبا الجحَّاف إذا شئتَ،قال وكيف قال رأيتُ اليوم ابنك عُقْبَة ينشد شعراً له أعجبني؟قال رؤبة نعم ولكن ليس لشعره قران،يريد أنَّه ليس يشبه بعضه بعضاً

أبو نُخَيْلَةَ الرَّاجِزُ

اسمه يَعْمَر وإنَّما كُني أبا نُخَيْلة لأَنَّ أمَّه ولدته إلى جنب نخلة وهو من بني حِمّان بن كعب بن سعد، وهو القائل:

أَنا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ   فأَنا فيما شِئْتُ من خالٍ وعَمّ

وكان يهاجي العجَّاج فلمّا تنافرا في شعرهما حضرهما الصبيان فذهب إنسان يطردهم فقال العجّاج دَعْهم فإِنَّهم يغلِّبون ويبلِّغون وإيّاه عنى رؤبة بقوله:

فَقُلْ لِذاكَ الشاعرِ الخَيَّاط

يريد أَنَّه دعيٌّ يخيط إلى قوم ليس منهم، يقال خاط بنا خَيْطَةً أي مرَّ بنا، ولأبي نُخَيلة عقب بالبصرة، ويؤخذ على أبي نخيلة قوله في وصف امرأة:

بَرِّيَّــةٌ لم تأْكُــلِ المُرَقَّقَــا   ولم تَـذُقْ من البُقُولِ الفُسْتُقَا

ظنَّ أن الفستق بقل، وهو القائل:

وإنَّ بقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفاقَــةً   إلى سَيِّــدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بسَيِّــدِ

أبو النَّجْمِ الراجِزُ

هو الفضل بن قُدَامة من عجِلْ وكان ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له الفِرْك أقطعه إيّاه هشام بن عبد الملك وراجزَ العجّاج فخرج العجّاج على ناقة لـه كوماء وعليه ثياب حسان وخرج أبو النجم على جمل مهنوءٍ وعليه عباءة فأنشد العجّاج:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرْ

ثم أنشد أبو النجم:

تَذَكَّرَ القَلْبُ وجَهْلًا ما ذَكَرْ

حتَّى إذا بلغ إلى قوله:

إنّي وكُـلُّ شاعِرٍ مِنَ البَشَرْ   شَيْطَانُهُ أُنْثى وشَيْطاني ذكَرْ
فما رآني شاعِرٌ إلَّا اسْتَتَرْ   فِعْلَ نُجُوم اللَّيْلِ عاينَّ القَمَرْ
عشّي تَمِيمُ وآصَغْرِي فِيمنْ صغُرْ   وجاوِرِي الدُّلَّ وأَعْطِي من عَشَرْ
وأَمّري الأُنْثَـى عَلَيْكِ والذَّكَرْ   فإنَّما يَشْرَبُ من ذَلَّ السُّوَرْ

وآرْضَيْ بإحْلابة وَطْبٍ قَدْ حَزَرْ

فلمّا فرغ من إنشاده حمل جمله على ناقة العجّاج يريدها فضحك الناس وانصرفوا وهم ينشدون قوله:

شَيْطانُهُ أُنْثَى وَشَيْطاني ذَكَرْ

وأنْشد أبو النجم هشام بن عبد الملك أرجوزته التي أوَّلها:

الحَمْدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ

وهي أجود أرجوزة للعرب، وهشام يصفّق بيديه من استحسانه لها فلمّا بلغ قوله في الشمس:

حَتَّى إذا الشَّمْسُ جلَاها المُجْتَلي بَيْنَ سِمَاطَيْ شَفَقٍ مُرَعْبَلِ
صفواء قد كادَت ولَمَّا تَفْعَلِ فَهْيَ على الأُفْقِ كعَيْنِ الأَحْوَلِ

أمر هشام بوَجءِ رقبته وإخراجه وكان هشام أحول، وكان أبو النجم وصّافاً للفرس وأُخذ عليه في صفته قوله:

يَسْبَحُ أُخْراهُ ويَطْفُو أَوَّلُهْ

قال الأصمعيُّ إذا كان ذلك كذلك فحمار الكَسَّاحِ أسرع منه لأنَّ اضطراب مآخيره قبيح، قال وما أحسن في قوله ويطْفو أوّله، حدثني عبد الرحمان عن عمّه عن أبيه قال رأيتُ فرس أبي النجم الذي كان يصفه فقوَّمتُه بخمسين درهماً، وقال:

تَعُدُّ عاناتِ اللِّوى من مالِها

وأخذه أبو نواس فقال:

تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقْواتِها

وأخذ قوله:

كطَلْعَةِ الأَشْمَطِ من جِلْبابِهِ

يعني من كسائه من قول الآخر:

كطَلْعَةِ الأَشْمَطِ من بُرْدٍ سَمَلْ

وحدثني عبد الرحمان عن عمّه قال كان هشام بن عبد الملك مسبِّقاً لا يكاد يُسْبَقُ فسَبَق ذات يوم على فرس له أنثى وصلّى على ابنها ففرح وقال عليَّ بالشعراء ،قال أبو النجم فدُعينا فقيل لنا قولوا في هذه الفرس السابقة وفي ابنها فقال أصحاب القصيد أنْظِرْنا حتّى نقول وقلتُ في مقامي ذلك هل لك في رجل يَنْقُدُك إذا استنسؤوك؟قال هاته فقلتُ من ساعتي:

أشاعَ للغرّاءِ فينا ذِكْرَها — قوائِمٌ عُوجٌ أَطَعْنَ أمْرَها

وما نَسينا بالطَّريقِ مُهْرَها — حِينَ نَقيسُ قَدْرَهُ وقَدْرَها

وصَبْرَه إذْ أَوْعَثا وصَبْرَها — والماءُ يَعْلُو نَحْرَهُ ونَحْرَها

مَلْبُونَةً شَدَّ المَلِيكُ أَسْرَها — أَسْفَلَها وبَطْنَها وظَهْرَها

قد كاد هاديها يكُونُ شَطْرَها — لا تأْخُذُ الحَلْبَةُ إلّا سُؤْرَها

قال وقال له عبد الملك بن بشر بن مروان انعتْ لي فهودي هذه فقال:

جاءَ مُطِيعٌ بُمطاوِعاتِ — عُلِّمْنَ أو قد كُنَّ عالِماتِ

فَهِيَ ضَوارٍ من مُضَرَّياتِ — تُرِيكَ آماقاً مُخطَّطاتِ

سُوداً على الأشْداقِ سائِلاتِ — تَلْوِي بأذْنابٍ مُوقَّفاتِ

حَتّى إذا كُنَّ على المَجْراتِ — حَيْثُ تَظُنُّ الوَحْشَ آخِذاتِ

قالَ ألَسْتُنَّ بنازِلاتِ — فَسكَّرَ الطُّرْقَ بِمُطْرِقاتِ

ثُمَّ حَدَوْنَ الوَحْش مُقْبِلاتِ — فواثَبَتْهُنَّ مُشَمِّراتِ

فلَوْ تَرَى التُّيوسَ مُضْجَعاتِ — عَلِمْتَ أَنْ لَيْسَ بسالِماتِ

أقُولُ إذْ جِئْنَ مُذَبَّحاتِ — عَلَى الأكافِينِ مُعَدَّلاتِ

ما أقْرَبَ المَوْتَ مِنَ الحَياةِ

وهو القائل:

قَـد زَعَمَتْ أُمُّ الخِيَارِ أَنِي شِبْـتُ وحَنَّى ظَهْرِيَ الْمُحَنِّي
وأَعْرَضَتْ فِعْلَ الشَّمُوسِ عَنِّي فقُلْـتُ مـا داؤُكِ إلَّا سِنِي
لَنْ تَجْمَعِي وِدِّي وإنْ تَضِنِّي

وهو القائل:

كـأَنَّ ظَلَّامَـةَ أُخْتَ شَيْبانْ يَتِيمَـــةٌ ووالِدَاها حَيَّـانْ
العُنْـقُ منها عُطُلٌ والأُذْنانْ ولَيْسَ في الرِّجْلَيْنِ إلَّا خَيْطانْ
وقُصَّةٌ قـد شَيَّطَتْها النِّيرانْ تِلْكَ الَّتِي يَضْحَكُ منها الشَّيْطانْ

وهو القائل:

سُبِّي الحَمَـاةَ وٱبْهَـتِي عَلَيْهـا فـإنْ أَتَـتْ فَٱزْدَلِفِي إلَيْهـا
ثُمَّ ٱقْرَعِي بالوَدِّ مِرْفَقَيْهـــا ورُكْبَتَيْهــا وٱقْرَعِي كَعْبَيْهــا
وأَغْلِقِي كَفَّيْكِ في صُدْغَيْها

وقال:

أَوْصَيْـتُ من بَرَّةَ قَلْباً حُرَّا بالكَلْـبِ خَيْراً والحَمَاةِ شَرَّا
لا تَسْأَمِي خَنْقـاً لهـا وجَرَّا والحَيُّ عُمِّيهِمْ بشَرٍّ طُرَّا

ومِمَّا أُخذ عليه قوله في البعير:

أَخْنَسُ في مِثْلِ الكِظامِ مَخْطِمُهْ

والأخنس القصير المشافر، وهـذا عيب، وإنَّما توصف المشافر

بالسبوطة والكظام القُنِيُّ التي يجري فيها الماءُ، قالوا ولم يُحسن في وصف ورود الإبل:

جاءَتْ تَسامَى في الرَّعِيلِ الأَوَّلِ والظِـلُّ عن أَخْفافِها لم يَفْضُلِ

ذكر أنَّها وردت في الهاجرة، والعادة في هذا أن توصف بالورود غلساً والماءُ بارد كقول الآخر:

فورَدَتْ قَبْل الصَّبَاح الفاتِقِ

وكقول لَبِيد:

إنَّ مِنْ وِرْدِيَ تَغْلِيسَ النَّهَلْ

وكقول الآخر:

فورَدْنَ قَبْلَ تَبَيُّنِ الأَلْوَانِ

وقوله في وصف راعي الإبل:

صُلْبُ العَصَا جافٍ عَنِ التَّغَزُّلِ

قال الأصمعيُّ لا يوصف راعي الإبل بصلابة العصا، والجيّد قول الراعي:

ضَعِيفُ العَصَا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْها إذا ما أَمْحَلَ الناسَ أُصْبَعَا

ومن غلط أبي النجم قوله في فرس:

كأَنَّها مِيجَنَةُ القَصَّار

والمِيجَنَة لصاحب الأَدَم والميجنة الَّتي يُدَقُّ الأَدَمُ عليها وهو الحجر أو غيرُه.

دُكَيْنٌ الرَّاجِزُ

هو دُكَيْن بن رجاءٍ من بني فُقَيم قال دكين امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعاب فكرهتُ أن أرمي بها الفجاج فتنتشر عليَّ ولم تطب نفسي ببيعها فقدمت علينا رُفْقة من مُضَر فسألتُهم الصحبة فقالوا إن خرجت في ليلتك، فقلتُ إنّي لم أودّع الأمير ولا بدَّ من وداعه، قالوا إنَّه لا يحتجب عن طارق ليل، فأتيتُه فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فدخلتهْ وعنده شيخان لا أعرفها فودَّعتُه فقال لي يا دُكَيْنُ إنَّ لي نفساً توّاقة فإن أنا صرتُ إلى أكثر ممّا أنا فيه فبعيْن ما أرينَّك، فقلت أشْهد لي عليك بذلك فقال أُشهد الله به، قلتُ ومن خلْقه، قال هذين الشيخين فأقبلتُ على أحدهما فقلت من أنت أعرفُك، قال سالم بن عبد الله قلتُ لقد استَسْمنْتُ الشاهد وقلتُ للآخر مَن أنت؟ قال أبو يحيى مولى الأمير فخرجت بهنَّ إلى بلدي فرمى الله في أذنابهنّ بالبركة حتَّى اعتقدتُ منهنّ الإبل والغلمان فإنّي لبصحراء فَلْج إذا ناعٍ ينعي سليمان بن عبد الملك قلتُ فمن القائم بعده قال عمر بن عبد العزيز فتوجَّهتُ نحوه فلقيني جرير بالطريق جائياً من عنده فقلت يا أبا حَزْرة من أين فقال من عند مَن يُعْطي الفقراءَ ويمنع الشعراءَ، ولكن عوّلْ عليه في مال ابن السبيل فانطلقتُ فإذا هو في عَرْصة داره قد أحاط الناس به فلم يمكنّي الرجْل إليه فناديتُ:

يا عُمَرَ الخَيْراتِ والمَكارِمْ وعُمَرَ الدَّسائِعِ العَظائِمْ
إنّي امْرُؤٌ من قَطَنِ بن دارِمْ أَطْلُبُ دَيْنِي من أَخٍ مُكارِمْ
إذْ نَنْتَجِي واللهُ غَيْرُ نائِمْ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ولَيْلٌ عاتِمْ
عِنْدَ أبي يَحْيَى وعِنْدَ سالِمْ

فقام أبو يحيى فقال يا أمير المؤمنين لهذا البدويّ عندي شهادة عليك قال أعرفها ادنُ منّي يا دُكَين أنا كما ذكرتُ لك أنَّ نفسي لم تنل أمراً إلّا تاقت إلى ما هو فوقه وقد نلتُ غاية الدنيا فنفسي تتوَّقُ إلى الآخرة والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً فأُعطيك منه وما عندي إلّا ألفا درهم أعطيك أحدهما، فأمر لي بألف فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظم بركة منه، ودُكَين هو القائل:

إذا المَرْءُ لم يدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وإنْ هو لم يُضْرِعْ عن اللُّؤْمِ نَفْسَهُ فلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبِيلُ

الأَغْلبُ الرَّاجِزُ

هو الأَغْلَب بن جُشَم من سعد بن عِجْل وهو القائل في قومه:

إنْ سَرَّكَ العِزُّ فجَحْجِحْ بجُشَمْ

أي إيت بجَحْجاح منهم، ويقال بل هذا القول في جُشَم بن الخَزْرَج وعاش تسعين سنة وكان الأغلب جاهليًّا إسلاميًّا وقُتل بنهاوَنْدَ وهو أوَّل مَن شبَّه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنَّما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر، وقد ذكره العجّاج فقال:

إنِّي أنَا الأَغْلَبُ أَضْحَى قد نُشِرْ

أبو دَهْبَل الجُمَحيُّ

هو وهب بن ربيعة من بني جُمَح وكان شاعراً مُحْسِناً وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبد الرحمان الأزرق والي اليمن وفيه يقول:

تَحْمِلُهُ الناقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِراً ... بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وكَيْفَ أنساكَ لا أَيْدِيكَ واحِــدةٌ ... عِنْدِي ولا بالَّذِي أَوْلَيْتَ من قِدَمِ

ولمّا عزله عبد الله بن الزبير عن اليمن قال أبو دَهْبَل في شعر له:

ما زِلْتَ في دَفَعاتِ الخَيْرِ تَفْعَلُها ... لَمَّا آعْتَرَى الناسَ لأواءٌ ومَجْهُودُ
حَتَّى الَّذِي بَيْنَ عُسْفانٍ إلى عَدَنٍ ... لَحْبٌ لِمَنْ يَطْلُبُ المَعْرُوفَ أُخْدُودُ

وكانت لأبي دهبل ناقة لم يكن في زمانها أَسْيَر منها ولا أحسن وفيها يقول:

خَرَجْتُ بها من بَطْنِ مَكَّةَ بعدما ... أَصاتَ المُنادِي بالصَّلاةِ وأَعْتَما
فما نام من راعٍ ولا آرْتَدَّ سامِرٌ ... منَ اللَّيْلِ حَتَّى جاوَزَتْ بي يَلَمْلَمَا
وما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ ... بعُلَيَّــبَ نَخلاً مُشْرِفاً ومُخَيَّمَا

وكان يشبّب بامرأة من قومه يقال لها عَمْرَة وكان لها عاشقاً وفيها يقول:

تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وأَعْيَتْ غَواشِي الهَمِّ ما تَتَفَرَّجُ

وبِتُّ مَبِيتاً ما أَنامُ كأَنَّما خِلالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فطَوْراً أُمَنِّي النَّفْسَ من عَمْرَةَ المُنَى وطوْراً إذا ما لَجَّ بي الحُزْنُ أَنْشِجُ
وقد قطَعَ الواشُونَ ما كان بيْنَنا ونَحْنُ إلى أَنْ يُوصَلَ الحَبْلُ أَحْوَجُ
رَأَوْا عَوْرَةً فاستقْبلُوها بأَلْبِهِمْ فراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُوا
وكانوا أُناساً كُنْتُ آمَنُ غَيْبَهم فلم يَنْهَهُمْ حِلْمٌ ولم يَتَحَرَّجُوا
فلَيْت كَوانِيناً منَ آهْلِي وأَهْلِها بأَجْمَعِهِمْ في بَحْرِ دِجْلَةَ لُجَّجُوا
فَهُمْ مَنَعُونا ما نُحِبُّ وأَوْقَدُوا عَلَيْنا وشبُّوا نارَ صُرْمٍ تَأَجَّجُ
ولَوْ تَرَكُونا لا هَدَى اللهُ أَمْرَهُمْ ولم يُلْحِمُوا قَوْلاً مِنَ الشَّرِّ يُنْسَجُ
لأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنا ولا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ والدَّهْرُ أَعْوجُ
عَسَتْ كُرْبَةٌ أَمْسَيْتِ فيها مُقِيمَةً يَكُونُ لنا منها رخاءٌ ومَخْرَجُ
فيُكْبَتَ أَعْداءٌ ويجْذل آلفٌ له كَبِدٌ من لَوْعَةِ الحُبِّ تَلْعجُ
وإنِّي لَمَحْزونٌ عَشِيَّةَ جِئْتُها وكُنْتُ إذا ما زُرْتُها لا أُعَرِّجُ
فلمّا ٱلْتَقَيْنا لَجْلَجَتْ في حَدِيثها ومن آيَةِ الصُّرْمِ الحَدِيثُ المُلَجْلَجُ

ابنُ الرِّقاع

هو عَدِيٌّ بن الرّقاع من عاملةَ حيّ من قُضَاعة وكان ينزل الشأم وكانت له بنت تقول الشعر وأتاه ناس من الشعراء ليهاتنوه وكان غائباً عن منزله فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تدرك ذَرْواً من وعيدهم فخرجت إليهم وهي تقول:

تَجَمّعْتُمُ من كُـلِّ أَوْبٍ وبَلْدَةٍ ... عَلَى واحِدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحِدِ

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه، وكان شاعراً مُحْسِناً وهو أحسن من وصف ظبية وصفاً فقال:

كالظَّبْيَـةِ البِكْرِ الفَرِيدَةِ تَرْتَعِي ... من أَرْضِها قَفَرَاتِها وعِهادَها

خَضَبَتْ لها عُقَدُ البِراقِ جَبِينَها ... من عَرْكِها عَلَجانَها وعَرَادَها

كالزَّيْن في وَجْهِ العَرُوسِ تَبَذَّلَتْ ... بَعْـدَ الحَيَاءِ فلاعَبَتْ أَرْآدَهَا

تُزْجِي أَغَنَّ كـأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

وفيه يقول يذكر شعره وعلمه:

وقَصِيـدَةٍ قد بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها ... حَتَّـى أُقَوِّمَ مَيْلَهـا وسِنَادَهـا

نَظَرَ المُثَقِّـفِ في كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّـى يُقِيـمَ ثِقافُـهُ مُنَآدهـا

أَوَمـا تَرَى شَيْباً تَفَشَّغَ لِمَّتِي ... حَتَّى عَلَا وَضَحٌ يَلُوحُ سَوَادَها

فلقَـدْ تَبِيتُ يَدُ الفَتَاةِ وِسَادَةً ... لِيَ جاعِلًا إِحْدَى يَدَيَّ وِسَادَها

ولقَـدْ أُصَبْتُ منَ المعيشَةِ لَذَّةً ... ولَقيتُ شَظَفِ الخُطُوب شدَادَها

وعَمِرْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عالماً ... عَنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لكَيْ أَزْدَادها

صلَّى المَلِيكُ على ٱمْرِئٍ وَدَّعتُهُ ... وأتَمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـهِ وزادَهـا

ومنه أخذ الكُتّابُ وأَتَمَّ نعمته عليك وزاد فيها عِنْدَك، وهو القائل:

لَوْلا الحَيَاءُ وأَنَّ رَأْسِيَ قد عثا ... فيـه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ

وكأَنَّها وَسْط النِّساءِ أَعارَها ... عَيْنَيْـه أَحْوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنـانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ ... في عَيْنِـهِ سِنَـةٌ وليس بنائِمِ

يَصْطـادُ يَقْظانَ الرِّجالِ حَدِيثُها ... وتَطِـيرُ بَهْجَتُهـا برُوح الحالِمِ

وهو القائل:

لَوْ ثَوَى لا يَرِيمُها أَلْفَ حَوْلٍ ... لم يَطُلْ عِنْدَها عَلَيْهِ الثَّوَاءُ

أَهَوَاهـا يشُفُّـهُ أَمْ أُعِـيرَتْ ... مَنْظراً فَوْقَ ما أُعِيرَ النِّساءُ

وقال في عمر بن الوليد:

وإذَا نَظَرْتُ إلى أَمِيرِي زادَني ... ضَنًّا به نَظَرِي إلى الأُمَرَاءِ

تَسْمُو العُيُونُ إِلَيْه حِينَ يَرَوْنَهُ ... كالبَـدْرِ فَرَّجَ بُهْمَةَ الظَّلْمَـاءِ

والأَصْلُ يَنْبُتُ فَرْعُهُ مُتَأَثِّلاً ... والكَـفُّ لَيْسَ بَنانُهـا بسوَاءِ

بَلْ ما رَأَيْتُ جِبال أَرْضٍ تَسْتَوِي ... فيما غَشِيتُ ولا نُجُومَ سَمَاءِ

والقَوْمُ أَشْبـاهٌ وبين حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كذاك تَفَاضُلُ الأَشْياءِ

والبَرْقُ منـه وابِـلٌ مُتَتَابِـعٌ ... جَوْدٌ وآخَرُ مـا يَبِـضُّ بماءِ

والمَرْءُ يُورِثُ مَجْـدَهُ أَبْنـاءَهُ ... ويَمُوتُ آخَرُ وَهُوَ في الأَحْيـاءِ

وقال في آخر الرحلتين:

هَلْ أَنْتَ مُنْصَرِفٌ فتَنْظُرَ ما ترَى أَبْقَى الحَوَادِثُ من رُسُومِ المَنْزِلِ
دارٌ بإِحْدَى الرِّحْلَتَيْنِ كأَنَّها قَدْ عُفِّيَتْ حِجَجاً ولَمَّا تُحْلَلِ
وكذاك يَعْلُو الدَّهْرُ كُلَّ مَحَلَّةٍ حَتَّى تَصِيرَ كأَنَّها لم تُنْزَلِ
لا يَوْمَ إِلَّا سَوْفَ يُورِثُهُ غَدٌ والعامُ تارِكُهُ لآخَرَ مُقْبِلِ

ومّما أخذه عديٌّ بن الرقاع أو أُخذ منه قوله في فرس:

عن لِسانٍ كجُثَّةِ الوَرَلِ الأَحْمَرِ مَجَّ النَّدَى عليه العَرَارُ

وقال بعض بني كلاب يصف فرساً:

كأَنَّ لِسانَهُ وَرَلٌ عَلَيْهِ بدارِ مَضَبَّةٍ مَجَّ العَرَارُ

عُرْوَةُ بن حِزَام

هو من عُذْرَة وهو أحد العُشّاق الَّذين قتلهم العشق وصاحبته عَفْراءُ بنت مالك العُذْرِيَّة وكان عروة يتيماً فى حجر عمّه حتَّى بلغ فعلق عفراءَ علاقة الصّبا وكانا نشآ معاً ، فسأل عمَّه أن يزوّجه إيّاها فكان يسوّفه إلى أن خرج في عير لأهله إلى الشأم وخطب عفراءَ ابن عمّ لها من البَلْقاءِ فتزوَّجها فحملها إلى بلده وأقبل عروة في عيره راجعاً حتَّى إذا كان بتَبُوك نظر إلى رُفْقة مُقْبلة من ناحية المدينة فيها امرأة على جمل أحمر فقال لأصحابه والله لكأنَّها شمائل عَفْراءَ فقالوا ويحك ما تترك ذكر عفراءَ على حال من الحال فلم يُرَعْ إلَّا بمعرفتها فبَئِسَ قائماً لا يُحير جواباً حتَّى نفذ القوم فذلك قوله:

وإنّي لتَعْرُوني لِذِكْراكِ رَوْعَةٌ ... لَها بَيْنَ جِلْدِي والعِظامِ دَبِيبُ
وما هو إلَّا أن أراها فُجاءَةً ... فأُبْهَتُ حَتّى ما أكادُ أُجيبُ
وأُصْرَفُ عن رَأْبي الَّذِي كنت أَرْتئي ... وأَنْسَى الَّذِي أَعْدَدْتُ حِينَ تَغِيبُ
ويُظْهِرُ قَلْبِي عُذْرَها ويُعِينُها ... عَليَّ فما لي في الفُؤَادِ نَصِيبُ
وقد علمَتْ نَفْسِي مَكانَ شِفَائِها ... قَريباً وهَلْ ما لا يُنَالُ قَرِيبُ
لئِنْ كان بَرْدُ الماءِ أَبْيَضَ صافِياً ... إلَيَّ حبيباً إنّها لَحَبِيبُ

ثم انصرف إلى أهله باكياً محزوناً فأخذه الهُلَاس حتَّى لم يبق منه شيءٌ وقال قوم هو مسحور وقال قوم به جِنَّة وقالوا باليمامة طبيب يقال له سالم له تابع من الجنّ وهو أطبُّ الناس فساروا إليه من أرض بني عُذْرة حتَّى جاؤوه فجعل يسقيه وينشّر عنه فقال يا هناه هل عندك من الحُبِّ رُقية؟ قال لا والله، فانصرفوا فمرُّوا بطبيب بحَجْر فعالجه وصنع به مثل ذلك فقال عروة إنَّه والله ما دوائي إلّا شخص بالبَلْقاءِ فانصرفوا به وفي ذلك يقول:

جَعَلْتُ لعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ وعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُما شَفَيَانِي

فما تَرَكَـا من رُقْيَـةٍ يَعْلَمانِها ولا سَلْوةٍ إلَّا بِهـا سَقَيَانِي

فقـالا شَفَاكَ اللهُ واللهِ ما لَنَا بِما حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَان

وفيها يقول:

أَلَا يا غرابَيْ دِمْنَةِ الدار خَبِّرَا أَبالبَيْنِ من عَفْراءَ تَنْتَحِبَـان

فإنْ كان حقًّا ما تَقُولانِ فَانْهَضَا بلَحْمِي إلى وَكْرَيْكُما فكُلَانِـي

وعرَّافُ اليمامة هو رِيَاح أبو كَلْحَبَة مولى بني الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم واسم الأعرج الحارث ولعرّاف اليمامة عقبٌ باليمامة كثير، وقال عروة أيضاً:

فقُلْتُ لعَرَّافِ اليَمَامَةِ دَاوِنِي فإنَّـك إنْ داوَيْتَـني لطَبِيـبُ

فما بِيَ من سُقْمٍ ولا طَيْفُ جِنَّةٍ ولكِنَّ عَبْدَ الأَعْرَجِيِّ كَذُوبُ

فرُدَّ إلى أهله فمرَّضوه دهراً فقال لهن يوماً أَعَلِمْتنَّ أنّي لو نظرتُ إلى عَفْراءَ يوماً ذهب وجعي فخرجوا به حتَّى نَزلوا البَلْقاءَ مستخفين

فكان لا يزال يُلمّ بعفراءَ وينظر إليها وكانت عند رجل كثير المال فبينا عروة يوماً بسوق البلقاءِ لقيه رجل يعرفه من بني عُذْرة فسأله متى قَدِمَ فأَخبره فقال لقد عهدتُك مريضاً وأراك قد صححتَ ثم سار إلى زوجها فقال متى قدم عليكم هذا الكلب الذي قد فضحكم في الناس فقال زوج عفراءَ أيُّ كلب قال عروة قال أَوَقد قدم قال نعم قال أنت أولى بأن تكون كلباً منه ما علمتُ بقدمه ولو كنتُ علمت لضممتُه إلى منزلي فلمّا أصبح غدا يستدلُّ عليهم حتّى جاءَهم فقال لهم قدمتم ولم تروا أن تُعلموني فيكون منزلكم عندي ثم حلف لا يكون نزولهم إلّا عليه، قالوا نعم نتحوَّل إليك الليلة أو غداً فلمّا ولَّى قال عروة لأهله قد كان من الأمر ما ترون فألحقن بقومكن فإنَّه لا بأس عليَّ فقرَّبوا ظهرهم وارتحلوا فنُكس فلم يزل مدنفاً حتّى نزل بوادي القرى، حدثني ابن مرزوق عن ابن الكلبيّ عن أبي السائب المخزوميّ عن هشام ابن عروة عن أبيه عن النعمان بن بَشير قال بعثني عثمان أو معاوية مصدّقاً لبني عُذْرة فصدَّقتُهم ثم أقبلتُ راجعاً فإذا أنا ببيت حَرِيد ليس قربَه أحدٌ وإذا رجل بفنائه مستلقٍ على قفاه لم يبق منه إلّا جلد وعظم فلمّا سمع وَجْسي ترنَّم بصوت حزين:

جعلتُ لعرّافِ اليَمامَةِ حُكْمَهُ

الأبيات كلَّها... قال وإذا أمثال التماثيل حوله أخواته وأُمُّه وخالته فقلتُ له أنت عروة؟ قال نعم، قلت صاحب عفراءَ؟ قال نعم، ثم استوى قاعداً وقال وأنا الذي أقول:

وعَيْنانِ ما أَوْفَيْتُ نَشْزاً فتَنْظُرَا   بمأْقَيْهِمَـــا إلّا هُما تَكِفـــانِ

كـأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها عَلَى كَبدِي من شِدَّةِ الخَفَقانِ

ثم التفت إلى أخواته فقال:

مَنْ كان من أَخَوَاتي باكِياً أَبَداً فاليَوْمَ إنِّي أَراني اليَوْمَ مَقْبُوضا

يُسْمِعْنَنيـهِ فإنِّي غَيْرُ سَامِعِـهِ إذا عَلَوْتُ رِقابَ القَوْمِ مَعْرُوضا

سمعه بعض المُحْدَثين فأخذه فقال:

مَنْ كـان يَبْكِي لمَـا بِي مِنْ طُولِ وَجْـدِ أَسِيسِ

فـالْآنَ قَبْـلَ وَفَاتِي لا عِطْرَ بَعْـدَ عَرُوس

ثم رجع الحديث قال فَبرَزْنَ والله يضربن وجوههنَّ ويشققن جيوبهنَّ ثم لم أبرح حتَّى مات فهيَّأْتُ من أمره وصلَّيتُ عليه ودفنتُه هذا معنى الحديث، ولمّا بلغ عفراءَ موته قالت لزوجها يا هناه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد علمت وما كان والله إلّا على الحسن الجميل وقد بلغني أنَّه قد مات في أرض غربة فإن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوة من قومي فنندبه ونبكي عليه فأذن لها فخرجت وهي تقول:

أَلَا أَيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ وَيْحكُمْ بحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنَ حِزَامِ

فلا نَفَعَ الفِتْيانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ولا رَجَعُوا من غَيْبَـةٍ بسَلَامِ

وقُـلْ للحَبَالَى لا يُرَجِّينَ غائِباً ولا فَرِحَتْ من بَعْدِهِ بغُلَامِ

فما زالت تردّد هذه الأبيات حتَّى ماتت، فبلغ الخبر معاوية فقال لو علمتُ بحال هذين الشريفين لجمعتُ بينهما، قالوا وكان عروة حين أُخرجت عَفْراءُ يلصق بطنه بحياض النعم يريد بردها فيقال له مهلاً لا تقتل نفسك ألا تتَّقي الله فيقول:

بِيَ اليَأْسُ أو داءُ الهُيَامِ شَرِبْتُهُ فإيَّاكَ عَنِّي لا يَكُنْ بِكَ ما بِيَا

قَيْسُ بن ذَرِيحٍ

هو من بني كِنَانَة من بني لَيْث وهو أحد عُشّاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته لُبْنَى وفيها يقول:

لَعَمْرُ الَّـذي يُمْسِي وأَنْتِ ضَجِيعُهُ
مِنَ الناسِ ما ٱخْتِيرَتْ عَلَيْهِ المَضاجِعُ

وفيها يقول أيضاً:

وكُنَّا جَمِيعاً قَبْلَ أَنْ يَظْهَر الهَوَى ... بِأَحْسَنِ حالَيْ غِبْطَـةٍ وسُرُورِ
فما بَرِحَ الواشُونَ حتَّى بَدَتْ لنا ... بُطُونُ الهَوَى مَقْلُوبَـةً لِظُهُورِ

وكانت لُبْنَى تحته فطلَّقها ثم تتبَّعَتْها نفسه واشتدَّ وجده بها وجعل يلمُّ بمنزلها سرًّا من قومه، فزوَّجها أبوها رجلًا من غطفان وعاود قيس زيارته إيّاها وشخص أبوهـا إلى معاوية فأخبره بتعرُّضه لها فكتب له معاوية بهَدْر دمه إن عاد، ففي ذلك يقول:

فإِنْ يَحْجُبُوها أو يَحُلْ دُونَ وَصْلِها ... مقالـةُ واشٍ أو وَعِيـدُ أَمِيرِ
فلَنْ يَمْنَعُوا عَيْنَيَّ من دائِمِ البُكَا ... ولَنْ يُذْهِبُوا ما قد أَجَنَّ ضَمِيرِي
إلى اللهِ أَشْكُو ما أُكِنُّ منَ الهَوَى ... ومن حُرَقٍ تَعْتَـادُني وزَفِـير
لَقَدْ كُنْتِ حَسْبَ النَّفْسِ لودامَ وَصْلُنا ... ولكِنَّما الدُّنْيـا مَتَـاعُ غُرُورِ

وكانت لُبْنَى نذرت أَلَّا تقدر على غراب إلّا قتلته وذلـك لطيرة

قيس منهنّ ولقوله:

أَلَا يا غُرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّني بعلْمِكَ في لُبْنَى وأَنْتَ خَبِيرُ
فإِنْ أَنْتَ لم تُخْبِرْ بِشَيْءٍ علمْتَهُ فلا طِرْتَ إِلَّا والجَنَاحُ كسِيرُ
ودُرْتَ بأَعْداءٍ حَبِيبُكَ فيهِمُ كما قد تَرَاني بالحبِيبِ أَدُورُ

وفي تطليقه لها يقول:

فواكَبِدِي وعاوَدَني رُدَاعِي وكان فِراقُ لُبْنَى كالخُدَاعِ
تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فأَزْعَجُونِي فيا لَلنَّاسِ لِلْواشِي الْمُطاعِ
فأَصْبَحْتُ الغَداةَ أَلُومُ نَفْسِي على شَيْءٍ ولَيْسَ بمُسْتَطاعِ
كمَغْبُونٍ يَعَضُّ على يَدَيْهِ تَبَيَّنَ غَبْنَهُ بَعْدَ البِيَاعِ

ثَابِتُ قُطْنَةِ

هو من شعراء خراسان وفرسانهم وذهبت عينه وكان يحشوها بقطنة فسُمّي ثابت قطنة وقال فيه قائل:

لا يَعْرِفُ الناس منه غَيْرَ قُطْنَتِهِ ... وما سِوَاهُ منَ الأَنْسابِ مَجْهُولُ

وكان يزيد بن المهلَّب استعمله على بعض كور خراسان فلمّا علا المنبر حَصِرَ فلم ينطق حتَّى نزل فلمّا دخل عليه الناس قال:

فإِنْ لا أَكُنْ فيكم خَطِيباً فإِنَّني ... بسَيْفِي إذا جَدَّ الوَغَى لخَطِيبُ

فقالوا لو كنتَ قلتَ هذا البيت على المنبر كنتَ أخطب الناس، وقال فيه قائل يهجوه:

أَبا العَلَاءِ لَقَدْ لُقِّيتَ مُعْضِلَةً ... يَوْمَ العَرُوبَةِ من كَرْبٍ وَتَخْنِيقِ

أَمَّا القُرَانُ فلم تَخْلُقْ لِمُحْكَمِهِ ... ولم تَسَدَّدْ منَ الدُّنْيا لتَوْفِيقِ

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ الناسِ هِبْتَهُمُ ... فكِدْتَ تَشْرَقُ لَمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ

تَلْوِي اللِّسانَ وقد رُمْتَ الكَلَامَ به ... كما هَوَى زَلَقٌ من شاهِقِ النِّيقِ

ويستجاد لثابت قوله في يزيد بن المهلَّب:

كُلُّ القبَائِلِ بايَعُوكَ على الَّذِي ... تَدْعُو إِلَيْـه وتابَعوك وسارُوا

حَتَّى إذا اخْتَلَفَ القَنَا وجَعَلْتَهُمْ ... نَصْبَ الأَسِنَّةِ أَسْلَمُوكَ وطارُوا

إِنْ يَقْتُلُوكَ فإِنَّ قَتْلَكَ لم يَكُنْ ... عاراً عَلَيْكَ وبَعْضُ قَتْلٍ عارُ

عَمْرُو بن الأَهْتَمِ

هو عمرو بن سِنَان بن سُمَيّ بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر من بني تميم وسُمِّي أبوه سنان الأهتم لأَنَّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ ضربه بقوس فهتم فمَه وكانت أمُّ سنان سبيَّةَ من الحِيرَة يقال إنَّها سُبيت وهي حامل، قال قيس بن عاصم لسنان:

نَحْنُ سَبِينَـــا أُمَّكُمْ مُقْرِبـــاً يَوْمَ صَبَحْنَــا الحِيرَتَيْنِ المَنُونْ
جاءَتْ بكم عُفْرَةُ من أَرْضِها حِيرِيَّـــةٌ لَيْسَتْ كما تَزْعَمُونْ
لَوْلا دِفَاعِي كُنْتُمُ أَعْبُـــداً مَنْزِلُهـــا الحِيرَةُ فالسَّيْلَحُونْ

وعُفْرة هي أمُّ سنان، وقال الفَرَزْدَقُ لآل الأهتم:

ما الهُتْمُ إلَّا أَعْبُدٌ جاحِظُو الحُصَى بَنُو أَمَةٍ كانَتْ لقَيْسِ بن عاصِمِ

وأخو عمرو بن الأهتم عبد الله بن الأهتم جدُّ خالد بن صَفْوان بن عبد الله بن الأهتم الخطيبُ وآل الأهتم خطباءُ وكان عمرو يكنى أبا رِبْعِيّ وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ وكان في الجاهليَّة يُدْعَى المكحَّل لجماله ووفد على رسول الله ﷺ وكان له ابن يقال له نُعَيم بن عمرو من أجمل الناس وفيه تأنيث، وله يقول عبد الرحمان بن حسَّان:

قُلْ للَّذِي كاد لَوْلا خَطُّ لحْيَتِهِ يَكُونُ أُنْثَى عَلَيْها الدُّرُّ والمَسَكُ
هَلْ أَنْتَ إلَّا فَتَاةُ الحَيِّ إنْ أَمِنُوا يَوْماً وأَنْتَ إذا ما حارَبُوا دُعَكُ

أي ضعيف هُزْأَةٌ، وكانت لعمرو ابنة يقال لها أمٌّ حبيب تزوَّجها الحسن بن عليّ رضي الله عنهما وقدَّر أن تكون في جمال أخيها فوجدها قبيحة فطلَّقها ، وكان عمرو شريفاً شاعراً ويقال كان شعره حُلَلَا منشَّرة وهو القائل:

ذرِيني فإنَّ البُخْلَ يا أُمَّ هَيْثَمٍ لصالِحِ أَخْلاقِ الرِّجالِ سَرُوقُ
لَعَمْرُكِ ما ضاقَتْ بلادٌ بأَهْلِها ولكنَّ أَخْلاقَ الرِّجالِ تَضِيقُ

سُوَيْدُ بن كُرَاعٍ

هو من عُكْل جاهليٌّ إسلاميٌّ وكان هجا قومه فاستَعْدوا عليه عثمان ابن عفّان رضي الله عنه فأوعده وأخذ عليه ألّا يعود، وهو القائل:

أَبِيتُ بأَبْوَابِ القَوَافِي كأَنَّما ... أُصادِي بها سِرْباً من الوَحْشِ نُزَّعا

أُكالئُها حتّى أُعَرِّسَ بَعْدَما ... يَكُونُ سُحَيْراً أو بُعَيْدَ فأَهْجَعا

عَوَاصِيَ إلّا ما جَعَلْتُ وراءَها ... عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُوراً وأَذْرُعا

أَهبْتُ بغُرّ الآبِداتِ فراجَعَتْ ... طَرِيقاً أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعا

بَعِيدَة شأْوٍ لا يَكادُ يَرُدُّها ... لها طالبٌ حَتَّى يَكِلَّ ويَظْلَعا

إذا خِفْتُ أَنْ تُرْوَى عليَّ رَدَدْتُها ... وراءَ التَّرَاقِي خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا

وجشَّمَني خَوْفُ ٱبْنِ عَفَّانَ رَدَّها ... فثَقَّفْتُها حَوْلاً جَرِيداً ومَرْبَعا

وقد كان في نَفْسِي عليها زيادةٌ ... فلم أَرَ إلَّا أنْ أُطِيعَ وأُسْمَعا

أَوْسُ بن غَلْفاءَ التَّمِيميُّ

هو من بني الْهُجَيم بن عمرو بن تميم وهو جاهليٌّ وكان يزيد بن الصَّعِق قال في تميم شعراً فيه:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بني تَمِيمٍ   بآيَةِ ما يُحِبُّونَ الطَّعاما

فردَّ عليه شعراً فيه:

فإنَّك من هِجاءِ بَني تَمِيمٍ   كَمُزْدادِ الغَرَامِ إلى الغَرامِ

وهو القائل:

أَلَا قالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ   تُقَطَّعُ يا ابْنَ غَلْفاءَ الحِبالُ
ذَرِيني إنَّما خَطَأِي وصَوْبِي   عَلَيَّ وإنَّ ما أَنْفَقْتُ مالُ

يريد أنَّ ما أنفقتُ مالٌ والمال يُسْتَخْلَفُ ولم أُتْلفْ عِرْضاً. وبعض أصحاب الإعراب يرى أنَّه أراد إنَّما أنفقتُ مالي فرفع ويحتجُّ لذلك بما ليس فيه حُجَّةٌ.

نهشَلُ بن حَرِّيٍّ النَّهْشَلِيُّ

هو نهْشَل بن حرّيّ بن ضَمْرة بن ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل ابن دارم وكان اسم جدّه ضمرة شِقَّة ودخل على النعمان بن المنذر فقال له من أنت؟ فقال أنا شِقَّة بن ضَمْرة، فقال النعمان تسمع بالمُعَيْديّ لا أن تراه. فقال أبيتَ اللعن إنَّما المرءُ بأَصغرَيْه قلبه ولسانه، فإذا نطق نطق ببيان وإذا قاتل قاتل بجنان فقال له أنت ضَمْرَة بن ضَمْرَة يريد أنت كأبيك وكان أبوه شريفاً شاعراً وكان نهشل شاعراً حسن الشعر وله عقب وهو القائل:

ويوْم كـأَنّ المُصْطلين بحَرِّه	وإنْ لم تَكُنْ نارٌ قِيَامٌ على الجمْرِ
صبرْنـا لـه حتّـى يبوخ وإنّما	تُفَرّجُ أيّـامُ الكَريهَـةِ بالصَّبْرِ

وهو القائل:

إنّا بني نهْشل لا ندّعي لأَب	عنـه ولا هو بالأَبْنـاءِ يَشْرِينا
إنْ تُبْتدرْ غايةٌ يوْماً لَمكْرُمةٍ	تَلْقَ السَّوابـقَ مِنّـا والمُصَلِّينا
بيضٌ مفارِقُنـا تَغْلي مراجلنا	نَأْسُـو بأَمْوالِنـا آثـارَ أَيْدِينا
إنّا لمنْ معْشَر أفْنَى أَوَائِلهُمْ	قيـلُ الكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ المُحامُونا
لوْ كان في الألْف منّا واحدٌ فدعَوْا	مَنْ عاطِفٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونا
وليْس يهْلِكُ منّا سيّدٌ أَبداً	إلّا افْتَلَيْنـا غُلاماً سيّداً فِينا

الأَعْوَرُ الشَّنِّيُّ

هو بِشْر بن مُنْقِذ من عبد القَيْس وكان شاعراً محسناً وله ابنان شاعران أيضاً يقال لهما جَهْم وجُهَيم وكان المُنْذِر بن الجارود العَبْديُّ واليَ اصْطَخْرَ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فاقتطع منها أربع مائة ألف درهم فحبسه عليٌّ حتَّى ضمنها عنه صَعْصَعَة بن صُوحانَ فخلَّى عنه فقال الأعور الشنّيُّ:

أَلَّا سألتَ بني الجارُودِ أيُّ فتًى ... عِنْدَ الشَّفاعَةِ والبابِ ابنُ صُوحانا
هَلْ كان إلَّا كأُمٍّ أرْضَعَتْ وَلَداً ... عُقَّتْ فلم تُجزَ بالإحْسانِ إحْسانا
لا تأْمَنَنَّ امْرَءًا خان امْرءًا أبداً ... إنَّ منَ الناسِ ذا وَجْهَيْنِ خَوَّانا

ويستجاد له قوله:

لَقَدْ عَلِمَتْ عُمَيْرَةُ أنَّ جارِي ... إذا ضَنَّ المُثَمِّرُ من عيالِي
وأنِّي لا أضَنُّ علَى ابنِ عَمِّي ... بنَصْرِي في الخُطُوبِ ولا نَوالِي
ولَسْتُ بقائِلٍ قَوْلًا لأُحْظَى ... بأمْرٍ لا يُصَدِّقُهُ فَعالِي
وما التَّقْصِيرُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وأخْلاقُ الدَّنِيَّةِ من خِلالِي
وأكْرَمَ ما تَكُونُ عَلَيَّ نَفْسِي ... إذا ما قَلَّ في اللَّزَباتِ مالِي
فتَحْسُنُ نُصْرَتِي وأصُونُ عِرْضِي ... وتَجْمُلُ عِنْدَ أهْلِ الرَّأْيِ حالِي
وإنْ نِلْتُ الغِنَى لم أُغْلُ فيه ... ولم أخْصُصْ بجَفْوَتِي المَوالِي

ولم أَقْطَعْ أَخاً لِأَخٍ طَرِيفٍ ... ولم يَذْمُمْ لطُرْفَتِــــهِ وِصالِي

وقَـدْ أَصْبَحْتُ لا أَحْتاجُ فيما ... بَلَوْتُ منَ الأُمورِ إلى سُؤَال

وذلـكَ أَنَّني أَدَّبْـتُ نَفْسِي ... وما حَلْتُ الرِّجالَ ذَوي المِحالِ

إذا ما المَرْءُ قَصَّرَ ثُمّ مَرَّتْ ... عَلَيْـهِ الأَرْبَعُونَ منَ الرِّجالِ

فـلم يَلْحَـقْ بصالحِهِمْ فدَعْـهُ ... فلَيْسَ بلاحِقٍ أُخْرَى اللَّيالِي

وكان يكنى أبا مُنْقذ ويهاجي بني عَصَرٍ ولهم يقول:

وإنْ تَنْظُرُوا شَزْراً إلَيَّ فإنَّـني ... أَنَا الأَعْوَرُ الشَّنِّيُّ قَيْدُ الأَوَابِدِ

حُرَيْثُ بنُ مُحفِّضٍ

هو من بني تميم من خُزاعيّ بن مازن رهط أبي عمرو بن العَلاء وتمثّل الحجّاج بأبيات من شعره على منبره مثلاً لأهل الشأم في طاعتهم وبأسهم وهي قوله :

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إنْ دُعُوا لمُلمّـــة
أَجابُوا وإنْ أَغْضَبْ على القَوْم يَغْضَبُوا

بنَـي الحَرْب لم تَقْعُدْ بهمْ أُمّهاتُهُمْ وآباؤُهُمْ آباءُ صدْقٍ فأَنْجَبُوا

فإنْ يَكُ طَعْنٌ بالرُّدَيْنيِّ يطْعُنُوا وإنْ يكُ ضَرْبٌ بالمَنَاصل يَضْرِبُوا

سُحَيْمُ بن الأَعْرَفِ

هو من بني الهُجَيم بن عمرو بن تميم وفيه وفي قبيلته يقول جَرِيرٌ:

وبَنُو الهُجَيْمِ قَبِيلَـةٌ مَلْعُونَـةٌ ... حُصُّ اللُّحَى مُتَشابِهُو الألْوانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَـةٍ أو شَرْبَـةٍ ... بعُمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بعُمَانِ
مُتَوَرِّكِـينَ بَنَاتِهِمْ وبَنِيهِمُ ... يَتَناغَقُونَ تَنَاغُـقَ الغِرْبـانِ

وسُحَيم القائل في حسَّان بن سعد عامل الحجّاج على البَحْرَيْن:

إلى حَسَّانَ من أَطْرافِ نَجْـدٍ ... رَحَلْنـا العِيسَ تَنْفَخُ في بُرَاها
نَعُـدُّ قَرَابَـةً ونَعُـدُّ صِهْراً ... ويَسْعَـدُ بالقَرَابَـةِ مَنْ رَعَاهـا
فما جِئْناك من عُدْمٍ ولكِنْ ... يَهَشُّ إلى الإمَـارَةِ مَنْ رَجَاها
وأَيَّـا مّـا أَتَيْتَ فإنَّ نَفْسِي ... تَعُـدُّ صَلَاحَ نَفْسِكَ من غِنَاها

فُرْعانُ بنُ الأَعْرَفِ

وفي بني تميم فُرْعان بن الأعرف من بني مُرَّة بن عُبَيد رهط الأحنف بن قَيْس وكان شاعراً لصًّا يغير على إبل الناس ،فأخذ لرجل جملًا فجاءَ الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك فقال القوم كَبِرْتَ والله يا فُرْعان قال لا والله ولكنَّه جذبني جذبةَ مُحِقٍّ ،وهو القائل:

يَقُولُ رِجالٌ إنَّ فُرْعانَ فَاجِرٌ ... ولله أَعْطانِي بَنِيَّ وماليـــــا

فأَرْبَعَـةً مِثْـلَ الصُّقُورِ وأَرْبَعاً ... مَرَاضِيعَ قد وَفَّيْنَ شُعْثاً ثَمَانيا

إذا اصْطَنَعُوا لا يَخْبأُونَ لغائِبٍ ... طَعَاماً ولا يَرْعَوْنَ مَنْ كان نائِيا

خِدَاشُ بنُ زُهَيْرٍ

هو خِدَاش بن زُهَير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة وهو من شعراءِ قيس المُجيدين في الجاهليَّة وكان أبو عمرو بن العَلاءِ يقول خداش بن زهير أشعر في عَظْم الشعر يعني نفس الشعر من لَبِيد إنَّما كان لبيد صاحب صِفَاتٍ، وكان خداش يهجو عبد الله بن جُدْعان التَّيْميَّ ولم يكن رآه فلمَّا رآه ندم على هجائه فممّا هجاه به قوله:

وأُنْبِئْتُ ذا الضَّرْعِ ابْنَ جُدْعانَ سَبَّني
وإنِّي بذِي الضَّرْعِ جُدْعانَ عالِمُ

أَغَرَّكَ أَنْ كانَتْ لبطْنِكَ عُكْنَةٌ
وأَنَّكَ مكْفِيٌّ بمَكَّةَ طاعِمُ

وتَرْضَى بأن يُهْدَى لَكَ العَقْلُ مُصْلِحاً
وتَخْنَقُ أَنْ تُجْنَى عَلَيْكَ العَظائِمُ

أَبَى لَكُمُ أَنَّ النُّفُوسَ أذِلَّةٌ
وأَنَّ القِرى عن واجِبِ الضَّيْفِ عاتِمُ

وأَنَّ الحُلُومَ لا حُلُومَ وأَنْتُمُ
مِنَ الجَهْلِ طَيْرٌ تَحْتَها الماءُ دائِمُ

ولَولَا رِجالٌ من عَلِيٍّ أَعِزَّةٌ
سَرَقْتُمْ ثِيابَ البَيْت والبَيْتُ قائِمُ

قال أبو محمَّد يقال لبني كِنَانة بنو عليّ، وكان جَدُّ خداش عمرو بن عامر يقال له فارس الضَّحْياء والضَّحْياءُ فرسه وفيه يقول:

أَبي فارِسُ الضَّحْياءِ عمرُو بن عامِرٍ أَبَى الذَّمَّ وٱخْتارَ الوَفاءَ على الغَدْرِ

وكان لخداش فرس يقال له درهم وفيها يقول:

أَقُولُ لعَبْـدِ اللهِ في السِّرِّ بَيْنَنا لَكَ الوَيْلُ عَجِّلْ لِي اللِّجامَ ودِرْهَمَا

ومّما يتمثَّل به من شعره قوله:

ولَنْ أَكُونَ كمَنْ أَلْقَـى رِحالَتَهُ عَلَى الحِمارِ وخَلَّى صَهْوَةَ الفَرَسِ

وقوله:

فإنْ يَكُ أَوْسٌ حَيَّةً مُسْتَمِيتَةً فذَرْني وأَوْساً إنَّ رُقْيَتَـهُ معِي

حُصَيْنُ بنُ الحُمَامِ

هو من بني مُرَّة جاهليٌّ ويُعَدُّ من أَوْفياءِ العرب وقال أبو عُبَيدة اتَّفقوا على أنَّ أشعر المُقِلّين في الجاهليَّة ثلاثة المسيّب بن عَلَس والمتلمّس وحُصَين بن الحُمَام المرّيُّ وهو القائل:

نُفَلِّـقُ هاماً من رِجالٍ أعِزَّةٍ　　عَلَيْنـا وهُمْ كانوا أَعَقَّ وأَظْلَما
نُحارِبُهُمْ نَسْتَوْدِعُ البِيضَ هامَهُمْ　　ويَسْتَوْدِعُونَا السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّما
فلَسْنا عَلَى الأعْقابِ تَدْمَى كُلُومُنـا　　ولكِنْ على أقْدامِنا تَقْطِرُ الدِّما

وفيها يقول:

فلُوذُوا بأَدْبـارِ البُيُوتِ فإنَّما　　يَلُوذُ الذَّليـلُ بالعَزِيزِ ليُعْصَما

كَعْبٌ وعَمِيرَةُ ابنا جُعَيْلٍ

هما من بني تَغْلِب ابنة وائل ولكعب يقول الشاعر:

سُمِّيتَ كَعْباً بشَرِّ العِظام | وكان أَبُوك يُسَمَّى الجُعَلْ
وكان مَحَلُّك من وائِلِ | مَكانَ القُرَادِ مِن آسْتِ الجَمَلْ

وقال له يزيد بن معاوية إن عبد الرحمان بن حسّان قد فضحنا فاهجُ الأنصار فقال له كعب أَرادِّي أنت إلى الشرك أَأَهْجو قوماً نصروا رسول الله ﷺ وآووه ولكنّي دالُّك على غلام منّا نصرانيّ كافر شاعر فدلَّه على الأخطل، وأخوه عَمِيرة بن جُعَيل أحد من هجا قومه فقال:

كَسَا اللهُ حَيَّيْ تَغْلبَ آبْنَةِ وائِلِ | منَ اللُّؤْمِ أَظْفَاراً بَطِيئاً نُصُولُها
فما بِهِمُ أَلَّا تَكُونَ طَرُوقَةً | كُرَاماً ولكِنْ غَيَّرَتْها فُحُولُها

ثم ندم فقال:

نَدِمْتُ على شَتْمِ العَشِيرَةِ بَعْدَما | مَضَتْ واستتَبَّتْ للرُّواةِ مَذاهِبُهْ
فأَصْبَحْتُ لا أَسْطِيعُ دَفْعاً لِمَا مَضَى | كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضَّرْعِ حالبُهْ

عَبْدُ اللهِ بْنُ هَمَّامٍ السَّلُوليُّ

هو من بني مُرَّة بن صَعْصَعَة أخي عامر بن صعصعة من قيس عَيْلان وبنو مُرَّة يُعرفون ببني سَلُولٍ لأَنَّها أمُّهم وهي بنت ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة وهم رهط أبي مَرْيَم السَّلُوليّ وكانت له صُحْبة وعبد الله بن هَمَّام القائل في عَريفهم:

ولَمَّــــا خَشِيــتُ أَظافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وأَرْهَنْتُهُمْ مالِكـــــا
عَرِيفــاً مُقِــيماً بِــدارِ الهَوَا نِ أَهْوِنْ عَلَيَّ به هالِكا

وهو القائل في الفُلَافِسِ :

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ٱبْنَةَ مالِكٍ وذُمِّي زَماناً سادَ فيه الفُلَافِسُ
وساعٍ مَعَ السُّلْطانِ لَيْسَ بناصِحٍ ومُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وهو حارِسُ

وكان الفُلَافس هذا على شُرَط الكوفة من قِبَل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ، أخي عمر بن أَبي ربيعـة. وخرج الفلافس مع ابن الأَشْعَث فقتله الحجَّاجُ، وعبد الله هو القائل ليزيد ابن معاوية يعزّيه عن أبيه:

اِصْبِرْ يَزِيدُ فقَدْ فارَقْتَ ذا مِقَةٍ وٱشْكُرْ حِباءَ الَّذِي بالمُلْكِ حاباكا
لا رُزْءَ أَعْظَمُ في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ كَمَا رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْباكا
أَصْبَحْتَ راعِيَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمُ فأَنْــتَ تَرْعاهُمُ واللهُ يَرْعاكــا
وفي مُعَاوِيَـةَ الباقِي لَنَا خَلَفٌ إذا نُعِيـتَ ولا نَسْمَـعْ بمَنْعاكا

يعني معاوية بن يزيد وهو أبو لَيْلَى.

شُعَراءُ هُذَيْل أَبُو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ

هو خُوَيْلد بن خالد جاهليٌّ إسلاميٌّ وكان راوية لساعدة بن جُؤَيَّة الهذليّ وخرج مع عبد الله بن الزُّبير في مَغزًى نحو المغرب فمات فدلّاه عبد الله بن الزبير في حفرته لأوفي عبد الله بن الزبير يقول في تلك الغزاة:

وصاحِب صِدْقٍ كَسِيدِ الضَّرَا ... ءِ يَنْهَضُ في الغَزْو نَهْضاً نَجِيحا
وَشِيـكِ الفُصُول بَطِيٌّ القُفُو ... لِ إلَّا مُشَاحاً بِـهِ أو مُشِيحا

وكان أبـو ذؤيـب يهوى امرأةً من قومه وكان رسوله إليها رجلًا من قومه يقال له خالد بن زُهَيرٍ فخانه فيها فقال أبو ذؤيب:

تُرِيـدِينَ كَيْما تَجْمَعِيني وخالِداً ... وهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفانِ وَيْحَكِ في غِمْدِ
أَخالِـدُ ما راعَيْـتَ مِنِّي قَرابَـةً ... فَتَحْفَظَنِي بالغَيْبِ أو بَعْضِ ما تُبْدِي

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابنَ عمٍّ له يقال له مالك بن عُوَيْمِر فقال خالد مُجيباً لأبي ذؤيب:

فَلَا تَجْزَعـاً مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها ... وأَوَّلُ راضٍ سُنَّـةً مَنْ يَسِيرُها
وكُنْـتَ إماماً للعَشِيرَةِ تَنْتَهِي ... إِلَيْكَ إذا ضاقَتْ بأَمْرٍ صُدُورُها
أَلَمْ تَتَنَقَّذْهـا مِنِ ابنِ عُوَيْمِرٍ ... وأَنْـتَ صَفِيُّ نَفْسِهِ ووزِيرُها

وقال الأصمعيُّ في قوله في وصف الفرس:

قَصَرَ الصَّبُوحُ لها فشُرِّجَ لَحْمُها   بالنَّيِّ فَهْيَ تَثُوخُ فيها الإِصْبَعُ

شُرِّج لحمها صار شَرِيجَيْن شحماً ولحماً، وتثوخ تغيب مثل تسوخ، وهذا من أخبث ما نُعِتت به الخيل، والصواب أن توصف بصلابة اللحم ويستجاد له قوله لخالد بن زُهَير هذا:

ما حُمِّلَ البُخْتِيُّ عامَ غِبارِهِ   عَلَيْهِ الوُسُوقُ بُرُّها وشَعِيرُها

أتى قَرْيَةً كانت كَثِيراً طَعَامُها   كرَفْغِ التُّرابِ كُلُّ شَيْءٍ يَمِيرُها

قال الأصمعيُّ يقال للأرض إذا كانت كثيرة التراب هذه رَفْغ من الأرض.

فقيلَ تَحَمَّلْ فَوْقَ طَوْقكَ إنَّها   مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِها لا يَضِيرُها

بأَكْثَر مِمَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خالداً   وشَرُّ أَماناتِ الرِّجالِ غُرُورُها

ولَوْ أَنَّني حَمَّلْتُهُ البُزْل لم تَقُمْ   به البُزْلُ حَتَّى تَتْلئِبَّ صُدُورُها

خَلِيلي الَّذي دَلَّى لِغَيٍّ خَلِيلَتي   جِهاراً وكُلًّا قد أَضار غُرُورُها

فشأْنَكَهـا إنِّي أَمِينٌ وإنَّني   إذا ما تُحالي مِثْلَها لا أَطُورُها

فإنَّ حَرَاماً أَنْ أَخُون أَمانَةً   وآمَنَ نَفْساً ليس عندي ضَمِيرُها

أُحاذِرُ يَوْماً أَنْ تَبِينَ قَرِينَتي   ويُسْلِمَها إخْوانُها ونَصِيرُها

وما أَنْفُسُ الفِتْيانِ إلَّا قَرَائِنٌ   تَبِينُ وتَبْقَى هامُها وقُبُورُها

فنَفْسَكَ فاحْفَظْها ولا تُفْشِ لِلْعِدَا   منَ السِّرِّ ما يُطْوَى عليه ضَمِيرُها

وما يَحْفَظُ المَكْتُومَ من سِرِّ أَهْلِهِ   إذا عُقَدُ الأَسْرارِ ضاعَ كَبيرُها

مِنَ القَوْمِ إلَّا ذو عَفَافٍ يُعِينُهُ   عَلَى ذاك منه صِدْقُ نَفْسٍ وخِيرُها

رَعَى خالِدٌ سِرِّي لَيَالِيَ نَفْسُهُ   تَوَالَى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُها

فَلَمَّا تَراماه الشَّبَابُ وغَيُّه　　وفي النَّفْسِ منه غَدْرَةٌ وفُجُورها

لَوَى رَأْسَهُ عَنِّي ومَال بوَدِّهِ　　أَغَانِيجُ خَوْدٍ كان قِدْماً يَزُورُها

تَعَلَّقَهُ منها دَلَالٌ ومُقْلَةٌ　　تَظَلُّ لِأَصْحابِ الشَّقاءِ تُدِيرُها

وقوله يذكر حُفْرَته:

مُطَأْطَأَةً لم يُنْبِطُوها وإنَّها　　لَيَرْضَى بها فُرّاطُها أُمَّ واحِدِ

قَضَوْا ما قَضَوْا من رَمِّها ثم أَقْبَلُوا　　إليَّ بطاءَ المَشْيِ غُبْرَ السَّوَاعِدِ

فكُنْتُ ذَنُوبَ البِئْرِ لَمَّا تَبَسَّلَتْ　　وسُرْبِلتُ أَكْفاني ووُسِّدْتُ ساعِدِي

أَعاذِلُ لا إهْلاكُ مالِيَ ضَرَّني　　ولا وارِثِي إنْ ثُمِّرَ المالُ حامِدِي

وكان لأبي ذُؤَيبْ ابن يقال له مازن بن خُوَيْلِد ويكنى أبا شهاب وهو أحد شعراءِ هُذَيل، وأُخذ على أبي ذؤيب قوله في صفة الدُّرَّة:

فجاءَ بها ما شئْتَ من لَطَمِيَّةٍ　　يَدُومُ الفُراتُ فَوْقَها ويَمُوجُ

وقالوا الدرَّة لا تكون في الماءِ الفُرَات إنَّما تكون في الماءِ الملح ويروى تدوم البحار، وفي هذه الرواية نفي الغلط عنه وتدوم أي تسكن في الماءِ الدائم، وعيب أيضاً بقوله في الخمر:

فما بَرِحَتْ في الناسِ حتَّى تبيَّنَتْ　　ثَقِيفاً بزِيزاءِ الأَشاءِ قيامُها

يقول فما برحت في الناس لا تفارقهم مخافة أن يُغارَ عليها حتَّى أَتَوْا بها ثِقيفاً فأَمِنَتْ، قال الأصمعيُّ ما تصنع ثقيف بالخمر ومَن ذا يجلبها من الشأم إليهم وعندهم العنب.

المُتَنَخِّلُ

ومن شعراءِ هُذَيل المتنخِّل وهو مالك بن عمرو بن عَثْم بن سُوَيد ابن حَنَش بن خُنَاعـة من لِحْيان، قال الأصمعيُّ ما قيلت قصيدة على الزاي أجود، من قصيدة الشمَّاخ في صفة القوس ولو طالت قصيدة المتنخّل كانت أجود وهي التي يقول فيها:

يا ليْت شِعْرِي وهَمُّ المَرْءِ يُنْصِبُهُ | والمرْءُ لَيْسَ له في العَيْشِ تَحْرِيزُ
هَـلْ أَجْزِيَنَّكُمَا يَوْماً بقَرْضِكُما | والقَرْضُ بالقَرْضِ مَجْزِيٌّ ومَجْلُوزُ

أي مربوط، قال ولم تُقَل كلمة على الطاء أجود من قصيدته التي يقول فيها:

وماءٍ قد وَرَدْتُ أُمَيْمَ طامٍ | على أَرْجائـهِ زَجلُ الغَطَاطِ
كأَنَّ مَزَاحفَ الحَيَّاتِ فيـه | قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّياطِ

ويستجاد له قوله في أخيه عُوَيْمر يرثيه:

لَعَمْرُكَ ما إِنْ أبو مالِكٍ | بوانٍ ولا بضَعِيفٍ قُوَاهُ
ولا بأَلَدَّ لَهُ نازِعٌ | يُعادِي أَخاهُ إذا ما نَهَاهُ
ولكِنَّه هَيِّنٌ لَيِّنٌ | كعالِيَةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

أي شديد الرِّجْل في العَدْو.

إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطْواعَةً | ومَهْما وَكَلْتَ إلَيْهِ كَفَاهُ

أَلَا مَنْ يُنَادِي أَبا مالِكٍ ... أَفِي أَمْرِنا هُوَ أَمْ في سِوَاهُ

أبو مالِكٍ قاصِرٌ فَقْرَهُ ... على نَفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ

ويستجاد له قوله في ابنه أُثَيْلَةَ يرثيه:

لَقَدْ عَجِبْتُ وما بالدَّهْرِ من عَجبٍ ... أَنَّى قُتِلْتَ وأَنْتَ الحازِمُ البَطَلُ

وَيْ لِأَمِّهِ رَجُلاً تَأْبَى به غَبَناً ... إذا تَجَرَّدَ لا خالٌ ولا بَخِلُ

السالِكُ الثُّغْرَةِ اليَقْظانِ كالِئُها ... مَشْيَ الهَلُوكِ عَلَيْها الخَيْعَلُ الفُضُلُ

لَيْسَ بعَلٍّ كَبيرٍ لا شَبَابَ له ... لكِنْ أُثَيْلَةُ صافِي الوَجْهِ مُقْتَبَلُ

يُجِيبُ بَعْدَ الكَرى لَبَّيْكَ داعِيَهُ ... مِجْذامَةٌ لِهَوَاهُ قُلْقُلٌ وَقِلُ

حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... بِكُلِّ إِنْيٍ[1] حَذَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

---

(١) في كل آنٍ.

أبو خِرَاشٍ وإخوته

ومن شعراءِ هُذَيل أبو خِرَاش واسمه خُوَيْلِد بن مُرَّة أحد بني قِرْد ابن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ونهشته حيَّة فمات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان له أخ يقال له عُرْوَة فمات فقال يرثيه ويحمد الله على سلامة ابنه خِرَاش:

حَمِدْتُ إلاهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ بَعْضِ

فوالله لا أَنْسَى قَتِيـلاً رُزِيتُـهُ ... بِجانِبِ قُوسَى ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ

بَلَى إنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّما ... نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي

وكان لأبي خراش أخ يقال له عُرْوة بن مُرَّة من شعراءِ هُذَيل المعدودين وهو الذي رثاه، وهو القائل:

لَسْتُ لُمَرَّةَ إنْ لم أُوفِ مَرْقَبَـةً ... يَبْدُو لِيَ الحَرْثُ منها والمَقاضِيبُ

وأخوه أبو جُنْدَب بن مُرَّة أيضاً أحد شعراءِ هذيل المعدودين وهو القائل:

فلا تَحْسِبَنْ جارِي لدَى ظِلِّ مَرْخةٍ ... ولا تَحْسِبَنْـهُ فَقْعَ قاعٍ بقَرْقَرِ

خُوَيْلِدُ بن مطْحَلٍ الهُذَلِيُّ

هو أحد بني سَهْم بن معاوية وكان سيّد هذيل في زمانه وابنه من بعده مَعْقِل بن خويلد وكان شاعراً معدوداً في شعراء هذيل ووفد إلى أرض الحَبَشة فكلَّم ملكهم في من عنده من أسرى العرب فأطلقهم له وهو القائل:

لَعمْرُك لَلْيـــأْسُ غيْرُ المُريـــثِ خَيْرٌ من الطَّمَـــعِ الكـــاذِبِ
وللرَّيْـــثُ تَحْفِزُهُ بالنَّجـــا ح خَيْرٌ مِنَ الأَمَـــلِ الخائِـــبِ
يرَى الحاضِرُ الشاهِدُ المُطْمَئِنُّ من الأَمْرِ ما لا يرَى الغائِبُ

مالِكُ بن الحارِثِ الهُذَليُّ وأَخُوهُ أُسامَةُ

ومنهم مالك بن الحارث (الهذليُّ) وأخوه أُسامة بن الحارث شاعران مُجيدان جميعاً ومالك الذي يقول:

فلستُ بمُقْصِرٍ ما سافَ مالِي ... ولَوْ عرَضَتْ لِلَبَّتِي الرِّماحُ
فلُومُوا ما بَدَا لَكُمُ فإنِّي ... سأُعْتِبُكُمْ إذا انْفَسَحَ المُراحُ
ومَنْ يُقْلِلْ حَلُوبَتَهُ ويَنْكُلْ ... عَنِ الأَعْداءِ يَغْبُقْهُ القَراحُ
رَأَيْتُ معاشِراً يُثْنَى عَلَيْهِمْ ... إذا شَبِعُوا وأَوْجُهُهُمْ قِباحُ
يَظَلُّ المُصْرِمُونَ لَهُمْ سُجُوداً ... ولَوْ لَمْ يُسْقَ عِنْدَهُمُ ضَياحُ

أُمَيَّةُ بن أبي عائِذٍ

وهو من شعراء هذيل وهو القائل:

يَمُرُّ كجَنْدَلَــةِ المَنْجَنِيــقِ يُرْمَــى بهـا السُّورُ يَوْمَ القِتــالِ

صَخْرُ الغَيِّ

وهو القائل:

إنّي بدَهْماءَ قَـلَّ مـا أَجِدُ عاوَدَني من حِبَابِهـــا زُؤُدُ

أبو العِيَالِ

وهو القائل يرثي عَبْدَ بن زُهْرَةَ رجلاً من قومه:

لــه في كُـلِّ مــا رَفَــعَ ٱلْفَتَــى من صالِــحٍ سَبَــبُ

رَزِيئَــةُ قَوْمِــهِ لم يَــأْ خُــذُوا ثَمَنــاً ولم يَهَبُوا

أبو كَبِيرٍ الهُذَليُّ

هو عامر بن الحُلَيْسِ وهو جاهليٌّ وله أربع قصائد أوَّلها كلّها شيءٌ واحد ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك إحداهنَّ:

أَزُهَيْرَ هَـلْ عن شَيْبَةٍ من مَعْدِلِ ... أم لا سَبِيلَ إلى الشَّبَابِ الأَوَّلِ

والثانية:

أَزُهَيْرَ هَـلْ من شَيْبَةٍ من مَقْصِرِ ... أم لا سَبِيل إلى الشَّبَابِ المُدْبِرِ

والثالثة:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفِ ... أم لا خُلُودَ لباذِلٍ مُتَكَلِّفِ

والرابعة:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَعْكِمِ ... أم لا خُلُودَ لبــاذِلٍ مُتَكَرِّمِ

ومّما يستجاد له قوله:

ولقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلاَمِ بِمِغْشَمٍ ... جَلْـدٍ منَ الفِتْيانِ غَيْرِ مُهَبَّلِ
مِمَّنْ حَمَلْنَ بـه وهُنَّ عَوَاقِـدٌ ... حُبُكَ النِّطاقِ فعاش غَيْرَ مُثَقَّلِ
حَمَلَتْ بـه في ليْلَـةٍ مَزْؤُودَةً ... كَرْهاً وعَقْدُ نِطاقِها لم يُحْلَلِ
فأتـتْ به حُوش الجَنَانِ مُبَطَّناً ... سُهُداً إذا ما نام لَيْلُ الهَوْجَلِ
ومُبَرَّأً من كُـلِّ غُبَّرِ حَيْضَـةٍ ... ورَضَاعِ مُغْيلَةٍ وداءٍ مُعْضِلِ

فإذا نَظَرْتَ إلى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ	بَرَقَتْ كبَرْقِ العارِضِ المُتَهَلِّلِ
وإذا قَذَفْتَ له الحَصَاةَ رَأَيْتَهُ	يَنْزُو لوَقْعَتِها طُمُورَ الأَخْيَلِ
وإذا رَمَيْتَ به الفِجاجَ رَأَيْتَهُ	يَهْوِي مَخارِمَها هُوِيَّ الأَجْدَلِ
وإذا يَهُبُّ منَ المَنامِ رَأَيْتَهُ	كرُتُوبِ كَعْبِ الساقِ لَيْسَ بزُمَّلِ
ما إنْ يَمَسُّ الأَرْضَ إلّا مَنْكِبٌ	منه وحَرْفُ الساقِ طَيَّ المِحْمَلِ
يُعْطِي الصِّحابَ إذا تَكُونُ كَرِيهَةٌ	وإذا هُمُ نزَلُوا فمَأْوَى العُيَّلِ
فإذَا وذلِكَ لَيْسَ إلّا ذِكْرُهُ	وإذا مَضَى شَيْءٌ كأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

وقوم من الرُّواة ينحلون الشعر تَأَبَّطَ شَرًّا ويذكرون أنّه كان يتبع امرأة من فَهم، وكان لها ابن من هُذَيل وكان يدخل عليها رَحْلاً فلمّا قارب الغلام الحُلُمَ قال لها مَن هذا الرجل الداخل عليك؟ قالت صاحب كان لأبيك، قال والله لئن رأيتُه عندك لأَقتلنّك، فلمّا رجع إليه تأَبَّط شرًّا أخبرتْه الخبر وقالت إنَّ هذا الغلام مفرّق بيني وبينك فاقتلْه، قال سأفعل ذلك، فمرّ به وهو يلعب مع الصبيان فقال له هلمَّ أهب لك نَبْلاً فمضى معه فتندَّم من قتله ووهب له نبلاً، فلمّا رجع إليها تأبَّط شرًّا أخبرها فقالت إنَّه والله شيطان من الشياطين والله ما رأيتُه قطُّ مستثقلاً نوماً ولا ممتلئاً ضحكاً ولا همَّ بشيءٍ منذ كان صغيراً إلّا فعله ولقد حملتُه فما رأيتُ عليه دماً حتّى وضعتُه ولقد وقع عليَّ أبوه وإنّي لمتوسّدة سرجاً في ليلة هَرَب، وإنَّ نطاقي لمشدود، وإنَّ على أبيه لدرعاً فاقتلْه فأنت والله أحبُّ إليَّ منه، فقال لها سأغزو به فأقتله؛ فمرَّ فقال له هل لك في الغزو؟ قال نعم، فخرج معه غازياً فلم يجد له غِرَّةً حتّى مرَّ في بعض الليالي بنار لابنَيْ قتْرَةَ الفَزاريّين وكانا في نجعة فلمّا رأى تأبَّط النار عرف أهلها فأكبَّ على رجله وصاح

نُهشتُ نُهشتُ، النار النارَ، فخرج الغلام يهوي نحو النار فصادف عندها الرجلين فواثباه فقتلهما جميعاً ثم أخذ جذوة من النار واطَّرد إبل القوم وأقبل نحوه فلمّا رأى تأبَّط النار تهوي نحوه ظنَّ أن الغلام قد قُتل وأنَّ القوم اتبعوا أثره فمضى يسعى قال فما تَشِبْتُ إن أدركني ومعه جذوة من النار وهو يطرد إبل القوم فقال ويلك قد أتعبتني منذ الليلة ثم رمى بالرأسين فقلت ما هذا؟ قال كلبان هارّاني على النار، فقتلتهما، قال قلتُ إني والله ظننتُ أنك قد قُتلت قال بل قتلتُ الرجلين، عاديتُ بينهما فقلت له الهَرَبَ الآن، فالطَّلَبَ والله في إثرك ثم أخذتُ به على غير الطريق فما سرْنا إلّا قليلاً حتَّى قال أخطأتَ والله الطريق وما تستقيم الريح فيه، ثم نظر فما لبث أن استقبل الطريق وما كان والله سلكها قطُّ، قال وسرنا إلى الصباح فقلت له انزل فقد أمنت فأَنَخْنا الإبل ثم انتبذ فنام في طرفها ونمتُ في طرفها الآخر ورمقتُه حتَّى إذا أدَّى إليَّ نفَسَه وانحطَّ طرفاه نوماً قمت رُويداً فإذا هو قد استوى قائماً فقال ما شأنك فقلتُ سمعتُ حِسًّا في الإبل فطاف معي بينها فقال والله ما أرى شيئاً فَنَمْ فنمتُ فنام وقلت عجلتُ قبل أن يستثقل، فأمهلتُه حتَّى إذا تملَّأ نوماً قمتُ رويداً فإذا هو قد استوى قائماً وقال ما شأنك؟ قلتُ سمعتُ حِسًّا فطفتُ وطاف معي، ثم قال أتخاف شيئاً؟ قلتُ لا قال فنَمْ ولا تَعُدْ فإنّي قد ارتبتُ منك، فأمهلتُه حتَّى إذا استثقل قذفتُ بحصاة إلى رأسه فوثب وتناومتُ فأقبل نحوي فركضني برجله وقال أنائم أنت؟ قلت نعم، قال أَسَمعتَ ما سمعتُ؟ قلتُ وما الذي سمعت؟ قال إنّي سمعتُ عند رأسي مثل بركة الجزور، قلت فذلك الذي أحذر فطاف بالإبل

فطفت معه فلم نر شيئاً فأقبل عليَّ مغضباً تتوقَّد عيناه فقال لي قد علمت ما تصنع منذ الليلة والله لئن عدتَ ليموتنّ أحدنا ثم أمَّ مضجعه قال فوالله لبتُّ أكلؤه مخافة أن يوقظه شيءٌ فيقتلني، وتأمَّلته مضطجعاً فإذا هو على حرفٍ ما إن يمسُّ الأرض إلّا منكبه وحرف ساقه وسائره ناشزٌ منه، فلمّا استيقظ قال ألا ننحر جزوراً فنأكل؟ قلت بلى، فنحرنا جزوراً فاشتوى ثم حلب ناقة فشرب ثم خرج يريد المذهب وأبْعَدَ وراث عليَّ جدًّا قال فاتَّبعتُ أثره فأجدُه مضطجعاً على مذهبه وإذا يده داخلة في جُحْر وإذا رجله منتفخة، فأنتزعُ يده من الجُحْر فإذا هو قابض على رأس أسود وقد قتله وإذا هما ميّتان جميعاً، ففي ذلك يقول أبو كبير ويقال تأبَّط شرًّا:

ولقد سَرَيْتُ على الظلام... البيت

عُرْوَةُ بن الوَرْدِ

هو من بني عَبْس وكان يلقَّب عُرْوَةَ الصَّعاليك لقوله:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكاً إذا جَنَّ لَيْلُهُ   مُصَافِي المُشَاشِ آلِفاً كُلَّ مَجْزِرِ
يَعُدُّ الغِنَى من دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ   أَصابَ قِرَاها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قاعِداً   يَحُتُّ الحَصَى عن جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ
وللهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَـةُ وَجْهِهِ   كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلٌّ عَلَى أَعْدائِهِ يَزْجُرُونَهُ   بساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

وقال عبد الملك بن مروان ما يسرُّني أن أحداً من العرب ولدني إلّا عروة بن الورد لقوله:

إِنِّي ٱمْرُؤٌ عافِي إِنائي شِرْكَةٌ   وأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عافي إِنائِكَ واحدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسُومٍ كَثيرةٍ   وأَحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ بارِدُ
أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وأَنْ تَرَى   بِجِسْمِيَ مَسَّ الحَقِّ والحَقُّ جاهِدُ

وكان جاهليًّا وهو القائل:

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَّرْتُ من خِيفَةِ الرَّدَى   نُهاقَ الحَمِيرِ إِنَّنِي لَجَزُوعُ

وكان أصاب في بعض غاراته امرأة من كِنَانة فاتَّخذها لنفسه فأولدها وحجَّ بها ولقيه قومُها وقالوا فادِنا بصاحبتنا فإنَّا نكره أن

تكون سبيَّة عندك، قال على شَريطة، قالوا وما هي، قال على أن نخيّرها بعد الفداءِ فإن اختارت أهلها أقامت فيهم وإن اختارتني خرجتُ بها وكان يُرَى أنَّها لا تختار عليه فأجابوه إلى ذلك وفادوا بها فلمّا خيَّروها اختارت قومها ثم قالت أما انّي لا أعلم امرأة ألقَتْ ستراً على خير منك أغفل عيناً وأقلَّ فُحْشاً وأَحْمى لحقيقته، ولقد أقمتُ معك وما يوم يمضي إلّا والموت أحبُّ إليَّ من الحياة فيه، وذلك أنّي كنتُ أسمع المرأة من قومك تقول، قالت أَمَةُ عُرْوَةَ كذا وقالت أمة عروة كذا والله لا نظرتُ في وجه غَطَفانيَّة فارجعْ راشداً وأَحْسِنْ إلى ولدك فذلك قوله:

ولَوْ كاليَوْمِ كان عليَّ أَمْرِي ... ومَنْ لك بالتَّدَبُّرِ في الأُمُورِ
إذاً لَمَلَكْتُ عِصْمَةَ أُمِّ عَمْرٍو ... عَلَى ما كان من حَسَكِ الصُّدُورِ
فيا للنَّاسِ كَيْفَ أَطَعْتُ نَفْسِي ... على شَيْءٍ ويَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

طُرَيْحٌ الثَّقَفِيُّ

هو طُرَيح بن إسماعيل وكان شاعراً شريفاً وله عقب بالطائف وهو القائل في الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان:

أَنْتَ ٱبْنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولَمْ ... تُعْطَفْ عَلَيْكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وٱلْمَوْجُ عَلَيْهِ كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ

لَارْتَدَّ أَوْ ساخَ أَوْ لكان له ... في سائرِ الأَرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ

طُوبَى لِفَرْعَيْكَ من هُنَا وهُنَا ... طُوبَى لِأَعْراقِكَ الَّتي تَشِجُ

وعتب عليه الوليد في شيءٍ فجفاه فقال:

يَٱبْنَ الخَلَائِفِ ما لي بَعْدَ تَقْرِبَةٍ ... إِلَيْكَ أُجْفَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ

أَبْنَ الذِّمَامَةُ والحَقُّ الَّذي نَزَلَتْ ... بحَفْظِهِ وبتَعْظِيمٍ له الكُتُبُ

هَلَّا تَحَسَّبْتَ عَنْ عُذْرِي وبَغْيِهِمُ ... حَتَّى يَبِينَ عَلَى مَنْ يَرْجِعُ الكَذِبُ

ما كان يَشْقَى بهذا منك مُرْتَغِبٌ ... خالٌ ولا الجارُ ذُو القُرْبَى ولا الجُنُبُ

إِنْ يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخْفُوهُ وإِنْ عَلِمُوا ... شَرًّا أُذِيعَ وإِنْ لم يَعْلَمُوا كَذَبُوا

وثَقيف أخوال الوليد.

عُمَرُ بْنُ لَجَأٍ الراجز

هو من تَيْم بن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طابِخة بن أَلْياس بن مُضَر من بطن يقال لهم بنو أَيْسَر وذكرهم جَرير فقال:

أَظُنُّ الخَيْـلَ تَذْعَرُ سَرْحَ تَيْمٍ ... وتُعْجِـلَ زُبْدَ أَيْسَرَ أَنْ يُذَابَا

وأخذه من قول لَقِيط بن زُرَارة حيث قال فيهم:

إذا دَهَنُوا رِماحَهُمْ بزُبْـــدٍ ... فـإِنَّ رِمـاحَ تَيْم لا تَضِـيرُ

ومات عمر بن لجأ بالأَهْواز وكان يهاجي جريراً، حدثني عبد الرحمان عن الأصمعيّ عن المُنْتَجع بن نَبْهان قال سمعتُ الأشهب بن جميل يقول أنا أوّل من ألقى الهجاء بين جرير وابن لجأ، أنشدتُ جريراً قول ابن لجأ:

تَصْطَكُّ أَلْحِيها عَلَى دِلاَئِها ... تلاَطُمَ الأَزْدِ عــلى عَطَائِهـا

حتّى بلغتُ قوله:

تَجُرُّ بالأَهْوَنِ من أَدْنائِهـــا ... جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من خِفائِها

فقال جرير أَلاَّ قال:

جَرَّ الفَتَاةِ طَرَفَيْ رِدائِها

فرجعتُ إلى عمر بن لجأ فأخبرتُه بما قال جرير فقال والله ما أردتُ

إلَّا ضَعْفَة ضُعْف العجوز، ووقع الشرُّ بينهما، وفي غير هذه الرواية أنَّ ابن لجأ قال له عند المهاجر بن عبد الله الكلابيّ والي اليمامة فقد قلتَ أنت أعجب من هذا وهو قولك:

وأَوْثَقُ عِنْدَ الْمُرْدَفاتِ عَشِيَّةً لِحَاقاً إذا ما جَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ

والله لئن كُنَّ لم يُلْحَقْنَ إلّا عشيًّا ما لُحِقْنَ حتَّى نُكحن وأُحْبِلْنَ فوقع الشرُّ بينهما فلمّا بلغ التَيْمَ أَتَوْا عُمَر فقالوا عرَّضتَنا لجرير وسألوه الكفَّ فقال أكفُّ بعد ذكره بَرْزَة وبرزة أمُّه وذلك في قول جرير:

أَنْتَ ٱبْنُ برْزَةَ مَنْسُوبٌ إِلَى لَجَأ عِنْدَ العُصَارَةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

يقال فلان عُصارة فلان أي ولده وهو سبٌّ.

أَبُو الهِنْدِيِّ

هو عبد المؤمن بن عبد القُدُّوس بن شَبَث بن رِبْعيّ من بني زيد بن رياح بن يربوع وكان مغرماً بالشراب ومات بسجستان وهو القائل يصف الأباريق:

سيُغْنِي أبا الهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سالِمٍ أبارِيقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ
مُقَدَّمَــةٌ قَزًّا كَـأَنَّ رِقابَهـا رِقـابُ بَناتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ

وسالم الذي ذكره هو مولى قُدَيد بن مَنِيع المِنْقَرِيّ ثم ترك الخمر وقال:

تَرَكْــتُ الخُمُورَ لأَرْبابِهــا وأَقْبَلْتُ أَشْرَبُ ماءً قَرَاحا
وقَدْ كُنْتُ حِيناً بها مُغْرَماً كحُبِّ الغُلامِ الفَتاةَ الرَّدَاحا
فلم يَبْقَ في الصَّدْرِ من حُبِّها سِوَى أَنْ إذا ذُكِرَتْ قُلْتُ آحا
ومـا كـان تَرْكِي لَها أَنَّني يَخافُ نَدِيمي عَلَيَّ ٱفْتِضَاحا
ولكِنَّ قَوْلِي لــه مَرْحَبــاً وأَهْلاً مَعَ السَّهْلِ وٱنْعِمْ صَبَاحا

وهو القائل:

إذا ما أَلَحَّ البَرْدُ فٱجْعَلْ دِثارَهُ إذا ٱلْتَحَفَ الأَقْوامُ دُكْنَ المَطارِفِ
ثَلاثَــةَ أَرْطـالٍ نَبِيـذاً مُعَسَّلاً تَكُنْ آمِناً منه لَهُ غَيْرَ خائِفِ
فإِنَّ ٱلْتِحافَ المَرْءِ في جَوْفِ بَطْنِهِ أَشَدُّ وأَدْفَا مِنْ جِيادِ المَلَاحِفِ

الكَذَّابُ الحِرْمَازِيُّ

هو عبد الله بن الأعور وقيل له الكَذَّاب لكذبه، وحدثني سَهْل عن الأصمعيّ قال قال رؤبة بن العجّاج جاءَ الكذَّاب الحرمازيُّ وهو عبد الله بن الأعور إلى العجّاج يطلبه حاجة فقال له أشعرتَ أنّي مررتُ بمثل ذَنب اليَرْبوع يَتَبَعْصَصُ أي يتلوَّى، فقلتُ ما هذا؟ قيل هذا فضْلُ رجز العجّاج على رجزك، فأخذتُ كفًّا من تراب فسكرتُه ثم إذا آخر أعظم منه فسكرتُه برُحْبِ ذراع ثم إذا آخر أعظم منها فعالجتُه حتَّى سكرتُه ثم إذا مَيْثاءُ جِلْواخ تقذف بالزَّبَد فما زلتُ حتَّى سكرتُها ثم التفتُّ فإذا خُضَارَةُ طامِياً فرميتُ بنفسي فيه فأنا أذهبُ إلى ساعتي هذه فقال له العجّاجُ ما حاجتُك؟ قال كذا وكذا فقضاها له، وهو القائل:

لَسْتُ بكَـذَّابٍ ولا أثَّـام ... ولا بجَثَّـامٍ ولا مِصْرام

ولا أُحِبُّ خُلَّةَ اللِّئام

وكان يهجو قومه فقال:

إنَّ بَنِي الحِرْمـازِ قَوْمٌ فِيهِمْ ... عَجْزٌ وإيكـالٌ عـلى أَخِيهِمْ

فَٱبْعَـثْ عَلَيْهِمْ شاعراً يُخْزِيهِمْ ... يَعْلَمُ مِنْهُمْ مِثْـلَ عِلْمِي فِيهِمْ

ومن جيّد رجزه قوله في حَكَم بن المُنْذِر بن الجارود:

يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجارودْ ... سُرَادِقُ المَجْـدِ عَلَيْـكَ مَمْدُودْ

نَبَـتَّ في الجُودِ وفي بَيْتِ الجُودْ ... والعُودُ قد يَنْبُتُ في أصْلِ العُودْ

مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدِيُّ

هو من سعد بن زيد مناة بن تميم من بطن يقال لهم بنو رُبَيْع وفيهم يقول الفَرَزْدَق:

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أنْ تَجِيءَ صِغارُها بخَيْرٍ وقد أعْيَتْ رُبَيْعاً كِبارُها

وكان مُرَّةُ سيّد بني رُبَيع وقتله صاحب شُرَط مُصْعَب بن الزُّبَير ولا عقب له وهو القائل في الأضياف، وكان يقال له أبو الأضياف:

وقلت لمّا غدَوْا أوصي قَعِيدَتَنا غـدِّي بنيكِ فلَنْ تَلْقَيْهِمُ حِقَبَا

أَدْعَى أَباهُمْ ولم أُقْرَفْ بأُمِّهِمِ وقَدْ هَجَعْتُ ولم أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا

أَنَـا ٱبْنُ مَحْكانَ أَخْوالِي بنو مَطَرٍ أُنْمَى إلَيْهِمْ وكانوا مَعْشَراً نُجُبَـا

أَوْسُ بنُ مَغْراءَ

هو من بني ربيعة بن قُرَيْع بن عَوْف بن كعب بن سعد وكان يهاجي النابغة الجَعْديَّ وهو القائل في بني صَفْوانَ الذين كانت فيهم الإفاضة من عَرَفَة وهم بنو صَفْوان بن شِجْنَة بن عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد:

ولا يَرِيمُونَ في التَّعْرِيف مَوْقِفَهُمْ   حَتَّى يُقالُ أَفِيضُوا آل صَفْوانا
مَجْداً بَناه لَنا قِدْماً أَوَائِلُنا   وأَوْرَثُوهُ طوالَ الدَّهْرِ أُخْرانا

أَبُو الزَّحْفِ الرَّاجِزُ

هو ابن عَطاءِ بن الخَطَفَى ابن عمّ جرير الشاعر وعُمّر أبو الزحف حتَّى بلغ زمان محمد بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وهو القائل:

إِلَيْـكَ أَشْكُو وَجَعـاً بِرُكْبَتِي وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من مِشْيَتِي
كهَدَجانِ الرَّألِ خَلْفَ الهَيْقَتِ مُزَوْزِياً لَمَّا رآهـا زَوْزَتِ

وقال الآخر ولا أعرف اسمه:

إِلَيْكَ أَشْكُو وَجَعاً بِمِرْفَقِي

وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من خُلُقِي كهَدَجَانِ الرَّأْلِ حَوْلَ النِّقْنِقِ

وأخذ هذا من أبي الزَّحْف استدللتُ على ذلك بأنَّ أبا الزحف ذكر وجعاً بركبته وذلك ممّا يعتري الشيوخ كما قال الآخر:

وللكَبِـيرِ رَثَيَـاتٌ أَرْبَـعٌ الرُكْبَتـانِ والنَّسَا والأَخْـدَعُ

ولَمَّا أراد هذا أن يتبعه اضطرَّته القافية إلى ذكر المرفق وذلك مّما لا يتشكَّاه من شكا عِلَل الكبر.

السُّرَادِقُ الذُّهْلِيُّ

كان السرادق هذا مولعاً بالشراب فعاتبَتْه ابنته على شرب الخمر فقال لها يا بنيَّة لا صبرَ لي عنها وقد صارت غذاءً ،قالت له ففي نبيذ التمر لك عوض،فأمرها فاتَّخذت له نبيذ تمر فشرب منه أيّاماً فلم يوافقه فعاد إلى الخمر وقال:

عُرُوقُ الصَّدْرِ تَعْلَمُ أَنَّ هذا لـه طُرُقٌ سِوَى طُرُقِ النَّبِيـذِ

وقال في ابنته:

تقُولُ ٱبنتي لا تَشْرَبِ الخَمْرَ وٱلْتَمِسْ شرابـاً سِواه والشَّرابُ كثـيرُ
فَقُلْتُ وَمَنْ لي بالشَّراب الَّذِي إِذَا شَرِبْتُ عَرَانِي في العِظامِ فُتُورُ
أَأَشْرَبُ تَمْراً يَنْفُخُ البَطْنَ مُنْتِناً وأَتْرُكُهـا كالمِسْكِ حِـينَ تَفُورُ
لها أَرَجٌ في البَيْـتِ ما لم يَشُجُّها السُّقَاةُ يَكادُ المَرْءُ منه يَطِيرُ
فذلِـكَ أَمْرٌ لَسْتُ عنه بمُقْصِرٍ وإِنْ دارَصَرْفُ الدَّهْرِ حَيْثُ يَدُورُ

ومرَّ بمَجْلسٍ من مجالس الأَزْد وقد شرب فاختلفت رجلاه فقال شابٌّ منهم إنَّها لَمِشْيَةُ سكران فأقبل عليه السرادقُ وقال:

مَعاذَ إِلآهي لَسْتُ سَكْرانَ يا فَتَى وما اخْتَلَفَتْ رِجْلايَ إِلَّا مِنَ الكِبَرْ
ومَنْ يَـكُ رَهْناً لِلَّيَالِي ومَرِّها تَدَعْهُ كَلِيلَ القَلْبِ والسَّمْعِ والبَصَرْ

هُدْبَةُ بن خَشْرَم العُذْرِيُّ

هو هُدْبة بن خَشْرَم بن كُرْز من عُذْرة وكان هدبة صاحَبَ زِيَادَةَ ابن زَيْد العذريَّ وهما مقبلان من الشأم في نفر من قومهما فكانوا يتعاقبون السَّوْق بالإبل فنزل زيادة يسوق بأصحابه فرجز فقال:

عُوجِي عَلَيْنا وآرْبَعِي يا فاطِمَا ... ما دُونَ أَنْ يَرَى البَعِيرُ قائِمَا

أَلَا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنِّي ساجِمَا ... حِذارَ دارٍ مِنْكِ أَنْ تُلائِمَا

وكان لهدبة أخت يقال لها فاطمة فظنَّ أنَّه شبَّب بها فنزل هدبة فساق بالقوم ورجز بأُخت زيادة وكان يقال لها أمُّ القاسم فقال:

متَى تظُنُّ القُلُص الرَّوَاسِمَا ... يَبْلُغْنَ أُمَّ قاسِمٍ وقَاسِمَا

خَوْداً كأَنَّ البُوصَ والمآكِمَا ... منها نَقاً مُخَالِطٌ صَرَائِمَا

واللهِ لا يَشْفِي الفُؤَادَ الهَائِمَا ... تَمْساحُكَ اللَّبَّاتِ والمَعَاصِمَا

ولا اللِّمَامُ دُون أَنْ تُلاَزِمَا ... ولا اللِّزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا

وتَعْلَقَ القَوَائِمُ القَوائِمَا

فتشاتما فلمَّا وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطاً من أهل بيته فبيَّت هدبة فضربه على ساعده وشجَّ أباه خَشْرَماً وقال زيادة في ذلك:

شَجَجْنا خَشْرَماً في الرَّأْسِ عَشْراً ... ووَقَّفْنا هُدَيْبَةَ إذْ هَجَانا

وقَّفنا من التوقيف في اليدين والرجلين وهو سواد وبياض يكون فيهما .

تَرَكْنـا بالعُوَيْنِـدِ من حُسَيْنٍ نِساءً يَلْتَقِطْنَ بـه الجُمَانـا

فقال هدبة:

فـإنَّ الدَّهْرَ مُؤْتَنِـفٌ جَدِيـدٌ وشَرُّ الخَيْـلِ أقْصَرُها عِنَانـا
وشَرُّ النـاس كُلُّ فتًى إذا ما مَرَتْه الحَرْبُ بَعْدَ العَصْبِ لانا

فلم يزل هدبة يطلب غِـرَّة من زيادة حتَّى أصابها فبيَّته فقتله وتنحَّى مخافة السلطان وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، فأرسل إلى عمّ هُدْبَة وأهله فحبسهم في المدينة فلمّا بلغ ذلك هدبة أقبل حتَّى أمكن من نفسه وتخلّص عمَّه وأهله فلم يزل محبوساً حتَّى شخص عبد الرحمان بن زيد أخو زيادة إلى معاوية وأورد كتابه على سعيد بن العاص بأن يُقيدَ منه إذا قامت البيّنة عليه فسأله سعيد البيّنة فأقامها فمشت عُذْرَةُ إلى عبد الرحمان وسألوه قبول الدية فامتنع من ذلك وقال:

أَنَخْتُم عَلَيْنـا كَلْكَلَ الحَرْبِ مَرَّةً فنَحْنُ مُنِيخُوها عَلَيْكُمْ بِكَلْكَلِ
فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لزَيْدِ بن مالِكٍ لَئِنْ لم أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعَجَّلْ

وسأله سعيد أن يقبل الدية منه وقال أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جدّاءُ ولا ذات داءٍ ، فقال والله لو نَقَّبْتَ لي مجلسك هذا ثم ملأتَه ذهباً ما رضيتُ به من هذا ، وقال:

تَعَزَّى عن زيادَةَ كُلُّ مَوْلًى خَلِيٍّ لا تَأَوَّبَـــهُ الهُمُومُ

وكَيْـفَ تَجَلُّدُ الأَدْنَيْنَ عنـه ... ولم يُقتَـلْ بـه الثَّـأْرُ المُنِيمُ
وَلَوْ كُنْـتُ المُصَابَ وكان حيًّا ... لَشَمَّرَ لا أَلَـفٌ ولا سَؤُومُ
ولا هَيَّابَـةٌ باللَّيْـلِ نِكْسٌ ... ولا ورَعٌ إذا يُلْقَـى جَثُومُ

فدفعه سعيد إليه موثقاً في الحديد فقال هدبة:

إن تَقْتُلُونِي في الحَدِيـدِ فإنَّنِي ... قَتَلْتُ أخاكُمْ مُطْلَقاً غَيْرَ مُوثَقِ

فقال عبد الرحمان بن زيد لا والله لا قتلتُه إلّا مطلقاً فأُطلق فقتله وكان هدبة قال لهم تفقَّدوني إذا ضُربت عنقي فإنّي سأقبض يدي وأبسطها فتفقَّدوه فرأوه قد فعل ذلك، ويقال إن عبد الرحمان بن حسّان بن ثابت اعترضه وهو يرفل إلى الموت فقال ما هذا يا هُدْبَ قال لا آتي الموت إلاّ شدًّا، قال أنشدْني، قال علي هذا من الحال، قال نعم فأنشده:

ولا أَتَمَنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِي ... ولكِنْ مَتَى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ
ولَسْتُ بِمِفْراحٍ إذا الدَّهرُ سرَّني ... ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ
وحَرَّبَـنِي مَوْلايَ حَتَّى غَشيتُهُ ... مَتَى ما يُحَرِّبْك ابنُ عَمِّك تَحْـرَبِ

أخذه من تأبَّط شرًّا:

ولَسْتُ بِمِفْراحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني ... ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ

وهدبة هو القائل:

فلا تَنْكِحِي إنْ فرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا ... أَغَمَّ القَفَا والوَجْهِ لَيْسَ بأَنْزَعَا
ضَرُوباً بلَحْيَيْه على عَظْمِ زَوْرِهِ ... إذا القَوْمُ هَشُّوا للفعالِ تَقَنَّعَا

وزيادة هو القائل:

ولا تيأَسَنَّ الدَّهْرَ من حُبِّ كاشِح ... ولا تأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صُرْمَ حَبِيبِ
ولَيْسَ بَعِيداً كُلُّ آتٍ فواقعٌ ... ولا ما مَضَى من مُفْرِحٍ بقَرِيبِ
وكُلُّ الّذي يأْتِي فأَنْتَ نَسِيبُهُ ... ولَسْتَ لشَيْءٍ قد مَضَى بنَسِيبِ
لَعَمْرِيَ ما شَتْمِي لكم إنْ شَتَمْتُكُمْ ... بِسِرٍّ ولا مَشْيِي لَكُمْ بدَبِيبِ
ولا وَدُّكُمْ عِنْدِي بِعِلْقِ مَضِنَّةٍ ... ولا قَذْعُكُمْ عِنْدِي بجِدٍّ مَهِيبِ
إذا ما تَقَسَّمْتُمْ تُراثَ أَبِيكُمُ ... فلا تَقْرِبُونِي قد شُفِهْتُ نَصِيبِي

سَعْدُ بن ناشِبٍ

هو من بني العَنْبَر وكان أبوه ناشبٌ أعْور، وكان من شياطين العرب، وله يومُ الوَقيط وهو يوم كان في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل له ذكر، وكان سعد أيضاً من مَرَدَة العرب وفيه يقول الشاعر أو في كعب بن ناشب:

وكَيْفَ يُفيقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بن ناشِبٍ ... وشَيْطانُـهُ عِنْـدَ الأَهِلَّةِ يُصْرَعُ

وسعد هو القائل:

سأَغْسِلُ عَنِّي العارَ بالسَّيْفِ جالباً ... عَلَيَّ قَضَـاءُ اللهِ ما كان جالِبا

ويَصْغُرُ في عَيْنِي تِلَادِي إذا آنْثَنَتْ ... يَمِينِي بإدْراكِ الَّذي كُنْتُ طالبا

فيالَ رَزَام رشِّحُوا بِي مُقدَّماً ... إلى المَوْتِ خَوَّاضاً إليه الكَتَائِبا

إذا هَمَّ لم تُرْدَعْ عَزِيمَـةُ هَمِّهِ ... ولَمْ يَأْتِ ما يَأْتِي منَ الأَمْرِ هائِبا

أَخا غَمَرَاتٍ لا يُرِيدُ عَلَى الَّتي ... يَهُمُّ بها من مُفظِعِ الأَمْرِ صاحِبا

إذا هَمَّ أَلْقَى بيْنَ عَيْنَيْهِ عزْمَهُ ... ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العَواقِبِ جانِبا

ولم يَسْتَشِرْ في رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ... ولم يَرْضَ إلَّا قائِمَ السَّيْفِ صاحِبا

المَرّارُ العدَوِيُّ

هو المَرّار بن مُنْقِذ من صُدَيٍّ بن مالك بن حَنْظَلَة وأُمُّ صُدَيّ من جَلّ بن عَدِيّ،فيقال له ولولده بنو العَدَوِيَّة،وقال لهم عَوْف بن القَعْقاع يا بني العدويَّة أنتم أوسع بني مالك أَجوافاً وأقلُّهم أَشرافاً والمرّار هو القائل:

يا حَبَّذَا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً ... وادِي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ به هُضُمُ

مُخَدَّمُونَ كِرَامٌ في مَجالِسِهِم ... وفي الرِّحال إذا لاقَيْتَهُمْ خَدَمُ

وما أُصاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فأَذْكُرُهُمْ ... إلَّا يَزِيدُهُمُ حُبَّا إلَيَّ هُمُ

وهو القائل في الخيل قصيدته التي أوَّلها:

هَلْ عرَفْتَ الدارَ أَمْ أَنْكَرْتَهَا ... بَيْنَ تِبْراكٍ فَشَسَّيْ عبقُرُ

وكان ممن تعرَّض لجرير فقال له جرير:

فإنْ كُنْتُمْ كَلْبَى فعِنْدِي شِفَاؤُكُمْ ... وللجِنِّ إنْ كان آعْتَرَاكَ جُنُونُ

وما أَنْتَ يا مَرّارُ يا زَبَدَ آسْتِها ... بأَوَّلِ مَنْ يَشْقَى بنا ويَحِينُ

وكان الأصمعيُّ يخطِّئه في قوله في صفة نخل:

كأَنَّ فُرُوعَهَا في كُلِّ رِيحٍ ... عَذارَى بالذَّوائِبِ يَنْتَصِينا

ضَرَبْنَ العِرْقَ في يَنْبُوعِ عَيْنٍ ... طَلَبْنَ مَعِينَهُ حَتَّى رَوِينا

بنَاتُ الدَّهْرِ لا يَخْشِين مَحْلّاً إذا لم تَبْـقَ سائِمَـةٌ بَقِينـا

وقال لم يكن له علْمٌ بالنخل وإذا تباعد النخل كان أجود له وأصلح لثمره ،ومّما كانت العرب تقوله عن الأشياء قالت نخلة لأخرى:

أَبْعِـدِي ظِلِّي من ظِلِّـكِ أَحْمِـلْ حَمْلِي وحَمْلـكِ

المَرَّارُ بن سَعِيدٍ الفَقْعَسِيُّ

هو من بني أَسَد وكان يهاجي المساوِرَ بن هِنْد وكان قصيراً مفرط القِصَر ضئيلاً، وفي ذلك يقول:

وَمُنْتَظَرِي صمْتاً فقال رَأَيْتُهُ ... نَحِيفاً فقد أَجْزَى عَنِ الرَّجُل الضَّخْمِ

رَأَتْ رَجُلًا قَصْداً دَعَائِمُ بَيْتِهِ ... طِوالٌ وما طُولُ الأَباعِرِ بِالجِسْمِ

وهو القائل:

وقد لَعِبْتُ مَعَ الفِتْيَانِ ما لَعِبُوا ... وقَدْ أَجُدُّ وقَدْ أَغْنَى وأَفْتَقِرُ

أَسْتَغْفِرُ اللهِ من جِدِّي ومن لَعِبِي ... كُلُّ آمْرِىءٍ بِآمْرِىءٍ لا بُدَّ مُؤْتَزِرُ

وإنَّما لِي يَوْمٌ لَسْتُ سابِقَهُ ... حتَّى يَجِيءَ وإنْ أَوْدَى بِيَ العُمُرُ

لا يَسْأَلُ الناسُ عن سِنِّي وقد قَدِعَتْ ... لِي الأَرْبَعُونَ وطالَ الوِرْدُ والصَّدَرُ

وهو القائل:

ولَيْسَ الغَوَانِي للجَفَاءِ ولا الَّذي ... لـه عن تَقَاضِي دَيْنِهِنَّ هُمُومُ

ولٰكِنَّما يَسْتَنْجِزُ الوَأْيَ تَابِعٌ ... مُنَاهُنَّ حَلَّافٌ لَهُنَّ أَثِيمُ

وما جُعِلتْ أَلْبابُهُنَّ لِذِي الغِنَى ... فَيَيْأَسَ من أَلْبَابِهِنَّ عَدِيمُ

وهذا مثل قول ذي الرُّمَّة:

وما الفَقْرُ أَزْرَى عِنْدَهُنَّ بوَصْلِنا ... ولٰكِنْ جَرَتْ أَخْلاقُهُنَّ على البُخْلِ

وهو القائل يرثي أخاه بَدْراً:

وما للقُفُولِ بَعْدَ بَدْرٍ بَشَاشَةٌ ... ولا الحَيِّ تأتِيهِمْ ولا أَوْبَةِ السَّفرِ

تُذَكِّرُني بَدْراً زَعَازِعُ حَجْرَةٍ ... إذا عَصَفَتْ إحْدَى عَشِيَّاتِها الغُبْرِ

وأَضْيَافُنا إنْ نَبَّهُونا ذَكَرْتُهُ ... فكَيْفَ إذاً أنْساهُ غابِرَةَ الدَّهْرِ

فَتًى كان يَقْرِي الشَّحْمَ في لَيْلَةِ الصَّبَا ... على حِينِ لا يُعْطِي الدَّثُور ولا يَقْرِي

إذا سَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ ... عَلَى كُلِّ حالٍ من يَسَارٍ ومن عُسْرِ

إذا شَوْلُنا لم نَسْعَ فيها بِرِفْدِ ... قَرَى الضَّيْفَ منها بالمُهَنَّدِ ذي الأَثْرِ

وما كُنْتُ بَكَّاءً ولكِنْ يَهِيجُني ... عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الخَلائِقِ والذِّكْرِ

أَعَيْنَيَّ إنِّي شاكِرٌ ما فَعَلْتُمَا ... وحُقٌّ لِمَا أَبْلَيْتُمانِيَ بالشُّكْرِ

سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَاني فجُدْتُمَا ... عَوانَيْنِ بالتَّسْجامِ باقِيَتَيْ قَطْرِ

فلمَّا شَفَانِي اليَأْسُ عنه بسَلْوَةٍ ... وأَعْذَرْتُما لا بَلْ أَجَلُّ منَ العُذْرِ

نَهَيْتُكُمَا أَنْ تُشْمِتَا بي فكُنْتُمَا ... صَبُورَيْنِ بَعْدَ اليَأْسِ طاوِيَتَيْ غُبْرِ

أَبو وَجْزَة السَّعْدِيُّ

هو يزيد بن عُبَيد من بني سعد بن بكر بن هوازن أَظآر رسول الله ﷺ وكان شاعراً مجيداً راوية للحديث وهو روى عن أبيه الحديث في استسقاءِ عمر بن الخطّاب قال خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار فَقَلَّدَتْنا السَّماءُ قِلْداً كلَّ خمسَ عشرةَ ليلةً حتّى رأيتُ الأرنبة يأكلُها صغار الإبل من وراءِ حِقَاقِ العُرْفُط وقد ذكرتُ الحديث وتفسيره في كتابي المؤلَّف في غَرِيب الحديث،وتوفّي أبو وجزة بالمدينة سنة ٣٠ وهو أحـد من شَبَّب بعجوز قال في قصيدة يمدح فيها ولد الزُّبَيْرِ بن العوّام:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُوكَّلُ بالصِّبَا ... فِيمَ آبْنُ سَبْعِينَ المُعَمَّرُ من دَدِ

حَتَّامَ أَنْـتَ مُوكَّـلٌ بقَدِيمَةٍ ... أَمْسَتْ تُجَـدَّدُ كاليَمَانِي الجَيِّدِ

شَبَّ الجَلاَلُ جَمَالَها ورَسَا بها ... عَقْـلٌ وفاضِلَـةٌ وشِيمَـةُ سَيِّـدِ

ضَنَّتْ بنائِلِها عَلَيْـكَ وأَنْتُمَا ... إِلْفانِ في طَرَفِ الشَّبَابِ الأَغْيَدِ

أَفَلانَ تَرْجُو أَنْ تُثِيبَكَ نائِلاً ... أَيْهاتَ نائِلُها مكـانَ الفَرْقَـدِ

الشَمَرْدَلُ

هو الشَمَرْدَلُ بن شُرَيْك يَرْبوعيٌّ وكان يقال له ابن الخَرِيطة وذلك أنَّه جُعل وهو صبيٌّ في خَريطة وهو القائل:

إذا جرى المِسْكُ يوماً في مفارقهم ... راحوا كأنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الكَرَمِ
يُشَبَّهونَ مُلُوكــاً من تَجِلَّتِهِمْ ... طُولِ أَنْضِيَـةِ الأَعْناقِ والقِمَمِ

وهو نحو قول لَيْلَى الأَخْيَليَّة:

ومُخَرَّقٍ عنـه القَميـصُ تخَالُـهُ ... وَسْطَ البُيُوتِ من الحَيَاءِ سَقِيما
حَتّـى إذا رُفِـعَ اللِّواء رَأَيْتَهُ ... تَحْتَ اللواءِ على الخَميسِ زَعِيما

القُلَاحُ بن جَنَاب

هو من بني حَزْن بن مِنْقَر بن عُبَيد بن الحارث وكان شريفاً وأبوه جَنَاب وأُمُّه بنت خَرَشة بن عمرو الضَّبِّيّ وهو القائل:

أَنـا القُلاخُ بن جَنَاب ابنُ جَلَا ... أَبُو خَنَاثِـــير أَقُودُ الجَمَلَا

القَتَّالُ الكِلَابِيُّ

هو من بني أبي بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة وكان شديد حمرة اللون وذلك قوله:

وَرِثْنا أَبانا حُمْرَةَ اللَّوْنِ عامِراً ... ولا لَوْنَ أَدْنَى للهِجانِ منَ الحُمْرِ

وهو القائل:

يا ليْتَني والمُنَى لَيْسَتْ بنافِعَةٍ ... لمالِكٍ أو لنَصْرٍ أو لسَيَّارِ

طِوَالِ أَنْضِيَةِ الأَعْناقِ لم يَجِدُوا ... رِيحَ النِّساءِ إذا راحَتْ بأَزْفَارِ

لم يَرْضَعُوا الدَّهْرَ إلَّا ثَدْيَ واحِدَةٍ ... لواضِحِ الوَجْهِ يَحْمِي باحَةَ الدَّارِ

وقال:

أَيُرْسِلُ مَرْوانُ الأَمِيرُ رِسالَةً ... لآتِيَهُ إنِّي إذاً لَمُضَلَّلُ

وفي باحَةِ العَنْقاء أو في عَمَايَةٍ ... أَوِ الأُدْمَى من رَهْبَةِ المَوْتِ مَوْئِلُ

ولي صاحِبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحِباً ... هُوَ الجَوْنُ إلَّا أَنَّهُ لا يُعَلَّلُ

إذا ما ٱلْتَقَيْنا كان جُلَّ حَدِيثِنا ... صُمَات وطَرْفٌ كالمَعابِلِ أَطْحَلُ

تَضَمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَا بطَعَامِنا ... كِلَانا له منها نَصيبٌ ومأْكَلُ

يذكر أنّه رافَقَ نَمِراً في مغارة.

ذُو الإِصْبَعِ العَدْوَانيّ

هو حُرْثان من عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان وكان جاهليًّا وسمّي ذا الإصبع لأنَّ حيَّة نهشته في أصبعه فقطعتها وهو القائل:

لِيَ ٱبْنُ عَمٍّ عَلَى ما كان من خُلُقٍ ... مُخالِفٌ لِيَ أَقْلِيه ويَقْلِيني

أَزْرَى بِنا أَنَّنا شالَتْ نَعامَتُنا ... فخالَني دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي

إِنَّكَ إِلَّا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي ... أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامَةُ ٱسْقُونِي

إِنّي لَعَمْرِيَ ما بَيْتِي بذي غَلَقٍ ... عَلَى الصَّدِيقِ ولا خَيْرِي بِمَمْنُونِ

ولا لِسانِي على الأَدْنَى بِمُنْبَسِطٍ ... بالفاحِشاتِ ولا فَتْكِي بِمَأْمُونِ

عَنّي إِلَيْكَ فما أُمّي براعِيَةٍ ... تَرْعَى المَخاضَ ولا رَأْيِي بِمَغْبُونِ

لا يُخْرِجُ الكُرْهُ مِنّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَبْتَغِي لِينِي

وهو القائل:

عَذِيرَ الحيِّ من عَدْوَا ... نَ كانوا حيَّةَ الأَرْضِ

عَلَا بَعْضُهُمْ بَعْضاً ... فلَمْ يَرْعَوْا على بَعْضِ

ومِنْهُمْ كانَتِ الساداتُ ... والمُوفُونَ بالقَرْضِ

ومنهُمْ حكَمٌ يَقْضِي ... فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

إذا ما وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بِسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

لَقيطُ بنُ زُرَارَةَ

هو لَقِيط بن زُرَارَة بن عُدَس من تميم ويكنى أبا دَخْتَنُوس وأبا نَهْشَلٍ وكان أشرف بني زُرَارة وقال له أبوه لقد طارت بك الخُيَلاءُ حتَّى كأنَّك نكحت بنت قيس بن مَسْعود الشَّيْبانّي أو أفأتَ مائةً من عصافير كسرى، فتزوج بنت قيس بن مسعود وأعطاه كسرى مئة من عصافيره وهي إبل كانت له وكان على الناس يوم جَبَلَة وقُتل يومئذ وأخوه حاجب بن زرارة صاحب القوس التي يقال لها قَوْس حاجب، وكانت له بنت يقال لها دختنوس لم يكن له غيرها، وفيها يقول:

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ ... إذا أَتَاهـا الخَبَرُ المَرْمُوسُ
أَتَخْمُشُ الخَدَّيْنِ أم تَمِيسُ ... لا بَـلْ تَمِيسُ إنَّهـا عَرُوسُ

ودختنوس بنت لقيط هي القائلة في زوجها عُمَير بن مَعْبَد بن زُرَارة:

أَعَيْنِي أَلَا فَٱبكِي عُمَيْر بن مَعْبَد ... وكان ضَرُوباً باليَدَيْنِ وباليَدِ

وكان لقيط شاعراً مُحْسِناً وهو القائل يوم جَبَلَة:

إنَّ الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ ... والقَيْنَةَ الحَسْناءَ والكأْسَ الأُنُفْ
للضَّارِبِينَ الخَيْلَ والخَيْلُ قُطُفْ

الكأس الأُنُف التي لم يُشْرَب بها قبل ذلك. ومن جيّد شعره قوله:

وإنِّي مِنَ القَوْمِ الَّـذين عَرَفْتَهُمْ ... إذا مات منهم سَيِّدٌ قام صاحِبُهْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّما غار كَوْكَبٌ ... بَـدا كَوْكَبٌ تأْوِي إلَيْهِ كَوَاكِبُهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

وبعـض الرُّواة ينحل هذا الشعر أبا الطَّمَحان القَيْنيَّ وليس كذلك إنَّما هو للَقِيط.

البَرْدَخْتُ

هو من بني ضَبَّة وجاءَ إلى جَرِير فقال له هاجِني فقال له جرير ومَنْ أنت؟ قال أنا البَرْدَخْت، قال وما البردخت؟ قال الفارغ بالفارسيَّة فقال له جرير ما كنت لأشغل نفسي بفراغك. والبردخت القائل:

إذا كـــان الزّمانُ زَمانَ عَـكٍّ وتَيْمٍ فالسَّلَامُ عَلـى الزّمـانِ
زَمَـانٌ صـار فيـه العِزُّ ذُلًّا وصـار الزُّجُّ قُـدَّامَ السِّنـانِ

وهو القائل:

لَقَدْ كان في عَيْنَيْكَ يا حَفْصُ شاغِلٌ وأَنْـفٌ كَثيْلِ العَوْد عَمّا تَتَبَّعُ
تَتَبَّـعُ لَحْناً من كَلَامٍ مُرَقَّشٍ وخَلْقُكَ مَبْنِيٌّ على اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فعَيْنُـك إقْواءٌ وأَنْفُـكَ مُكْفَأٌ ووَجْهُـكَ إيطاءٌ فأَنْتَ المُرَقَّعُ

خَلَفُ بن خَلِيفَةَ

كان خَلَف أَقطع اليَدِ وله أصابع من جلود وفيه يقول الفرزدق:

هو اللِّصُ وابنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ ... لِنَقْبِ جِدارٍ أو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

وقد ذكرت الخبر في أخبار الفرزدق، وكان خَلَف شاعراً مَطبوعاً ظريفاً، ودخل على يزيد بن عمر بن هُبَيرة في يوم مهرجان وقد أُهديت له هدايا وهو أمير العراق فقال:

كأَنَّا شَمَامِيسُ في بيعَةٍ ... تُقَسِّسُ في بَعْضِ عِيداتِها

وقد حَضَرَتْ رُسُلُ المَهْرَجَانِ ... وصَفُّوا كَرِيمَ هِداياتِها

عَلَوْتُ بِرأْسِيَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ ... فأَشْخَصْتُهُ فوقَ هاماتِها

لِأُكْسِبَ صاحبي صَحْفَةً ... تَغِيظُ بها بَعْضَ جاراتِها

فأمر له بجام من ذهب ثم أقبل يفرّق بين جلسائه الهدايا ويقول:

لا تَبْخَلَنَّ بدنيا وَهْيَ مُقْبِلَةٌ ... فلَيْسَ يَنْقُصُها التَّبْذِيرُ والسَّرَفُ

وإنْ تَوَلَّتْ فأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بها ... فالحَمْدُ منها إذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ

وسأل خَلَف أبان بن الوليد أن يهب له جارية فوعده وأبطأت عليه فكتب إليه:

أَرَى حاجَتِي عِنْدَ الأَمِيرِ كأَنَّها ... تَهُمُّ زَمَاناً عِنْدَهُ بمُقامِ

وأَحْصَرُ من إذْكارِهِ إنْ لَقِيتُهُ ... وصِدْقُ الحَيَاءِ مُلْجَمٌ بِلجامِ
أَرَاها إذا كان النَّهارُ نَسِيئَةً ... وباللَّيْلِ تُقْضَى عِنْدَ كُلِّ مَنامِ
فيا رَبِّ أَخْرِجْها فإنَّكَ مُخْرِجٌ ... من المَيْتِ حَيًّا مُفْصحاً بِكَلَامِ
فتَعْلَمُ ما شُكْرِي إذا ما قَبَضْتُها ... وكَيْفَ صَلَاتِي عِنْدَها وصِيامِي
وإنْ حَاجَتِي منْ بَعْدِ هٰذَا تَأَخَّرَتْ ... خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورَ غُلامِي

فضحك أَبانٌ وبعث إليه بجارية.

العَجْلَانِيُّ

هو عبد الله بن عَجْلان وحدثني عبد الرحمان عن الأصمعيّ أنّـه قال هو نَهْدِيٌّ جاهليٌّ وهو من عُشّاق العرب المشهورين الّذين ماتوا عشقاً وقد ذكره بعض الشعراءِ فقال:

إنْ مُــــتُّ مِنَ الحُـــبِّ   فَقَــدْ مَــاتَ ٱبْنُ عَجْــلانْ

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيّوب عن محمّد بن سيرين قال قال عبد الله بن عجلان صاحب هند التي عشقها:

أَلَا إنَّ هِنْداً أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمَا   وأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا

فأَصْبَحْتَ كالمَقْمُورِ جَفْنَ سِلَاحِهِ   يُقَلِّبُ بالكَفَّيْنِ قَوْساً وأَسْهُمَا

قال ومدَّ بها صوته ثم خرَّ فمات، وهذا الشعر يدلُّ على أن هنداً كانت تحته فطلّقها ثم تتبّعَتْها نفسه.

جِرانُ العَوْدِ

إنَّما سُمّي جِرانَ العَوْد لقوله لامرأتيه:

خُذَا حَذَراً يا حَنَّتَيَّ فإنَّني ... رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قد كاد يَصْلُحُ

يريد سوطاً قدَّه من صدر جمل مُسِنٍّ خوَّفهما به وكان جران العود والرَّحَّال خدنَيْن فتزوَّج كلٌّ واحد منهما امرأتين فلقيا منهما مكروهاً فقال جران العود:

أَلاَ لا تَغُرَّنَ ٱمْرَءًا نَوْفَلِيَّـــةٌ ... عَلَى الرَّأْسِ بَعْدي أو تَرائِبُ وُضَّحُ

ولا فَاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأَنَّهُ ... أَساوِدُ يَزْهاها لِعَيْنَيْـكِ أَبْطَحُ

وأَذْنابُ خَيْلٍ عُلِّقَتْ في عَقِيصَـــةٍ ... تَرَى قُرْطَها تَحْتَها يَتَطَوَّحُ

ثم قال يصفها:

جَرَتْ يَوْمَ جِئْنـا بالرِّكاب نَزُفُّها ... عُقَابٌ وتَشْحاجٌ منَ الطَّيْرِ متَيَحُ

فأَمَّا العُقابُ فَهْيَ منها عُقُوبَةٌ ... وأَمَّا الغُرَابُ فالغَرِيبُ الْمُطَرَّحُ

هُمَا الغُولُ والسّعْلاَةُ حَلْقِيَ مِنْهما ... مُكَدَّحُ ما بَيْنَ التَّراقِي مُجَرَّحُ

لَقَدْ عاجَلَتْـني بالنِّصاءِ وبَيْتُها ... جَدِيدٌ ومن أَثْوابِها المِسْكُ يَنْفَحُ

خُذَا نِصْفَ مالِي واتْرُكا لِيَ نِصْفَهُ ... وبِينَـا بـذَمٍّ فالتَّعَزُّبُ أَرْوَحُ

وقال الرَّحَّال:

فلا بارَكَ الرَّحمانُ في عَوْدِ أَهْلِها … عَشِيَّةَ زَفُّوها ولا فِيكِ من بِكْرِ
ولا فُرُش ظُوهِرْنَ من كُلِّ جانِبٍ … كأنِّي أُكْوَى فَوْقَهُنَّ منَ الجَمْرِ
ولا الزَّعفَرانِ حِينَ مَسَّحْنَها به … ولا الحَلْيَ منها حِينَ نِيطَ إلى النَّحْرِ
وجَهَّزْنَها قَبْلَ المُحاقِ بلَيْلَةٍ … فكان مُحَاقاً كُلَّه ذُلِكَ الشَّهْرُ
وما غَرَّنِي إلَّا خِضَابٌ بكَفِّها … وكُحْلٌ بعَيْنَيها وأَثْوابُها الصُّفْرُ
وسالِفَةٌ كالسَّيْفِ زايَل غِمْدَهُ … وعَيْنٌ كَعَيْنِ الرِّئْمِ في البَلَدِ القَفْرِ
أَلَا لَيْتَهُمْ زَفُّوا إِلَيَّ مَكَانَها … شَدِيدَ القُصَيْرَى ذا عُرَامٍ من النُّمْرِ
ويا لَيْتَ أَنَّ الذِّئْبَ جُلِّلَ دِرْعَها … وإنْ كان ذا نابٍ حَدِيدٍ وذا ظُفْرِ
لَقَدْ أَصْبَحَ الرَّحَّالُ عَنْهُنَّ صادِفاً … إلى يَوْمِ يَلْقَى الله في آخِرِ العُمْرِ
عَلَيْكُمْ بربَّاتِ النَّهارِ فإنَّني … رَأَيْتُ صَمِيمَ المَوْتِ في النُّقَّبِ الصُّفْرِ

وجِرانُ العَوْد أحد من وصف القوّادة في شعره قال وذكر النساءَ:

يُبَلِّغُهُنَّ الحاجَ كُلُّ مُكاتَبٍ … طَوِيلِ العَصا أو مُقْعَدٍ يَتَزَحَّفُ
ومَكْمُونَةٍ رَمْدَاءَ لا يَحْذَرُونَها … مُكاتَبَةٍ تَرْمِي الكِلَابَ وتَحْذِفُ
رَأَتْ وَرَقاً بِيضاً فشدَّتْ حَزِيمَها … لها فَهِيَ أَمْضَى من سُلَيْكٍ وأَلْطَفُ

وذكر نحو هذا الفرزدق فقال:

يُبَلِّغُهُنَّ وَحْيَ القَوْلِ مِنِّي … ويُدْخِلُ رَأْسَهُ تَحْتَ القِرامِ
أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطَةٍ بَهِيمٌ … من المُتَلَقِّطِي قَرَدِ القُمَامِ

ومّا كذب فيه جِرانُ العَوْد فأخذ عليه قوله وذكر اجتماعه مع نساءٍ يألفهنَّ:

فأَصبَحَ في حَيْثُ التَقَيْنا غَنيمةٌ ... سِوَارٌ وخَلْخالٌ ومِرْطٌ ومِطْرَفُ
ومُنْقَطِعاتٌ من عُقُودٍ تَركْنَها ... كجَمْرِ الغَضَا في بَعْضِ ما تَتَخَطْرَفُ

وممّا يُستحسن من شعره قوله:

بانَ الأَنيسُ فما للقلْبِ مَعْقُولُ ... ولا عَلَى الجِيرَةِ الغادِينَ تَعْوِيلُ
يَوْمَ ٱرْتَحَلْتُ بِرَحْلي قَبْلَ بَرْذَعَتِي ... والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بالبَيْنِ مَشْغُولُ
ثم ٱغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوِي لأَرْفَعَهُ ... إثْرَ الحُمُولِ الغَوادي وهْوَ مَعْقُولُ

وممّا يتمثَّل به من شعره قوله:

فلا تأْمَنُوا النّساء وأَمْسِكُوا ... عُرَى المالِ عن أَبْنائِهِنَّ الأصاغِرِ
فإنَّك لم يُنْذِرْكَ أَمْراً تَخافُهُ ... إذا كُنْتَ منه جاهلًا مِثْلُ خابِرِ

القُطَامِيُّ

هو عُمَير بن شُيَيْم من بني تَغْلِب وكان حسن التشبيب رقيقه وهو القائل:

وفي الخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لنا ... حَتَّى تَصَيَّدْنَنا من كُلِّ مُصْطادِ

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بادِ

فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قَوْلٍ يُصِبْنَ به ... مَوَاقِعَ الماءِ من ذي الغُلَّة الصادِي

وكان يمدح زُفَر بن الحارث الكِلابِيَّ وأَسماءَ بن خارجة الفَزَارِيَّ وكان زفر أسره في الحرب التي كانت بين قيس عَيْلان وتَغْلِب فأرادت قيس قتله فحال زفر بينهم وبينه ثم مَنَّ عليه ووهب له مائة ناقة وردَّه إلى قومه فقال:

أَأَكْفُرُ بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي ... وبَعْدَ عَطَائِكَ المائَةَ الرِّتَاعا

فَلَوْ بِيَدَيْ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ ... بِيَ القَدَمانِ لم أَرْجُ اطِّلَاعا

إِذاً لَهَلَكْتُ لَوْ كانَتْ صِغارٌ ... مِنَ الأَخْلاقِ تُبْتَدَعُ ابْتِدَاعا

ويتمثَّل من هذه القصيدة بقوله:

ومَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا ... يَزِيدُكَ مَرَّةً منه اسْتِمَاعا

وخَيْرُ الأَمْرِ ما اسْتَقْبَلْتَ منه ... ولَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعا

وقال أيضاً):

مَنْ مُبْلِغٌ زُفَرَ القَيْسِيَّ مِدْحَتَهُ ... عَنِ القُطَامِيِّ قَوْلًا غَيْرَ إفْنادِ
إنّي وإنْ كان قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وبَيْنَ قَوْمِكَ إلّا ضَرْبَةُ الهادِي
مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتَ من حَسَنٍ ... وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلٌ بادِ
فإنْ قَدَرْتُ على يَوْمٍ جَزَيْتُ بِهِ ... واللهُ يَجْعَلُ أقواماً بِمِرْصادِ

وفيها يقول:

ما للعَذَارِى وَدَّعْنَ الحَيَاةَ كَمَا ... وَدَّعْنَنِي واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ مِيعادِي
أَبْصَارُهُنَّ إلى الشُّبَّانِ مائِلَةٌ ... وقَدْ أَراهُنَّ عَنِّي غَيْرَ صُدَّادِ
إذْ باطِلِي لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ ... عَنِّي ولم يَتْرُكِ الخُلَّانُ تَقْوادِي
كَنِيَّةِ الحَيِّ مِنْ ذِي القَيْظَةِ ٱحْتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فُؤاداً ما له فادِ
بانُوا وكانت حَيَاتِي في اجْتِمَاعِهِمُ ... وفي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِي وإقْصادِي

ومن خبيث الهجاء قوله:

وإنِّي وإنْ كانَ المُسافِرُ نازِلاً ... وإنْ كان ذا حَقٍّ على الناسِ واجِبِ
ولا بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ ما رَأَى ... مُخَبِّرَ أَهْلٍ أو مُخَبِّرَ صاحِبِ
لَمُخْبِرُكَ الأَنْباءَ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ ... تَضَيَّفْتُها بَيْنَ العُذَيْبِ فراسِبِ
تَقَنَّعْتُ في طَلٍّ ورِيحٍ تَلُفُّنِي ... وفي طِرْمِسَاءٍ غَيْرِ ذاتِ كَوَاكِبِ
إلى حَيْزَبُونٍ تُوقِدُ النارَ بَعْدَما ... تلفَّعَتِ الظَّلماءُ من كلِّ جانِبِ
تَصَلَّى بها بَرْدَ العِشاءِ ولم تَكُنْ ... تَخَالُ وَبِيصَ النارِ يَبْدُو لِراكِبِ
فما راعَها إلا بُغامُ مَطِيَّتِي ... تُرِيحُ بِمَحْسُورٍ من الصَّوْتِ لاغِبِ
فجُنَّتْ جُنُوناً من دِلاثٍ مُنَاخَةٍ ... ومِنْ رَجُلٍ عاري الأَشاجِعِ شاحِبِ

سَرَى في حَلِيكِ اللَّيْلِ حَتَّى كأَنَّما يُخَزِّمُ بالأَطْرافِ شَوْكُ العَقَارِبِ
تَقُولُ وقد قَرَّبْتُ كُورِي وناقَتِي إِلَيْكَ فلا تَذْعَرْ عَلَيَّ رَكائِبِي
فَسَلَّمْتُ والتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَسُرُّها ولكِنَّهُ حَقٌّ على كُلِّ جانِب
فَرَدَّتْ كَلَاماً كارِهاً ثُمَّ أَعْرَضَتْ كما ٱنحازَتِ الأَفْعَى مَخافَةَ ضارِبِ
فلمّا تَنازَعْنا الحَدِيثَ سأَلْتُها مَنِ الحَيُّ قالَتْ مَعْشَرٌ من مُحارِبِ
من المُشْتَوِينَ القِدَّ مِمّا تَراهُمُ جِياعاً ورِيفُ الناسِ لَيْسَ بناضِبِ
فلمّا بدا حِرْمانُها الضَّيْفَ لم يَكُنْ عَلَيَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازِبِ
وقُمْتُ إلى مَهْرِيَّةٍ قد تَعَوَّدَتْ يَدَاها ورِجْلاها خَبِيبَ المواكِبِ
أَلَا إِنَّما نِيرانُ قَيْسٍ إذا شَتَوْا لِطارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نارِ الحُبَاحِبِ

ومِمّا يتمثَّل به من شعره:

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائِلُونَ له ما يَشْتَهِي ولأُمِّ المُخْطِىءِ الهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حاجَتِهِ وقد يكُونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وقوله:

كذاك وما رَأَيْتُ الناسَ إِلَّا إِلَى ما جَرَّ غاوِيهِمْ سِرَاعا
تَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَن اسْتَرَكُّوا ويَجْتَنِبُون مَنْ صَدَقَ المِصَاعا

عَبْدَةُ بن الطَّبِيبِ

هو من بني عبشَمْس بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم ويقال لعَبْشَمْس قُرَيشُ سَعْدٍ لجمالهم وهو القائل:

وَٱعْصُوا الَّذي يُسْدِي النَّمِيمَةَ بَيْنَكُمْ
مُتَنَصِّحـــاً وَهْوَ السِّمَامُ الْمُنْقَـــعُ

يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ — حَرْباً كَمَا بَعَثَ العُرُوقَ الأَخْدَعُ
حَرَّانَ لا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ — عَسَلٌ بماءٍ في الإِنـاءِ مُشَعْشَعُ
لا تَأْمَنُوا قَوْماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ — بَيْنَ القَوَابِـلِ بالعَـدَاوَةِ يُنْشَعُ
إِنَّ الَّـــذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلَّانَكُمْ — يَشْفِي صُدَاعَ رُؤُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
فَضَلَتْ عَدَاوَتُهُمْ على أَحْلامِهِمْ — وأَبَتْ ضِبَابُ صُدُورِهِمْ لا تَنْزَعُ
قَوْمٌ إِذا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ — حَدَجُوا قَنَافِذَ بالنَّمِيمَةِ تَمْزَعُ

وهو القائل في الصَّعْلَكَة:

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ — أَعْرافُهُنَّ لأَيْدِينـــا مَنَادِيـلُ

وأخذه من قول امرئ القيس:

نَمُشُّ بأَعْرافِ الجِيَـادِ أَكُفَّنـا — إِذا نَحنُ قُمْنا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

ويُستجاد له قوله في قيس بن عاصم يرثيه:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عاصِمٍ ... ورَحْمَتُـهُ ما شاءَ أَنْ يَتَرَحَّما

تَحِيَّـةَ مَنْ أَلْبَسْتَـهُ منك نِعْمَةً ... إذا زار عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا

فلم يَكُ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ... ولٰكِنَّـهُ بُنْيـانُ قَوْمٍ تَهَدَّمـا

أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ

هو ظالم بن عمرو بن جَنْدَل بن سفيان من كِنانة وهو يُعَدُّ في الشعراء والتابعين والمحدّثين والبخلاء والمفاليج والنحويّين، لأَنَّه أوّل مَن عمل في النحو كتاباً، ويُعَدُّ في العُرْج، وشهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه صفّينَ، وولي البصرة لابن عبّاس ومات بها وقد أسنَّ سنة ٩٩ في طاعون الجارف، وكان يقول لولده لا تجاودوا الله فإنَّهُ أجود وأنجد ولو شاءَ الله أن يوسع على الناس كلّهم حتّى لا يكون محتاج لفعل، وممّا يستجاد له قوله:

لَيْتَ شِعْري عن أميري ما الَّذِي ... غالَهُ في الوُدِّ حَتَّى وَدَّعَهْ
لا تُهِنّي بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي ... فَشَدِيدٌ عادَةٌ مُنْتَزَعَهْ
لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إِنَّ خَيْرَ البَرْقِ ما الغَيْثُ مَعَهْ

وهو القائل:

إذا كُنْتَ مَظْلُوماً فلا تُلْفَ راضِياً ... عَنِ القَوْمِ حَتَّى تأْخُذَ النِّصْفَ وَاْغْضَبِ
وإنْ كُنْتَ أَنْتَ الظَّالِمُ القَوْمَ فاطَّرِحْ ... مَقالَتَهُمْ وَاْشْغِبْ بِهِمْ كُلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بِذِي جَهْلٍ وباعِدْ بعالِمٍ ... جَلُوبٍ عَلَيْكَ الحَقَّ من كُلِّ مَجْلَبِ
وإنْ حَدِبُوا فاْقْعَسْ وإنْ هُمْ تَقَاعَسُوا ... لِيَنْتَزِعُوا ما خَلْفَ ظَهْرِكَ فَاْحْدَبِ

ابْنُ الدُّمَيْنَةِ

هو عبيد الله بن عبد الله والدُّمَينة أُمُّه، وهو من خَثْعَم، وهو القائل:

يا لَيْتَنا فَرْدَا وَحْشِيَّةٍ أَبَداً ... نَرْعَى المِتَانَ ونَخفَى في نَوَاحِيها

أَوْ لَيْتَ كُدْرَ القَطَا حَلَّقْنَ بي وبِهَا ... دُونَ السَّماءِ فعِشْنا في خَوافِيها

أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتَنَا لَوْ كان يَنْفَعُنا ... ومِنْ مُنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَانِيها

وهو القائل:

ولَمَّا لَحِقْنا بالحُمُولِ ودُونَنا ... خَفِيفُ الحَشَى تَزْهَى القَمِيصَ عَوَاتِقُهْ

قَلِيلُ قَذى العَيْنَيْنِ تَعْلَمُ أَنَّه ... هُوَ المَوْتُ إنْ لم تُلْقَ عَنَّا بَوائِقُهْ

عَرَضْنا فَسلَّمْنا فَسَلَّمَ كارِهاً ... عَلَيْنا وتَبْرِيحٌ منَ الغَيْظِ خانِقُهْ

فرافَقْتُهُ مِقْدارَ مِيلٍ ولَيْتَنِي ... على كُرْهِهِ ما دُمْتُ حَيَّا أُرافِقُهْ

فلمّا رَأَتْ أَلاَّ سَبِيلَ وإنَّما ... مَدَى الصَّرْمِ أَنْ يُلْقَى عليها سُرَادِقُهْ

رَمَتْنِي بطَرْفٍ لَوْ كَمِيًّا رَمَتْ به ... لَبُلَّ نَجيعاً نَحْرُهُ وبَنَائِقُهْ

وهو القائل:

بنَفْسِي وأَهْلِي مَنْ إذا عَرَّضُوا لَهُ ... ببَعْضِ الأَذَى لم يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ولم يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيِّ ولم تَزَلْ		بـه ضَعْفَـةٌ حَتَّى يُقال مُرِيبُ
تَلَجِّينَ حَتَّى يُزْرِيَ الهَجْرُ بالهَوَى		وحَتَّى تَكادَ النَّفْسُ عَنْكِ تَطِيبُ
وإِنِّي لأَسْتَحْيِيكِ حتّى كأنَّما		عَلَيَّ بظَهْرِ الغَيْب مِنْكَ رَقِيبُ

أَبُو جِلْدَةَ

هو من بني يَشْكُر ومات في طريق مكَّة وكان مولعاً بالشراب وهو القائل:

وَلَسْتُ بِلاَحٍ لي نَدِيمـاً بِزَلَّـةٍ ... ولا هَفْوَةٍ كانَتْ ونَحْنُ عَلَى الخَمْرِ

عَرَكْتُ بِجَنْبِي قَوْلَ خِذْنِي وصاحبِي ... ونَحْنُ عَلَى صَهْبـاءَ طَيِّبَـةِ النَّشْرِ

فَلَمَّا تَمادَى قُلْتُ خُذْها عَرِيقَةً ... فإِنَّكَ من قَوْمٍ جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ

وما زِلْتُ أَسْقِيهِ وأَشْرَبُ مِثْلَ ما ... سَقَيْتُ أَخِي حَتَّى بَدَا وَضَحُ الفَجْرِ

وأَيْقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طار بِلُبِّهِ ... فَأَغْرَقَ في شَتْمِي وقال وما يَدْرِي

وكان يهاجي زياداً الأعجم.

الأَجْرَدُ

هو من ثقيف ووفد على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراءِ فقال له إنَّه ما من شاعر إلَّا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته فما قلتَ؟ قال أنا القائل:

مَنْ كان ذا عَضُد يُدْرِكْ ظُلَامَتَهُ ... إنَّ الذَّليلَ الَّذي لَيْسَتْ له عَضُدُ
تَنْبُو يَـدَاهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ... ويَمْنَعُ الضَّيْمَ إنْ أَثْرَى له عَدَدُ

وهو القائل:

مـا بالُ من أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظاً ويَنْوِي من سَفَاهَتِهِ كَسْرِي
أَعُودُ عَلَى ذِي الجَهْلِ بالحِلْمِ مِنْهُمُ ... حَيَاءً ولوْ عاقَبْتُ غَرَّقَهُمْ بَحْرِي
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي تُخَافُ عَرَامَتِي ... وأَنَّ قَنَاتِي لا تَلِـينُ عَلَى قَسْرِ
أَظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْني وبَيْنَهُمْ ... سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ
أَنَـاةً وحِلْماً وانْتِظَاراً بِهِمْ غَداً ... فما أَنا بالوانِي ولا الضَّرَعِ الغُمْرِ
وإنِّـي وإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّـهَ القَطَا ... ولَوْلم تُنَبَّهْ باتَتِ الطَّيْرُ لا تَسْـرِي

مُدْرِجُ الرِّيح

هو عامر بن المَجْنون من قُضَاعة وسُمّي مُدْرِج الريح لقوله:

ولها بأَعْلَى الجَزْعِ رَبْعٌ دارِسٌ　　　دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ فَاسْتَوَى

أَنَسُ بن أَبِي أُنَاسٍ

هو أنس بن أبي أُنَاس بن زُنَيم، وهو من كِنَانة من الدُّؤَل رهط أبي الأسود الدَؤَليّ وكان أعور وأبوه أبو أُناس شاعر شريف وهو القائل في رسول الله ﷺ:

فَمَا حَمَلَتْ من ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها　　　أعفَّ وأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ

وفي أَنَسٍ يقول أبو الأسود:

تَبَدَّلْتُ من أَنَسٍ أَنَّهُ　　　كُذُوبُ الأَمانَةِ خَوَّانُها

وأَنَس هو القائل لعبد الله بن الزُّبير حين تزوَّج مُصْعَبٌ عائشة بنت طَلحة على ألف ألف درهم:

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رسَالَةً　　　من ناصِحٍ لَكَ لا يُرِيدُ خِدَاعا

بُضْعُ الفَتَاةِ بأَلْفٍ أَلْف كامِلٍ   وتَبيتُ ساداتُ الجُنُودِ جِيَاعا
لَوْ لأَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِي   وأَقُصُّ شَأْنَ حَدِيثِكُمْ لأَرْتَاعا

وعمّ أنس سارِيَةُ بن زُنَيْم الذي قال له عمر رضي الله عنه يا سارية الجَبَلَ ولمّا وُلّي حارثة بن بَدْر الغُدَانيّ سُرّق كتب إليه أنس:

أَحارِ بنَ بَدْرٍ قد وَلِيتَ إمَارَةً   فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
وباه تَميماً بالغِنَى إنَّ لِلْغِنَى   لِسَاناً به المَرْءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
فإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ   يَقُولُ بما يَهْوَى وإِمَّا مُصَدِّقُ
يَقُولُونَ أَقْوَالاً ولا يَعْلَمُونَها   وإِنْ قِيلَ هاتُوا حَقِّقُوا لم يُحَقِّقُوا
فلا تَحْقِرَنْ يا حار شَيْئاً أَصَبْتَهُ   فَحظُّكَ من مُلْكِ العِرَاقَيْنِ سُرَّقُ

فلمّا بلغت حارثة قال لا يَعْمَى عليك الرُّشْد.

المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ

هو محمَّد بن عُمَيْر من كِنْدَة وكان من أجمل الناس وجهاً وأمدّهم قامة فكان إذا كشف عن وجهه لُقِعَ أي أُصيب بالعين فكان يتقنّع دهرَه فسُمّي المقنّع، وهو القائل في قومه:

لا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَديمَ عَلَيْهِمُ ... ولَيْسَ رَئيسَ القَوْمِ من يَحْمِلُ الحِقْدا

ولَيْسُوا إلى نصْري سِراعاً وإنْ هُمُ ... دَعَوْني إلى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمُ شَدَّا

إذا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وإنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا

يُعَيِّرُني بالدَّيْن قَوْمِي وإنَّما ... دُيُونِيَ في أَشْياءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدا

وهو القائل:

وفي الظَّعائِنِ والأَحْداجِ أَحْسَنُ مَنْ ... حَلَّ العِراقَ وحَلَّ الشَّأْمَ واليَمَنا

جِنِّيَّةٌ من نِساءِ الإِنْسِ أَحْسَنُ مِنْ ... شَمْسِ النَّهارِ وبَدْرِ اللَّيْلِ لَوْ قُرِنا

وفيها يقول:

صاحِبُ السَّوْءِ كالدَّاءِ العَيَاءِ إذا ... ما ارْفَضَّ في الجِلْدِ يَجْرِي هاهُنا وهُنا

يُبْدِي ويُخْبِرُ عَنْ عَوْراتِ صاحِبِهِ ... وما يَرَى عِنْدَهُ من صالِحٍ دَفَنا

إنْ يَحْيَ ذاكَ فكُنْ منه بمَعْزِلَةٍ ... أو ماتَ ذاكَ فلا تَشْهَدْ له جَنَنا

يَحْيَى بنُ نَوْفَلٍ اليَمَانِي

هو من من حِمْيَر ويكنى أبا مَعْمَر ويقال إنَّه كان أوَّلًا ينتمي إلى ثَقيف فلمَّا ولَّى الحجّاجُ خالدَ بن عبد الله القَسْريَّ العراق ادَّعى أنَّه من حِمْيَر وكان أَبان بن الوليد البَجَليُّ في زمن الحجّاج بن يوسف في كتّاب ديوان الضَياع يجري عليه الرزق، فلمّا ولَّى الحجّاجُ خالداً ولّاه ما وراءَ بابه من حرب السواد وخراجه فدخل يحيى بن نَوْفَل من حسده ما لم يملكه فقالت له امرأته هُشَيمة ما لي أراك لا تدخل إلا عابساً، وأرى الناس قد أصابوا من خالد غيرك وأنت شاعر مصرك فقال:

تَقُولُ هُشَيْمَـــةُ فـيما تَقُولُ ... مَلِلْتَ الحَيَـاةَ أبـا مَعْمَرِ

ومـا لِيَ أَلَّا أَمَـلَّ الحَيَـاةَ ... وهـذا بِلَالٌ عـلى المِنْبَرِ

وهـذا أَخُوهُ يَقُودُ الجُيُوشَ ... عَظِـيمُ السُّرَادِقِ والعَسْكَرِ

وأَمَّا ابنُ سَلْمَى فشِبْهُ الفَتَاةِ ... بَكُورٍ عـلى الكُحْلِ والمِجْمَرِ

دَبُوبِ العِشَاءِ إذا أَطْمَعَـتْ ... حَليلَـةَ كُـلِّ فَتًـى مُعْوِرِ

وأَمَّا ابْنُ أَشْعَثَ ذو التُّرَّهَاتِ ... وذُو الكِـذْبِ والزُّورِ والمُنْكَرِ

فلَوْ قِيلَ عَبْـدٌ شَرَتْهُ التِّجارُ ... سَبِيٌّ مِنَ الرُّومِ لم يُنْكَرِ

وأَمَّا ابنُ ماهانَ بَعْدَ الشّقاءِ ... وبَعْـدَ الخِيَاطَـةِ في كَسْكَرِ

يَرُوحُ يُسَامِي مُلُوكَ العِرَاقِ وقَدْ عاشَ حِباً ولم يُذْكَرِ
يَرُوحُ إذا راح في المُعْسِرِينَ وإنْ أيْسَرَ النـــاسُ لم يُوسِرِ
وأمَّا المُكَحَّلُ وَهْبُ الهُنَاةِ فلَوْ دُهِـــقَ الدَّهْرَ لم يَصْبِرِ
عَنِ الصَّنْجِ والزَّفْنِ والمُسْمِعاتِ وقَرْعِ القَوَاقـــبِزِ والمِزْهَرِ
ولا عن هَنَاتٍ له لَوْ ظَهَرْنَ فمـــاتَ عَلَيْهِـــنَّ لم يُقْبَـــرِ
وهـذا ابنُ زَيْـدٍ لـه جُمَّـةٌ تَفُـوحُ مـنَ المِسْـكِ والعَنْبَـرِ
وهـــذا أبَـــانٌ بُنَيُّ الوَلِيـدِ خَطِيـبٌ إذا قام لم يُحْصَرِ
أبَعْدَ الدَّوَاةِ وبَعْدَ الطُّرُوسِ وبَعْدَ انْكِبَابٍ عَلَى الدَّفْتَرِ
ولَوْ حَلَّ ضَيْفٌ به لم يَزِدْهُ عَلَـى الأبْيَضَيْنِ مَعَ الصَّعْتَرِ

وكانَ يحيى بن نَوْفَل كثير الهجاءِ ولا يكاد يمدح أحداً ،وهو القائل لبلَال بن أبي بُرْدَة:

فلَوْ كُنْـــتُ مُمْتَدِحـاً للنَّوَالِ فَتًـى لاَمْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلاَلاَ
ولكِنَّـــني لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيــدُ بمَدْحِ الرِّجالِ الكِرَام السُّؤَالا
سَيَكْفِي الكَرِيمَ إخاءُ الكَرِيم ويقْنَـــعُ بالوُدِّ مِنْـــه نَوَالا

ودخل على ابن شُبْرُمَةَ القاضي وهو عليل من سقطة سقطها عن دابّته فوُثِئت رجله فقال:

أقُولُ غَـــدَاةَ أتَانـا الخَبِـيرُ يَدُسُّ أحادِيثَهُ هَيْنَمَهْ
لَـكَ الوَيْلُ من مُخْبِرٍ ما تَقُولُ أبِنْ لي وعَدِّ عنِ الجَمْجَمَهْ
فقال خَرَجْتُ وقاضِي القُضَا ةِ مُنْفَكَّـــةٌ رِجْلُـــهُ مُؤْلَمَـــهْ

فقُلْتُ وضاقَتْ عَلَيَّ البِلادُ ... وخِفْتُ المُجَلِّلَةَ المُعْظَمَهْ
فغَزْوانُ حُرٌّ وأُمُّ الوليدِ ... إنِ اللهُ عافَى أبا شُبْرُمَهْ
جَزاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنا ... وما عِتْقُ عَبْدٍ له أو أَمَهْ

فقال ابن شبرمة جزاك الله خيراً يا أبامَعْمَر ،وكان في المجلس جار له فلمّا خرج قال له يا أبا معمر أنا جارك منذ ثلاثين سنة وما أعرف غَزْوان ولا أمَّ الوليد فقال رحمك الله هما سِنَّوران عندي في البيت، وهو القائل في بلَال بن أبي بُرْدَة:

أبلَالُ إنّي رابَني من شأنكُمْ ... قَوْلٌ تُزَيِّنُهُ وفِعْلٌ مُنْكَرُ
ما لي أراك إذا أَرَدْتَ خِيَانَةً ... جعَلَ السُّجُودُ بحُرٌّ وَجْهِكَ يَظْهَرُ
مُتَخَشِّعاً طَبِناً لكُلِّ عَظِيمَةٍ ... تَتْلُو القُرَانَ وأَنْتَ ذِئْبٌ أَغْبَرُ

ومّما يسأل عنه من شعره قوله في سالم بن المُسَيَّب:

فَتًى قد كان يُعْمِلُ أُصْبعَيْهِ ... بنافِذَةٍ من البِيضِ القِصارِ

يعني الإبرة يريد أنه خيَّاط، وقال ليزيد بن خالد بن عبد الله القَسْريّ:

فما تِسْعُونَ تَحْفِزُها ثَلَاثٌ ... يَضُمُّ حِسابَها رَجُلٌ شَدِيدُ
بكَفٍّ حُزُقَّةٍ جُمِعَتْ لِوَجْيءٍ ... بِأَنْكَدَ من عَطَائِكَ يا يَزِيدُ

نحوه قول الخَليل:

فكَفٌّ عَن الخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ ... كما نُقِصَتْ مائِةٌ سَبْعَهْ

كما حُطَّ عن مائةٍ سَبْعَهْ

ويروى:

وأُخْرَى ثَلاَثَـــةُ آلافِهـــا   وتِسْعُ مِئِيهـــا لهـــا شِرْعَـــهْ

وقال لزياد بن عِمْران البَهْرانيّ:

أَتُرَى أَنْتَ يا ٱبْنَ عِمْرَانَ أَجْدا   دُكَ كانوا يَـدْرُونَ ما بَهْراءُ

لَوْ سُئِلُوا ما كان بَهْراءُ قالوا   هو إمَّـــا بَقْـلٌ وإمَّـا دَوَاءُ

وقال لسعيد بن راشد:

بكَى الخَزُّ من إبْطَيْ سَعِيدِ بن راشِدٍ   ومنِ ٱسْتِهِ تَبْكِي بِغالُ المَواكِبِ

فوا عَجَبَا حَتَّى سَعِيدُ بن راشِدٍ   له حاجِبٌ بالباب من دُونِ حاجِبِ

وقال لبلال بن أبي بُرْدة وكان مجذوماً:

فأَمَّـــا بلَالٌ فـــإنَّ الجُـــذَا   مَ جَلَّلَ ما جاز منه الوَرِيدا

فأَنْقَـــعَ في السَّمْنِ أَوْصالَـــهُ   كما أَنْقَـعَ الآدِمُونَ الثَّرِيـدا

فأَكْسَدَ سَمْنَ تِجـــارِ العِراقِ   عَلَيْنـا فأَصْبَح فِينـا كَسِيـدا

وقال:

إنْ يَكُ عَمْروٌ فَصِيحَ اللِّسانِ   خَطِيبـــاً فـــإنَّ ٱسْتَـــهُ تَلْحَنُ

عَلَيْـــــكَ بسُكٍّ ورُمانَـــــةٍ   ومِلْـــحٍ يُـــدَقُّ ولا يُطْحَنُ

وحِلْتِيـــتِ كِرْمـــانَ والنَّانُخَاة   ومُـــومٍ يُسَخَّـــنُ في مُدْهُـــنِ

العَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ

كان العبّاس يهاجي خُفَاف بن نَدْبَة السُّلَميَّ ثم تمادى الأمر بينهما إلى أن احتربا وكثرت القتلى بينهما فقال الضحَّاك بن عبد الله السلميُّ وهو صاحب أمر بني سُلَيم يا هؤلاء إنّي أرى الحليم يُعْصَى والسفيه يُطاع، وأرى أقرب القوم إليكما مَن لَقِيكما بهواكما، وقد علمتم ما هاج الحرب على العرب حتَّى تفانت،فهذه وائل في ضرع ناب وعَبْس وذُبْيان في لطمة فرس وأهل يَثْرِبَ في كَسْعَةِ رِجْل ومُرَاد وهَمْدان في رمية نَسْر وأمركما أقبح الأمور بدءًا وأخوفها عاقبة فحُطَّا رحل هذه المطيَّة النكداءِ وانحرفا عن هذا الرأي الأعوج،فلجَّا وأبيا إلّا السفاهة،فخلَعَتْهما بنو سُلَيم وأتاهما دُرَيد بن الصِّمَّة ومالك بن عَوْف النَّصْريُّ رأس هوازن فقال دُريد يا بني سُليم إنَّه أعجلني إليكم صَدْرٌ وادٌّ ورأيٌ جامع وقد قطعتم بحربكم هذه يداً من أيدي هوازن وصرتم بين صِيدِ بني الحارث وصُهْبِ بني زُبَيْد وحِمَار خَثْعَم وقد ركبتما شرَّ مطيَّةٍ وأوضعتما إلى شرّ غايةٍ فالآن قبل أن يندم الغالب ويذلَّ المغلوب ثم سكت فقال مالك بن عوف كم حيّ عزيز الجار مخوف الصَّباح أولع بما أولعتم به فأصبح ذليل الجار مأمون الصَّباح فانتهوا ولكم كفٌّ طويلة وقرن ناطح قبل أن تلقوا عدوَّكم بكفّ جذماء وقرن أعْضَبَ،فندم العبّاس وقال جزى الله خُفَافاً والرحم عنّي شرًّا كنتُ أخفَّ بني سُليم

من دمائها ظهراً وأخمصها من أموالها بطناً فأصبحتُ ثقيل الظهر من دمائها مُنْفَضِجَ البطن من أموالها وأصبحت العرب تعيّرني بما كنتُ أعيّرها به من لجاج الحرب، وآيم الله لوددتُ أنّي كنتُ أصمَّ عن جوابه أخرس عن هجائه ولم أبلغ من قومي ما بلغت، فلمّا أمسى تغنّى:

ألم تَرَ أني كَرِهْتُ الحُرُوبَ   وأنّي نَدِمْتُ على ما مَضَى
نَدَامَةَ زارِ عَلَتى نَفْسِهِ   لتِلْكَ ٱلّتِي عارُها يُتَّقَى
وأيْقَنْتُ أنّي لمَا جِئْتُهُ   منَ الأمْر لابسُ ثوْبَيْ خزَى
حَيَاءً ومِثْلِي حَقبقٌ به   ولم يَلْبَس القَوْمُ مِثْلَ الحَبَا
وكانَتْ سُلَيْمٌ إذَا قَدّمَتْ   فَتًى للحَوَادِثِ كُنْتُ الفَتَى
وكُنْتُ أُفيءُ عليها النّهابَ   وأَنْكي عِدَاها وأَحْمِي الحِمَى
فلم أُوقِدِ الحَرْبَ حتّى رَمَى   خُفَافٌ بأَسْهُمِهِ مَنْ رَمَى
فألْهَبَ حَرْباً بأَصْبارِها   فلم أكُ فيها ضَعِيفَ القُوَى
فإنْ تَعْطِفِ القَوْمَ أحْلَامُها   ويَرْجِعَ من وُدّهِمْ ما نَأى
فلسْتُ فَقِيراً إلى حَرْبِهِمْ   ولا بِيَ عن سِلْمِهِمْ من غِنَى

فأجابه خُفَاف:

أعَبّاسُ إمّا كَرِهْتَ الحُرُوبَ   فقَدْ ذُقْتَ من عَضّها ما كَفَى
أألْقَحْتَ حَرْباً لها دِرّةٌ   زَبُوناً تُسَعّرُها باللّظَى
فلَمّا تَرَقّيْتَ في غَيّها   دَحَضْتَ وزَلّ بِكَ المُرْتقَى
فأصْبَحْتَ تَبْكي على زَلّة   وماذا يَرُدُّ عَلَيْكَ البُكَا
فإنْ كُنْتَ أخْطَأتَ في حَرْبِهِ   فلَسْنا مُقِيلِيكَ ذاك الخطا

وإنْ كُنْتَ تَطْمَعُ في سِلْمِنا فزَاوِلْ ثَبِـيراً ورُكْنَيْ حِرَا

وأَسْلم العبّاسُ قبل فتح مكَّة وحضر مع النبيّ ﷺ يوم الفتح في تسع مائة ونيّف من سُلَيم بالقنا والدروع على الخيل وكان يرجع إلى بلاد قومه ولا يسكن مكَّة ولا المدينة وله ابن يقال له جُلْهُمَة يروي عن النبيّ ﷺ أحاديث، وكان للعبّاس فرس يقال له العُبَيْد وقد ذكره حين قصَّر به رسول الله ﷺ عمّا أعطاه عُيَينة بن حِصْن والأقرع بن حابس فقال:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ العُبَيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ
وكانَتْ نِهاباً تَلَافَيْتُها بكَرِّي على المُهْرِ في الأَجْرَعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وقد كُنْتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَأٍ فلم أُعْطَ شَيْئاً ولم أُمْنَعِ
وكانَتْ أفائِلَ أُعْطِيتُها عَدِيدَ قَوائِمِهِ الأَرْبَعِ

فقال رسول الله ﷺ اقطعوا عنّا لسانه فزادوه.

دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ

هو دُرَيْدُ بن الصِّمَّة من جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان ويكنى أبا قُرَّة ،وهوازن أخو سُلَيم بن منصور ،وكان دريد من فخذ من جُشَم يقال لهم بنو غَزِيَّة وأُمُّه رَيْحانة بنت مَعْدِي كَرِبَ أخت عمرو بن معدي كرب وعمرو خاله وهو أحد الشجعاء المشهورين وذوي الرأي في الجاهليَّة ،وشهد يوم حُنَين مع هوازن وهو شيخ كبير في شِجار له يقاد به والشجار مَرْكبٌ دون الهَوْدَج مكشوف الرأس فقال بأيّ وادٍ أنتم ؟ قالوا بأَوْطاس قال نِعْمَ مجالُ الخيل لا حَزن ضَرسٌ ولا سَهْل دَهِسٌ ثم قال لمالكَ بن عوف ما لي أسمعُ بُكاءَ الصغير ورغاءَ البَعير ونُهاق الحمير ويُعار الشاء ؟ فقال مالك يا أبا قُرَّة إنّي سُقْتُ مع الناس أموالهم وذراريَّهم وأَردتُ أن أجعل خلف كلّ رجل أهله وماله يقاتل عنه ،فأنقض به دريد ثم قال رُوَيْعى ضأن والله وهل يردُّ المنهزم شيءٌ ،وقال هذا يوم لم أشهده ولم أَغِبْ عنه ، وقال:

يا ليْتَني فيها جَذَعْ   أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفاءَ الزَّمَعْ   كأَنَّها شاةٌ صَدَعْ

وقُتل دُرَيد يومئذ فيمن قُتل من المشركين ،ومن جيّد شعره قوله :

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى   فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلَّا ضُحَى الغَدِ

فلمّا عَصَوْني كُنْتُ مِنْهُمْ وقد أرَى | غَوَايَتَهُمْ وأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَـدِي
وهَلْ أَنا إلَّا من غَزِيَّة إنْ غوَتْ | غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ
تَنَادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخَيْلُ فارِساً | فقُلْتُ أَعَبْدُ اللهِ ذلِكُمُ الرَّدِ
فجِئْتُ إلَيْهِ والرِّماحُ تَنُوشُهُ | كوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ
فطاعَنْتُ عنه الخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ | وحَتَّى عَلَانِي حالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِ
قِتَـال آمْرِىءٍ آسَى أَخاهُ بنَفْسِهِ | ويَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّـدِ
فإنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّى مَكانَهُ | فما كان وَقَّافاً ولا رَعِشَ اليَدِ
كَمِيشُ الإزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِـهِ | صَبُورٌ على الجَلَّاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلٌ تَشَكِّيهِ المَصَائِبَ حافِظٌ | منَ اليَوْمِ أَعْقابَ الأَحادِيثِ في غَدِ
صَبَا ما صَبَا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ | فلَمَّا عَلَاهُ قال للباطِلِ آبْعَدِ
وطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لم أَقُلْ له | كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي

وقوله:

أَبَى القَتْلُ إلَّا آل صِمَّةَ أَنَّهُمْ | أَبَوْا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدْرِ
فإمَّا تَرَيْنـا لا تَزَالُ دِمَاؤُنا | لَدَى واتِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهْرِ
فإنّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ | ونُلْحِمُهُ حِيناً ولَيْسَ بذِي نُكْرِ
قَسَمْنا بذاك الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنا | فما يَنْقَضِي إلَّا ونَحْنُ على شَطْرِ

قال وكان عبد الله بن الصّمّة أخو دُرَيد أغار على إبل لعَبْس وفَزارة ومعه دريد بعد أن أشار عليه دريد أَلَّا يفعل فخالفه فخرجت عليهم الخيـل فاستحرَّ القتال في بني جُشَم وقُتل عبد الله بن الصمَّة وصُرع دُريد فقال ابن خَرْشاءَ العَبْسيُّ أَمَّا أنا فأشهد أنَّ دريداً حيٌّ

فقال له الربيع بن زياد وما علّمك بذلك؟ قال أرى عِرْقاً ينبض في باطن عِجانه فَدَعْني أبقره بالرمح ،فنهاه فقال أَمَا والله ليملأنَّها عليك عاماً قابلاً شرًّا ،ثم إنَّ الربيع أمر بحمله حتَّى بلَّغه مأمنه وكانت لدريد عنده يد متقدّمة فجازاه بذلك ثم إنَّ هوازن عقدت له رئاسة عبد الله أخيه فخرج بهم فلقي جماعة عَبْسٍ وذُبْيان فقتل منهم زُهاءَ مائة قتيل وأسر ذُؤَاب بن أسماءَ بن زيد بن قارب قاتل عبد الله بن الصمَّة وبعث به إلى أمّه رَيْحانة لتقتله بعبد الله فلم يصل إليها حتَّى قُتل وفي ذلك يقول دريد:

قَتَلْنــا بعَبْــد اللهِ خَيْرَ لِدَاتِــهِ ذُؤَابَ بنَ أَسْماءَ بنِ زَيْدِ بنِ قارِبِ

وكانت أمُّ دريد حضَّضَتْه بشعر لها على الطلب بثأر عبد الله أخيه فقال:

تَكِلْتِ دُرَيْداً إنْ أَتَتْ لَكِ شَتْوَةٌ سِوَى هذِهِ حَتَّى تَدُورَ الدَّوَائِرُ
وشَيَّـبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ بُكَاؤُكِ عَبْدَ اللهِ والقَلْبُ طائِرُ
إذا أَنا حاذَرْتُ المَنِيَّةَ بَعْدَهُ فـلا وَأَلَتْ نَفْسٌ عَلَيْها أُحاذِرُ

إبراهيم بنُ هَرْمَةَ

هو من الخُلْج والخُلْج من قيس عَيْلان ويقال إنَّهم من قُريش فسُمُّوا الخلجَ لأنَّهم اختَلَجوا منهم وكان إبراهيم من ساقة الشعراءِ، حدثني عبد الرحمان عن الأصمعيّ أنَّه قال ساقة الشعراءِ ابن مَيَّادة وابن هَرْمة ورُؤْبَة وحكم الخُضْريُّ (حيّ من مُحارِب) ومَكِين العُذْريّ وقد رأيتُهم أجمعين، وكان إبراهيم مولعاً بالشراب وأخذه خُثَيْم بن عِرَاك صاحب شُرَط المدينة لزياد بن عبيد الله الحارثيّ في ولاية أبي العبّاس فجلده الحدّ فقال ابن هرمة:

عَقَقْتَ أَباكَ ذا نَشَبٍ ويُسْرٍ فلَمَّا أَفْنَتِ الدُّنْيا أَبَاكا
عَلِقْتَ عَدَاوَتِي هذِي لَعَمْرِي ثِيَابُ السِّرِّ تُلْبِسُها عِرَاكا

ولمّا ولي أبو جعفر شخص إليه وامتدحه فاستحسن شعره وقال سَلْ حاجتك قال تكتب إلى عامل المدينة أن لا يَحُدَّني إذا أُتي بي إليه وأنا سكران قال أبو جعفر هذا حدٌّ من حدود الله تعالى وما كنتُ لأُعطّله، قال فآحْتَل لي فيه يا أمير المؤمنين فكتب إلى عامل المدينة مَن أتاك بابن هرمة وهو سكران فآجلده مائة جلدة وآجلد ابن هرمة ثمانين، فكان العَوْن يمرُّ به وهو سكران فيقول مَنْ يشتري ثمانين بمائة ويجوزه، وإبراهيم القائل:

إنّي وتركِي نَدَى الأكْرَمِينَ　　وقَدْحِي بِكَفّي زَنْداً شَحَاحا

كتارِكَــةٍ بَيْضَهــا بالعَرَاءِ　　ومُلْحِفَـةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحا

وممّا يستجاد له من شعره قوله:

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفتَى ورِدَاؤُهُ　　خَلَـقٌ وجَيْـبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ

إمَّا تَرَيْنِي شاحِباً مُتَبَذِّلاً　　كالسَّيْـفِ يُخْلِقُ جَفْنُهُ فيَضِيعُ

فلَرُبَّ لَيْلَـةِ لَـذَّةٍ قـد بتُّها　　وحَرَامُهـا بِحَلَالِهـا مَدْفُوعُ

ويستجاد له قوله في الكلب:

يَكَادُ إذا ما أبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً　　يُكلِّمُهُ من حُبِّهِ وَهْوَ أعْجَمُ

العُمَانيُّ

هو محمَّد بن ذُؤَيب الفُقَيْميُّ ولم يكن من أهل عُمَان وإنَّما قيل له عمانيّ لأَنَّ دُكَيْناً الراجز نظر إليه وهو يسقي الإبل ويرتجز فرآه غُلَيِّماً مصفرَّ الوجه ضريراً مطحولاً فقال مَن هذا العُمَانيُّ؟ فلزمه الاسم وإنّما نسبه إلى عمان لأَنَّ عُمانَ وبيَّة وأهلها مصفرَّة وجوههم مطحولون وكذلك البَحْران ،قال الشاعر:

مَنْ يَسْكُنِ البَحْرَيْنِ يَعْظُمْ طِحالُهُ   ويُغْبَطْ بما في بَطْنِه وَهْوَ جائِعُ

ودخل على الرشيد ليُنْشده وعليه قلنسوة طويلة وخفٌّ ساذج فقال له إيَّاك أن تنشدني إلَّا وعليك عمامة عظيمة الكَوْر وخفّان دِلْقَمان فبكر عليه من الغد وقد تزيَّا بزيّ الأَعراب ثم أنشده وقبَّل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروان ورأيتُ وجهه وقبَّلتُ يده وأَخذتُ جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المَنصور ثم المهديَّ ،كلُّ هؤلاء رأيتُ وجوههم وقبَّلتُ أيديهم وأخذتُ جوائزهم إلى كثير من أشباه الخلفاءِ وكبار الأُمراءِ والسادة الرؤساءِ لا والله ما رأيتُ فيهم أبهى منظراً ولا أحسن وجهاً ولا أنعم كفًّا ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبَسَطه حتَّى تمنَّى جميع مَن حضر

أنَّه قام ذلك المقام، وكان العُمَانيُّ يجيد وصف الفرس، فممّا أخذه أو أُخذ منه قوله:

كأنّ تَحْتَ البَطْنِ منه أَكْلُبَا　　بِيضاً صِغاراً يَنْتَهِشْنَ المَنْقَبا

وقال آخر:

كـأَنَّ أَجْزاءَ كِلَابٍ بِيــضٍ　　دُونَ صِفاقَيْـهِ إلى التَّعْرِيـضِ

وقال الآخر:

كـأَنَّ قِطًّا أو كِلاباً أَرْبَعَا　　دُونَ صِفَاقَيْـهِ إذا ما ضَبَعَا

بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ

هو مولى لبني عُقيل ويقال مولى لبني سَدُوس ويكنى أبا مُعاذ ويلقَّب المُرَعَّثَ ،والمرعَّث الذي جُعل في أُذنيه الرِّعاثُ وهي القرطة ويرمى بالزندقة ،وهو مع ذلك يقول:

كَيْفَ يَبْكِي لَمَحْبَسٍ في طُلُولِ ... مَنْ سَيُقْصَى ليَوْمِ حَبْسٍ طوِيلِ
إنَّ في البَعْثِ والحِسَاب لَشُغْلاً ... عن وُقُوفٍ برَسْمِ دارٍ مُحِيلِ

وبشَّار أحد المطبوعين الَّذين كانوا لا يتكلَّفون الشعر ولا يتبعون فيه ، وهو من أشعر المُحْدَثين وحضر يوماً عند عُقْبَة بن سَلْم وعُقْبة بن رؤبة بن العجّاج ينشده رجزاً يمتدحه فيه فاستحسن بشَّارٌ الأرجوزة فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز لا تُحسنه أنت يا أبا معاذ ،فقال بشّار أَلمثلي يقال هذا أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدّك ،ثم غدا على عُقْبَة بن سَلْم بأرجوزته التي أوَّلها:

يا طَلَلَ الحَيِّ بذاتِ الصَّمْدِ ... باللهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي

وفيها يقول:

ضَنَّتْ بخَدٍّ وجَلَتْ عَنْ خَدِّ ... ثُمَّ انْثَنَتْ كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ
ما ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضُعْفُ الكَدِّ ... أَدْرَكَ حَظًّا مَنْ سَعَى بجَدِّ

الحُرُّ يُلحَى والعَصَا للعَبْدِ   ولَيْسَ للمُلْحِفِ مثلُ الرَّدِّ
وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ   حَمَلْتُهُ في رُقْعَةٍ من جِلْدِي

وهذا مثل قول الآخر:

لَقَدْ كُنْتَ في قَوْمٍ عَلَيْك أَشِحَّةٍ   بنَفْسِكَ إلَّا أَنَّ ما طاح طائِحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خاطُوا عَلَيْك جُلُودَهُمْ   ولا تَدْفَعُ المَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحائِحُ

وكان حَمَّاد عَجْرَد يهجو بشَّاراً فلم يكن في ما هجاه به شيءٌ أشدُّ على بشّار من قوله:

ويا أَقْبَحُ من قِرْدٍ   إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

وقوله:

لَوْ طُلِيَتْ جِلْدَتُهُ عَنْبَراً   لَنَتَّنَتْ جِلْدَتُهُ العَنْبَرَا
أو طُلِيَتْ مِسْكاً ذَكِيًّا إذاً   تَحَوَّلَ المِسْكُ عَلَيْهِ خرَا

ومن جيّد شعر بشّار قوله في عُمَر بن العَلَاء:

إذا أَيْقَظَتْك حُرُوبُ العِدَا   فنَبِّهْ لها عُمَراً ثُمَّ نَمْ
دَعَاني إلى عُمَرٍ جُودُهُ   وقَوْلُ العَشِيرَةِ بَحْرٌ خِضَمّ
ولَوْلا الَّذي زعَمُوا لم أَكُنْ   لأَحْمَدَ رَيْحانَةً قَبْلَ شَمْ

ومن عجيب تشبيهه وهو أعمى قوله في الذَّكَر:

وتَرَاهُ بَعْدَ ثَلاثَ عَشْرَةَ قائِماً   نِظْرَ المُؤَذِّنِ شَكَّ يَوْمَ سَحَابِ

ومن خبيث هجائه قوله:

ولا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إنَّهُ   مَخَافَةَ أن يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

إذا جِئْتَهُ للعُرفْ أَغْلَقَ بابَهُ　　فلم تَلْقَهُ إلَّا وأَنْتَ كَمِينُ
فقُلْ لأَبِي يَحْيَى مَتَى تَبْلُغُ العُلَى　　وفي كُلّ مَعْرُوفٍ عَلَيْك يَمِينُ

وفيه يقول:

أَجِدَّكَ يا ابنَ قَزْعَةَ نِلْتَ مالَاً　　ألا إنَّ اللِّئَامَ لهم جدُودُ
ومِنْ حَذَرِ الزِّيادَةِ في الهَدايا　　أَقمْتَ دَجَاجَةً فِيمَنْ يَزِيدُ

ومّما سبق إليه بشَّار قوله:

كأَنَّ مُثارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ　　وأَسْيافَنا لَيْلٌ تَهَاوى كَوَاكِبُهْ

أخذه العتَّابيُّ فقال:

تَبْنِي سَنَابِكُها من فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ　　سَقْفاً كَوَاكِبُهُ البِيضُ المَبَاتِيرُ

ومن حسن شعره قوله:

كأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَةٌ تُنَزَّى　　حِذارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحِذَارُ
كأَنَّ جُفُونَهُ سُمِلَتْ بشَوْكٍ　　فلَيْسَ لنَوْمِهِ فيها قَرَارُ
أَقُولُ ولَيْلَتِي تَزْدادُ طُولًا　　أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمُ نَهَارُ
جَفَتْ عَيْني عن التَّغْمِيضِ حَتَّى　　كأَنَّ جُفُونَها عنها قِصارُ
يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ بِكُلِّ أَمْرٍ　　مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ به السِّرَارُ

ومّا أفرط فيه قوله:

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً
هَتَكْنا حِجَابَ الشَّمْسِ أو قَطَرَتْ دما

وبعده:

إذا ما أَعَرْنا سَيِّداً من قَبِيلَةٍ ذرى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنا وسَلَّمَا

وكان بشَّار هجا المهديَّ وذكر شغله بالشراب واللهو فأمر به فقُتل تغريقاً في الماءِ.

سُدَيْفُ بن مَيْمُونٍ

هو مولى بني العبّاس وشاعرهم ويقال إنّه كان مولى لامرأة من خُزَاعة وكان زوجها من اللِّهْبِيّين فنسب إلى ولاء اللهبيّين وكان يقول في أيّام بني أميّة اللهمّ قد صار فَيْئنا دولةً بعد القسمة وإمارتُنا غلَبَةً بعد المشورة وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأُمّة واشتُريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحَكَمَ في ابشار المسلمين أهلُ الذمّة وتولّى القيامَ بأُمورهم فاسقُ كلّ محلّة اللهمّ وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نُهْيته واستجمع طريده اللهمّ فأَتِحْ له من الحقّ يداً حاصدة تبدّد شملَه وتفرّق أمره ليظهر الحقُّ في أحسن صورته وأتمّ نوره، وهو القائل في سليمان بن هشام لأبي العبّاس:

لا يَغُرَّنْك ما تَرَى من رِجالٍ ... إنَّ تَحْتَ الضُّلوعِ داءً دَوِيًّا

فضَعِ السَّيْفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حَتّى ... لا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِها أُمَوِيًّا

وهو القائل:

وأَمِيرٍ من بَنِي جُمَحٍ ... طَيِّبِ الأَعْراقِ مُمْتَدَحِ

إنْ أَبَحْناهُ مَدَائِحَنا ... عاضَنا مِنْهُنَّ بالوَضَحِ

ولمّا ظهر إبراهيم بن عبد الله صار إليه سُدَيف فكتب بعض عيون أبي جعفر إليه أنه قام إلى إبراهيم لمّا صعد المنبر فقال:

إيـهِ أبـا إسْحـاقَ مُلِّيتَهـا ... في صِحَّـةٍ مِنْكَ وعُمْرٍ طَوِيلِ
أذْكُرْ هَـدَاكَ اللهُ ذَحْلَ الأُولى ... سِيرَ بِهِمْ في مُصْمَتَـاتِ الكُبُولِ

يعني أباه ومن حُمل معه، فلمّا قُتل إبراهيم هَرَبَ سُدَيف وكتب إلى المنصور:

أيُّها المَنْصُورُ يا خَيْرَ العَربْ ... خَيْرَ مَنْ يَنْمِيـهِ عَبْدُ المُطَّلِبْ
أنـــا مَوْلاك وراجٍ عَفْوكُمْ ... فأعْفُ عَنِّي اليَوْمَ من قَبْلِ العَطَبْ

فوقَّع المنصور:

مـا نَمَـاني مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ... إنْ تَشَبَّهْــتُ بَعْدَهــا بوَلِيِّ

وكتب إلى عبد الصَّمَد بن عليّ يأمره بقتله فيقال إنَّه دُفن حيًّا.

مَرْوَانُ بن أَبِي حَفْصَة

ويكنى أبا السَّمْط؛ هو مولى مروان بن الحكم وكان أعتق أباه أبا حَفْصة يوم الدار وقال مروان:

بَنُو مَرْوَانَ قَوْمِي أَعْتَقُونِي ... وكُلُّ الناسِ بَعْدُ لَهُمْ عَبِيدُ

ويقال إنَّ يحيى بن أبي حفصة كان يهوديًّا أسلم على يد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه وأثرى وكثر ماله وكان جواداً فتزوَّج خَوْلَة بنت مُقاتِل بن طَلْبَة بن قيس بن عاصم سيِّد أهل الوَبَر فقال القُلَاخ:

نُبِئْتُ خَوْلَةَ قالَتْ حِينَ أَنْكَحَها ... لَطالَ ما كُنْتُ مِنْكَ العارَ أَنْتَظِرُ

أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مالِهِمَا ... في فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ والحَجَرُ

للهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سائِسُها ... بَرْذَنْتَها وبها التَّحْجِيلُ والغُرَرُ

وكان أيضاً تزوَّج بنت إبراهيم بن النُّعْمان بن بَشير على عشرين ألفاً فعيَّره الناس فقال إبراهيم:

ما تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلْفاً لِقائِلٍ ... مَقالاً فلا تَحْفِلْ مَقَالَةَ لائِمِ

فإنْ أَكُ قد زَوَّجْتُ مَوْلًى فقد مَضَتْ ... بِه سُنَّةٌ قَبْلِي وحُبُّ الدَّراهِمِ

وكان يحيى بن أبي حفصة شاعراً وهو القائل في وصف حيَّة:

أَصَمُّ ما شَمَّ من خَضْراءَ أَيْبَسَها ... أو مَسَّ من حَجَرٍ أَوْهاه فَانْصَدَعا

يَلُوحُ مِثْلُ مَخَطِّ النارِ مَسْلَكُهُ في المُسْتَوِي وإذا ما انْحَطَّ أو طَلَعا
لَوْ أَنَّ رِيقَتَهُ صُبَّتْ عَلَى حَجَرٍ أَصَمَّ من جَنْدَلِ الصَّمَّانِ لانْقَطَعا

وكان عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أتى الحسن بن عليّ بن أبي طالب فقال أنا مولاك ،وكان عبيد الله قبلُ يكتب لعليّ بن أبي طالب فقال مولى لتمّام بن العبّاس بن عبد المطّلب:

جَحَدْتَ بني العبَّاسِ حَقَّ أَبِيهِمُ فما كُنْتَ في الدَّعْوَى كَرِيمَ العَوَاقِبِ
مَتَى كان أَوْلادُ البَنَاتِ كَوارِثٍ يَحُوزُ ويُدْعَى والِداً في المَناسِبِ

فأخذه مروان فقال:

أَنَّى يَكُونُ ولَيْسَ ذاك بكائِنٍ لِبَنِي البَنَاتِ وِرَاثَةُ الأَعْمامِ

ويستجاد له قوله في بني مَطَر:

هُمُ القَوْمُ إنْ قالوا أَصابوا وإنْ دُعُوا
أَجابُوا وإنْ أَعْطَوْا أَطابُوا وأَجْزَلُوا
هُمُ يَمْنَعُونَ الجـارَ حَتَّى كأَنَّما لِجارِهِمُ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ

أَبُو عطَاءٍ السِّنْدِيُّ

اسمه مَرْزُوق مولى أَسَد بن خُزَيمة وكان جيّد الشعر وكانت فيه عجمة ،قال حمّاد عَجْرَد كنتُ أنا وحمّاد الراوية وحمّاد بن الزِّبْرِقان النحويُّ وبكر بن مُصْعَب المُزَنيُّ مجتمعين فنظر بعضُنا إلى بعض فقلنا ما بقي شيءٌ إلّا وقد تهيّأ لنا في مجلسنا هذا فلو بعثنا إلى أبي عطاءٍ السنديّ فأرسلنا إليه ،فقال حمّاد بن الزبرقان أيُّكم يحتال لأبي عطاءٍ حتّى يقول جَرَادَة وزُجّ وشَيْطان ،قال حمّاد الراوية أنا فلم يلبث أن جاءَ أبو عطاءٍ فقال مَرْهباً مَرْهَباً هيّاكم الله ،قلنا ألا تتعشّى ؟قال قد تأَسَّيْتُ فهل عندكم نبيذ ؟قلنا نعم فأُتي بنبيذ فشرب حتّى استرخت عَلَابِيه وخَذِيَت أذناه فقال حمّاد الراوية كيف بصرُك باللُّغز يا أبا عطاءٍ ؟ قال هَسَنٌ ، قال:

فما صَفْراءُ تُكْنَـى أُمَّ عَوفٍ كـأَنَّ رُجَيْلَتَيْهـا مِنْجَـلانِ

قال زَرَادة قال أصبتَ ثم قال:

فما ٱسْمُ حَدِيدَةٍ في الرُّمْح تُرْسَى دُوَيْنَ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بالسِّنانِ

قال زُزّ قال أصبتَ ثم قال:

فتَعْرِفُ مَنْزِلًا لبَنِي تَمِيـمٍ فُوَيْقَ المِيلِ دُونَ بـني أَبانِ

قال في بني سَيْطان قال أصبتَ ، وهو القائل لعمر بن هُبَيرة:

ثَلَاثٌ حُكْتُهُنَّ لقَرْمِ قَيْسٍ طَلَبْـتُ بها الأُخُوَّةَ والثَّنَـاءَ

رَجَعْنَ عَلَى جَوَّاجِئِهِنَّ صُوفٌ ... فعِنْــدَ اللهِ أَحْتَسِبُ الجَزَاءَ

وقال يرثيه:

أَلا إِنَّ عَيْناً لم تَجُدْ يومَ واسِطٍ ... عَلَيْـكَ بجارِي دَمْعِها لَجَمُودُ

عَشِيَّـةَ قـام النائِحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيُوبٌ بأَيْـدِي مَأْتَمٍ وخُدُودُ

فـإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِناءِ فرُبَّما ... أَقـامَ بـه بَعْـدَ الوُفُودِ وُفُودُ

فإِنَّـك لم تَبْعَـدْ عَلَى مُتَعَهِّـدٍ ... بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

ولمّا ولي أبو العبّاس مدح أبو عطاءٍ السنديُّ بني العبّاس فقال:

إِنَّ الخِيَارَ مِنَ البَرِيَّـةِ هاشِمٌ ... وبنو أُمَيَّــــةَ أَرْذَلُ الأَشْرارِ

وبَنُو أُمَيَّـةَ عُودُهُمْ من خِرْوَعٍ ... ولهاشِمٍ في المَجْـدِ عُودُ نُضَارِ

أَمَّـا الدُّعاةُ إلى الجِنانِ فهاشِمٌ ... وبَنُو أُمَيَّـةَ من دُعـاةِ النـارِ

فلم يصله بشيءٍ فقال:

يا ليْتَ جَوْرَ بني مَرْوانَ عاد لنا ... وأَنَّ عدْلَ بني العبَّاسِ في النارِ

وقال يهجو بني هاشم:

بَنِي هاشِمٍ عُودُوا إلى نَخَلاتِكُمْ ... فقد قام سِعْرُ التَّمْرِ صاعاً بدِرْهَمِ

فـإِنْ قُلْتُمُ رَهْـطُ النَّبِيِّ وقَوْمُـهُ ... فإِنَّ النَّصارَى رَهْطُ عِيسَى بنِ مَرْيَمِ

ابْنُ مَيَّادَةَ

هو الرَّمَّاحُ بن يزيد وميَّادة أمُّه وكانت أمّ ولد ويكنى أبا شَرَاحِيلَ وهو من بني مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان وكان يضرب جَنْبَيْ أمّه ويقول لها:

اِعْرَنْزِمِي مَيَّادَ للقَوَافِي

يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذكرون أمَّه وأبوه من ولد ظالم أبي الحارث بن ظالم المُرّيّ، وهو القائل:

سَقَتْني سُقَاةُ المَجْدِ من آلِ ظالِمٍ ... بأَرْشِيَةٍ أطرافُها في الكَوَاكِبِ

وهو القائل للوليد بن يزيد:

أَلَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي

بِلادٌ بها نِيطَتْ عَلَيَّ تَمائِمِي ... وقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي

وهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْلِ

فإنْ كُنْتَ عنِ تِلْكَ المَوَاطِنِ حابِسِي

فأَفْشِ عَلَيَّ الرِّزْقَ واْجْمَعْ إذاً شَمْلِي

أخذ البيت من المجنون فكتب الوليد إلى مصدِّق كَلْب أن يعطيه

مائة ناقة دُهْماً جعاداً فطلب المصدّق أن يُعْفِيَه من الجعودة ويأخذها دُهْماً فكتب الرمَّاح إلى الوليد:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ الحَيَّ كَلْباً أَرادُوا في عَطِيَّتِكَ آرْتِدادا
أَرادُوا لِي بها لَوْنَيْنِ شَتَّى وقد أُعْطِيتُها دُهْماً جِعادا

فكتب إليه أن يُعطيه مائة دُهْماً جعاداً ومائة صُهْباً بُرعاتها.

أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ

هو الهَيْثَم بن الربيع وكان يروي عن الفرزدق وكان كذَّاباً ، قال ذات يوم عنَّ لي ظبيٌّ فرميتُه فراغَ عن سهمي فعارضه والله ذلك السهم ثم راغ فراوغه السهم حتَّى صرعه ببعض الخَبَارات ، وقال أيضاً رميتُ والله ظبية فلمّا نفذ السهم عن القوس ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي فعدوتُ وراءَ السهم حتَّى قبضتُ على قُذَذِه ، وقال جار له كان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان يسمّيه لُعابَ المنيَّة ، قال فأشرفتُ عليه ليلةً وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت في داره وهو يقول إيهاً أيُّها المغترُّ بنا والمجترىء علينا بئس والله ما اخترتَ لنفسك خيرٌ قليل وسيف صقيل لُعابُ المنيَّة الذي سمعتَ به مشهورة ضربتُه لا تخاف نبوته اخرجْ بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك إنّي والله ان أدعُ قَيْساً تملأ الفضاءَ خَيْلًا ورَجْلًا يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج عليه فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني منك حرباً ، ولقيه ابن مناذر فسأله أن ينشده فأنشده :

أَلَا حَيِّ مِنْ بَعْدِ الحَبِيبِ المَغانِيَا ⁂ لَبِسْنَ البِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

إذا ما تَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ ⁂ تقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فقال له ابن مناذر أَوَهذا شعر فقال أبو حيَّة ما في شعري شرٌّ من أنَّك تسْمِعه ، ثم أنشده ابن مناذر فقال له أبو حيَّة أَما قلتُ لك.

أَبُو دُلَامَةَ

هو زَنْد بن الجَوْن مولي بني أَسَد وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس السفّاح وقال له يوماً سَلْ حاجتك؟ فقال أبو دلامة كلب صيد، قال لك كلب قال ودابَّة أتصيَّدُ عليها، قال ودابَّة، قال وغلام يركب الدابَّة ويصيد، قال وغلام، قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه، قال وجارية، قال يا أمير المؤمنين هؤلاءِ عِيال ولا بُدَّ من دار، قال ودار، قال ولا بدَّ من ضيعة تقوت لهؤلاءِ، قال قد أقطعناك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة، قال وأيُّ شيءٍ الغامرة؟ قال ليس فيها نبات، قال فأنا أقطعك ألفاً وخمسمائة جريب من فيافي بني أَسَد، قال قد جعلناها عامرة قال فأذنْ لي أُقبِّلْ يدك، قال أمَّا هذه فدَعْهَا، قال ما منعتُ عيالي شيئاً أهون عليهم فقداً من هذه، وكان يستحسن شعره وأنشده يوماً شعراً والناس يستحسنونه فقال له والله يا أمير المؤمنين إنهم لا يفهمون بالقول شيئاً ولا يستحسنون إلاّ باستحسانك ثم أنشده:

أَنْعَتُ مُهراً كامِلاً في قَدْرِهِ   مُركَّبــاً عِجانُــهُ في ظَهْرِهِ

فعجبوا من ذلك واستحسنوه فقال يا أمير المؤمنين أَمَا قلتُ لك وقال لهم كيف يكون عجانه في ظهره؟ وقال أبو دلامة كنتُ في عسكر مروان أيَّامَ زَحَفَ إلى شَيْبان الخارجيّ فلمّا التقى الزحفان خرج منهم فارس فنادى مَن يبارز؟فلم يخرج إليه أحد إلَّا أعجله ولم يُنَهْنِهْه

وأحجم الناس عنه فغاظ ذلك مروان فجعل يندب الناس على خمس مائة درهم فقتل أصحاب خمس مائة وزاد مروان في نُدْبته فبلغ بها ألفاً ولم يزل يزيد حتَّى بلغ خمسة آلاف درهم فلم يخرج إليه أحد وكان تحتي فرس لا أخاف خونه،فلمّا سمعتُ بالخمسة الآلاف ترقَّبتُه واقتحمت الصفَّ،فلمَّا نظر إليَّ الخارجيُّ علم أنّي إنَّما خرجتُ للطمع فأقبل يتهيَّأ إليَّ وإذا عليه فرو له قد أصابه المطر فارمعلَّ (فابتل) ثم أصابته الشمس فاقفعلَّ وعيناه تَزرَّان كأنَّهما في وقبين، فلمّا دنا منّي قال:

وخـارجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعْ فَرَّ مِنَ المَوْتِ وفي المَوْتِ وَقَـعْ
مَنْ كان يَنْوي أَهْلَهُ فلا رَجَعْ

فلمَّـا وَقَرَتْ فى أُذني انصرفتُ عنه هارباً، وجعل مروان يقول مَنْ هذا الفاضح لنا؟ إيتوني به ودخلتُ في غمار الناس فنجوتُ، وخرج أبو دلامة مع المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد فسنحت لهم ظباءٌ فرمى المهديُّ ظبياً فأصابه ورمى عليُّ بن سليمان فأصاب كلباً فضحك المهديُّ وقال لأبي دلامة قُلْ في هذا فقال:

قـد رَمـى المَهْـدِيُّ ظَبْيـاً شَـكَّ بالسَّهْـمِ فُـؤَادَهْ
وعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَـا نَ رَمَـى كَلْبـاً فصـادَهْ
فَهنِيئـاً لَهُمَـا كُـلُّ آمْرِئٍ يَأْكُـلُ زادَهْ

وهو القائل في أبي مُسْلِم (صاحب الدولة):

أبا مُجْرِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نِعْمَةً عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرُها العَبْدُ
أبا مُجْرِمٍ خَوَّفْتَني القَتْلَ فَانْتَحَى عليك بما خَوَّفْتَني الأَسَدُ الوَرْدُ
أَفي دَوْلَـةِ المَهْدِيِّ حاوَلْتَ غَدْرَةً أَلَا إنَّ أَهْلَ الغَدْرِ آباؤُكَ الكُرْدُ

حمّادُ عجْرَدٍ

هو حمّاد بن عُمَر من أهل الكوفة مولى لبني سُوَاءَة بن عامر بن صَعْصَعَة وكان معلّماً وشاعراً مُحْسِناً وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحَمَّادون حمّاد عجرد وحمّاد الراوية وحمّاد بن الزِّبْرِقان النحويُّ وكانوا يتنادمون ويتعاشرون وكأنَّهم نفس واحدة ويُرْمَوْن جميعاً بالزندقة وكان حمّاد بن الزبرقان عتب على حمّاد الراوية في شيءٍ فهجاه وقال:

نِعْمَ الفتَى لَوْ كان يَعْرِفُ قَدْرَهُ ... ويُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ

هَدَلَتْ مَشَافِرَه الدِّنَانُ فأَنْفُهُ ... مِثْلُ القَدُومِ يَسُنُّها الحَدَّادُ

وَٱبْيَضَّ من شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ ... فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الحِسَابِ سَوَادُ

وحمّاد عجرد هو القائل:

إنَّ الكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ ... حتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهْوَ مَجْهُودُ

وللبَخِيلِ عَلَى أَمْوالِهِ عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيُونِ عَلَيْها أَوْجُهٌ سُودُ

إذَا تَكَرَّمْتَ أَنْ تُعْطِي القَلِيلَ ولم ... تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظْهَرِ الجُودُ

أَبْرِقْ بخَيْرٍ تُرَجَّى للنَّوَالِ فما ... تُرْجَى الثِّمَارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ

بُثَّ النَّوَالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُه ... فكُلُّ ما سَدَّ فَقْراً فَهْوَ مَحْمُودُ

وهو القائل:

حُرَيْثٌ أبو الصَّلْتِ ذو خِبْرَةٍ   بمـا يُصْلِـحُ المَعِـدَ الفاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَـــةَ أَضْيافِـهِ   فعَوَّدَهُمْ أَكْلَـــةً واحِـــدَهْ

وهو القائل:

كَمْ من أخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ   ما دُمْتَ من دُنْياك في يُسْرِ
مُتَصَنِّـعٍ لـك في مَوَدَّتِـهِ   يَلْقــاك بالتَّرْحِيـبِ والبِشْرِ
يُطْرِي الوَفاءَ وذا الوَفاءِ ويَلْحَى الغدْرَ مُجْتَهِداً وذا الغَدْرِ
فـإذا عَدَا والدَّهْرُ ذو غِيَرٍ   دَهْرٌ عَلَيْك عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فٱرفُـضْ بإجْمـالٍ مَوَدَّةَ مَنْ   يَقْلِـى المُقِـلَّ ويَعْشَقُ المُثْرِي
وعَلَيْـكَ مَنْ حالاه واحِدَةٌ   في العُسْرِ إمَّـا كُنْتَ واليُسْرِ
لا تَخْلِطَنَّهُـــمُ بغَيْرِهِـــمُ   مَنْ يَخْلِـطُ العِقْيـانَ بالصُّفْرِ

وهو القائل في محمَّد بن طَلْحَة:

زُرْتُ ٱمْرَءًا في بَيْتِـــهِ مَرَّةً   لَـــهُ حَيَـــاءٌ ولــه خِـيرُ
يَكْرَهُ أَنْ يُتْخِمَ إخْوانَـــــهُ   إنَّ أَذَى التُّخْمَـةِ مَحْـذُورُ
ويَشْتَهِي أَنْ يُؤْجَرُوا عِنْـــدَه   بالصَّوْمِ والصَّائِمُ مَأْجُورُ
يابنَ أبي شُهْدَةَ أنت ٱمْرُؤٌ   بصِحَّـــةِ الأَبْـــدانِ مَسْرُورُ

وهو القائل في محمَّد بن أبي العبّاس السفَّاح:

أَرْجُوكَ بَعْدَ أَبِي العَبَّاسِ إذْ بانا   يا أَكْرَمَ النَّاسِ أَعْراقاً وأَغْصانا
لَوْ مَجَّ عُودٌ على قَوْمٍ عُصَارَتَهُ   لَمَجَّ عُودُكَ فِينا المِسْكَ وٱلْبانا

مالِكُ بنُ أَسْماءَ

هو مالك بن أَسْماءَ بن خارجة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بَدْر الفزاريُّ وآباؤه سادة غَطفان وكان مالك شاعراً غَزِلاً ظريفاً وهو القائل في جارية له:

أَمُغَطًّى مِنِّي على بَصَرِي بالْحُبِّ أم أَنْتِ أَكْمَلُ الناسِ حُسْنا
وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هو مِمّا يَشْتَهِي الناعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنا
مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنَ أَحْيا نًا وأَحْلَى الحَدِيثِ ما كان لَحْنا

وفيها يقول:

حَبَّذا لَيْلَتِي بتَلِّ بُوَنَّا إذْ نُسَقَّى شَرَابَنا ونُغَنَّى
من شَرَابٍ كأَنَّه دَمُ جَوْفٍ يَتْرُكُ الشَّيْخَ والفتَى مُرْجَحِنَّا
حَيْثُ دارَتْ بنا الزُّجاجةُ دُرْنا يَحْسِبُ الجاهِلُونَ أَنَّا جُنِنَّا
ومَرَرْنا بنِسْوَةٍ عَطِراتٍ وسَمَاعٍ وقَرْقَفٍ فنَزَلْنا

وكان أخوه عُيَينة بن أَسْماءَ هَوِيَ جارية لأُخته هِنْد بنت أسماءَ فاستعان بأخيه مالك بن اسماءَ على أخته وشكا إليه ما به فقال مالك:

أَعُيَيْنَ هَلَّا إذْ شَغفْتَ بها كُنْتَ آسْتَعَنْتَ بفارِغ العَقْلِ
أَقْبَلْتَ تَرْجُو الغَوْث من قِبَلي والمُسْتَغاثُ إِلَيْه في شُغْلِ

وكان مالك يهوى جارية من بني أَسَد وكانت تنزل داراً من قَصَبٍ وكانت دار مالك في بني أسد مبنيَّةً بالآجر فقال:

يا لَيْتَ لي خُصًّا مُجاوِرَها ... بَـدَلاً بـدارِي في بـني أَسَد

الْخُـصُّ فيـه تَقِرُّ أَعْيُنُنـا ... خَيْرٌ مِنَ الآجُرِّ والكَمَـدِ

عُبَيْدُ بنُ أَيُّوبَ

هو من بني العَنْبَر وكان جَنَى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه فهرب في مجاهل الأرض وأبعد لشدَّة الخوف وكان يُخبر في شعره أنَّه يرافق الغُول والسِّعْلاة ويبايت الذئاب والأفاعي ويأكل مع الظباء والوحش فمن شعره:

فللّــهِ دَرُّ الغُولِ أَيُّ رَفِيقَــةٍ ... لصاحِــبِ قَفْرٍ خائِـفٍ يَتَسَتَّرُ
أَرَنَّتْ بلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأَوْقَدَتْ ... حَوَالَيَّ نِيرانــاً تَبُوخُ وتَزْهَرُ

وهو القائل:

أَذِقْنِيَ طَعْمَ الأَمْنِ أو سَلْ حقيقَةً ... عَلَيَّ فإنْ قامَتْ ففَصِّلْ بَنَانِيا
خَلَعْتَ فُؤَادِي فاَسْتُطِيرَ فأَصْبَحَتْ ... تَرَامَى بِيَ البِيدُ القِفارُ تَرَامِيا
كأَنِّي وآجـالَ الظِّباءِ بقَفْرَةٍ ... لنا نَسَبٌ نَرْعاه أَصْبَحَ دانِيَا
رَأَيْنَ ضَرِيرَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ تـارَةً ... ويَخْفَى مِراراً ناحِلَ الجِسْمِ عارِيا
فأَجْفَلْنَ نَفراً ثُمَّ قُلْنَ ابنُ بَلْـدَةٍ ... قَليلُ الأَذَى أَمْسَى لَكُنَّ مُصَافِيا
أَلَا يا ظِباءَ الوَحْشِ لا تَشْمَتُنَّ بِي ... وأَخْفِينَنِي إذْ كُنْتُ فيكُنَّ خَافِيا
أَكَلْتُ عُرُوقَ الشَّرْيِ مَعْكُنَّ فَالْتَوَى ... بحَلْقِيَ نَوْرُ القَقْـدِ حَتَّى وَرَانِيا
وقـد لَقِيَتْ مِنِّي السِّباعُ بَلِيَّةً ... وقد لاقَتِ الغِيلانُ مِنِّي الدَّوَاهِيا
ومِنْهُنَّ قد لاقَيْتُ ذاك فلم أَكُنْ ... جَبَاناً إذا هَوْلُ الجَبَانِ اَعْتَرَانيا

أَذَقْتُ المَنايا بَعْضَهُنَّ بأَسْهُمِي وقدَّدْنَ لَحْمِي وٱمْتَشَقْنَ رِدَائِيا

وهو القائل:

تَقُولُ وقد أَلْمَمْتُ بالإِنْسِ لَمَّةً مُخَضَّبَةُ الأَطْرافِ خُرْسُ الخَلاَخِلِ
أَهذا خَلِيلُ الغُولِ والذِّئْبِ والَّذي يَهِيمُ بِرَبَّاتِ الحِجالِ الهَرَاكِلِ
رَأَتْ خَلَقَ الأَدْراسِ أَشْعَثَ شاحِباً على الجَدْبِ بَسَّاماً كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
تَعَوَّدَ من آبائــــه فَتَكاتِهِمْ وإِطْعامَهُمْ في كُلِّ غَبْراءَ شامِلِ
إذا صاد صَيْداً لَفَّهُ بضِرَامَةٍ وَشِيكاً ولم يُنْظِرْ لنَصْبِ المَرَاجِلِ
ونَهْساً كنَهْسِ الصَّقْرِ ثُمَّ مِراسُهُ بكَفَّيْـهِ رَأْسَ الشَّيْخَةِ المُتَمَايِلِ
ولم يَسْحَبِ المِنْدِيلَ بَيْنَ جَمَاعَةٍ ولا فارِداً مُذْ صاح بَيْنَ القَوَابِلِ

وهو القائل في نحول جسمه:

حَمَلْتُ عَلَيْها ما لَوَ ٱنَّ حَمَامَةً تُحَمَّلُهُ طارَتْ به في الجَفَاجِفِ
رُحَيْلًا وأَقْطاعاً وأَعْظُمَ وامِقٍ أَضَرَّ به طُولُ السُّرَى والمَخَاوِفِ

الأُحَيْمِرُ السَّعْدِيُّ

وكان الأُحَيْمِرُ لصًّا كثير الجنايات فخلعه قومه وخاف السلطان فخرج في الفلَوات وقفار الأرض قال فظننتُ أنّي قد جُزْتُ نخل وَبَار أو قد قربتُ منها وذلك لأَنّي كنتُ أرى في رَجْع الظباءِ النوى وصرتُ إلى مواضع لم يصل أحد إليها قطُّ قبلي وكنتُ أغشى الظباءَ وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منّي لأَنَّها لم تر غيري قطُّ وكنتُ آخذ منها لطعامي ما شئتُ إلّا النعامَ فإنّي لم أره قطُّ إلّا شارداً فزعاً وهو القائل:

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْبِ إذ عوى
وصَوَّتَ إِنْسانٌ فكِــدْتُ أَطِــيرُ

رَأَى اللهُ أَنّي للأَنِيسِ لَشانِيٌّ — وتُبْغِضُهم لي مُقْلَــةٌ وضَمِــيرُ

فلِلَّيْــلِ إذ واراني اللَّيْلُ حُكْمُهُ — وللشَّمْسِ إنْ غابَتْ عَلَيَّ نُذُورُ

وإنّي لأَسْتَحِي لنَفْسِيَ أَنْ أَرَى — أَمُرُّ بِحَبْــلٍ لَيْسَ فيــه بَعيرُ

وأَنْ أَسْأَلَ العَبْدَ اللَّئِيمَ بَعِيرَهُ — وبُعْرانُ رَبِّي في البِلادِ كثِيرُ

وهو متأخّر قد رآه شيوخنا وكان هربُه من جعفر بن سليمان وهو القائل:

أَرَاني وذِئْبَ القَفْرِ إِلْفَيْنِ بَعْدَ ما — بَدَأْنــا كِلَانــا يَشْمَئِزُّ ويُذْعَرُ

تَألَّفَني لَمَّا دَنا وأَلِفْتُهُ   وأَمْكَنَني للرَّمْي لَوْ كُنْتُ أَغْدِرُ
ولكِنَّني لم يأتَمِنّيَ صاحبٌ   فيَرْتابَ بي ما دام لا يَتَغَيَّرُ

وهو القائل:

نَهَقَ الحِمارُ فقُلْتُ أَيْمَنُ طائِرٍ   إنَّ الحِمارَ منَ التِّجارِ قَرِيبُ

خَلَفُ الأَحْمَرُ

هو خَلَف بن حَيَّان أبو مُحْرِز وكان عالماً بالغريب والنحو والنَّسَب والأخبار شاعراً كثير الشعر جيّده ولم يكنْ في نظرائه من أهلَ العلم أكثر شعراً منه، قال الأصمعيُّ كان خَلَف مولى أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأَشْعَريّ أعتقه وأعتق أبويه وكانا فَرْغانيَّيْن، وفيه يقول أبو نُوَاس يرثيه:

أَوْدى جَميعُ العِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفْ ... مَنْ لا يَعُدُّ العِلْمَ إلَّا ما عَرَفْ
قَلَيْـــذَمٌ مِنَ العيالِمِ الخُسُفْ ... كُنَّا مَتَى نشاءُ منه نَعْتَرِفْ
رِوايَةً لا تُجْتَنَى مِنَ الصُّحُفْ

وهو القائل:

سَقَى حُجَّاجَنا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ
هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ وأَحْرَزُوها ... وشَدُّوا دُونَها باباً بقُفْلِ
فإِنْ أَهْدَيْتَ فاكِهَةً وجَدْياً ... وعَشْرَ دَجائِجٍ بَعَثُوا بنَعْلِ
ومِسْواكَيْنِ قَدْرُهما ذِراعٌ ... وعَشْرٍ من رَدِيٍّ المُقْلِ خَشْلِ
أُناسٌ تائِهُونَ لهم رُواءٌ ... تَغِيمُ سَمَاؤُهم من غَيْرِ وَبْلِ
إذا انْتَسَبُوا ففَرْعٌ من قُرَيْشٍ ... ولكِنَّ الفِعالَ فِعالُ عُكْلِ

وهو القائل:

إنَّ بالشِّعْبِ إلى جَنْبِ سَلْعٍ   لَقَتِيلاً دَمُــــهُ مـــا يُطَـــلُّ

ونَحَلَه ابن أخت تَأَبَّطَ شَرًّا وكان يقول الشعر وينحله المتقدّمين ويكثر قول الشعر في وَصف الحيّات وأراجيزه في ذلك كثيرة.

أَبُو العَتَاهِيَةِ

هو إسماعيل بن القاسم مولى لعنزة ويكنى أبا إسحاق وأبو العتاهية لقب وكان جَرَّاراً ويرمى بالزندقة، وحدثني شيخ من قدماء الكُتّاب أنَّه كان له ابنتان يقال لإحداهما لله وللأخرى بالله ورأيتُه يستَعظم ذلَك وكان له ابن شاعر ناسك وكان أحد المطبوعين وممَّن يكاد يكون كلامه كلُّه شعراً وغزله ضعيف مشاكل لطبائع النساء وممّا يستخففْنَ من الشعر، وكذلك كان عمر بن أبي ربيعة في الغزل، من ذلك قول أبي العتاهيَة.

بَسَطْـــتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سائِلاً　　مــاذا تَرُدُّونَ عــلى السائِــلِ

إنْ لم تُنِيلُوهُ فقولُوا لـــــه　　قَوْلاً جَمِيلاً بَــدَلَ النائِــلِ

أَوْ كُنْتُمُ العــامَ عــلى عُسْرَةٍ　　وَيْلِي فمَنُّوهُ إلى قابِـــــلِ

وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربَّما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب، وقعد يوماً عند قَصَّار فسمع صوت المدقَّة فحكى ذلك في ألفاظ شعره وهو عدَّة أبيات فيها:

للمَنُـــونِ　　دائِـــرا　　تٌ يُـــدِرْنَ صَرْفَهـــا

هُنَّ يَنْتَقِينَنِـــــــا　　واحِـــداً فواحِـــدَا

وقال أيضاً:

عُتْبَ ما للخَيالِ ... خَبِّريني وما لي
لا أراه أتاني ... زائراً مُذْ ليالي
لَوْ رآني صَديقي ... رَقَّ لي أو رَثَى لي
أَوْ يَراني عَدُوِّي ... لان من سُوءِ حالي

وكانت عُتْبَة هذه التي يشبّب بها جارية لريْطَة بنت أبي العبّاس السفّاح وكانت تحت المهديّ فلمّا بلغ المهديَّ إكثارُه في وصفها غضب فأمرَ بحبسه ثم شفع له يزيد بن منصور الحميريُّ خال المهديّ فأطلقه ثم حبسه الرشيد فكتب إليه من الحبس بأبيات فيها:

تَفْديكَ نَفْسي من كُلِّ ما كَرِهَتْ ... نَفْسُك إنْ كُنْتُ مُذْنِباً فَٱغْفِرْ
يا لَيْتَ قَلْبِي مُصَوَّرٌ لَكَ ما ... فيه لِتَسْتَيْقِنَ الَّذي أُضْمِرْ

فوقَّع الرشيد في رقعته لا بأسَ عليك فأعاد عليه رقعة بأبيات فيها:

كأنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... له جَسَدٌ وأَنْتَ عليه راسُ
أَمِينَ اللهِ إنَّ الحَبْسَ بَأْسٌ ... وقد وقَّعْتَ لَيْسَ عَلَيْك باسُ

فأمر بإطلاقه وكتب إليه من الحبس:

إنَّما أَنْتَ رَحْمَةٌ وسَلَامَهْ ... زادك الله غِبْطَةً وكَرامهْ
قِيلَ لي قد رَضِيتَ عَنّي فمَنْ لي ... أَنْ أَرَى لي على رِضَاك عَلَامَهْ
وحَقِيقٌ أَلَّا يُراعَ بِسُوءٍ ... مَنْ رَآك ابْتَسَمْتَ منه ٱبْتِسامَهْ

لَوْ تَوَجَّعْتَ لي فرَوَّحْتَ عَنّي رَوَّحَ اللهُ عَنْـك يَوْمَ القِيَامَـهْ

وكان جعل أمره إلى خادم له يقال له ثابت فكتب إليه:

كَفَتْـني العِنَايَـةُ من ثابِـتٍ بتَشْمِـيرِ مـا كـان من غَرْسِهِ
وكـان الشَّفِيـعَ إلى غَيْرِهِ فصـار الشَّفِيـعَ إلى نَفْسِهِ

وكان أبو العتاهية أتى أحمد بن يوسف الكاتب فحجب عنه فقال:

مَتَى يَظْفَرُ الغادِي إليك بحاجَةٍ ونِصفُك مَحْجُوبٌ ونِصْفُك نائِمُ

وبعث إلى بعض الملوك بنعل وكتب إليه:

نَعْـلٌ بَعَثْـتُ بهـا لِتَلْبَسَهـا تَسْعَـى بها قَـدَمٌ إلى المَجْـدِ
لَوْ كـان يَحْسُنُ أن أُشَرِّكَهـا خَـدِّي جَعَلْـتُ شِراكَها خَدِّي

وسمع بقول جَميل:

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رَأَيْتُما قَتِيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

فأخذه كلّه فقال:

يا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلاً بَكَى من شِدَّةِ الوَجْدِ على القاتِلِ

وسمعه رجل ينشد:

فَٱنْظُرْ بَطرْفِـكَ حَيْـثُ شِئْـتَ فلَنْ تَرَى إلَّا بَخِيلَا

فقال له بَخَّلْتَ الناس جميعاً قال فَأَكْذِبْني بسخيٍّ واحد، ومّما يستحسن من شعره قوله:

مـا أنَـا إلَّا لِمَنْ بَغَـاني أرى خَلِيلِـي كـما يَـرَاني

لَسْتُ أَرَى ما مَلَكْتُ طَرْفِي مَكـانَ مَنْ لا يَرَى مَكـاني
مَنْ ذا الَّذي يَرْتَجِي الأَقاصِي إِنْ لم يَنَــلْ خَيْرَهُ الأَداني
فَلِي إلى أَنْ أَمُوتَ رِزْقٌ لو جَهَـدَ الخَلْقُ ما عَداني
لا تَرْتَجِ الخَيْرَ عِنْدَ مَنْ لا يَصْلُــحُ إِلَّا عــلى الهَوان
فاسْتَغْنِ بـــاللهِ عن فُلَانٍ وعن فُــلانٍ وعن فُــلان
ولا تَـدَعْ مَكْسَبــاً حَلَالاً تَكُونُ منــه عــلى بَيـان
فالمــالُ من حلِّـــهِ قِوَامٌ للعِرْضِ والوَجْـــهِ واللِّسان
والفَقْرُ ذُلٌّ عليــه بـــابٌ مِفْتاحُـــهُ العَجْزُ والتَّواني
ورِزْقُ رَبِّي لــــه وُجُوهٌ هُــنَّ مِــنَ اللهِ في ضَـمان
سُبْحـانَ مَنْ لم يَزَلْ عَلِيًّـا لَيْسَ لــه في العُلُوِّ ثـاني
قَضَــى عـلى خَلْقِهِ المَنايـا فكُـــلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فـاني
يـا رَبِّ لم نَبْكِ من زَمانٍ إِلَّا بَكَيْنـا عــلى الزَّمـان

ويُستحسن له قوله:

وَعَظَتْــك أَجْـداثٌ صُمُـتْ ونَعَتْــك أَزْمِنَــةٌ خُفُــتْ
وتَكَلَّمَـــتْ عن أَوْجُـــهٍ تَبْلَــى وعن صُوَرٍ سُبُــتْ
وأَرَتْـــك قَبْرَك في القُبُو رِ وأَنْــتَ حَيٌّ لم تَمُــتْ

وشعره في الزهد كثير حسن رقيق سهل، ومات سنة ٢٠٥، ومما يستحسن له من شعره قصيدته التي أولها:

أَتَتْــهُ الخِلافَــةُ مُنْقــادَةً إليـــه تُجرِّرُ أَذْيالَهــا
فــلم تَــكُ تَصْلُـحُ إلَّا لــه ولم يَــكُ يَصْلُـحُ إلَّا لهـا

وَلَوْ رامها أَحَدٌ غَيْرُهُ   لَزُلْزِلَت الأرْضُ زِلْزالَها

ومّا نُسب فيه إلى الزندقة قوله وأشار إلى السماء:

إذا ما اسْتَجَزْتَ الشَّكَّ في بعضِ ما ترى
فما لا تَرَاه الدَّهْر أمْضَى وأَجْوَزُ

وقوله:

يا رَبّ لَوْ أنْسَيْتَنيها وَهِي   في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لم أَنْسَها

وقوله:

إنَّ المليكَ رآكِ أحْسَنَ خَلْقِهِ   ورأى جمالَكْ
فحَذا بقُدْرَةِ نَفْسِهِ   حُورَ الجِنانِ عَلَى مِثالَكْ

أبُو نُوَاس

هو الحسن بن هانىء مولى الحَكَم بن سعد العَشِيرة من اليمن وهم الذين يقال فيهم حَا وحكم وفيه يقول والبَة بن الحُبَاب:

يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ ... نِمْـــتَ عن لَيْلِي ولم أَنَمِ
فَآسْقِـنِي البِكْرَ الَّتِي آعْتَجَرَتْ ... بِخِمارِ الشَّيْـــبِ في الرَّحِمِ
ثُمَّـتَ آنْصـاتَ الشَّبَابُ لها ... بَعْـدَ أَنْ جازَتْ مَدَى الهَرَمِ
فَهْيَ لليَوْمِ الَّـــذي بُزِلَـتْ ... وهي تِلْوُ الدَّهْرِ في القِـدَمِ
عُتِّقَـتْ حَتَّـى لَوِ آتَّصَلَـتْ ... بلسانٍ ناطِـــــقٍ وفَمِ
لآحْتَبَـتْ في القَوْمِ ماثِلَـةً ... ثُمَّ قَصَّـــتْ قِصَّـةَ الأُمَمِ
قَرَعَتْهـــا للمِزاجِ يَـــدٌ ... خُلِقَـــتْ للكَـأْسِ والقَلَمِ
في نَدَامَـــى سادَةٍ نُجُـبٍ ... أَخَـذُوا اللَّـذَّاتِ من أَمَمِ
فَتَمَشَّـــتْ في مَفاصِلِهِـــمْ ... كتَمَشِّي البُرْءِ في السَّقَمِ
صَنَعَتْ في البَيْتِ إذ مُزِجَتْ ... كَصَنِيـعِ الصُّبْـحِ في الظُّلَمِ
فاهْتَـدَى سارِي الظَّلاَمِ بها ... كاهْتِـــــدَاءِ السَّفْرِ بالعَلَمِ

هكذا قال لي الدَّعْلَجيُّ رجل صحب أبا نواس وأخذ عنه على أن أكثر الناس ينسبون الشعر إلى أبي نواس وإنَّما هو لوالبة قاله فيه، وكان أبو نواس بصريًّا قال:

أَلَا كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أَنَّما العُلَى ... مُكَمَّمَـــةٌ سُحْـــقٌ لَهُنَّ جَرِينُ

وإنْ أَكُ بَصْرِيًّا فإِنَّ مُهَاجَرِي دِمَشْقُ ولكِنَّ الحَدِيثَ شُجُونُ

وقال:

أَيَـا مَنْ كُنْـتُ بالبَصْرَ ةِ أُصْفِـي لَهُمُ الوُدَّا
شَرِبْنَـا مَـاءَ بَغْـدَادَ فَأَنْساناكُمْ جِـدَّا
فَـلا تَرْعُوا لنـا عَهْـداً فما نَرْعِـي لَكُمْ عَهْـدَا
جِـدُوا مِنَّـا كما أَنَّـا وَجَدْنَـا مِنْكُمُ بُـدَّا

وهو أحد المطبوعين، قال لي شيخ لنا لقيتُه يوماً ومعي تُفَّاحة حسنة فأريتُه إيّاها وسألتُه أن يصفها وما أريد بذلك إلّا أن أعرف طبعه وسهولة الشعر عليه، فقال لي نحن على الطريق فمِلْ بنا إلى المسجد فملنا إليه فأخذها وقلّبها بيده شيئاً ثم قال:

يـا رُبَّ تُفَّاحَـةٍ خَلَوْتُ بهـا تُشْعِلُ نارَ الهوَى على كَبِدِي
قـد بِـتُّ في لَيْلَتِي أُقَلِّبُهـا أَشْكُو إليهـا تَطاوُلَ الكَمَدِ
لَوْ أَنَّ تُفَّاحَـةً بَكَـتْ لَبكَـتْ من رَحْمَتِي هذِي الَّتي بيَدِي

وبسط يده فناولنيها، وكان أبو نواس متفنّناً في العلم قد ضرب في كلّ نوع منه بنصيب ونظر مع ذلك في علم النجوم، يدلّك على ذلك قوله:

أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ حَلَّتِ الحَمَلا وقَام وَزْنُ الزَّمانِ فَاعْتَـدَلا
وغَنَّـت الطَّيْرُ بَعْـدَ عُجْمَتِهـا واسْتَوْفَتِ الخَمْرُ حَوْلَها كَمَلا

وكان بعضهم يذهب إلى أنَّه أراد أن للخمر حولاً منذ جرى الماءُ في العود، وجعل ذلك الماءَ هو الخمر لأنّه يصير عنباً فيُعْصَر وهذا قول لولا أنَّ الماءَ يجري في العود قبل حلول الشمس برأس الحَمَل بمدَّة

طويلة والذي عندي فيه أن الهاءَ في قوله حَوْلها كناية عن الشمس لا عن الخمر، كأنَّه قال واستوفت الخمر حول الشمس كملاً، وقد تقدَّم ذكر الشمس في البيت الأوَّل فحسنت الكناية عنها، ومعنى استيفائها حول الشمس أن الله تبارك وتعالى خلق الفلك والنجوم والشمسُ برأس الحَمَل والنهارُ والليلُ سَوَاءٌ والزمان معتدل في الحرّ والبَرْد، فكلَّما حلَّت الشمس برأس الحمل فقد مضت سنة للعالم، فقد استوفت الخَمَر حول الشمس كملاً، وإن هي لم يأتِ لها حول في نفسها وإنَّما أراد أن الشرب يطيب في هذا الوقت لاعتدال الزمان وتفتُّح الأنوار وتفجُّر المياه وغناءِ الطير في أفنان الشجر، ويدلُّ على علمه بالنجوم أيضاً قوله في قصيدة أوَّلها:

أَعْطَتْـكَ رَيْحانَهـا العُقَـارُ وحـان من لَيْلِـكَ آنْسِفَـارُ

ثم وصف الخمر فقال:

تُخُيِّرَتْ والنُّجُومُ وَقْـفٌ لم يَتَمَكَّنْ بهـا المَـدارُ

يريد أن الخمر تخيِّرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في بُرْج ثم سيَّرها من هناك وأنَّها لا تزال جارية حتَّى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه، وإذا عادت إليه قامت القيامة وبطل العالم، والهند تقول إنَّها في زمان نوح اجتمعت في الحوت إلّا يسيراً منها فهلك الخلق بالطوفان وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجاً عن الحوت، ولم أذكر هذا لأنَّه عندي صحيح بل أردتُ به التنبيه على معنى البيت ونَظَرِ هذا الشاعر في هذا الفنّ، وممَّا يغلط الناس فيه من شعره إلّا من أخذه عمَّن سمعه منه قوله:

وخَيْمَةِ ناطُورٍ برأسِ مُنيفَةٍ ... تَهُمُّ يَـدَا مَنْ رامَهـا بزَلِيـلِ
وَضَعْنـا بها الأَثْقالَ قَلَّ هَجيرةٍ ... عُبُورِيَّـةٍ تُذْكَـى بغَيْرِ فَتِيـلِ
كأنّـا لَدَيْها بَيْنَ عِطْفَيْ نَعامَةٍ ... جَفَا زَوْرُها عن مَبْرِكٍ ومَقِيلِ
تأيَّـتْ قَلِيـلاً ثُمَّ فاءَتْ بمَذْقَةٍ ... منَ الظِّلِّ في رَثِّ الأَباءِ ضَئِيلِ

يروونه رثّ الإناء وليس للإناء ها هنا وجه، إنّما هو رثّ الأباء والأباءُ القصب، يريد أنَّ الخيمة التي للناطور التي شبَّهها بنعامة متجافية كانت من قصب قد رثَّ وأخلق وأنَّ الشمس عند الزوال تأيَّت قليلاً أي احتبست قليلاً، وكذلك تكون في ذلك الوقت كأنَّها تتلبَّث شيئاً ثم تنحطُّ للزوال، ألا ترى ذا الرُّمَّة يقول:

والشَّمْسُ حَيْرَى لها بالجَوِّ تَدْوِيمُ

يريد بحَيْرَى تلك الوقفة فإذا انحطَّت فقد زالت وفاءت بمذقة من الظلّ أي بشيءٍ يسير منه في أباء رثٍّ أي في قصب، وقوله مذقة يريد ليس بظلّ خالص وهو ظلٌّ خرج من خلل قصب رثّ فهو ممتزج بالشمس فكأنَّه ممذوق ومثله قول أبي كَبِير:

وَضْعُ النَّعاماتِ الرِّحالَ بَرِيدُها ... يَرْفَعْنَ بَيْنَ مُشَعْشَعٍ ومُظَلَّـلِ

ومما أُخذ عليه في شعره قوله في الأسد:

كأنّما عَيْنُـــــهُ إذا نَظَرَتْ ... بـــارِزَةَ الجَفْنِ عَيْنُ مَخْنُوقِ

وصفه بجحوظ العين وإنَّما يوصف الأسد بغؤورها، قال أبو زُبَيدٍ

كأنَّمَّا عَيْنُهُ وَقْبانِ من حَجَرٍ ... قِيضَا ٱقْتِياضاً بِأطْرافِ المَناقِيرِ

وأُخذ عليه منَ الإفراط قوله:

حَتَّى الَّذِي في الرَّحْمِ لم يَكُ صُورَةً ... بفُؤادِهِ من خوفِهِ خَفَقانُ

جعل لما لم يُخلَق بعدُ ولم يصوَّر فؤاداً يخفق، وكذلك قوله في الرشيد:

وَأَخَفْتَ أهْل الشِّرْكِ حَتَّى أنَّه ... لتَخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لم تُخلق

وأُخذ عليه قوله في الناقة:

كأنَّما رِجْلُها قَفَا يَدِها ... رِجْلُ وَلِيدٍ يَلْهُو بدَبُّوقِ

وإذا كانت كذلك كان لها عُقَّال وهو من أَسْوَإِ العيوب، وأُخذ عليه قوله في وصف الدار:

كأنَّها إذْ خَرِسَتْ جارِمٌ ... بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

شبه ما لا ينطق أبداً في السكوت بما قد ينطق في حال، وإنَّما كان يجب أن يشبّه الجارم إذا عذلوه فسكت وأطرق وانقطعت حُجّته بالدار، وإنَّما هذا مثل قائل قال مات القوم حتّى كأنَّهم نِيَام، والصواب أن يقول نام القوم حتى كأنَّهم موتى، ونحوه قول الأحمر:

كأنَّ نِيرانَهُمْ من فَوْقِ حِصْنِهِمُ ... مُعَصْفَراتٌ على أَرْسانِ قَصَّارِ

وإنَّما كان ينبغي أن يقول كأنَّ المعصفرات نيران، ومما يستخفُّ من شعره قوله:

قُلْ لزُهَيْرٍ إذا حَدَا وشَدَا ... أَقْلِلْ وأَكْثِرْ فأَنْتَ مِهْذارُ

سَخُنْتَ من شِدَّةِ البُرُودَةِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كأَنَّك النارُ

لا تَعْجَبُ السامِعُونَ من صفَتِي ... كذلِكَ الثَّلْجُ بارِدٌ حارُّ

وهذا الشعر يدلُّ على نظره في علم الطبائع لأَنَّ الهند تزعم أنَّ الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارًّا مؤذياً، ووجدتُ في بعض كتبهم لا ينبغي للعاقل أن يغترَّ باحتمال السلطان وإمساكه فإنَّه إمَّا شرس الطبع بمنزلة الحيَّة إنْ وُطئت فلم تلسع لم يغترّ بها فيُعاد لوطئها، أو سميح الطبع بمنزلة الصندل الأبيض البارد إن أفرط في حكّه عاد حارًّا مؤذياً، وبلغني أن بعض الخلفاء سأل ابن ماسويه عن أصلح ما انتُقل به على النبيذ فقال نُقْل أبي نواس وأنشده:

ما لِيَ في النـاس كُلِّهم مَثَلُ   مـائي خَمْرٌ ونُقْلِيَ القُبَـلُ
يَوْمِيَ حَتَّـى إذا العُيُونُ هَدَتْ   وحـان نَوْمي فمَفْرَشِي كَفَلُ

وكان محمَّد الأمين حبسه فكتب إليه من الحبس:

قُـلْ للخَلِيفَـةِ إنَّـني   حَتَّـى أَراك بكُـلِّ بـاسِ
مَنْ ذا يَكُونُ أبـا نُوَا   سِكَ إذْ حَبَسْتَ أبـا نُواسِ

وكان حبسه لشيء عتب عليه فيه فكتب إليه بهذين البيتين وهو على الشراب فلمّا أن قرأهما تبسَّم وقال لا أبا نواس بعده وناولهما الفضل بن الربيع فشفع له فأمر بإطلاقه والإقبال به إليه فلمّا أن دخل عليه أمر له بعشرة آلاف درهم وحَمَله وكساه، وممّا قال في الحبس للفضل بن الربيع وهو ممّا يستخفُّ من شعره:

أَنْـتَ يا ٱبْنَ الرَّبِيعِ عَلَّمْتَـني الخَيْرَ وعَوَّدْتَنِيـهِ والخَيْرُ عـادَه
فَٱرْعَوَى باطِلِي وراجَعَـني الحِلْمُ وأَحْدَثْـتُ عِفَّـةً وزَهَـادَه
لَوْ تَرَاني ذَكَرْتَ بِي الحَسَنَ البَصْرِيَّ في حالِ نُسْكِهِ أو قَتَادَه
مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُـهُ بنُحُولٍ   وٱصْفِرَارٍ مِثْلِ ٱصْفِرارِ الجَرَادَه

التَّسابِيـــحُ في ذِراعِيَ والمَصْحَــفُ في لَبَّتِي مَكـــانَ القِـلاَده
فإذا شِئْتَ أن تَرَى طُرْفَــةً تَعْجَــبُ منها مَليحَةً مُسْتَفَادَه
فادْعُ بي لا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي فَتَأَمَّــلْ بعَيْنِــكَ السَّجَّــادَه
تَرَ سِيمَا منَ الصَّلاةِ بوَجْهِي تُوقِنُ النَّفْسُ أنَّها من عِبَادَه
لَوْ رَآها بَعْضُ المُرائِينَ يَوْماً لاشْتَرَاهــا يُعِدُّهــا للشَّهادَة
ولَقَـدْ طـال ما شَقِيتُ ولكِنْ أدْرَكَتْنِي عـلى يَدَيْك السَّعَادَه

فتلطَّف الفضل بن الربيع لإطلاقه فقال:

ما من يَدٍ في الناسِ واحِدَةٍ كيَــدٍ أبو العبَّــاسِ مَوْلاهــا
نــام الثِّقــاتُ عـلى مَضَاجِعِهم وسَرَى إلى نَفْسِي فأَحْياهـــا
قـد كُنْـتُ خِفْتُـك ثُمَّ أمَّنَني من أَنْ أخافَـك خَوْفك آللّها
فعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَـــدِرٍ وَجَبَـــتْ لــه نِقَمٌ فألْغاهــا

وكان كتب إلى محمَّد من الحبس:

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللهِ والعَهْدُ يُذْكَرُ مَقَامِي وإنْشادِيكَ والناسُ حُضَّرُ
ونَثْرِي عَلَيْك الدُّرَّ يا دُرَّ هاشِمٍ فيا مَنْ رَأى دُرًّا على الدُّرِّ يُنْثَرُ
مَضَتْ لي شُهُورٌ مُذْ حُبِسْتُ ثَلاثَةٌ كأنِّيَ قَدْ أذْنَبْتُ ما ليس يُغْفَرُ
فإنْ كُنْتُ لم أُذْنِبْ ففِيمَ تَعَنُّتِي وإنْ كُنْتُ ذا ذنبٍ فعَفْوكُ أكْبَرُ

ومن شعره الذي لا يُعرف معناه قوله:

وجَنَّـــةٌ لُقَّبَــتِ المُنْتَهَــى ثُمَّ آسْمُهــا في العُجْمِ خُلاَّرُ

قال أبو محمّد لستُ أعرفه ولا رأيتُ أحداً يعرفه وهو يتلو بيتاً عمَّى فيه اسماً فقال:

قَوْلُـك عـلٌّ من لَعَـلٌّ ومن   قَوْلـك يا حارِثُ يا حارُ
فَهْوَ بِحَذْفي ذا وتَرْخـيمِ ذا   أَحُ الَّــذي تَلْذَعُـهُ النــارُ

يريد راحة أَلَا تراه إذا حذف أوّله كما يُحذف أوّل لعلّ فيقول عَلّ وإذا رخَّم آخره فحذف الهاءَ بقي منه أح ثم قال:

وجَنَّة لُقِّبَتِ المُنْتَهى

وأما قوله في الخمر:

لا كَرْمُهـا ممّـا يُـذالُ ولا   فُتِلَـتْ مَرائِرُها عـلى عَجْمِ

فإنَّه يشكل معناه، والذي عندي فيه أنّه وصف الخمر بالصلابة والشدَّة فشبَّهها بحَبْل فُتلت قُواه وهي مرائره بعد أن نُقّيت من كُسَارة العيدان ورُضاضها وإذا نُقّيت من ذلك جاد الحبل وصلُب واشتدَّ فتله وأُمِن انتشارُه وإذا فُتل على تلك الكُسارة وذلك الرُّضاض لم يشتدّ الفتل وأسرع إليه الانتشار، واصل العَجْم النوى، شبَّه ما يبقى من عيدان الكتَّان في مرائر الحبل به وهذا مثل يضرب لكلّ شيءٍ اشتدَّ وقَوِيَ فيقال إنَّه لذو مِرَّة أي ذو فَتْلٍ. وقال النبيُّ ﷺ لا تحلُّ الصدقة لغنيّ ولا لذي مِرَّة سوي. أي لذي قوة، كأنَّ القويَّ من الرجال فُتل ثم يقال ولا فُتِلَتْ مرائرهُ على عَجْم أي لم يفتل إلّا بعد تنقية من العيدان المتكسّرة وبعد تنظيف، وكان أبو نواس ومُسْلِم اجتمعا وتلاحيا فقال له مسلم بن الوليد ما أعلم لك بيتاً يسلم من سَقَطٍ، فقال له أبو نواس هاتِ من ذلك بيتاً واحداً، فقال له مسلم أنشدْ أنت أيَّ بيت شعر شئت من شعرك، فأنشد أبو نواس:

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فَارْتاحا   وأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّباحِ صِيَاحا

فقال له مسلم قِفْ عند هذا البيت لِمَ أملَّه ديك الصباح وهو يبشّره بالصبوح الذي ارتاح له، قال له أبو نواس فأنشدْني أنت فأنشده مسلم:

عاصي الشّبابَ فراحَ غيْرَ مُفَنَّدِ ... وأقـامَ بَيْنَ عَزِيمَـةٍ وتَجلُّـدِ

فقال له أبو نواس ناقضتَ ذكرتَ أنه راح والرواح لا يكون إلّا بانتقال من مكان إلى مكان ثم قلت وأقام بين عزيمة وتجلُّد فجعلته منتقلاً مقيماً وتشاغبا في ذلك ثم افترقا، قال أبو محمَّد والبيتان جميعاً صحيحان لا عيب فيهما غير أنَّ مَنْ طلب عيباً وجده أو أراد إعناتاً قدر عليه إذا كان متحاملاً متحيّناً غير قاصد للحقّ والإنْصاف، وممّا كفر فيه أو قارب قوله:

تُعَلَّـلُ بالْمُنَى إذْ أنْتَ حَيٌّ ... وبَعْـدَ المَوْتِ من لَبَنٍ وخَمْرِ
حَيَـاةٌ ثم مَوْتٌ ثم بَعْـثٌ ... حَدِيثُ خُرَافَـةٍ يا أُمَّ عَمْرِو

وقوله في محمَّد الأمين:

تَنَازَعَ الأحْمَدانِ الشِّبْهَ فاشْتَبَها ... خَلْقاً وخُلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكان
مِثْلان لا فَرْقَ في المَعْقُولِ بَيْنَهما ... مَعْناهُما واحِدٌ والعِـدَّةُ اثْنانِ

وقوله في غلام:

تَتِيـــهُ أنْوارِ سَمَائيَّـــةٍ ... حَلِيـفُ تَقْدِيسٍ وتَطْهِـيرِ
يَكِـلُّ عَنْ إدْراكِ تَحْدِيـدِهِ ... عُيُونُ أوْهـامِ الضَّمَائِـيرِ
فُتَّ مَـدَى وَصْفِي ولكِنَّ ذا ... تَفْدِيكَ نَفْسِي جُهْدَ مَقْدُورِي
وكَيْفَ أحْكِي وَصْفَ مَنْ جَلَّ أنْ ... يَحْكِيهِ عِنْدَ الوَصْفِ تَدْبِيرِي
إلَّا بمــا تُخْبِرُ أمْشاجُـهُ ... مِـنْ كامِـنٍ فِيهِـنَّ مَسْتُـورِ

وقوله لغلام:

يا أَحْمَدُ المُرْتَجَى في كُلِّ نائبَةٍ   قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جَبَّارَ السَّمٰوَات

وقال له الرشيد يا ابن اللخناءِ أنت المستخفُّ بعصًا موسى نبيّ الله إذ تقول:

فإنْ يَكُ باقي سِحْرِ فِرْعَوْنَ فيكُمْ   فإنَّ عَصَا موسَى بكَفٍّ خَصيبِ

وقال لإبراهيم بن عثمان بن نَهيك لا يأوي إلى عسكري من ليلته فقال له يا سيّدي فأجْلُ ثمودَ فضحك وقال أجِّلْه ثلاثاً فقال محمَّد لإبراهيم والله لئن حَصْحَصْتَ منه شعرة لأقتلنّك، فأقام عند إبراهيم حتّى مات هارون فأخرجه محمَّد، ومات في سنة ١٩٩ وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقد سبق إلى معانٍ في الخمر لم يأتِ بها غيره كقوله في وصفها:

وخَدِينِ لَذَّاتٍ مُعَلِّلِ صاحب   يقْتاتُ منه فُكاهةً ومُزَاحا
قال ٱبْغِني المِصْباحَ قُلْتُ له ٱتَّئِدْ   حَسْبِي وحَسْبُكَ ضَوْءُها مِصْباحا
فسَكَبتُ منها في الزُّجاجَةِ شرْبَةً   كانَتْ له حتَّى الصَّباح صَبَاحا

وقوله في ذلك:

لا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ   فدَهْرُ شُرَّابِها نَهارُ
حَتَّى لَوِ ٱسْتُودِعَتْ سِرَاراً   لم يَخْفَ في ضَوْئِها السِّرارُ

السرارُ استسرار القمر ليلة الثلاثين، يقول هي من ضَوْئِها لو استودعت ما ليس شيئاً لم يخف ذلك في ضَوْئِها، وهذا من الإفراط وقال بعض المتقدّمين:

طَوَتْ لَقَحاً مِثْلَ السَّرارِ فبشَّرتْ بأَسْحَمَ رَنَّـانِ العَشِيَّـةِ مُسْبِدِ

أي خفيًّا مثل السَّرار، وقوله في مثل ذلك:

وخَمَّـارٍ حَطَطْتُ إِلَيْه لَيْلاً قَلائِصَ قد وَنِينَ مِنَ السِّفارِ
فجَمْجَمَ والكَرَى في مُقْلَتَيْـهِ كمَخْمُورٍ شَكَـا أَلَمَ الخُمارِ
أَبِنْ لي كَيْـفَ صِرْتَ إلى حَرِيمي ونَجْمُ اللَّيْـلِ مُكْتَحِـلٌ بقار
فقُلْـتُ لـه تَرَفَّـقْ بي فإنِّي رَأَيْتُ الصُّبْحَ من خَلَلِ الدِّيارِ
فكـان جَوَابُهُ أَنْ قال صُبْحٌ ولا صُبْحٌ سِوَى ضَوْءِ العُقارِ
وقـام إلى العُقَارِ فسَدَّ فاها فعـاد اللَّيْـلُ مَصْبُوغَ الإِزارِ

وقوله في نحو ذلك:

كـأَنَّ يَوَاقِيتاً رَوَاكِدُ حَوْلَها وزُرْقَ سَنَانِـيرَ تُدِيرُ عُيُونَهـا

وقوله في مثل ذلك:

شَكَكْتُ بُزَالَها واللَّيْلُ داجٍ فسال إليَّ عَيُّوقُ الظَّـلاَمِ

وفي ذلك يقول:

فتَعَزَّيْـتُ بصِرْفٍ عُقـارٍ نَشَأَتْ في حِجْرِ أُمِّ الزَّمـانِ
فتناساهـا الجَدِيـدانِ حَتَّـى هِيَ أَنْصَـافُ شُطُورِ الدِّنانِ
فآفْتَرَعْنـا مُزَّةَ الطَّعْمِ فيهـا نَزَقُ البِكْرِ ولِـينُ العَوَانِ
وآحْتَسَيْنـا من عَتِيقٍ رَقِيـقٍ وشَدِيـدٍ كامِنٍ في لِيَـانِ
لم يَجُفْها مِبْزَلُ القَوْمِ حَتَّـى نَجَمَـتْ مِثْلَ نُجُومِ السِّنَانِ
أو كعِرْقِ السَّامِ تَنْشَقُّ عنـه شُعَـبٌ مِثْلُ آنْفِراجِ البَنَـانِ

والسام عروق الذهب شبَّهها حين بُزِلَت وانشقَّ ما خرج عنها من المبزل فصار شُعَباً بعروق السام إذا انفرجت انفراج الأصابع، وفي نحو ذلك يقول:

إذا عَبَّ فيها شارِبُ القَوْمِ خِلْتَهُ يُقَبِّلُ في داجٍ منَ اللَّيْلِ كَوْكَبا
تَرَى حَيْثُ ما كانَتْ من البَيْتِ مَشْرِقاً
وما لم تَكُنْ فيه منَ البَيْتِ مَغْرِبا

وله في تصاوير الكؤوس معنًى سَبَقَ إليه وهو قوله:

تَدُورُ عَلَيْنا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بألْوانِ التَّصَاويرِ فارِسُ
قَرَارَتُها كِسْرَى وفي جَنَبَاتِها مَهاً تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوَارِسُ
فللخَمْرِ ما زُرَّتْ عَلَيْه جُيُوبُها وللماءِ ما حازَتْ عَلَيْه القَلاَنِسُ

وكذلك قوله:

فحَلَّ بُزَالَها في قَعْرِ كَأْسٍ مُحَفَّرَةِ الجَوَانبِ والقَرَارِ
رِجالُ الفُرْسِ حَوْلَ رِكابِ كِسْرَى بأعْمِدَةٍ وأقْبِيَةٍ قِصَارِ

وكذلك قوله:

بَنَيْنا على كِسْرَى سَمَاءَ مُدَامَةٍ مُكَلَّلَةٌ حافاتُها بنُجُومِ

ومّا سَبَقَ إليه في الخمر قوله:

من شَرَابٍ ألَذَّ من نَظَرِ المَعْشُوقِ في وَجْهِ عاشِقٍ بأبْتِسامِ

ونحو ذلك قوله:

وكأنَّها إنْعامُ خُلَّةِ عاشِقٍ بالبَذْلِ بعد تَعَسُّرٍ ومِكَاسِ

ثم قال:

والراح طَيِّبَـةٌ ولَيْسَ تَمَامُها ... إلَّا بِطِيبِ خَلاَئِقِ الجُلاَّسِ
فـإذا نَزَعْتَ عَنِ الغَوَايَةِ فليَكُنْ ... للهِ ذاكَ النَّزْعُ لا للنَّـــاسِ

وفي هذا حرف يؤخذ عليه وهو قوله ذاك النَّزْع، وكان ينبغي أن يقول النزوع يقال نزعتُ عن الأمر نُزُوعاً ونزعتُ الشيءَ من مكانه نَزْعاً ونازعتُ إلى أهلي نِزَاعاً، ومما يُستحسن له في الخمر قوله:

لا تَشِنْهــا بالَّــتي كَرِهَـتْ ... هِيَ تأْبَـــى دَعْوَةَ النَّسَبِ

يريد لا تطبخها فتخرج عن اسم الخمر فيقال مطبوخ أو نبيذ أحسبُه قال لا تَسُمْها بالتي كرهت فهو أحسن وأشبه بالمعنى من تَشِنْها فإنْ كانت الرواية لا تَشُبْها فلعلَّه أراد لا تمزُجها بالماءِ فإنَّها تأبى أن يقال خمر وفيها ماءٌ فكأنَّها ادَّعت غير نسبها وهو معنى حسن، ومن قوله في الحجاب وعتابه الفضل:

أَيُّها الراكـبُ المُغِذُّ إلى الفَضْلِ تَرَفَّـقْ فـدُونَ فَضْلٍ حِجابُ
ونَعَمْ هَبْـك قد وَصَلْتَ إلى الفَضْلِ فَهَلْ في يَدَيْكَ إلَّا السَّرابُ

ومن خبيث هجائه قوله للفضل الرقاشيّ:

وَجَدْنا الفَضْلَ أَكْرَمَ من رِقاشٍ ... لأَنَّ الفَضْـــلَ مَوْلاه الرَّسُولُ
فلَوْ نُضِحَ القَفَـا منـه بماءٍ ... بـدا اليَنْبُوتُ منـه والفَسِيلُ

أراد قول النبيّ ﷺ أنا مولى مَنْ لا مولى له، وقال في يُؤَيُؤ:

كَيْفَ خطَا النَّتْنُ إلى مِنْخَرِي ... ودُونَـــهُ راحٌ ورَيْحَـــانُ
أَظُنُّ كِرْيَاساً طَمَـا فَوْقَنـا ... أو ذَكَـرَ اليُؤْيُـؤَ إنسـانُ

وقال في إسماعيل بن صبيح:

أَلاَ قُلْ لإِسْماعيلَ إِنَّك شارِبٌ بكأْسِ بني ماهان ضَرْبَةَ لازِمِ
أَتَسْمَنُ أَوْلادُ الطَّرِيدِ ورَهْطُهُ بإِهْزالِ آلِ اللهِ من نَسْلِ هاشِمِ
وتُخْبِرُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّك صائِمٌ وتَغْدُو بفَرْجٍ مُفْطِرٍ غَيْرِ صائِمِ
فإِنْ يَسْرِ إِسْماعِيلُ في فَجَراتِهِ فَلَيسَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بنائِمِ

وقال فيه:

بَنَيْتَ بما خُنْتَ الإِمامَ سِقَايَةً فلا شَرِبُوا الَّا أَمَرَّ منَ الصَّبْرِ
فما كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ بائِعَةٍ آسْتِها تَعُودُ على المَرْضَى به طَلَبَ الأَجْرِ

وقال فيه:

أَلَسْتَ أَمِينَ اللهِ سَيْفُكَ نِقْمَةً إِذا ماق يَوْماً في خِلافِكَ مائِقُ
فكَيْفَ بإِسْماعيلَ يَسْلَمُ مِثْلُهُ عَلَيْك ولم يَسْلَمْ عَلَيْك مُنافِقُ
أُعِيذُك بالرَّحْمنِ من شَرِّ كاتِبٍ لـــه قَلَمٌ زانٍ وآخَرُ سارِقُ

وقال في جعفر بن يحيى:

عَجِبْتُ لِهارونَ الإِمامِ وما الَّذِي يُرَجِّي ويَبْغِي منك يا خِلْقَةَ السَّلْقِ
قَفاً خَلْفَ وَجْهٍ قد أُطِيلَ كأَنَّه قَفَا مَلِكٍ يَقْضِي الهُمُومَ على ثَبْقِ
وأَعْظَمُ زَهْواً من ذُبابٍ على خَرٍ وأَبْخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْقِ
تَرَى جَعْفَراً يَزْدادُ لُؤْماً ودِقَّةً إِذا زادَهُ الرَّحْمنُ في سَعَةِ الرِّزْقِ

وهو القائل:

يُحِبُّ الشَّمالَ إِذا أَقْبَلَتْ لِأَنْ قِيلَ مَرَّتْ بدارِ الحَبِيبِ
وأَحْسِبُ أَيْضاً كذا فِعْلُهُ إِذا ما تَلَقَّتْهُ رِيحُ الجَنُوبِ

غِنَـاءٌ قَلِيـلٌ وحُزْنٌ طَوِيـلٌ   تَلَقّي الرِّياحِ بما في القُلُوبِ

ومّما سبق إليه قوله في إبليس:

دَبَّ لـــه إبْليسُ فَاَقْتــادَهُ   والشَّيْـخُ نَفَّـاعٌ عـلى لَعْنَتِـهْ
عَجِبْـتُ من إبْليسَ في تِيهِـهِ   وعُظْمِ ما أَظْهَرَ من نَخْوَتِهْ
تــاهَ عــلى آدَمَ في سَجْـدَةٍ   وصـــار قَوَّاداً لِذُرِّيَّتِـــهْ

وفي هذا الشعر من مجونه أشياءُ تُستغرب وتُستخفُّ، وقال الرشيد لو قيل للدنيا صِفِي نفسك وكانت ممّا تصف لما عدت قول أبي نواس فيها:

إذا ٱمْتَحَنَ الدُّنْيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ   لـه من عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

ومن خير شعره قوله في محمَّد الأمين يرثيه:

طَوَى المَوْتُ ما بَيْني وبَيْنَ مُحَمَّد   ولَيْسَ لما تَطْوي المَنِيَّـةُ ناشِرُ
وكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ   فلم يَبْقَ لي شَيْءٌ عَلَيْه أُحاذِرُ
لَئِنْ عَمَرَتْ دُورٌ بِمَنْ لا تُحِبُّهُ   لَقَـدْ عَمَرَتْ مِمَّنْ تُحِبُّ المَقابِرُ

وقوله فيه يرثيه:

أَيَـا أَمِـينَ اللهِ مَنْ للنَّـدَى   وعِصْمَةِ الضَّعْفَى وفَكِّ الأَسِيرْ
خَلَّفْتَنَـا بَعْـدَك نَبْكِي عَلَـى   دُنْيـاك والـدِّينِ بِدَمْعٍ غَزِيرْ
يا وَحْشَتَـا بَعْـدَك مـاذا بِنَا   أَحَلَّ من بَعْدِك صَرْفُ الدُّهُورْ
لا خَيْرَ للأَحْيــاءِ في عَيْشِهِمْ   بَعْـدَك والزُّلْفَى لِأَهْلِ القُبُورْ

وقال فيه:

أُسلِّي يا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي   مَعَـــاذَ اللهِ والمِنَنِ الجِسامِ

فهَلَّا مــــات قَوْمٌ لم يَمُوتُوا | ودُوفِعَ عَنْكَ لي كَأْسُ الحِمام
كأَنَّ الدَّهْرَ صادَفَ منك ثأْراً | أَوِ ٱسْتَشْفَى بمَوْتِك من سَقام

ومما يُستحسن له قوله في امرأة:

ومُظهِرَةٍ لخَلْــقِ اللهِ وُدًّا | وتَلْقَــى بالتَّحيَّــةِ والسَّلامِ
أَتَيْــتُ فُؤَادَهــا أَشْكُو إلَيْــه | فلم أَخْلُصْ إليه منَ الزِّحامِ
فيا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيها خَلِيــلٌ | ولا أَلْفَــا خَلِيــلٍ كُلَّ عــامِ
أراكِ بَقِيَّـــةً من قَوْمِ مُوسَى | فهُمْ لا يَصْبِرُونَ عــلى طَعامِ

أخذه منه العبّاس بن الأحنف فقال:

يــا فَوْزُ لم أَهْجُرْكُمُ لِمَلاَلَـةٍ | مِنِّي ولا لمَقالِ واشٍ حاسِدِ
لكِنَّـــني جَرَّبْتُكُمْ فوجَدْتُكُمْ | لا تَصْبِرُونَ على طَعامٍ واحِدِ

ونحوه قول الأعرابيّ:

أَلِمَّا على دارٍ لواسِعَةِ الحَبْلِ | سَوَاءٌ عليها صائِحُ القَوْمِ والرَّذْلِ
ولَوْ شَهِـدَتْ حُجَّاجُ مَكَّةَ كُلُّهمْ | لرَاحُوا وكُلُّ القَوْمِ منها علَى وَصْلِ

ويُستحسن له قوله:

اِسْمِي لوَجْهِكِ يا مُنَى صِفَةٌ | فكَفَى بوَجْهِكِ مُخْبِراً بٱسْمِي

ثم قال:

لا تَفْجَعِي أُمّي بواحِدِهــــا | لَنْ تُخْلِفِي مِثْلِي عــلى أُمّي

قال أبو محمّد ولا أرى هذا حسناً، ومثله قوله:

إنَّ ٱسْمَ حُسْنٍ لوَجْهِهـا صِفَـةٌ | ولا أَرَى ذا لغَيْرِهـا ٱجْتَمَعَا

فَهْي إذا سُمّيَتْ فقدْ وُصِفَتْ فيَجْمَعُ اللَّفْظُ مَعْنَيَيْنِ مَعَا

ومما عمَّى من الأسماءِ قوله:

إذا آبْتَهَلْتُ سَأَلْتُ اللهَ رَحْمَتَهُ كَنَّيْتُ عَنْك وما يَعْدُوك إضْمارِي

يريد أنه سأل الله رحمته والناس يظنّون أنّها رحمة الله وإنّما يسأله إنساناً يسمَّى رَحْمة، وله أو لغيره:

يَمْنَعُني أنْ أُكلِّمَ الرِّيما مِيمَيْنِ أَلْغَيْت منهما مِيما

ومن حسن معانيه قوله:

يا قَمَراً للنِّصْفِ من شَهْرِهِ أَبْدَى ضِيَاءً لثَمانٍ بَقِينَ

يريد أنه أعرض عنه بوجهه فرأى نصفه، وقد ذكرتُ هذا في خبر النَّمِرِ بن تَوْلَب في بيت يشبهه، وقد كان يلحَّنُ في أشياءَ من شعره لا أراه فيها إلَّا على حجَّة من الشعر المتقدَّم وعلى علَّة بيِّنة من علل النحو، منها قوله:

فلَيْتَ ما أَنْتَ واطِ مِنَ الثَّرَى لِيَ رَمْسا

أما تركه الهمز في واطىء فحجّته فيه أن أكثر العرب تترك الهمز وأنَّ قُريشاً تتركه وتُبدل منه وأمّا نصبه رمساً فعلى التمييز والبغداديُّون يسمّونه التفسير، ألا تراه قال فليت ما أنت واطِ من الثرى لي فتمَّ الكلام وصار جواب ليت في لي ثم بيَّن من أيِّ وجه يكون ذلك فقال رمْساً أي قبراً كما تقول في الكلام ليت ثوبك هذا لي ثم تقول إزاراً لأنَّ جواب ليت صار في قولك لي وصار الإزار تمييزاً ومنها قوله:

وَصِيفُ كَأْسٍ مُحَدِّثَهْ مَلِكٍ تِيـهُ مُغَنٍّ وظَرْفُ زِنْدِيـقِ

فجزم محدّثه لمّا تتابعت الحركات وكثرت كما قال الآخر:

إذا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صاحِبْ قَوِّمِ

وكما قال امرؤ القيس:

فاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرُ مُسْتَحْقِـبٍ إثْماً منَ اللهِ ولا واغِـلِ

ومنها قوله في الخمر:

شَمُولٌ تَخَطَّتْهُ المَنُونُ فقد أَتَتْ سِنُونَ لهـ في دَنِّهـا وسِنُونُ
تُراثُ أُناسٍ على أُناسٍ تُخُرِّمُوا تَوَارَثَهـا بَعْـدَ البنـين بَنُونُ

فرفع نون الجماعة وهذا يجوز في المعتلّ وقد أتى مثله كأنّه لمّا ذهب منه حرف صار كأنّه كلمة واحدة وصارت سنون كأنّها منون والمنون الدهر وبنون كذلك، ويُتمثّل من شعره بقوله:

تَرَى المُعافَـى يَعْـذُلُ المُبْتَلَـى ولا يَلُومُ المُبْتَلِي المُبْتَلَـى

ويُستحسن له من التشبيه قوله في البَطّ:

كأنّما يَصْفِرْنَ من مَلاعِـقْ صَرْصَرَةَ الأَقْلامِ في المَهَارِقْ

وقوله في المَنْسِر:

ومَنْسِرٌ أَكْلَـفُ فيـه شَغـاً كأنَّـهُ عَقَـدَ ثَمَانِينـا

وقوله في هذا الشعر أيضاً:

أَلْبَسَهُ التَّكْرِيزُ من حَوْكِـهِ وَشْياً علـى الجُؤْجُؤِ مَوْضُونا
لـه حِرَابٌ فَوْقَ قُفَّـازِهِ يَجْمَعْنَ تَأْنِيفـاً وتَسْنِينـا

كُـلُّ سِنـانٍ عِيـجَ عن مَتْنِـهِ تَخـالُ مُحْنَـى عَطْفِـهِ نُونـا

وقوله:

في هامَـةٍ عَلْياءَ تَهْدِي مَنْسِرَا كعَطْفِكَ الجِيم بكَـفٍّ أَعْسَرَا
يَقُولُ مَنْ فيهـا بعَقْلٍ فَكَّرا لَوْ زادَهـا عَيْناً إلى فاءٍ ورَا

فاتَّصَلَتْ بالجِيمِ كانَتْ جَعْفَرَا

وقوله في النرجس:

لَدَى نَرْجِسٍ غَضِّ القِطافِ كأنَّه إذا ما مَنَحْناه العُيُونَ عُيُونُ

وقوله في الشباب:

كـان الشَّبَابُ مَظِنَّـةَ الجهْلِ ومُحَسِّنَ الضَّحَكـاتِ والهَزْلِ

يرويه الناس مَطِيَّة ولا أراه إلّا مَظِنَّة لأَنَّ هذا الشطر للنابغة فأخذه منه وهو قوله:

فإِنَّ مَظِنَّةَ الجَهْلِ الشَّبابُ

كان الجَمِيلَ إذا ٱرْتَدَيْتُ به ومَشَيْتُ أَخْطُرُ صَيِّتَ النَّعْلِ
كان الفَصِيحَ إذا نَطَقْتُ به وأُصاخَـتِ الآذانُ للمُمْلِي
كـان المُشَفَّـعَ في مآرِبِـهِ عنـد الفَتَـاةِ ومُدْرِكَ النَّيْـلِ
والباعِثِي والنـاس قد هَجَعُوا حَتَّـى أَكُونَ خَلِيفَـةَ البَعْـلِ
والآمِرِي حَتَّـى إذا عَزَمَتْ نَفْسِي أَعـانَ يَـدِي بالفِعْـلِ
فـالآنَ صِرْتُ إلى مُقَارَبَـةٍ وحَطَطْتُ عن ظَهْرِ الصِّبَا رَحْلِي
والكَأْسُ أَهْواها وإنْ رَزَأَتْ بُلْـغَ المَعاشِ وقَلَّلَتْ فَضْلِي
صَفْرَاءَ مَجَّدَهـا مَرَازِبُهـا جَلَّـتْ عَنِ النُّظَرَاءِ والمِثْـلِ

ذُخِرَتْ لآدَمَ قَبْلَ خَلْقَتِهِ فتَقَدَّمَتْه بِحُظْوَةِ القَبْلِ
فإذا علاها الماءُ ألبَسَها نَمَشاً كشِبْهِ جلاجِلِ الحِجْلِ
فأتاك شيءٌ لا تُلامِسُهُ إلّا بِحُسْنِ غَرِيزَةَ العَقْلُ
فتَرُودُ منها العَيْنُ في بَشَرٍ حُرِّ الصَّحِيفَةِ ناصِعٍ سَهْلِ
حَتَّى إذا سَكَنَتْ جَوَامِحُها كَتَبَتْ بِمِثْلِ أكارِعِ النَّمْلِ
خَطَّيْنِ من شَتَّى ومُجْتَمِعٍ غُفْلٍ مِنَ الإعْجامِ والشَّكْلِ
فاعْذِرْ أخاك فإنَّه رَجُلٌ مَرَنَتْ مَسامِعُه على العَذْلِ

وقوله:

يا مُنَّةً يَمْتَنُّها السُّكْرُ ما يَنْقَضِي مِنِّي لها الشُّكْرُ
أعْطَتْك قِيدَ مُنَاك من قُبْلٍ مَنْ قَبْلُ كان مَرامُها وَعْرُ
في مَجْلِسٍ ضَحِكَ السُّرُورُ به عن ناجِذَيْه وحَلَّتِ الخَمْرُ

وهذا بيت يُسْأل عن معناه وإنَّما أخذه من قول امرىء القيس حين قتلت بنو أَسَد أباه فحلف لا يشرب خمراً حتَّى يدرك بثأره فلمَّا أدرك ثأره قال:

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَءًا عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ

وكان أبو نواس حلف لا يشرب خمراً حتَّى يجمعه ومَنْ يحبُّ مجلس، فلمّا اجتمعا حلَّت له الخمر فقال:

يَثْنِي إلَيْك بها سَوَالِفَهُ رَشأٌ صَنَاعَةُ طَرْفِهِ السِّحْرُ
ظَلَّتْ حُمَيَّا الكَأْسِ تبْسُطُنا حَتَّى تَهَتَّكَ بَيْنَنا السِّتْرُ
ولقد تَجُوبُ بِيَ الفَلاةَ إذا صامَ النَّهارُ وقالَتِ العُفْرُ

شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فأَتَتْ ... مِلْءَ الحِيَالِ كأَنَّها قَصْرُ
تَثْنِي على الحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ ... تَعْالُهُ الخَطَرانُ والشَّذْرُ
أَمَّا إذا رَفَعَتْهُ شامِذَةً ... فتقولُ رَنَّقَ فوقَها نسرُ
أَمَّا إذا أَرْخَتْه مُسْدِلَةً ... فتقولُ أُسْدِلَ خلفَها سِتْرُ
وتَسِفُّ أحياناً فتَحْسِبُها ... مُتَرَسِّماً يَقْتادُهُ أَثْرُ
فإذا قَصَرْتَ لها الزِّمامَ سَمَا ... فَوْقَ المَقادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ
فكأَنَّها مُصْغٍ لِتُسْمِعَهُ ... بَعْضَ الحَدِيثِ بِأُذْنِهِ وَقْرُ
تَثْرِي لإِنْفاضٍ أَلَمَّ بها ... جَدْبُ البَرَى فخُدُودُها صُعْرُ
أَسْرَى إلَيْكَ بها بنو أَمَلٍ ... عَتَبُوا فأَعْتَبَهم بك الدَّهْرُ
أَنْتَ الخَصِيبُ وهذه مِصْرُ ... فتَدَفَّقا فكِلاكُما بَحْرُ
لا تَقْعُدا بِي عن مَدَى أَمَلِي ... شَيْئاً فما لَكُما به عُذْرُ
ويَحُقُّ لي إذْ صِرْتُ بَيْنَكُما ... أَلَّا يَحِلَّ بساحَتِي فَقْرُ

وقوله في الرشيد:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القُلُوبِ مِثالُهُ ... فكأَنَّهُ لم يَخْلُ منه مَكانُ
ما تَنْطَوِي عنه القُلُوبُ بفَجْرَةٍ ... إلَّا يُكَلِّمُهُ بها اللَّحَظانُ

وقوله فيه:

يَحْمِيكَ مِمَّا يُسْتَسَرُّ بنَفْسِهِ ... ضَحِكاتُ وَجْهٍ لا يَرِيبُك مُشْرِقِ
حَتَّى إذا أَمْضَى عَزِيمَةَ رَأْيِهِ ... أَخَذَتْ بسَمْعِ عَدُوِّهِ والمَنْطَقِ

وقوله في محمَّد بن الفضل بن الربيع:

أَخَذْتُ بِحَبْلٍ من حِبالِ مُحَمَّدٍ ... أَمِنْتُ به من نائِبِ الحَدَثانِ

تَغَطَّيْتُ من دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فعَيْنِي تَرَى دَهْرِي ولَيْسَ يرانِي

وقوله:

أَوْحَـــدَهُ اللهُ فما مِثْلُـــهُ لطالـــبِ ذاك ولا ناشِدِ
ولَيْـــسَ للهِ بِمُسْتَنْكَـــرٍ أَنْ يَجْمَـعَ العالَمَ في واحِدِ

وقوله:

أَنْـــتَ آمْرُؤٌ أَوْلَيْتَـــني نِعَماً أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فقد ضَعُفا
فَإِلَيْـك بَعْـدَ اليَوْمِ تَقْدِمَـةٌ لاقَتْـك بالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَيَّ عارِفَـــةً حَتَّـى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفا

وقوله في غالب:

ما كان لو لم أَهْجُهُ غالِبٌ قام له شِعْرِي مَقامَ الشَّرَفْ
يقول قد أَسْرَفْتَ في شَتْمِنا وإِنَّما طـار بـذاك السَّرَفْ
غالِـبُ لا تَسْعَ لبَنْي العُلَـى بَلَغْتَ مَجْداً بِهِجَائِي فقِفْ
وكـــان مَجْهُولاً ولكِنَّـــني نَوَّهْتُ بالمَجْهُولِ حَتَّى عُرِفْ

ومن إفراط الهجاء قوله في الرّقاشيّين:

رَأَيْتُ قُدُورَ الناسِ سُوداً منَ الصَّلَى
وقِدْرَ الرَّقاشِيِّينَ بَيْضاءَ كالبَدْرِ
يُبَيِّنُهَـــا للمُعْتَفِي بِفِنائِهِم ثَلاثٌ كَخَطِّ الثاء من نُقَطِ الحِبْرِ
ولو جِئْتَها مِلأَى عَبِيطاً مُجَزَّلاً لأَخْرَجْتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ
إذا ما تَنَادَوْا للرَّحِيلِ سَعَى بها أَمامَهُمُ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

العَبَّاسُ بن الأَحْنَفِ

هو من بني حَنيفة ويكنى أبا الفضل وكان منشأه بغداد ويدلُّك على أنَّه من بني حنيفة قوله للمرأة:

فإنْ تَقتُلُونِي لا تَفوتُوا بمُهجَتِي مصاليتَ قومي من حَنيفَةَ أو عِجْلِ

وقد خُطِّىءَ في توعُّده المرأة بطلب قومه بثأره إذا هو قُتِل عشقاً والعادة في مثل هذا من الشعراء أن يجعلوا القتيل مطلولاً، وقال فيه مُسْلِمٌ:

بَنُو حَنيفَةَ لا يَرْضَى الدَّعِيُّ بهم فاَتْرُكْ حَنيفَةَ واَطْلبْ غيرَهُمْ نَسبَا

اِذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنُسْبَتِهِمْ إنِّي أرَى لك وَجْهاً يُشْبِهُ العَرَبَا

وكان العبَّاسُ صاحب غزَل ويشبَّه من المتقدّمين بعمر بن أبي ربيعة ولم يكن يمدح ولا يهجو، ومن حسن شعره قوله:

أَشْكُو الَّـذين أذاقُونِي مَوَدَّتَهم حتَّى إذا أيْقَظُونِي بالهَوَى رَقَدُوا

وقوله:

لَوْ كُنْـتِ عاتِبَةً لَسكَّنَ رَوْعَتِي أَمَلِي رِضَاكِ وزُرْتُ غيْرَ مُراقِبِ

لكِنْ مَلِلْـتِ فلم تَكُنْ لِي حِيلَةٌ صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صَدِّ العاتِبِ

ما ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجاءَ ببُخْلِهِ لَوْ كـان عَلَّلَنِي بوَعْـدٍ كاذِبِ

وشبيه به قول الآخر:

أَمَتَّيني فهَلْ لَكِ أن تَرُدِّي حَيَاتِي من مَقالِكِ بالغُرُورِ
أَرَى حُبِّيكِ يَنْمِي كُلَّ يَوْمٍ وجَوْرُكِ في الهَوَى عدلاً فجُورِي

ومن جيّد شعر العبّاس قوله:

أُحْرَمُ منكم بما أَقُولُ وقد نال به العاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ للناس وهي تَحْتَرِقُ

وقوله:

بَكَتْ غَيْرُ آنِسَةٍ بالبُكاءِ تَرَى الدَّمْعَ في مُقْلَتَيْها غَرِيبا
وأَسْعَدَها نِسْوَةٌ بالبُكاءِ جَعَلْنَ مَغِيضَ الدُّمُوعِ الجُيُوبا

وفيها يقول:

أيا مَنْ تَعَلَّقْتُهُ ناشِئاً فشِبْتُ ولم يأْنِ لي أَنْ أَشِيبا
ويا مَنْ دَعَاني إلى حُبِّهِ فلَبَّيْتُ لَمَّا دَعَاني مُجِيبا
وكَمْ باسِطِينَ إلى وَصْلِنا أَكُفَّهُمُ لم يَنالُوا نَصِيبا
لَعَمْرِي لقد كَذَبَ الزاعِمُونَ أَنَّ القُلُوبَ تُجازِي القُلُوبا
ولَوْ كان ذاك كما يَذْكُرُونَ ما كان يَشْكُو مُحِبٌّ حَبِيبا

وفيها يقول:

وأَنْتِ إذا ما وَطِئْتِ التُّرَابَ صار تُرابُكِ للناس طيبا

وقوله:

أيا مَنْ سُرُورِي به شَقْوَةٌ ومَنْ صَفْوُ عَيْشِي به أَكْدَرُ

تَجنَّيْـتَ تَطْلُـبُ لَمَّا مَلِلْتَ عَلَيَّ الذُّنوبَ ولا تَقْـــدِرُ
فلَو لَم يَكُنْ بِيَ بُقْيا عَلَيْك نَظَرْتُ لنفْسِي كما تَنْظُرُ
ومــا ذا يَضُرُّك من شُهْرتي إذا كـــان أَمْرُك لا يَظْهَرُ
أَمِنِّي تَخافُ ٱنْتِشارَ الحَدِيثِ وحَظِّيَ في صَوْنِـــهِ أَوْفرُ

وقال فيها:

هَبُوني أَغُضُّ إذا ما بَدَتْ وأَمْلِـكُ طَرْفِي فـلا أَنْظُرُ
فَكَيْفَ استِتَارِي إذا ما الدُّمُوعُ نَطَقْنَ فبُحْنَ بمـــا أُضْمِرُ

ومن بديع تشبيهه قوله في المرأة إذا مشت:

كأنَّهــا حِـينَ تَمْشِي في وَصائِفِها
تَخْطُو على البَيْضِ أو خُضْرِ القَوارِيرِ

وقوله:

قَلْبِي إلى مــا ضَرَّني داعي يُكَثِّـرُ أَسْقـامِي وأَوْجـاعي
كَيْفَ احْتِرَاسِي من عَدُوِّي إذا كـــان عَـدُوِّي بَيْنَ أَضْلاعي

يعني قلبه. ومن إفراطه قوله:

ومَحْجُوبَـةٍ بالسِّتْرِ عن كُلِّ ناظِرٍ ولو بَرَزَتْ باللَّيْلِ ما ضَلَّ مَنْ يَسْرِي

أخذه من قول الأوّل:

وُجُوهٌ لَوَ أنَّ الْمُعْتَفِينَ آعْتَشَوْا بها
صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى ترى اللَّيْل يَنْجَلِي

وقول الآخر:

أَضاءَتْ لهم أَحْسابُهم ووُجُوهُهم دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الجزع ثاقبُهْ

ثم قال العبّاس:

لَخالٌ بذاك الوَجْهِ أَحْسَنُ عِنْدَنا ... منَ النُكْتَةِ السَّوْداءِ في وَضَحِ البَدْرِ

وهو القائل:

رَدُّ الجِبالِ الرَّوَاسِي من مَوَاضِعِها ... أَخَفُّ من رَدِّ نَفْسٍ حِينَ تَنْصَرِفُ

هَمُّوا بهَجْرِي وكانتْ في نُفُوسِهِمُ ... بَقِيَّةٌ من هَوًى باقٍ فقد وَقَفُوا

وكان الرشيد هجر جارية له ونفسه بها متعلّقة وكان يتوقّع أن تبدأه بالترضّي فلم تفعل الجارية ذلك حتّى أقلقته وأرّقته وبلغ ذلك العبّاس فقال:

صَدَّتْ مغاضِبَةً وصَدَّ مُغاضِباً ... وكِلاَهما مِمّا يُعَالِجُ مُتْعَبُ

إنَّ التَّجَنُّبَ إنْ تَطاوَل مِنْكُما ... دَبَّ السُّلُوُّ لـه فعَزَّ المَطْلَبُ

وبعث إليه بالبيتين وبعث إليه ببيتين آخرين وهما:

لا بُـدَّ للعاشِقِ من وَقْفَـةٍ ... تَكُونُ بَيْنَ الوَصْلِ والصُّرْمِ

حَتّـى إذا الهَجْرُ تَمادَى به ... راجَـعَ مَنْ يَهْوَى على رَغْمِ

فاستحسن الرشيد إصابته حالَيْها وقال أراجعها والله مبتدئاً على رَغْمٍ، وفعل ذلك وأمر للعبّاس بِصلَة سنيَّة وأمرت له الجارية بمثلها.

صَرِيعُ الغَوَانِي

هو مُسْلِمُ بن الوليد من أَبْناءِ الأنصار وكان مدّاحاً مُحْسِناً وجُلُّ مدائحه في يزيد بن مَزْيَد وداود بن يزيد المهلَّبيّ والبرامكة ومحمّد بن منصور بن زياد كاتبهم ووُلّي في خلافة المأمون بَرِيدَ جُرْجان فلم يزل بها حتّى مات وله عقب وكان يلقَّب صَرِيعَ الغَوَانِي لقوله في قصيدة له:

هَل العَيْشُ إلاّ أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا

وتَغْدُوصَرِيعَ الكَأْسِ والأَعْيُنِ النُّجْل

وهو أوّل مَنْ ألطفَ في المعاني ورقّق في القول وعليه يعوّلُ الطائيُّ في ذلك وعلى أبي نُوَاس، وقد بيَّن مسلم في شعره بَيْتَه في الأنصار بقوله:

تَقَسَّمَنِي في مالِكٍ آلُ مالِكٍ وفي أَسْلَمِ الأَثْرَينَ آلُ زَرِينِ

ومما يُستحسن له من شعره قوله في الوَدَاعِ:

وإنّي وإسْمَاعِيـلَ يَوْمَ وَدَاعِـهِ لكالغِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ زايَلَهُ النَّصْلُ

فإنْ أَغْشُ قَوْماً بَعْدَهُ أو أَزُرْهُمُ،

فكالوَحْشِ يُدْنِيها من الأُنْسِ المَحْلُ

وقوله يهجو موسى بن خازم:

يا ضَيْفَ مُوسَى أَخِي خُزَيْمَةَ صُمْ … أو فَتَزَوَّدْ إن كُنْتَ لم تَصُمِ

أَطْرَقَ لَمَّـا أَتَيْـتُ مُمْتَدِحـاً … فلم يَقُلْ لَا فَضْلاً على نَعَمِ

فخِفْتُ إنْ مات أَنْ أُقادَ به … فقُمْتُ أَبْغِي النَّجَاءَ من أَمَمِ

لَوْ أَنَّ كَنْزَ البِلَادِ في يَدِهِ … لم يَـدَعِ الإِعْتِـذارَ بالعَـدَمِ

وقوله:

لَنْ يُبْطِيءَ الأمرُ ما أَمَّلْتَ أَوْبَتَه … إذا أَعانَـك فيـه رِفْقُ مُتَّئِدِ

والدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى مُكَدِّرُ ما … صَفَّى ومُفْسِدُ ما أَهْوَى له بيَدِ

فلا تَغُرَّنْـك من دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ … فَلَيْسَ يَتْرُكُ ما أَعْطَى على أَحَدِ

ومن بديعه الذي امتثله الطائيُّ وغيره:

إذا ما نَكَحْنا الحَرْبَ بالبِيْضِ والقنا … جَعَلْنا المَنَايَا عِنْدَ ذاك طَلَاقَها

ويُستحسن له قوله في الخمر:

شَجَّجْتُها بلُعابِ المُزْنِ فَاعْتَزَلَتْ … نَسْجَيْنِ من بَيْنِ مَحْلُولٍ ومَعْقودِ

أَهْلًا بوافِـدَةٍ للشَّيْـبِ واحِدَةٍ … وإنْ تَراءَتْ بشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ

لا أَجْمَعُ الحِلْمَ والصَّهْباءَ قد سَكَنَتْ … نَفْسِي إلى الماءِ عن ماءِ العَناقِيدِ

ومن جيّد شعره قوله في المدح ليزيد بن مَزْيَد:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوْمِ ذي رَهَجٍ … كأَنَّـه أَجَـلٌ يَسْعَـى إلى أَمـلِ

يَنَالُ بالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ به ... كالمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يأْتي على مَهَلِ

لا يَرْحَلُ الناسُ إلاَّ نَحْوَ حُجْرَتِـهِ ... كالبَيْتِ يُضْحِي إلَيْه مُلْتَقى السُّبُلِ

يَقْرِي المَنِيَّـةَ أَرْواحَ الكُمَاةِ كما

يَقْرِي الضُّيُوفَ شُحُومَ الكُومِ والبُزُلِ

يَكْسُو السُّيوفَ رُؤُوسُ الناكثينَ به ... ويَجْعَلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَـهُ في كُلِّ مُرْتَحَلِ

تَرَاهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفَة ... لا يأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُؤْتَى على عَجَلِ

للهِ من هاشِمٍ في أَرْضِـهِ جَبَلٌ ... وأَنْتَ وٱبْنُكَ رُكْنَا ذلك الجَبَلِ

صَدَّقْتَ ظَنِّي وصَدَّقْتَ الظُّنُونَ به

وحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ من جَمَلِي

وقوله في صفة النساء:

خَفِينَ على غَيْبِ الظُّنُونِ وغَصَّتِ البُرِينَ فلم يَنْطِقْ بأَسْرارِها حِجْلُ

ولَمَّا تَلاقَيْنا قَضَى اللَّيْلُ نَحْبَهُ ... بوَجْهٍ لوَجْهِ الشَّمْسِ من مائِهِ مِثْلُ

وخالٍ كخالِ البَدْرِ في وَجْهِ مِثْلِهِ ... لَقِينا المُنَى فيه فحاجَزَنا البَذْلُ

وماءٍ كَعَيْنِ الشَّمْسِ يَقْبَلُ القَذَى ... إذا دَرَجَتْ فيه الصَّبَا خِلْتَهُ يَغْلُو

منَ الضُّحَّكِ الغُرِّ اللَّوَاتِي إذا ٱلْتَقَتْ

يُحَدِّثُ عن أَسْرارِها السَّبَلُ الهُطْلُ

صَدَعْنا به حَدَّ الشَّمُولِ وقد طَغَتْ ... فأَلْبَسَها حِلْماً وفي حِلْمِها جَهْلُ

وفيها يقول يمدح الفضل بن يحيى:

تُساقِطُ يُمْناه النَّدَى وشِمالُهُ الرَّدَى عُيُونَ القَوْلِ مَنْطِقُهُ الفَصْلُ

عَجُولٌ إلى أَنْ يُودِعَ الحَمْدَ مالَهُ يَعُدُّ النّدى غُنْماً إذا اغْتُنِمَ البُخْلُ
لـه هَضْبَةٌ تأْوي إلى ظِلِّ بَرْمَكٍ مَنُوطٌ بها الآمالُ أَطْنَابُها السُّبْلُ
حُبَى لا يَطِيرُ الجَهْلُ في عَذباتِها إذا هِيَ حُلّتْ لم تَفُتْ حَلَّها ذَحْلُ
بكَفٍّ أبي العَبَّاس يُسْتَمْطَرُ الغِنَى وتُسْتَنْزَلُ النُّعْمَى ويُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ

وقال في الخمر:

ومانِحَـةٍ شُرَّابَها المُلْكَ قَهْوَةٍ يَهُودِيَّةِ الأَصْهار مُسْلِمَة البعْل

يعني بالأصهار باعَتَها وأَوْلياءَها وهم يهود، والبعل هو الشارب لها وذلك أنَّه اشتراها وخطبها يعني نفسَه:

مُعَتَّقَـةٌ لا تَشْتَكِي يَـدَ عاصِرٍ حَرُورِيَّـةٌ في جَوْفها دَمُها يَغْلِي

وقال:

وبِنْـتُ مَجُوسِيٍّ أَبُوها حَلِيلُها إذا نُسِبَتْ لم تَعْدُ نِسْبَتُها النَّهْرَا

وقال:

وأَحْبَبْتُ من حُبِّها الباخلين حَتَّى وَمَقْتُ ابنَ سَلْمٍ سَعِيدا
إذا سِيلَ عُرْفا كَسَا وَجْهَهُ ثِياباً منَ اللُّؤْمِ صُفْراً وسُودا

وقال في السفينة:

كَشَفْتُ أَهاوِيلَ الدُّجَى عن مَهُولَةٍ بجارِيَـةٍ مَحْمُولَـةٍ حامِلٍ بِكْرِ
إذا أَقْبَلَتْ راعَتْ بقُلَّةِ قَرْهَبٍ وإنْ أَدْبَرَتْ راقَتْ بقادِمَتَيْ نَسْرِ
أَطلَّـتْ بمِجْدافَيْنِ يَعْتَوِرانِهـا وقَوَّمَها كَبْحُ اللِّجام من الدُّبْرِ
كأَنَّ الصَّبا تَحْكِي بها حِينَ واجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبا مَشْيَ العَرُوسِ إلى الخِدْرِ

رَكِبْنـا إليك البَحْرَ في أُخْرَيَاتِها فأَوْفَتْ بنا من بَعْدِ بَحْرٍ إلى بَحْرِ

وقال في الخمر:

سُلَّتْ فسُلَّتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُها فأَتَـى سَلِيـلُ سَلِيلِها مَسْلُولا
لَطَفَ المِزَاجُ لها فزَيَّنَ كأْسَها بقِلَادَةٍ جُعِلَتْ لها إكْلِيلا
قُتِلَتْ وعاجَلَها المُدِيرُ ولم تَفِظْ فـإذا بـه قـد صَيَّرَتْـه قَتِيـلا

وقال:

إبْرِيقُنـا سَلَبَ الغَزَالَةَ جِيدَها وحَكَـى المُدِيرُ بُمُقْلَتَيْـهِ غَزَالا
يَسْقِيـكَ باللَّحَظاتِ كأْسَ صَبَابَةٍ ويُعِيدُهـا من كَفِّـهِ جِرْيَـالا

وقال:

إذا شِئْتُمَا أن تَسْقِياني مُدَامَةً فلا تَقْتُلَاها كُلُّ مَيْتٍ مُحَرَّمُ
خَلَطْنـا دَمـاً من كَرْمَةٍ بِدِمَائِنا فأَظْهَرَ في الأَلْوانِ مِنَّا الدَّمَ الدَّمُ

وقال:

إنْ كُنْتِ تَسْقِينَ غَيْرَ الراحِ فآسقِينِي
كأْساً أَلـذُّ بهـا من فيـكِ تَشْفِينِي
عَيْناكِ راحِي ورَيْحاني حَدِيثُكِ لي ولَوْنُ خَدَّيْكِ لَوْن الوَرْدِ يَكْفِينِي

وقال:

إذا التَقَيْنـا مَنَعْنا النَّوْمَ أَعْيُنَنا ولا نُلائِمُ يَوْمـاً حِينَ نَفْتَرِقُ
أُقِرُّ بالذَّنْـبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُـهُ كيما أَقُولَ كما قالَتْ فنَتَّفِقُ
حَبَسْتُ دَمْعِي على ذَنْبٍ تُجَدِّدُهُ فكُلَّ يَوْمٍ دُمُوعُ العَيْنِ تَسْتَبِقُ

وقال:

فما سَلَوْتُ الهَوَى جَهْلاً بِلَذَّتِـهِ ولا عَصَيْتُ إلَيْهِ الحِلْمُ من خُرُق
يا واشياً حَسُنَتْ فينا إساءَتُه نَجَّى حِذارُك إنْساني مِنَ الغَرَقِ

وقال:

أُعـاوِدُ ما قَدَّمْتُهُ من رَجائِها إذا عاوَدَتْ باليَأْسِ منها المطامعُ
رَأَتْني عَمِيَّ الطَّرْفِ عنهـا فأَعْرَضَتْ
وهَلْ خِفْتُ إلّا ما تَنُثُّ الأَصابعُ
وما زَيَّنَتْها النَّفْسُ لي عن لَجاجَةٍ ولكِنْ جرَى فيها الهَوَى وهو طائِعُ
مَلِلْتُ منَ العُذّالِ فيها فأَطْرَقَتْ لَهُمْ أُذُنٌ قـد صمَّ منها المَسَامِعُ
فأَقْسَمْـتُ أَنْسَى الداعِيَاتِ إلى الصِّبا
وقـد فاجَأَتْها العَيْنُ والسِّتْرُ واقعُ
فغطَّـتْ بأَيْدِيها ثِمارَ نُحُورِها كأَيْدِي الأَسَارَى أَثْقَلَتْها الجَوامِعُ

وقوله في مرثية:

أُبْليـكَ للأَيَّامِ حِينَ تَجَهَّمَتْ طَلَبِي ولم يَكُ لي وَرَاءك مَنْجعُ
قـد كُنْتَ لي سَبَباً وغَيْثا صائِباً ويَـداً أَضُرُّ بها العَدُوَّ وأَنْفَعُ
فاَصْعَدْ إلى الغُرُفاتِ يَوْمُك واقِـعٌ بالشامِتِـينَ لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
هَلْ أَنْسَيَنْك وكَيْفَ يَنْساك آمْـرُؤٌ بنَوالِ جُودِكَ في الحَيـاةِ يُمَتَّعُ
فلَئِنْ سَلَوْتُـك ما جزَيْتُكَ نِعْمَةً ولَئِنْ جَزِعْتُ لَواحِدٌ منْ يَجْزَعُ

وقال في مرثية أيضاً:

نَفَضَتْ بك الآمالُ أَحْلاسَ الغِنَى واسْتَرْجَعَتْ نُزّاعَها الأَمْصارُ

أَجَـلٌ تَنَافَسَهُ الحِمامُ وحُفْرَةٌ نَفِسَتْ عليها وَجْهَكَ الأَحْفارُ
فَاَذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنى عَلَيْها السَّهْلُ والأَوْعارُ

وقال في هجاءٍ:

وكَمْ من مُعِدٍّ في الضَّميرِ لِيَ الأَذَى رآني فأَلْقَى الرُّعْبُ ما كان أَضْمَرَا
هَدَاهُ لِقَصْدِ الحِلْمِ جَهْلٌ جَهِلْتُهُ عَلَيْـه ولو حالَمْتُـهُ لَتَجَبَّرَا

وقال في غَزَلٍ:

يـا نَظَراً نِلْتُـهُ على حَذَرٍ أَوَّلُـــهُ كــان آخِرَ النَّظَرِ
إنْ حَجَبُوها عَنِ العُيُونِ فقد حَجَبْتُ طَرْفِي لها عن البَشَرِ

وقال:

ويُخْطِىءُ عُذْرِي وَجْهَ جُرْمِي عِنْدَها
فأَجْنِي إِلَيْها الذَّنْبَ من حَيْثُ أَدْرِي
إِذَا أَذْنَبَتْ أَعْدَدْت عُذْراً لذَنْبِها
فإن سَخِطَتْ كان آعْتِذَارِي مِنَ العُذْرِ

مثله قول الأعرابي:

شَكَوْتُ فقالَتْ كُلُّ هذا تَبَرُّماً بِحُبِّي أَرَاحَ اللهُ قَلْبَكَ من حُبِّي
فلمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قالَتْ لَشَدَّما صَبَرْتَ وما هذا بفِعْلِ شَجِي القَلْبِ
فَأَدْنُو فَتُقْصِيـني فأَبْعُدُ طالباً رِضَاها فَتَعْتَدُّ التَّبَاعُدَ من ذَنْبي
فشَكْوَايَ تُؤْذِيها وصَبْرِي يَسُوءُها وتَجْزَعُ من بُعْدي وتَنْفِرُ من قُرْبي
فيـا قَوْمُ هَلْ من حِيلَةٍ تَعْرِفُونَها
أَشِيرُوا بها واستَوْجِبُوا الشُّكْرَ من رَبِّي

وقال في الزهد:

كَمْ رَأَيْنا من أُناسٍ هَلَكُوا ... فَبَكَى أَحْبابُهُمْ ثُمَّ بُكُوا

تَرَكُوا الدُّنْيا لِمَنْ بَعْدَهُمُ ... وَدُّهُمْ لَوْ قَدَّمُوا ما تَرَكُوا

كم رَأَيْنا من مُلُوكٍ سُوقَةً ... ورَأَيْنا سُوقَةً قد مَلَكُوا

قَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَلَكاً ... فاسْتَدَارُوا حَيْثُ دارَ الفَلَكُ

وقال في الهديَّة:

جَزَى اللهُ مَنْ أَهْدَى التُّرُنْجَ تَحِيَّةً ... ومَنَّ بما نَهْوَى عَلَيْنا وعَجَّلا

أَتَتْنا هَدَايَا منه أَشْبَهْنَ رِيحَهُ ... وأَشْبَهَ في الحُسْنِ الغَزَالَ المُكَحَّلا

ولَوْ أَنَّه أَهْدَى إلَيَّ وِصَالَهُ ... لَكان إلى قَلْبِي أَلَذَّ وأَفْضَلَا

أَبُو الشِّيصِ

اسمه محمَّد بن عبد الله بن رَزِين وهو ابن عمّ دِعْبِل بن عليّ بن رَزين الشاعرَ وكان في زمن الرشيد ولمّا مات الرشيد رثاه ومدح محمّداً فقال:

جَرَتْ جَوَارٍ بالسَّعْدِ والنَّحْسِ   فَنَحْنُ في وَحْشَةٍ وفي أُنْسِ
العَيْنُ تَبْكِي والسِّنُّ ضاحِكَةٌ   فَنَحْنُ في مَأْتَمٍ وفي عُرْسِ
يُضْحِكُنــا القائِمُ الأَمِيــنُ ونُبْكِينا   وَفَــاةُ الإِمـامِ بالأَمْسِ
بَـدْرانِ بَدْرٌ أَضْحَى ببَغْدادَ في الخُلْدِ   وبَدْرٌ بطُوْسَ في الرَّمْسِ

ومن جيّد شعره:

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي   مُتَأَخَّرٌ عنــه ولا مُتَقَــدَّمُ
وأَهَنْتِـني فأَهَنْتُ نَفْسِي جاهِداً   مـا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أُكْرِمُ
أَشْبَهْتِ أَعْـدائي فصِرْتُ أُحِبُّهُمْ   إِذْ كان حَظِّي مِنْكَ حَظِّيَ مِنْهُمُ
أَجِـدُ المَلَامَةَ في هَوَاكِ لَذاذَةً   حُبّـاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وقوله:

قُـلْ للطَّوِيلَـةِ مَوْضِعَ العِقْـدِ   ولَطِيفَـةِ الأَحْشاء والكَبْـدِ
أَلَّا وَقَفْــتِ عــلى مَدامِعِـهِ   فنَظَرْتِ مـا يَعْمَلْنَ في الخَدِّ
لَوْلَا المُنَطَّــقُ والسِّوارُ مَعــا   والحِجْـلُ والدُّمْلُوجُ في العَضُدِ

لَتزَايَلَـتْ من كُـلٍّ ناحِيَـةٍ لكِنْ جُعِلْنَ لهـا عـلى عَمْدِ
جاءتْ إلى عَيْنَيْك وَجْنَتُها في خِلْعَـةِ الخـيريِّ والوَرْدِ

وقوله:

هٰـذا كتـابُ فَتًى له هِمَمٌ عَطَفَتْ عَلَيْكَ رَجاءَه رِحِمُهْ
غَـلَّ الزَّمَـانُ يَـدَيْ عَزِيمَتِه وهَوَتْ به من حالِـقٍ قَدَمُهْ
وتَواكَلَتْـه ذَوُو قَرَابَتِـهِ وطَوَاهُ عن أَكْفائِـهِ عَدَمُـهْ
أَفْضَـى إلَيْـكَ بسِرِّهِ قَلَمٌ لَوْ كـان يَعْرِفُهُ بَكَـى قَلَمُهْ

وقال أيضاً:

مـا فَرَّق الأَحْبَـابَ بَعْـدَ اللهِ إلا الإِبِـلُ
والنَّـاسُ يَلْحُونَ غُرَا بَ البَيْنِ لَمَّـا جهِلُوا
ومـا عـلى ظَهْرِ غُرَا بِ البَيْنِ تُمْطَـى الرِّحَـلُ
ولا إذا صـاحَ غُرَا بٌ في الدِّيَـارِ ٱحْتَمَلُوا
ومـا غُرابُ البَيْن إِ لَّا ناقَـةٌ أَوْ جَمَـلُ

ومن جيّد شعره قصيدته التي يقول فيها:

أَبْدَى الزَّمَانُ به نُدُوبَ عِضَاض ورَمَى سَوَادَ قُرونِـهِ بِبَيَاضِ
لا تُنْكِرِي صَدِّي ولا إِعْراضِي لَيْسَ المُقِلُّ عنِ الزَّمانِ براضِي

وقوله:

خَلَعَ الصِّبـا عن مَنْكِبَيْهِ مَشِيبُ وطَوَى الذَّوائِبَ رَأْسُهُ المَخْضُوبُ
نَشَرَ البِلَى في عارِضَيْهِ عَقَارِباً بِيضاً لَهُنَّ على القُرُونِ دَبِيبُ

ومن جيّد شعره قصيدته التي يقول فيها:

نَهَـى عن خُلَّـةِ الخَمْرِ بَيَـاضٌ لاحَ في الشَّعْرِ

لَقَـــدْ أَغْـــدُو وعَيْنُ الشَّمْسِ فِي أَثْوابِهـــا الصُّفْرِ
عـــلى جَرْداءَ قَبَّـــاءَ ٱلْحَشَا مُلْهِبَـــةِ الحُضْرِ
بسَيْـــفٍ صـارِمِ الحَـــدِّ وزِقٍّ أَحْـــدَبِ الظَّهْرِ
وظَبْيٍ تَعْطِـــفُ الأَرْدَا فُ مَتْنَيْـــهِ عـــلى الخَصْرِ
عـــلى أَلْطَـفِ مـا شُدَّتْ عَلَيْـــه عُقَـــدُ الأُزْرِ
مَهَـــاةٍ تَرْتَمِي الأَلْبـــا بَ عن قَوْسٍ من السِّحْرِ
لهـــا طَرْفٌ يَشُوبُ الخمر للنُّدْمـــانِ بالخَمْرِ
عَفِيـــفِ اللَّحْـظِ والإِغضا ءِ في الصَّحْوِ وفي السُّكْرِ
عـــلى عَـذْراءَ لم تُفْتَـقْ بنـــارٍ لا ولا قِـــدْرِ
عَجُوزٍ نَسجَ المـــاءُ لهـــا طَوْقـــاً من الشَّذْرِ
كـــأَنَّ الذَّهَـــبَ الأَحْمَرَ في حافاتِهـــا يَجْرِي
ولَيْـــلٍ يَرْكَـــبُ الرُّكْبَـا نُ في أَثْوابِـــهِ الخُضْرِ
بـــأَرْضٍ تَقْطَـــعُ الحَيْرَ ةَ فيهـــا بالقَطَـا الكُـــدْرِ
تَوَكَّلْـــتُ عـــلى أَهْوا لِهـــا بـــاللهِ والصَّبْرِ
وإِعْمالِ بَنَـــاتِ الرِّيـــحِ في المَهْمَهَـــهِ القَفْرِ
شَمَالِيـــلَ يُصافِحْنَ مُتُـون الصَّخْـرِ بالصَّخْـرِ
بإِيجَـافٍ يَقُـــدُّ اللَّيْـــلَ عـــن ناصِيَـــةِ الفَجْـرِ

وقصيدته التي يقول فيها:

أَشاقَـكَ واللَّيْلُ مُلْقَى الجِرانِ غُرَابٌ يَنُوحُ عـلى غُصْنِ بانِ
أَحَصُّ الجَنَاحِ شَدِيدُ الصِّيَاحِ يُبَكِّي بعَيْنَيْنِ مـا تَدْمَعـانِ
وفي نَعَبَاتِ الغُرابِ ٱغْتِرَابٌ وفي البانِ بَيْنٌ بَعيدُ التَّدَانِي
أَهَلْ لَكَ يا عَيْشُ من رَجْعَةٍ بأَيَّامِـكَ المُشْرِقَـاتِ الحِسَانِ

لَعَـلَّ الشَّبَـابَ وَرَيْعانَـهُ يُسَوِّدُ ما بَيَّضَ العارِضَانِ
وهَيْهاتَ بالعَيْشِ من عَهْدِنا وأَغْصانِـكَ المائِلَات الدَّوَانِي
لَقَـدْ صَدَعَ الشَّعْبُ ما بَيْنَنا وبَيْنَـكَ صَدْعَ الرِّدَاءِ اليَمَانِي

وقال فيها يذكر الخمر:

وعَـذْراءَ لم تَفْتَرِعْها السُّقَاةُ ولا آسْتَامَها الشَّرْبُ في بَيْتِ حانِ
ولا آخْتَلَبَـتْ دَرَّهـا أَرْجُلٌ ولا وَسَمَتْهـا بنـارٍ يَـدَانِ
ولٰكِنْ غَذَتْهـا بأَلْبَانِهـا ضُرُوعٌ تَحَفَّـى بها جَدْوَلَانِ
فلم تَزَلِ الشَّمْسُ مَشْغُولَـةً بصَنْعَتِهـا في بُطُونِ الدِّنَـانِ
تُرَشِّحُهـا لآثـامِ الرِّجـالِ إلَى أَنْ تَصَدَّى لها الساقِيَانِ
فَفَضَّـا الخَواتِمَ عن جَوْنَـةٍ صَدُودٍ عن الفَحْلِ بِكْرٍ هِجَانِ
عَجُوزٍ غَـدَا المِسْكُ أَصْداغَها مُضَمَّخَـةِ الجِلْـدِ بالزَّعْفَرَانِ
يَطُوفُ عَلَيْنـا بهـا أَحْوَرٌ يَدَاهُ مِنَ الكَأْسِ مَخْضُوبَتَانِ
لَيَالِيَ يُحْسَبُ لِي من سِنِيَّ ثَمَـانٍ وواحِـدَةٌ وآثْنَتَـانِ
غُلَامٌ صَغِيـرٌ أَخُو شَرَةٍ يَطِيرُ مَعَ اللَّهْوِ بِي طائِرَانِ
جَرُورُ الإِزَارِ خَلِيـعُ العِذَارِ عَلَيَّ لعَهْـدِ الصِّبَا بُرْدَتَـانِ
أُصِيـبُ الذُّنُوبَ ولا أَتَّقِي عُقُوبَـةَ ما يَكْتُبُ الكاتِبَانِ
تَنَافَسَ فِيَّ عُيُونُ الرِّجـالِ ويَعْثُرُ بي في الحِجَالِ الغَوَانِي
فراجَعْـتُ لَمَّا أَطارَ الشَّبَابَ غُرَابـانِ عن مَفْرِقِي طائِرَانِ
وأَقْصَرْتُ لَمَّا نَهَانِي المَشِيبُ وأَقْصَرَ عن عَذْلِيَ العـاذِلَانِ
وعافَـتْ لعُوبُ وأَتْرابُهـا دُنُوِّيَ إليهـا ومَلَّـتْ مَكَانِي
رَأَتْ رَجُلًا وَسَمَتْـه السُّنُونَ برَيْبِ المَشِيبِ ورَيْبِ الزَّمَانِ
فصَـدَّتْ وقالَـتْ أَخُو شَيْبَـةٍ عَـدِيمٌ أَلَا بِئْسَتِ الخَلَّتَـانِ

فقُلْــتُ كذلِــكَ مَنْ عَضَّــهُ　　مِنَ الدَّهْرِ نابـاه والناجِـذَانِ

وقال يرثي:

خَتَلَتْــهُ المَنُونُ بَعْـدَ اخْتِيَـالِ　　بَيْنَ صَفَّيْنِ من قَنـاً ونِصَـالِ

في رداءٍ من الصَّفِيحِ صَقِيلٍ　　وقَمِيصٍ منَ الحَدِيدِ مُذَالِ

وقال في الرشيد يرثيه:

غَرَبَـــتْ بالمَشْرِقِ الشَّمْسُ فَقُــــلْ للعَيْنِ تَدْمَــــعْ

مَــا رَأَيْنــا قَــطُّ شَمْساً　　غَرَبَــتْ من حَيْــثُ تَطْلُـعْ

وكان لأبي الشِّيصِ ابن يقال له عبد الله شاعر.

دِعْبِلٌ

هو دِعْبِل بن عليّ بن رَزِين من خُزَاعة ويكنى أبا عليّ وكان قال للمأمون:

ويَسُومُني المأمُونُ خُطَّة عارِفٍ   أوَمَا رَأى بالأمْسِ رَأْسَ مُحمَّدِ
نُوفِي على رُوسِ الخَلائِقِ مِثْلَما   تُوفِي الجِبَالُ على رُؤُوسِ القَرْدَدِ
ونَحِلُّ في أكْنافِ كُلِّ مُمَنَّعٍ   حتَّى يُذَلَّلَ شاهِقاً لم يُصْعَدِ
إنِّي منَ القَوْمِ الَّذينَ سُيُوفُهُمْ   قَتَلَتْ أخاك وشَرَّفُوكَ بِمَقْعَدِ
إنَّ التِّرَاتِ مُسَهَّدٌ طُلَّابُها   فاكْفُفْ مَذاقَكَ عن لُعَابِ الأسْوَدِ

وإنَّما فخر برأس محمد لأن طاهر بن الحسين قتله وطاهر مولى خزاعة وكان جدُّه زُرَيْق مولى عبد الله بن خلف الخزاعيّ وعبد الله ابن خَلَف هو أبو طلحة الطلحات وكان عبد الله بن خلف كاتباً لعمر ابن الخطّاب على ديوان الكوفة والبصرة وولي سجستان فمات بها، وهجا إسحاق المعتصم فقال:

مُلُوكُ بني العَبَّاسِ في الكُتْبِ سَبْعَةٌ   ولم تأْتِنا عن ثامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ
كذٰلكَ أهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ   كِرَامٌ إذا عُدُّوا وثامِنُهُمْ كَلْبُ

ونمى الشعر إلى المعتصم فأمر بطلبه فاستتر ثم هرب ورأيته وهو

يحلف ما قال الشعر وإنّما قيل على لسانه وكِيدَ به وسُئل وأنا حاضر عن أجود شعره فقال القديمة وحدَّثنا بحديث اجتماعه مع أبي نواس ومُسْلِم وأبي الشِّيص، وقد ذكرتُه في كتاب الأشربة وهي التي يقول فيها:

لا تَعْجَبِي يا سَلْمَ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكى
قَصَرَ الغَوَايَةَ عن هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن المهدّي لقد أوجعك دِعْبِل إذ قال فيك:

إنْ كان إبْرَاهِيمُ مُضْطَلِعاً بها فَلَتَصلُحَنْ من بَعْدِهِ لمُخارِقِ
ولتَصلُحَنْ من بَعْدِ ذاك لِزُلْزُلٍ ولَتَصلُحَنْ من بَعْدِهِ للمارِقِ
أنَّى يَكُونُ ولا يَكُونُ ولم يَكُنْ لِيَنَالَ ذلِكَ فاسِقٌ عن فاسِقِ

وهو القائل في الطائيّ:

أُنْظُرْ إليه وإلى ظَرْفِهِ كَيْفَ تَطَايَا وهو مَنْشُورُ
وَيْلَكَ مَنْ دَلَّاكَ في نِسْبَةٍ قَلْبُكَ منها الدَّهْرَ مَذْعُورُ
لَوْ ذُكِرَتْ طَيٌّ على فَرْسَخٍ أَظْلَمَ في ناظِرِكَ النُّورُ

وقال في هذا المعنى لقوم:

هُمْ قَعَدُوا فَانْتَقَوْا لَهُمْ حَسَباً يَجُوزُ بَعْدَ العَشَاءِ في العَرَبِ
حَتَّى إذا ما الصَّبَاحُ لاح له بُيِّنَ سَتُّوقُهُ من الذَّهَبِ
والناسُ قد أَصْبَحُوا صَيارِفَةً أَبْصَرَ شَيْءٍ بِزِيبَقِ النَّسَبِ

وهو القائل:

يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وجَيِّدُهُ يَحْيَا وإنْ مات قائِلُهْ

وهو القائل:

إنَّ مَنْ ضَنَّ بالكَنيفِ عن الضَّيْفِ بغَيْرِ الكَنيفِ كَيْفَ يَجُودُ
مـا رَأَيْنا ولا سَمِعْنا بحُشٍّ   قَبْـلَ هٰـذا لِبَابِـهِ إقْلِيـدُ
إنْ يَكُنْ في الكَنِيفِ شَيْءٌ تَخَبَّا   هُ فَعِنْـدِي إنْ شِئْتَ فيه مَزِيدُ

وكان ضيفاً لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مُغْلَقاً فلم يتهيَّأ فتحه حتَّى أعجَله الأمرُ، وهو القائل:

وإنَّ أَوْلَى المَوَالِي أَنْ تُوَاسِيَه   عند السُّرورِ لَمَنْ وَاسَاكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكِرامَ إذا ما أَسْهَلُوا ذَكَرُوا   مَنْ كان يَأْلَفُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

الخُرَيْميُّ

هو إسحاق بن حسّان ويكنى أبا يعقوب من العجم، وهو القائل:

إنّي امْرُؤٌ من سَرَاةِ الصُّغْدِ أَلْبَسَني ... عِرْقُ الأَعاجِمِ جِلْداً طَيِّبَ الخَبَرِ

وكان مولى ابن خُرَيْمَ الذي يقال لأبيه خُرَيم الناعم وهو خُرَيم بن عمرو من بني مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان، وكان لخُرَيم ابن يقال له عُمَارة ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهَيْذام ابنا عُمَارة، ولعثمان يقول أبو يعقوب:

جَزَى اللهُ عُثْمَانَ الخُرَيْمِيَّ خَيْرَ ما ... جَزَى صاحبا جَزْلَ المَواهِبِ مُفْضِلَا

كَفَى جَفْوَةَ الإِخْوانِ طُولَ حَيَاتِـهِ ... وأَوْرَث مِمَّا كان أَعْطى وخَوَّلا

وكان عثمان عظيم القدر وأحد القُوّاد، وعَمِيَ أبو يعقوب الخُرَيْميُّ بعد ما أسنَّ وكان يقول في ذلك فمنه قوله:

فإنْ تَكُ عَيْنِي خَبَا نُورُها ... فكَمْ قَبْلَهَا نُورُ عينٍ خَبَا

فلم يَعْمَ قَلْبِي ولكِنَّما ... أَرَى عَيْنِي إليه سَرَى

فأَسْرَجَ فيه إلى نُورِهِ ... سِرَاجاً منَ العِلْمِ يَشْفِي العَمى

وأخذ هذا من عبد الله بن العبّاس بن عبد المطَّلب وكان قد عمي فقال:

إنْ يأْخُذِ اللهُ من عَيْنَيَّ نُورَهُما ... ففي لِسانِي وقَلْبِي منهما نُورُ

قَلْبِي ذَكِيٌّ وعَقْلِي غَيْرَ ذي دَخَلٍ　　وفي فَمِي صارِمٌ كالسَّيْفِ مأْثُورُ

وكان أبو يعقوب متَّصلاً بمحمَّد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة وله فيه مدائح جياد ثم رثاه بعد موته فقيل له يا أبا يعقوب مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك وأجود، فقال كنّا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد، وهو القائل في عينيه:

أُصْغِي إلى قائِـدِي ليُخْبِرَني　　إذا ٱلْتَقَيْنـا عَمَّنْ يُحَيِّينِي

أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وأَنْ　　أَفْصِلَ بين الشَّرِيفِ والدُّونِ

أَسْمَعُ ما لا أَرَى فأَكْرَهُ أَنْ　　أُخْطِيءَ والسَّمْعُ غَيْرُ مأْمُونِ

للهِ عَيْـني الَّتي فُجِعْتُ بها　　لَوْ أَنَّ دَهْراً بهـا يُؤَاتيـني

لَوْ كُنْتُ خُيِّرْتُ ما أَخَذْتُ بها　　تَعْمِيرَ نُوحٍ في مِلْكِ قارُونِ

حَـقٌّ أَخِلَّائِي أَنْ يَعُودُونِي　　وأَنْ يُعَزُّوا عَنِّي ويَبْكُونِي

وهو القائل:

إذا ما مات بَعْضُكَ فَابْكِ بَعْضاً　　فإِنَّ البَعْضَ عن بَعْضٍ قَرِيبُ

يُمَنِّينِي الطَّبِيبُ شِفاءَ عَيْنِي　　وهَلْ غَيْرُ الإِلَاهِ لها طَبِيبُ

وهو القائل في بغداد في الفتنة:

يا بُؤْسَ بَغْدادَ دارِ مَمْلَكَةٍ　　دارَتْ عـلى أَهْلِها دَوَائِرُها

أَمْهَلَهـا اللهُ ثُمَّ عاقَبَهـا　　لَمَّا أَحاطَتْ بهـا كَبَائِرُها

رَقَّ بها الدِّينُ واسْتُخِفَّ بذِي الفَضْلِ وَعَزَّ الرِّجالَ فاجِرُها

وصـار رَبَّ الجِيرانِ فاسِقُهُمْ　　وٱبْتَزَّ أَمْرَ الدُّرُوبِ شاطِرُها

يُحْرِقُ هـٰذا وذاك يَهْدِمُهـا　　ويَشْتَفِي بالنِّهـابِ ذاعِرُهـا

والكَرْخُ أَسْوَاقُهـا مُعطَّلَـةٌ يَسْتَنُّ شُذَّابُهـا وعامِرُهـا
أَخْرَجَتِ الحَرْبُ من أَساقطِهِمْ آسَادَ غِيلٍ غُلْباً قَساوِرُها
منَ البَوَارِي تِراسُها ومنَ الخوصِ إذا استَلْأَمَتْ مَغَافِرُها
لا الرِّزْقَ تَبْغِي ولا العَطَاءَ ولا يَحْشُرُها بالعَنَاءِ حاشِرُها

ومن جيّد شعره قوله:

النَّاسُ أَخلاقُهُمْ شتَّى وإنْ جُبِلُوا على تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وأَجْسادِ
للخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلٌ وكُلُّوا بها كُلٌّ له من دَوَاعِي نَفْسِهِ هادِ
مِنْهم خَلِيلُ صَفَاءٍ ذُو مُحَافَظَةٍ أَرْسَى الوَفاءُ أَوَاخِيهِ بأَوْتادِ
ومُشْعَرُ الغَدْرِ مَحْنِيٌّ أَضالِعُهُ على سَرِيرَةِ غِمْرٍ غِلُّها بادِ
مُشاكِسٌ خَدِعٌ جَمٌّ غَوَائِلُهُ
يُبْدِي الصَّفَاءَ ويُخْفِي ضَرْبَةَ الهَادِي
يأْتِيكَ بالبَغْيِ في أَهْلِ الصَّفاءِ يَنْفَكُّ يَسْعَى بإِصْلاَحٍ لإِفْسادِ

ومن جيّد شعر الخُرَيْمِيّ قوله:

أُضاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إنْزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عِنْدِي والمَحَلُّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأَضْيافِ أن يَكْثُرَ القِرَى
ولكنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

ومن جيّد شعره قوله:

زاد مَعْرُوفَك عِندِي عِظَماً أَنَّهُ عِندَك مَحْقُورٌ صَغِير
تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لم تَأْتِهِ وَهْوَ عِنْدَ الناسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

وهو القائل:

إنَّ أَشَدَّ الناسِ في الحَشْرِ حَسْرَةً ... لَمُورِثُ مالٍ غَيْرَهِ وَهْوَ كاسِبُهْ
كَفَى سَفَهاً بالكَهْلِ أَنْ يَتْبَعَ الصِّبَا ... وأَنْ يأْتِيَ الأَمْرَ الَّذِي هُوَ عائِبُهْ

ويُستجاد له قوله:

ودُونَ النَّـدَى في كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ وَعْرٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ
ووُدُّ الفَتَـى في كُلِّ نَيْلٍ يَنِيلُهُ ... إذا ما آنْقَضَى لَوَ آنَّ نائِلَهُ جَزْلُ
وأَعْلَـمُ عِلْماً ليس بالظَّنِّ أَنَّـه ... لِكُلِّ أُناسٍ من ضَرَائِبِهم شَكْلُ
وأَنَّ أَخِلّاءَ الزَّمـانِ غَناؤُهم ... قَلِيلٌ إذا الإنْسانُ زَلَّتْ به النَّعْلُ
تَزَوَّدْ منَ الدُّنيـا مَتاعاً لغَيْرِها ... فقد شَمَّرَتْ حَذّاءَ وآنصرَمَ الحَبْلُ
وهَلْ أَنْتَ إلَّا هامَةُ اليومِ أو غَدٍ ... لكُلِّ أُناسٍ من طَوَارِقِها الثُّكْلُ

وفي هذا الشعر يقول:

أبالصُّغْدِ بَأْسٌ إذ تُعَيِّرُني جُمْلُ ... سَفَاهاً ومن أَخْلاقِ جارَتِيَ الجَهْلُ
فإنْ تَفْخَرِي يا جُمْلُ أوتَتَجمَّلِي ... فلا فَخْرَ إلَّا فَوْقَهُ الدِّينُ والعَقْلُ
أَرَى الناسَ شَرْعاً في الحَياةِ ولا يُرَى ... لِقَبْرٍ عـلى قَبْرٍ عَلَاءٌ ولا فَضْلُ
ومـا ضَرَّنِي أَنْ لم تَلِدْنِي يُحَابِرٌ ... ولم تَشْتَمِلْ جَرْمٌ عَلَيَّ ولا عُكْلُ

وهو القائل:

مـا أَحْسَنَ الغَيْرَةَ في حِينِها ... وأَقْبَـحَ الغَيْرَةَ في كُـلِّ حِينْ
مَنْ لم يَزَلْ مُتَّهِماً عِرْسَهُ ... مُنَاصِباً فيها لِرَيْـبِ الظُّنُونْ

أَوْشَكَ أَنْ يُغْرِيَهـا بالَّـذي يَخـافُ أَنْ يُبْرِزَهـا للعُيُونْ
حَسْبُـكَ من تَحْصِينِها وَضْعُها منك إلى عِرْضٍ صَحِيحٍ ودِينْ
لا تَطَّلِـعْ مِنْـكَ على رِيبَـةٍ فيَتْبَـعَ المَقْرُونُ حَبْـلَ القَرِينْ

النَّمَريُّ

هو منصور بن سَلَمَة بن الزِّبْرِقان من النَّمرِ بن قاسط وكان مع الرشيد مقدَّماً وكان يمتُّ إليه بأُمّ العبّاس بن عبد المطَّلب وهي نَمَريَّة واسمها نُتَيْلَة وكان الرشيد يُعطيه ويُجزل وكان يُظهر له أنَّه عبَّاسيُّ الرأي منافر لآل عليّ ولغيرهم ،وممّا قال في ذلك للرشيد:

يا ابنَ الأَيِمَّةِ من بَعْدِ النَّبِيِّ ويا ٱبْنَ الأَوصِياءِ أَقَرَّ الناسُ أو دَفَعُوا

إنَّ الخِلاَفَـةَ كانَتْ إرْثَ والِدِكُمْ ... من دُونِ تَيْمٍ وعَفْوُ اللهِ مُتَّسِعُ

لَوْلاَ عَـدِيٌّ وتَيْمٌ لم تَكُنْ وَصَلَتْ ... إلى أُمَيَّـةَ تَمْرِيهـا وتَرْتَضِـعُ

ومـا لآلِ عَلِيٍّ في إمارَتِكُمْ ... وما لهم أَبَداً في إرْثِكُمْ طَمَعُ

يا أَيُّها الناسُ لا تَعْزُبْ حُلُومُكُمُ ... ولا تُضِفْكُمْ إلى أَكْنافها البِدَعُ

العَمُّ أَوْلَى من ٱبْنِ العَمِّ فاسْتَمِعُوا ... قَوْلَ النَّصِيحَةِ إنَّ الحَقَّ مُسْتَمَعُ

وقال أيضاً:

أَلَا للهِ دَرُّ بَـنـي عَـلِيّ ... ودَرْءٌ من مَقَالَتِهِمْ كَثِـيـرُ

يُسَمُّـونَ النَّبِيَّ أَبـاً ويَأْبَـى ... مِنَ الأَحْزابِ سَطْرٌ بَلْ سُطُورُ

يريد قول الله عزَّ وجلَّ: مَـا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ.

وكان مع هذا شِيعِيًّا وهو القائل:

شاءٌ منَ الناس راتِعٌ هامِلٌ يُعَلِّلونَ النُّفوسَ بالباطِـــــلِ
تُقْتَـــلُ ذُرِّيَّـــةُ النَّبِيِّ ويَرْ جُونَ جِنـــانَ الخُلودِ للقاتِـلِ
وَيْلَـكَ يا قاتِـلَ الحُسَيْنِ لَقَدْ نُؤْتَ بِحَمْـلٍ يَنُوءُ بالحامِـلِ
أَيَّ حِبـاءٍ حَبَوْتَ أَحْمَدَ في حُفْرَتِــهِ مِن حَرارَةِ الثاكِـلِ
بِأَيِّ وَجْهٍ تَلْقَى النَّبِيَّ وقد دَخَلْتَ في قَتْلِهِ مع الداخِلِ
هَلُمَّ فَاطْلُـبْ غَـداً شَفَاعَتَـهُ أو لا فرِدْ حَوْضَهُ معَ الناهِلِ
ما الشَّكُّ عِنْدِي في حالِ قاتِلِهِ لكِنَّـني قـد أَشُكُّ في الخاذِلِ
نَفْسِي فِـدَاءُ الحُسَيْنِ حِينَ غَدَا إلى المَنَايَـا غُـدُوَّ لا قافِـلِ
ذلِــكَ يَوْمٌ أَنْحَــى بِشَفْرَتِـهِ على سَنَامِ الإِسْلامِ والكاهِلِ
حَتَّـى مَتَى أَنْتِ تَعْجَبِينَ أَلَّا تَنْزِلَ بالقَوْمِ نِقْمَـةُ العاجِـلِ
لا يَعْجَـلُ اللهُ إنْ عَجِلْتِ وما رَبُّـكَ عَمَّـا يُرِيـدُ بالغافِـلِ
وعاذِلِي أَنَّنِي أُحِـــبُّ بَنِي أَحْمَدَ فالتُّرْبُ في فَمِ العاذِلِ
قـد ذُقْتُ ما دِينُكُمْ عَلَيْه فما وَصَلْتُ من دِينِكُمْ إلى طائِلِ
دِينُكُمْ جَفْوَةُ النَّبِيِّ ومـــا الْجافِي لِآلِ النَّبِيِّ كالواصِـــلِ
مَظْلُومَــةٌ والنَّبِيُّ والِدُهــا تُدِيرُ أَرْجـاءَ مُقْلَـةٍ حافِـلِ
أَلَّا مَصَالِيــتُ يَغْضَبُونَ لهــا بِسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الذابِلِ

وقال أيضاً:

آلُ النَّبِــيِّ ومَـنْ يُحِبُّهُـمُ يَتَطامَنُونَ مَخَافَــةَ القَتْـــلِ
أَمِنُوا النَّصَارَى واليَهُودَ وهُمْ من أُمَّـةِ التَّوْحِيـدِ في أَزْلِ

وأُنشد الرشيد هذا بعد موته فقال لقد هممتُ أن أنبشه ثم

أحرقه، ومن جيّد شعره قوله في الرشيد:

يـا زَائِرَيْنـا منَ الخِيَـام حَيَّاكُـما اللهُ بالسَّـلامِ
يُحْزِنُنِـي أنْ أطَفْتُـما بِـي ولم تَنَـالا سِوَى الكَلَامِ
لمْ تطْرُقَـانِي وبِـي حَـرَاكٌ إلى حَـلَالٍ ولا حَـرَامِ
هَيْهَـاتَ لِلَّهْوِ والتَّصابي وللغَوَانِي وللمُـدَامِ
أقصرَ جَهْلِي وثـاب حِلْمِي ونَهْنَـهَ الشَّيْـبُ من عُرَامِي
عَمْرَ أبيهـا لَقَـدْ تَوَلَّـتْ سالِمَـةَ الخَـدِّ من عِذَامِي
للهِ حِبِّـي وتِـرْبُ حِبِّـي لَيْلَـةَ أعْياهُما مَرَامِي
آذَنَتَانِـي بطُـولِ هَجْـرٍ وغَرَّبانِي مَـعَ السَّوَامِ
وانْطَوَتَـا لي عـلى مَلَامٍ والشَّيْـبُ شَرٌّ منَ المَلَامِ
بُورِكَ هـارُونُ من إمَـامٍ بطاعَـةِ اللهِ ذي اعْتِصَـام
لـه إلى ذي الجَلَالِ قُرْبَـى لَيْسَتْ لعَـدْلٍ ولا إمـامِ
يَسْعَـى عـلى أُمَّـةٍ تَمَنَّـى أنْ لَوْ تَقِيـهِ منَ الحِمَـامِ
لَوِ اسْتَطَاعَـتْ لَقاسمَتْـهُ أعْمارَهـا قِسْمَـةَ السِّهَـامِ
يـا خَيْرَ ماضٍ وخَيْرَ باقٍ بَعْـدَ النَّبِيِّـينَ في الأنَـامِ
ما اسْتُودِعَ الدِّينَ من إمَامٍ حامَى عليـه كما تُحامِي
يأنَسُ من رأيِـهِ برَأيٍ أصْـدَقَ من سلَّـةِ الحُسَامِ

وقوله:

أعُميرَ كيْـفَ لِحاجَـةٍ طُلِبَـتْ إلى صُمِّ الصُّخُور

لِلّهِ دَرُّ عِدَاتِكُـــــــــمْ كيْـــفَ انْتَسَبْنَ إلىِ الغُرُور

إنَّ اللَّيَالِـــي ضَمِنَّنِـــي وَوَسَمْنَنِي سِمَـــةَ الكَبِـــيرِ

أَطْفَـــــأْنَ نُورَ شَبِيبَتِي وفَرَشْنَـــني كَنَـــفَ الغَيُورِ

ولقَـــدْ تَبِيــتُ أَنَامِلِي يَجْنِـــينَ رُمَّـــانَ النُّحُورِ

العَتَّابِيُّ

هو كُلْثُوم بن عمرو من بني تَغْلِب من بني عَتَّاب من ولد عمرو بن كلثوم التَغْلِبيّ ويكنى أبا عمرو وكان شاعراً محسناً وكاتباً في الرسائل مجيداً ولم يجتمع هذان لغيره ولَمَّا أشخصه المأمون إليه فدخل عليه قال له المأمون بلغتني وفاتك فساءتني ثم بلغتني وفادتك فسرَّتْني فقال العتَّابيُّ يا أمير المؤمنين لو قُسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسعتهم،وذلك لأنَّه لا دين إلّا بك ولا دنيا إلّا معك، قال سَلْني قال يدك بالعطاءِ أَطلق من لساني، ومَّما يُسْتحسن له من شعره قوله في اعتذاره:

رَدَّتْ إليـــك نَدَامَــتي أَمَلي وثَنَــى إليـــك عِنَانَـهُ شُكْرِي
وجَعَلْتُ عَتْبَك عَتْبَ مَوْعِظَةٍ ورَجَاءَ عَفْوِك مُنْتَهى عُذْرِي

ويُستجاد قوله في الرشيد:

ماذا عَسَى قائل يُثْنِي عَلَيْك وقد ناداك في الوَحْي تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ
فُتَّ المَدَائِحَ إلَّا أَنَّ أَلْسُنَنا مُسْتَنْطَقاتٌ بما تُخْفِي الضَّمائِرُ

عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ

كان عليُّ بن جَبَلَة ضريراً وكان يمدح أبا دُلفَ القاسم بن عيسى وهو القائل فيه:

إنَّما الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ ... بَيْنَ مَغْزَاهُ ومُحْتَضَرِهْ
فإذا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيَا على أَثَرِهْ

وكان يمدح حُمَيد بن عبد الحميد فلمّا سمع حُميد هذا في أبي دُلَف قال أيَّ شيءٍ بقَّيتَ لنا بعد هذا من مدحك فقال:

إنَّما الدُّنْيَا حُمَيْدٌ ... وأَيَادِيهِ الجِسامُ
فإذا وَلَّى حُمَيْدٌ ... فعلَى الدُّنْيَا السَّلامُ

وهو القائل في حُمَيد:

دِجْلَةُ تَسْقِي وأبو غانِمٍ ... يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي منَ الناسِ
والناسُ جِسْمٌ وإمامُ الهُدَى ... رَأْسٌ وأَنْتَ العَيْنُ في الراسِ

وقال للحسَن بن سَهْل:

أَعْطَيْتَني يا وَلِيَّ الحَقِّ مُبْتَدِئاً ... عَطِيَّةً كافَأَتْ مَدْحِي ولم تَرَنِي
ما شِمْتُ بَرْقَك حَتَّى نِلْتُ رَيِّقَهُ ... كأَنَّما كُنْتَ بالجَدْوَى تُبادِرُني

وهو القائل في حُمَيد:

إلى أَكْرَمِ قَحْطانِ ... وَصَلْنا السَّهْبَ بالسَّهْبِ

إلى مُجْتَمَع النَّيْل   ومُلْقَى أَرْحُلِ الرَّكْبِ

حُمَيْدٌ مَفْزَعُ الأُمَّةِ في الشَّرْقِ وفي الغَرْبِ

كأَنَّ الناسَ جِسْمٌ وَهْوَ مِنْهُ مَوْضِعَ القَلْبِ

إذا سالَمَ أَرْضاً غَنِيَتْ آمِنَةَ السِّرْبِ

وإنْ حارَبَها حَلَّتْ   بها راغِيَةُ السَّقْبِ

إذا لاقى رَعِيلَ المَوْ   تِ بالشَّطْبَةِ والشَّطْبِ

وبالماذِيَّةِ الخُضْرِ   وبالهِنْدِيَّةِ القُضْبِ

غَدَا مُجْتَمِعَ القَلْبِ   لهُ جُنْدٌ مِنَ الرُّعْبِ

فيا فَوْزَ الَّذي والَى   ويا بُؤْسَى أَخِي الذَّنْبِ

أَيا ذا الجُودِ فَاسْلَمْ ما   جَرَتْ حُقْبٌ إلى حُقْبِ

فأَنتَ الغيثُ في السِّلْمِ   وأَنتَ المَوْتُ في الحَرْبِ

وأَنْتَ الجامِعُ الفارِ   قُ بينَ البُعْدِ والقُرْبِ

بِكَ اللهُ تَلَافَى النا   سَ بَعْدَ العَثْرِ والنَّكْبِ

ورَدَّ البِيضَ والبِيضَ   إلى الأَغْمادِ والحُجْبِ

بإِقْدامِكَ في الحرب   وإِطْعامِكَ في اللَّزْبِ

فكَمْ أَمَّنْتَ من خَوْفٍ   وكَمْ أَشْعَبْتَ من شَعْبِ

وكَمْ أَصْلَحْتَ من خَطْبٍ   وكم أَيَّمْتَ من خِطْبِ

ومَا تَمْهَرُها إِلَّا   دِراكَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ

تَنَاهَتْ بكَ قحطانٌ   إلى الغايَةِ والحَسْبِ

ففاتَتْ شَرَفَ الأَحْيا   ءِ فَوْتَ الرَّأْسِ للعَجْبِ

ومِمّا أسرف فيه فكفر أو قارَبَ الكفر قوله في أبي دُلَف:

أَنتَ الَّذي تُنْزِلُ الأَيَّامَ مَنْزِلَها   وتَنْقُلُ الدَّهْرَ من حالٍ إلى حالِ

وما مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أَحَدٍ إلَّا قَضَيْتَ بأَرْزاقٍ وآجالِ
تَزْوَرُّ سُخْطاً فتُمْسِي البيضُ راضِيَةً وتَسْتَهِلُّ فتَبْكِي أَوْجُهُ المالِ

وقال فيها:

كأَنَّ خَيْلَكَ في أَثْناءِ غَمْرَتِها أَرْسالُ قَطْرٍ تَهَامَى فَوْقَ أَرْسالِ
يَخْرُجْنَ من غَمَرَاتِ المَوْتِ سامِيَةً نَشْرَ الأَنامِلِ من ذي القِرَّةِ الصالِي

أخذه من الأَشْعَر الجُعْفيّ إذ ذكر الخيل فقال:

يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبَارِ عَوَابِساً كأَصابعِ المَقْرُورِ أَقْعَى فاصْطَلَى

أراد أنَّها تخرج متساوية كأصابع المصطلى لأَنَّها تستوي إذا اصطلى فقبضها، وقال في حُمَيد:

والجُودُ في كَفٍّ غَيْرِهِ خَشِنٌ وَهْوَ بكَفَّيْهِ لَيِّنٌ سَرِبُ

أخذه من مُسْلِم:

الجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يا بني مَطَرٍ من أَنْ تَبُزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ

وقال أيضاً:

جلَاءُ مَشِيبٍ نزَلْ وأُنسُ شَبابٍ رَحَلْ
طَوَى صاحِبٌ صاحِباً كَذاكَ اختِلَافُ الدُّوَلْ
شَبَابٌ كأَنْ لم يَكُنْ وشَيْبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
كأَنَّ حُسُورَ الصِّبَا عَنِ الشَّيْبِ حِينَ اشْتَعَلْ
زُهَا أَمَلٍ مُوفِقٍ أَطَلَّ عَلَيْهِ أَجَلْ

أخذه منه مَحْمُود الوَرَّاقُ فقال:

بَكَيْتُ لقُرْبِ الأَجَلْ وبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ

ووافِدِ شَيْبٍ طَرَا بعَقْبِ شَبابٍ رَحَلْ
شَبَابٌ كأَنْ لم يَكُنْ وشَيْبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاكَ بَشِيرُ البَقَا وحَلَّ نَذِيرُ الأَجَلْ

وقال عبد الحميد الكاتب في نحو هذا:

تَرَحَّلَ ما لَيْسَ بالقافِل وأَعْقَبَ ما لَيْسَ بالآفِل
فلهْفي منَ الخَلَفِ النازِل ولهْفَى منَ السَّلَف الراحِلِ
أُبكِّي على ذا وأَبْكِي لِذا بُكاءَ المُوَلَّهَةِ الثاكِلِ
تُبَكِّي على ابنٍ لها قاطِعٍ وتَبْكي على ابنٍ لها واصِلِ
تَقَضَّتْ غوَاياتُ سُكْرِ الصِّبَا ورَدَّ التُّقَى عُنُقَ الباطِلِ

ولا أَحْسِبُ عليَّ بن جبَلَة أخذ هذا إلّا من كتاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فإنَّه كتب إلى بعض عُمّاله أَمَّا بعد فكأَنَّك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل.

اِبْنُ مُنَاذِرٍ

هو محمَّد بن مُناذِر مولى لبني يَرْبُوع ويكنى أبا ذَرِيح ويقال إنه يكنى أبا جعفر وكان في أوّل أمره مستوراً حتّى علق عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيَّ فانهتك ستره، ولمّا مات عبد المجيد خرج من البصرة إلى مكّة فلم يزل بها مجاوراً إلى أن مات، وكان يجالس سفيان ابن عُيَيْنة فيسأله سفيان عن غريب الحديث ومعانيه، وفي صبوته على كبر السنّ يقول:

هَلْ عِنْدَكُمْ رُخْصَةٌ عَنِ الحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ في اللَّهْوِ وٱبْنِ سِيرِينا
إنَّ سَفَاهــاً بــذي الجَلاَلَــةِ وٱلشَّيْبَــةِ أَلَّا يَزَالُ مَفْتُونــا
لَبِسْتُ طَوْقَ الصِّبَا وبارِقَهُ وقَدْ مَضَتْ من سِنِيَّ سِتُّونا

وفيها يقول للرشيد:

لَمَّا رَأَيْنا هارُونَ صار لنا ٱللَّيْلُ نهاراً بضَوْءِ هارُونا
فلَوْ سَأَلْنا لِحُسْنِ وَجْهِكَ يا هارُونُ صَوْبَ الغَمَامِ أُسْقِينا

وهو القائل في خالد بن طَلِيق وكان ولي قضاءَ البَصْرَة:

قُلْ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الَّذِي من هاشِمٍ في سِرِّها واللُّبَابْ
إنْ كُنْتَ للسُّخْطَةِ عاقبْتَنا بخالِدٍ فَهْوَ أَشَدُّ العِقَابْ
كان قُضَاةُ الناسِ فيما مَضَى من رَحْمَةِ اللهِ وهذا عَذابْ

يا عَجَباً من خالدٍ كَيْفَ لا يُخْطِىءُ فِينا مَرَّةً بالصَّوَابْ

وله أيضاً:

جُعِـــلَ الحاكِمُ يـــا لَلنَّـــاسِ من آلِ طليـــقِ
ضُحْكَـــةً يَحْكُمُ في النَّـــا سِ بَرأْيِ الجَاثَليـــقِ
أيُّ قـــاضٍ أَنْـــتَ للنَّقْـــضِ وتَعْطِيـــلِ الحُقُوقِ
يـــا أَبـــا الهَيْثَمِ مـــا أَنْـــتَ لهـــذا بِخَليـــقِ
لا ولا أَنْـــتَ لِمَـــا حُمِّلْـــتَ منـــه بِمُطِيـــقِ

وهو القائل:

أَلَا يـــا قمَرَ المَسْجِـــدِ هَـــلْ عنـــدك تَنْوِيـــلُ
شِفَائِي مِنْـــــكَ إنْ نَوَّلْتَنِي شَمٌّ وتَقْبِيـــــلُ
سلَا كُـــــلٌّ فُؤَادٍ وَ فُؤَادِي بِـــــكَ مَشْغُولُ
لَقَـــدْ حُمِّلْـــتُ من حُبِّيـــكَ مـــا لا يَحْمِـــلُ الفِيـــلُ

وقال في آخر الشعر:

وهـــذا الشِّعْرُ في الوَزْنِ لِمَنْ كـــان لـــه جُول
مَفَاعِيـــلٌ مَفاعِيـــلٌ مَفاعِيـــلٌ مَفَاعِيـــلُ

وهو القائل:

رَضِينَـا قِسْمَةَ الرَّحْمنِ فِينا لنـــا حسَبٌ وللثَّقَفِيِّ مـــالُ
ومـا الثَّقَفِيُّ إنْ جادَتْ كُسَاهُ وراعَـكَ شَخْصُهُ إلَّا خيالُ

عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أبي عُيَيْنَة

يكنى أبا جعفر وأبو عُيَيْنة هو ابن المهلَّب بن أبي صُفْرة وكان بينه وبين طاهر دُخْلَلٌ وله به خاصَّة فأتاه زائراً فلم يجد عنده الذي أمَّل فكتب إليه:

مَنْ آنَسَتْـــهُ البِلَادُ لم يَرِمِ　　عنهـا ومَنْ أَوْحَشَتْهُ لم يُقِمِ
ومَنْ يَبِـتْ والهُمُومُ قادِحَـةٌ　　في صَـــدْرِه بالزِّنـادِ لم يَنَمِ
ومَنْ يرَ النَّقصَ في مَوَاطِئِـهِ　　يُزِلْ عَنِ النَّقص مَوْطِئَ القَدَمِ
يا ذا اليَمِينَيْنِ لم أَزُرْك ولَمْ　　آتِـكَ من خَلَّـةٍ ولا عَـدَمِ
إنِّي مِنَ اللهِ في مُرَاحِ غِنًـى　　ومُغْتَـــدًى واسِعٍ وفي نِعمِ
زارَتْـكَ بي هِمَّـةٌ مُنَازِعَـةٌ　　إلى جَسِيمٍ من غايَـةِ الهِمَمِ
فـإنْ أَنـلْ هِمَّـتِي فأَنتَ لها　　في الحَقِّ حقِّ الإخاءِ والرَّحِمِ
وإنْ يَعُـقْ عائـقٌ فلَسْتَ عَلَى　　جَمِيـــلِ رَأْيِ عِنْـدِي بمُتَّهَمِ
في قَــدَرِ اللهِ مَـا أُحَمِّلُـهُ　　تَعْوِيـقُ أَمْرِي واللَّوْحِ والقَلَمِ
لم تَضِيــقِ السُّبْلُ والفِجاجُ عَلَى　　حُرٍّ كَرِيمٍ بالصَّبْرِ مُعْتَصِمِ
ماضٍ كحَـدِّ السِّنَانِ في طَرَفِ العامِلِ أو حَدِّ مُرْهَفٍ خَذِمِ
إذا ٱبْتَلَاهُ الزَّمـانُ كَشَّفَـهُ　　عن ثَوْبِ حُرِّيَّـةٍ وعن كَرَمِ

وهو القائل:

يا ذا اليَمِينَيْنِ ما شيءٌ إقامَتُهُ على الإطالَةِ إقْصاءٌ وتَقْصِيرُ

وما شِهابٌ مُنيرٌ قد أَضَرَّ بِهِ هَمٌّ ببابِكَ حَتَّى ما له نُورُ

وهو القائل:

يا ذا اليَمِينَيْنِ إنَّ العِتَا بَ يَشْفِي صُدُوراً ويُغْرِي صُدُورا

وكُنْتُ أَرَى أَنَّ تَرْكَ العِتا بَ خَيْرٌ وأَجْدَرُ أَلَّا يَضِيرا

إلى أَنْ ظَنَنْتُ بأَنْ قد ظَنَنْتَ أَنِّي لنَفْسِيَ أَرْضَى الحَقِيرا

فأَضْمَرَتِ النَّفْسُ في وَهْمِها مِنَ الهَمِّ هَمًّا يَكُدُّ الضَّمِيرا

ولا بُدَّ للماءِ في مِرْجَلٍ على النار مُوقَدَةً أَنْ يَفُورا

ومَنْ أُشْرِبَ اليَأْسَ كان الغَنِيَّ ومَنْ أُشْرِبَ الحِرْصَ كان الفَقِيرا

عَلامَ وفِيمَ أرى طاعتِي لَدَيْكَ ونصْري لك الدَّهْرَ بُورا

أَلَم أَكُ بالمِصْرِ أَدْعُو البَعِيدَ إِلَيْك وأَدْعُو القَرِيبَ العَسِيرا

أَلَم أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتاك بطاعَةِ مَنْ كان خَلْفِي بَشِيرا

ففِيمَ تُقَدِّمُ جَفَّالَةً إِلَيْكَ أَمامي وأُدْعَى أَخِيرا

كأَنَّك لم تَدْرِ أَنَّ الفَتَى الحَمِيَّ إذا زارَ يَوْماً أَمِيرا

يُقَدِّمُ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ أَلَيْسَ يَكُونُ بسُخْطٍ جَدِيرا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ به كان أَكْرَمَ من أَنْ يَزُورا

فهَلْ لَكَ في الإذْنِ لي راضِياً فإِنِّي أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَبِيرا

ثم هجاه فقال:

وما طاهِرٌ إِلَّا شِفاهٌ تَحَرَّكَتْ برائِحَةِ الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ فمَرَّتِ

فأَغْنَتْ بريحِ الفَضْلِ كُلُّ غَنَائِها

وبالفَضْلِ ساءَتْ حين ساءَتْ وسَرَّتِ

ثم فارقه فقال:

هو الصَّبْرُ والتَّسْليمُ للهِ والرِّضَا إذا نَزَلَتْ بي خُطَّةٌ لا أَشاؤُها

إذا نَحْنُ أُبْنا سالِمِينَ بأَنْفُسٍ كِرَامٍ رَجَتْ أَمْراً فخاب رَجَاؤُها

فأَنْفُسُنا خَيْرُ الغَنِيمَةِ إِنَّها تَؤُوبُ وفيها ماؤُها وحَيَاؤُها

هي الأَنْفُسُ الكُبْرَى الَّتي تَقَدَّمَتْ

أَوِ آسْتأْخَرَتْ فالقَتْلُ بالسَّيْف دَاؤُها

سَيَعْلَمُ ذُو العَيْنَيْنِ أَنَّ عَدَاوَتِي له رِيقُ أَفْعَى ما يُصابُ دَوَاؤُها

وهو القائل:

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجتَانِ والبَرَقُ في زَمَنٍ سوقُ أَهْلِهِ المَلَقُ

عُورٌ وحُولٌ وبَيْذَقٌ لَهُمُ كأَنَّه بَيْنَ أَسْطُرٍ لَحَقُ

هذا زَمانٌ بالناسِ مُنْقَلِبٌ ظَهْراً لبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ

وأخوه أبو عُيَيْنَةَ هو الَّذي كان يهجو خالد بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب وكان في جنده وصحابته، ويقال إن اسم أبي عيينة كُنيته وكان يكنى مع ذلك أبا المِنْهال، وهو القائل:

لقد خَزِيَتْ قَحْطانُ طُرًّا بخالدٍ فهَلْ لك فيه يُخْزِك اللهُ يا مُضَرْ

وأنشد الرشيد هذا البيت فقال بل هو موفَّر على قحطان، وفيها يقول:

له مَنْظَرٌ يُعْمِي العُيُونَ سَمَاجَةً وإن يُخْتَبَرْ يَوْماً فيا سَوْءَ مُخْتَبَرْ

أَبوك لنا غَيْثٌ نَعيشُ بسَيْبِهِ   وأَنْتَ جَرَادٌ لَسْتَ تُبْقِي ولا تَذَرْ
له أَثَرٌ في المَكْرُمَاتِ يَسُرُّنا   وأَنْتَ تُعَفِّي دائِماً ذلكَ الأَثرْ
تُسِيءُ وتَمْضِي في الإِسَاءَةِ دائِباً   فلا أَنْتَ تَسْتَحِي ولا أَنْتَ تَعْتَذِرْ

وفيه يقول:

إِنَّ أَضْيافَ خالِدٍ وبَنِيهِ   لَيَجُوعُونَ فَوْقَ ما يَشْبَعُونا
وتَراهُمْ من غَيْرِ نسْكٍ يَصُومُو   نَ ومن غَيْرِ عِلَّةٍ يَحْتَمُونا

وقال:

لَقَدْ جعَلَتْ تَعَرَّضُ لي مصادُ   تَعَرُّضَ مَنْ يُرِيدُ ولا يُرَادُ
فَقُلْتُ لها كَسَدْتِ فلا تَعَنَّي   كذاك لكُلِّ نافِقَةٍ كَسَادُ
فإِنْ تَرْضَيْ فقَدْ قَبِلَتْكِ عَيْنِي   ولكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُكِ الفُؤَادُ
فما لَكِ إِنْ أَقَمْتِ عَلَيَّ رِزْقٌ   ولا لَكِ إِنْ ظَعَنْتِ عَلَيَّ زَادُ

وقال:

أَنَا من وَجْدِ بدُنْيايَ منها   ومِنَ العُذَّالِ فيها مُلَقَّى
زَعَمُوا أَنِّي صَدِيقٌ لِدُنْيَا   لَيْتَ ذا الباطِلُ قد صار حَقَّا

وقال في آخر:

كم أَكْلَةٍ لو قد دُعِيتَ بها إلى كُفْرٍ كَفَرْتَا
ودَعَاك عامِلُ عَسْقَلا   نَ إلى وَلِيمَتِهِ فَطِرْتَا
فأَقَمْتَ سَبْتاً عِنْدَهُ   وأَقَمْتَ بَعْدَ السَّبْتِ سَبْتَا
ثُمَّ انْصَرَفْتَ ببِطْنَةٍ   وسَرَقْتَ إِبْرِيقاً وطِسْتَا
أَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ مِتَّ ثُمَّ وَجَدْتَ رِيحَ الخُبْزِ عِشْتَا

ويستجاد له قوله:

خالــــــــدٌ لولا أَبُوهُ   كـــان والكَلْـــبُ سَوَاءْ
لَوْ كما يَنْقُـــــصُ يَزْدَا   دُ إذاً نـــالَ السَّمَـــاءْ

وقوله:

عـــلى سِلْمِـــهِ أَسَدٌ باسِلٌ   وعن حَرْبِـــهِ ثَعْلَـــبٌ مُقْرِدُ

ويُستجاد له قوله:

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافِظٍ   في حِفْظِهِ عجَبٌ وفي تَضْييعكِ
وذَهَبْتِ عنه فما له من حِيلَةٍ   إلَّا الوُقُوفُ إلى أوَان رُجُوعِكِ
مُتَخَشِّعاً يُذْرِي عَلَيْكِ دُمُوعَهُ   أَسَفاً ويَعْجَبُ من جُمُودِ دُمُوعِكِ
إنْ تَفْتِنِيـــهِ وتَذْهَبِي بفُؤَادِهِ   فبحُسْنِ وَجْهِكِ لا بحُسْنِ صَنِيعِكِ

وقال في رجل تزوَّج امرأة لمالها:

رَأَيْـــتَ أَثَاثَهَا فطمِعْتَ فيـه   وكم نَصَبَـتْ لغَيْرِكَ بالأثـاثِ
فصَيِّرْ أَمْرَها بيَدَيْ أَبِيها   وسَرِّحْ من حِبَالِـــكَ بالثَّلَاثِ
وإلَّا فالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي   سأَبْدَأُ من غَـدٍ لك بالمَرَاثِي

وقال:

فيا طِيبَ ذاك القَصْرِ قَصْراً وَمَنْزِلاً
بأَفْيَـــحَ سَهْـــلٍ غَيْرِ ضَنْـــكِ
بغَرْسٍ كأَبْكارِ الجَوَارِي وتُرْبَةٍ   كأَنْ ثَرَاها ماءُ وَرْدٍ على مِسْكِ
كأَنَّ قُصُورَ القَوْمِ يَنْظُرْنَ نَحْوَهُ   إلى مَلِكٍ مُوفٍ على مِنْبَرِ المُلْكِ
يُـدِلُّ عليها مُسْتَطِيلاً بفَضْلِهِ   فيَضْحَكُ منها وهي مُطْرِقَةٌ تَبْكِي

وقال يذكر البَصْرَة:

يـا جَنَّةً فاتتِ الجِنـانَ فما ... تَبْلُغُهـا قِيمَـةٌ ولا ثَمَنُ
أَلِفْتُهـا فاتَّخَذْتُهـا وَطَنـاً ... إنَّ فُؤَادِي لِحُسْنِهـا وَطَنُ
زُوِّجَ حيتانُهـا الضِّبـابَ بها ... فهـذِهِ كَنَّـةٌ وذا خَتَنُ
فَانْظُرْ وفَكِّرْ فيما تُطِيفُ به ... إنَّ الأَرِيـبَ المُفَكِّرُ الفَطِنُ
من سُفُنٍ كالنَّعـامِ مُقْبِلَـةٍ ... ومن نَعـامٍ كأَنَّهـا سُفُنُ

ويتمثَّل من شعره بقوله:

داوُدُ مَحْمُودٌ وأَنْـتَ مُذَمَّمٌ ... عَجَباً لذاك وأَنْتُما من عُودِ
ولرُبَّ عُودٍ قد يُشَقُّ لَمَسْجِدٍ ... نِصْـفٌ وسائِرُهُ لِحُشٍّ يَهُودِ
فالحُشُّ أَنْتَ له وذاك لَمَسْجِدٍ ... كَمْ بَيْنَ مَوْضِعِ مَسْلَحٍ وسُجُودِ

مُحَمَّدُ بن يَسِيرٍ

هو من أَسَد مولى لهم وكان في عصر أبي نُوَاس وعمر بعده حيناً وقد يُتمثَّل بكثير من شعره، فمن ذلك قوله:

ماذا يُكلِّفك الرَّوْحاتِ والدُّلَجَا ... البرَّ طَوْراً وطَوْراً تَرْكَبُ اللُّجَجَا

كم من فتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتَهُ بسِهامِ الرِّزْقِ قد فَلَجَا

إِنَّ الأُمورَ إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها ... فالصَّبْرُ يَفْتَحُ منها كُلَّ ما ٱرْتَتَجَا

لا تَيْأَسَنَّ وإن طالَتْ مُطالبَةٌ ... إذا ٱسْتَعَنْتَ بصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجا

أَخْلِقْ بذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بحاجته

ومُدْمنِ القَرْعِ للأَبوابِ أَنْ يَلِجَا

وقال:

زارنا زَوْرٌ فلا سلِمُوا ... وأُصِيبُوا أَيَّةً سَلَكُوا

أَكَلُوا حتَّى إذا شَبِعُوا ... حمَلُوا الفضْلَ الَّذي تركُوا

لم يَكُنْ رأيي إضافَتُهُمْ ... غَيْرَ أَنَّ الرَّأْيَ مُشْتَرَكُ

وقال:

ماذا عليَّ إذا ضَيْفٌ تَأَوَّبَنِي

ما كان عِنْدِي أَعْطَيْتُ مَجْهُودِي

جُهْدُ المُقلِّ إذا أَعْطاه مُصْطَبِراً ... أو مُكْثِرٍ من غِنًى سِيَّانِ في الجُودِ

لا يَعْـدَمُ السائِلُونَ الخَيْرَ أَفْعلُهُ   إمَّا نَوَالاً وإمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

وقال:

اِصْبِرْ على مَضَضِ الإدْلاجِ في السَّحَرِ
وفي الرَّوَاحِ إلى الحاجات والبَكَرِ

لا تَعْجَزَنَّ ولا يُضْجِرْك مَحْبَسُها   فالنُّجْحُ يَتْلَفُ بين العَجْزِ والضَّجَرِ

إنِّي رأَيْتُ وفي الأَيَّام تَجْرِبَةٌ   للصَّبْرِ عاقبَـةً مَحْمُودَة الأَثْرِ

وقَـلَّ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ يُطالِبُهُ   فاستَصْحبَ الصَّبْرَ إلَّا فاز بالظَّفَرِ

وقال:

شَمِّرْ نَهاراً في طِلابِ العُلى   وآصْبِرْ على هَجْرِ الحَبِيبِ القريبْ

حَتَّـى إذا اللَّيْـلُ أَتَى مُقْبِلاً   واسْتَتَرَتْ فيه عُيُونُ الرَّقِيبْ

فاسْتَقْبِـلِ اللَّيْـلَ بمـا تَشْتَهِي   فإنَّما اللَّيْـلُ نَهـارُ الأَرِيـبْ

كَمْ من فَتـى تَحْسِبُهُ ناسِكًا   يَسْتَقْبِـلُ اللَّيْـلَ بأَمْرٍ عَجِيـبْ

غَطَّـى عليـه اللَّيْـلُ أَسْتَارَهُ   فبات في خَفْضٍ وعَيْشٍ خَصِيبْ

ولَـــذَّةُ المَأْفُونِ مَكْشُوفَـــةٌ   يَسْعَى بها كُلُّ عَدُوٍّ رقِيبْ

أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ

هو أَشْجَعُ بن عمرو من بني سُلَيم وكان متَّصلاً بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة منها قوله في يحيى بن خالد وكان غاب:

قـد غاب يَحْيى فما أرى أَحَداً ... يأْنَسُ إلَّا بذِكْرِهِ الحَسَنِ
أَوْحَشَتِ الأَرْضُ حِينَ فارَقَها ... مِنَ الأَيَـادِي العِظَامِ والمِنَنِ
لَـوْلا رَجاءُ الإِياب لانْصَدَعَتْ ... قُلُوبُنـا بَعْـدَهُ منَ الحَزَنِ

وقال فيه أيضاً:

رَأَيتُ بُغاةَ الخَيْرِ في كُلِّ وُجْهَةٍ ... لِغَيْبَةِ يَحْيَى مُسْتَكِينِينَ خُضَّعا
فإنْ يُمْس مَنْ في الرَّقَّتَيْنِ مُؤَمِّلًا ... لأَوْبَةِ يَحْيَى نَحْوَها مُتَطَلِّعا
فما وجهُ يَحْيَى وحْدَه غاب عَنْهُمُ ... ولٰكِنَّ يَحْيَى غاب بالخَيْرِ أَجْمَعا

وقال أيضاً:

إذا غاب يَحْيَى عن بِلادٍ تَغَيَّرَتْ ... وتُشْرِقُ إنْ يَحْتَلَّها فتَطِيبُ
وإنَّ فَعَالَ الخَيْرِ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... إذا لم يَكُنْ يَحْيَى بها لغَرِيبُ

وقال فيه حين اعتلَّ:

لَقَدْ قَرَعَتْ شَكَاةُ أَبِي عَلِيٍّ ... قُلُوبَ مَعَاشِرٍ كانَتْ صِحَاحا
فإنْ يَدْفَعْ لنا الرَّحْمٰنُ عنه ... صُرُوفَ الدَّهْرِ والأَجل المُتاحا

فقـد أَمسَى صَلَاحُ أَبي عَلِيٍّ لأَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمُ صَلَاحا
إذا ما المَوْتُ أخْطَأَهُ فَلَسْنا نُبَالي المَوْتَ حَيْثُ غَدَا وراحا

وهو القائل:

لَيْسَ للْحاجــــــاتِ إلَّا مَنْ لــــه وَجْــــهٌ وَقَــاحُ
ولِسانٌ طِرْمَــــــذَانٌ وغُــــــــدُوٌّ ورَوَاحُ
إنْ أكُنْ أبْطــأتِ الْحــا جــــةُ عنِّي فاللَّحــاحُ
فعَلَّــــى الجهْـــدُ فيهــا وعَلَــــى الله النَّجَـــاحُ

ويستجاد له في مدح الرشيد:

وَصَلَتْ يَدَاكَ السَّيْفَ يَوْمَ تَقَطَّعتْ أَيْدي الرِّجال وزَلَّتِ الأَقْدامُ
وعلى عدُوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ والإِظْلامُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا سلَّتْ عَلَيْه سُيُوفَكَ الأَحلامُ

ويُستجاد له أيضاً قوله:

غــدا يتفرَّقُ أهْــلُ الهوَى ويَكْثُرُ بــاكٍ ومُسْتَرْجِــعُ
وتختلِـفُ الأرْضُ بالظَّاعِنِـينَ وجوهــاً تُشَتُّ ولا تُجْمَــعُ
وتَفْنَى الطُّلُولُ وتبْقَى الهَوَى ويَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ ما يَصْنَعُ
وأنْــتَ تُبكِّي وهُمْ جِــيرةٌ فكَيْــفَ يَكُونُ إذا وَدَّعُوا
أَتَطْمَعُ في العَيْشِ بَعْدَ الفراق فبِئْسَ لعَمْرك مــا تَطْمَــعُ

وفيها يقول في جعفر بن يحيى:

بَديهَتُــهُ مِثْــلُ تَدْبِــيرِهِ مَتَـى هِجْتَـهُ فهو مُسْتَجْمِعُ

إذا هَمَّ بالأمْرِ لم يَثْنِـــــهِ   هُجُـوعٌ ولا شادِنٌ أَفْـرَعُ
ففي كَفّـهِ للغِنـى مَطْلَبٌ   وللسِّرِّ في صَـدْرِهِ مَوْضِـعُ
وكم قائِـلٍ إذ رَأَى بَهْجَتِي   وما في فُضُولِ الغِنَى أَصْنَعُ
غَدَا في ظِلالِ نَدَى جَعْفَرٍ   يَجُرُّ ثِيَـابَ الغِنَـى أَشْجَعُ
ومـا خَلْفَـهُ لامْرِئٍ مَطْمَعٌ   ولا دُونَـهُ لامْرِئٍ مَقْنَـعُ

وهو القائل في محمَّد بن منصور بن زياد يرثيه:

أَنْعَى فَتَى الجُودِ إلى الجُودِ   مـا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بمَوْجُودِ
أَنْعَـى فَتَـى أَصْبَحَ مَعْرُوفُهُ   مُنْتَشِراً في البِيـضِ والسُّودِ
أَنْعَى فَتًى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ   بَقِيَّـةَ المـاءِ منَ العُودِ
قـد ثَلَمَ الدَّهْرُ بـه ثَلْمَـةً   جانِبُهـا لَيْـسَ بِمَسْـدُودِ
أَنْعَـى فَتَـى كـان ومعْرُوفُهُ   يَمْلأُ مـا بَيْنَ ذُرَى البِيـدِ
فأَصبَحَـا بَعْـدَ تَسَامِيهِما   قـد جُمِعَـا في بَطْنِ مَلْحُودِ
الآنَ نَخْشَى عَثَراتِ النَّـدَى   وعَـدْوَةَ البُخْـلِ علـى الجُودِ

ويُستجاد له قوله في إبراهيم بن عثمان ببن نَهِيك وكان صاحب شُرط الرشيد وكان جبَّاراً عَبُوساً:

في سَيْفِ إبْرَاهِيمَ خَوْفٌ واقعٌ   بذَوِي النِّفاق وفيه أَمْنُ المُسْلِمِ
ويَبِيتُ يكْلأُ والعُيُونُ هَواجِعٌ   مـالَ المُضِيعِ ومُهْجَةَ المُسْتَسْلِمِ
جَعَلَ الخِطامَ بأَنْفِ كُلِّ مُخالِفٍ   حَتَّى استَقَامَ له الَّذي لم يُخْطَمِ
لا يُصْلِحُ السُّلْطانَ إلَّا شِدَّةٌ   تَغْشَى البَرِيَّ بفَضْلِ ذَنْبِ المُجْرِمِ
ومِنَ الوِلَاةِ مُقَحَّمٌ لا يَتَّقِي   والسَّيْفُ تَقْطُرُ شَفْرَتَاهُ من الدَّمِ

مَنَعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حديثَها ... بالأَمْرِ تَكْرَهُهُ وإنْ لم تَعْلَمِ

وقال لأخيه:

أَبَتْ غفَلاتُ قَلْبِك إن تَرُوحا ... وكأسٌ لا تُزَايِلُها صَبُوحا

كأنَّكَ لا تَرَى حَسَناً جَميلاً ... بِعينِكَ يا أخي إلَّا قبيحا

ويستجاد له قوله في الرشيد:

لا زِلْت تَنْشُرُ أَعياداً وتَطْوِيها ... تَمْضي بها لك أيّامٌ وتَثْنيها

مُسْتَقْبِلاً جِدَّةَ الدُّنْيا وبَهْجَتَها ... أيَّامُها لك نَظْمٌ في لياليها

الْعِيدُ والعِيدُ والأيّامُ بَيْنَهُما ... مَوْصُولَةٌ لكَ لا تَفْنَى وتُفْنِيها

وَلْيَهْنِكَ النَّصْرُ والأيّامُ مُقْبِلَةٌ ... إليك بالفَتْحِ مَعْقوداً نَوَاصِيها

ويُستجاد له قوله يمدح إسماعيل بن صَبِيح:

له نَظَرٌ لا يُغْمَضُ الأَمْرُ دُونَهُ ... تَكَادُ سُتُورُ الغَيْبِ عنه تُمَزَّقُ

وهو القائل:

وما تَرَكَ الْمُدَّاحُ فيك مَقَالَةً ... ولا قال إلَّا دُونَ ما فيك قائِلُ

أخذه من قول الخَنْساءِ وهو القائل أيضاً يرثي أخاه:

خَلِيلَيَّ لا تَسْتَبْعِدَا ما انْتَظَرْتُما ... فإنَّ قَرِيباً كُلُّ ما كان آتِيَا

أَلَا تَرَيَانِ اللَّيْلَ يَطْوِي نَهارَهُ ... وضَوْءُ النَّهار كَيْفَ يَطْوِي اللَّيَالِيَا

هُمَا الفَتَيانِ المُتْرَفانِ إذا انْقَضَتْ ... شَبِيبَةُ يَوْمٍ عاد آخَرُ ناشِيَا

كأنَّ يَمِينِي يَوْمَ فارَقْتُ أَحْمَداً ... أَخِي وشَقِيقِي فارَقَتْها شِمَالِيَا

وَيَمْنَعُنِي من لَـذَّةِ العَيْشِ أَنَّني أَراهُ إذا قارَفْتُ لهْواً يَرَانِيَا

أخذه من قول الآخر وهو ابن الدُّمَينة:

وإنّي لأَسْتَحْيِيـكَ حَتّـى كأنَّما عَلَيَّ بظَهْرِ الغَيْبِ منك رَقِيبُ

فهارس الكتاب

بين يدي الفهارس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على المصطفى من ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ما غردت الطير على الأفنان، وعلى المقتدين بهم والتابعين لهم بإحسان وبعد فإن هذه الكلمة لا أتحدث فيها عن الشعر ودوره كديوان للعرب، وسجل لتراثهم وتاريخهم، ولا أتحدث فيها كذلك عن قيمة الكتاب كمصدر من مصادر الأدب الأولى. ومرجع من مراجع الأقدمين في موضوعه، فقد وفى كل ذلك حقه المرحوم فضيلة الشيخ حسن تميم في مقدمته الرائعة التي تصدرت الكتاب فحلت منه جيداً عاطلاً، وأظهرت من قدره وقيمته ما كان خافياً في عصرنا هذا.

وإنما الذي أود الحديث عنه هو أن هذه الدرة النفيسة لابد أن تهيأ للانتفاع بها، والاستفادة مما تنطوي عليه من علم جم، وخير عميم.

ويتطلب ذلك أن تعد للكتاب فهارس تتيح للقارىء الرجوع إلى ما يريد الاطلاع عليه بأيسر سبل، وقد استعنت الله تعالى، وقمت بإعدادها مراعياً فيها ما يأتي:

أولاً : رتبت الأعلام وغيرها معتمداً على أن اللغة العربية منطوقة قبل أن تكون مكتوبة ومرموقة، وحرف الهمزة - أول حروف الأبجدية العربية - يرسم بصور مختلفة، فأحياناً يرسم على ألف، وأحياناً على واو، وأحياناً على ياء، ولكنه على أي وضع كتب، وعلى أي صورة كان، مكانه في بداية الحروف، ولذلك بدأت به على أي شكل وجد.

ثانياً: فصلت الأعلام عن القبائل والجماعات وجعلت لكل منها فهرساً مستقلاً، ولم أخلط بينها كما يصنع البعض، والسر في ذلك أن عَلَمَ الشخص قد يستعمل كعَلَم على القبيلة، ولكنه في بعض الأحيان قد يراد به الشخص، وفي بعضها الآخر قد يراد به القبيلة، ولذلك وضعت العَلَمَ في مكانه من الفهرسين حسب المرادفة.

ثالثاً: لاحظت أن البعض عند إعداد الفهارس يهمل كلمات: ابن - ابنة - أب - أم - ولد وأمثالها ويرتب على أساس العلَم الذي يجيء بعدها، ولكن الباحث يحتاج إلى العلَم مرتبطاً بما بدئ به من هذه الكلمات، فهو مثلاً إذا أراد البحث عن: أبي عمرو بن العلاء، فإن من الصعب أن يبحث عنه في: عمرو، ولذلك رتبت هذه الأعلام كما هي في الاستعمال دون إهمال للجزء الأول من المركب الإضافي، ووضعتها في مكانها الطبيعي بين سائر الأعلام.

ومثال ذلك إذا أراد الباحث معرفة العَلَم: ابن مفرغ فإنه يبحث عنه في حرف الهمزة، لا في حرف الميم.

رابعاً: ولم أضع « ال » التي للتعريف في الاعتبار عند إعداد الفهارس، بل تركتها، لكن إذا وجدت كلمتان إحداهما معرفة والأخرى منكرة فإنني أبدأ بالمنكرة ثم أتبعها بما فيه أداة التعريف.

خامساً: لاحظت أن العَلَمَ قد يأتي خلال كلام المؤلف وشعر الشعراء بصور مختلفة، كما قد يجيء أحياناً على صورة المنادى الذي حذف آخره ترخيماً، أو على صورة المصغر تعظيماً أو تحقيراً أو تدليلاً، وذلك يضع القارئ في حيرة بين الصور المختلفة، فضممتها إلى بعضها متخيراً منها أحدها أرتب على أساسه، وأضع باقي الصور بعده بين قوسين، ومثال ذلك: الأعشى ميمون بن قيس (أعشى قيس، الأعشى، أعشى).

علقمة بن علاثة الجعفري (علقمة بن علاثة- علقمة- علقم).
وهكذا.

سادساً: قد يحتاج العَلَمَ إلى ما يوضحه، أو يميزه عن عَلَمَ عاثله، ولذلك أضفت هذا التوضيح، أو المميز بين عَلَمَ وعَلَمَ آخر، ووضعته بعد شرطة، مثال ذلك:

الغساني- جبلة بن الأيهم.
عبد الله بن عمر - ابن الخطاب.
عبد الله بن عمر - العرجى.

سابعاً: ولما كان ما أضفته للتوضيح أو التميز لس من العَلَمَ الأصلي الذي جاء بالكتاب، فإنه لا اتصال بين المضاف والمضاف إليه، ولذلك فإنه إذا كان في أول المضاف كلمة: ابن بعدها عَلَمَ، وفي آخر المضاف إليه عَلَمَ، فإن كلمة: ابن ليست واقعة بين عَلَمين بينهما اتصال، ولذلك تثبت ألفها ولا تحذف.

ثامنًا: كما أثبت في نهاية الكتاب بعد الفهارس بعض التعليقات وأرقام الآيات القرآنية التي جاءت بالكتاب.

والله تعالى أسأل أن يكون في عملي هذا فائدة، وأن يكون من العِلْم الذي ينتفع به، ولاينقطع أجره، كما أسأله الرحمة والمغفرة لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن تميم، وأن يجزى ناشر الكتاب خير الجزاء. فإن الله خير مسئول وأكرم مأمول.

محمد عبد المنعم العريان
من علماء الأزهر الشريف
عضو بعثة الأزهر في لبنان

بيروت في ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٥ هـ
الموافق ١٣ من حزيران (يونيه) ١٩٨٥ م

١ - فهرس الأعلام

ب

ت

ث

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

ش

ص

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

٢- فهرس القبائل والجماعات والدول

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

غ

ف

ق

ك

ل

م

٣- فهرس الأيام والحروب

٤ - فهرس الفرق

٥- فهرس الأماكن

تعليقات

ص ٢٦ - س ١٢، ١٣: في بيتي الشاعر جرير بن عطية: إن العبون التي في طرفها مرض، والمشهور المتداول على الألسن: حور، بدلاً من: مرض. وهن أضعف خلق الله أركانا، والمشهور: إنسانا.

ص٥٤ - س١٧، ١٨: وطبن الطماح بن قيس الأسدي لها، معناه: فطن لها.

ص٧٥ - س١٦: قال: يمدح عبد العزيز بن مروان، يبدو - والله أعلم - أن صحتها: عمر بن عبد العزيز بن مروان؛ لأنه ابن لبلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإن كان عبد العزيز هو الآخر: ابن ليلى، لكن عبد العزيز لم يكن يمنع المال حتى يقال فيه ذلك، ولكن الذي منع المال عن الشعراء هو عمر بن عبد العزيز.

ص١٠٢ - س٢ روى البيتين على هذا النحو:

ولقد شهدت، وقد سبق أن رواهما في ص١٠٠ - س٣ هكذا: ولقد بلوت بدلاً من: ولقد شهدت.

ص١٧٣ - س١٩: الآية ١٣ من سورة الرعد.

ص١٧٥ - س٥: الآية ١٠ من سورة العاديات.

ص٢٦٦ - السطر الأخير: روى بيت عبد الملك بن مروان:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت هند لذي خلة بعدي

لاأدري لم ذكر هنداً؟ مع أن الحديث عن دعد، لا عن هند.

ص٣٢١ - س١٠: الآية ٢ من سورة النور.

ص٣٢١ - س١٢: الآيات ٢٢٤ إلى ٢٢٦ من سورة الشعراء.

ص٣٦٧ - س١٠: الآيتان ٢٨، ٢٩ من سورة الحاقة.

ص٣٧٧ - س١٣: الشطر الثاني من البيت ليس مناسباً للشطر الأول؛ لأن الشطر

الأول يقرر أن قلبه يرتاح لذكرها، فكيف تشبه راحة القلب وهي سكون وطمأنينة بانتفاضة العصفور إذا بلله ماء السماء؟، وإنما الشطر الأول كما حفظناه هو: وإني لتعروني لذكراك هزة. وهو يتناسب مع الشطر الثاني، ويكون الشطر الأول: إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ينقصه شطره الثاني.

ص٥٩٠ - س١٠: الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

٦- فهرس المواضيع

